الجزء الثاني

من فتوح الشام للامام العلامه
الحبر البحر الفهامه سيدى
محمد الواقدى نفع الله
به المسلمين
آمين

﴿ وبهامشه بقية تحفة الناظرين فيمن ولي مصر ﴾
﴿ من الولاة والسلاطين تأليف الامام الشيخ ﴾
﴿ عبد الله الشرقاوي رحمه الله تعالى ﴾

﴿ محل مبيعه بالمكتبة المليجيه ادارة ﴾
﴿ ملتزمه حضرة الشيخ محمد على المليجى ﴾
﴿ الكتبي الشهير بمصر قريبا من الجامع ﴾
﴿ الازهر المنير ﴾

طبع بالمطبعة الشرفيه
سنة ١٣٢١ هجريه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ذكر غزوة مرج القبائل داخل الدروب﴾

فقال معاشر المسلمين هذا الشام قد ملكتموه وملككم الله اياه وأخرج عدوكم منه بالذل والهوان وأورثكم
أرضهم وديارهم كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز فما تشيرون به علىّ أندخل فى هذه الدروب وراء أعدائنا فلم
يجبه أحد فأعاد الكلام ثم قال ما هذا السكوت أفشل بكم بعد الشجاعة أم كسل بعد النشاط أم قد نقيتم من
السيآت ولم يبق عليكم شئ من الذنوب وان الحسنات لكم كثيرة ولم يبق عليكم خطيئة فالرغبة الى الله أن
يعينكم على الجهاد فهو خير لكم من الدنيا وما فيها قال فكان أول من تكلم ميسرة بن مسروق العبسى فقال
أيها الامير انا لم نسكت لجزع لحقنا ولا لفزع رهقنا وانما بعضنا ينتظر بعضا اجلالا وأدبا واعلم أيها الامير
انه ما لنا تجارة ولا عمل غير الجهاد فى أعداء الله وطلب ما عند الله وها نحن لك وبين يديك ومنك الامر ومنا
الطاعة لله ولرسوله ولك وأما أنا فلا أملك الا نفسى فوجهنى حيث شئت تجدنى طائعا فقال أبو عبيدة معاشر
المسلمين من له رأى وحضرته مشورة فليقلها وليظهر ما عنده فقال خالد أيها الامير ان اقامتنا عن طلب القوم
وهن وعجز منا فى ديننا وطلبهم هو الغنيمة والنصر من عند الله والذى أشير به أيها الامير أن تبعث الجيوش فى
كل درب من هذه الدروب فان ذلك يوهن العدو وتقر به أعين المسلمين قال فجزاه أبو عبيدة خيرا وقال يا أبا
سليمان انى قد رأيت أن أعقد لميسرة عقدا وأسير معه رجالا لانه هو أول من سارع الى هذا الامر وأشار به فيفتح
الله لهم الدروب ويغير على ما قرب من البلاد ويرجع فيخبرنا عن خبر البلاد فنعمل على حسب ما نرى فقال خالد
هذا هو الصواب فعقد لميسرة وانتخب له من القبائل ثلاثة آلاف فارس من الشجعان وألف عبد من السودان
وجعل من كل قبيلة نقيبا وجعل على العبيد دامسا أبا الهول قال فلبسوا أكمل السلاح وكل منهم يقول انه يلقى
الكتيبة وحده وجعل أمير القوم ميسرة وقال أبو عبيدة يا أبا الهول كن أنت بجماعتك فى أوائل العسكر ولا
تخالف ميسرة فيما أشار به فانه مبارك الطلعة فقال سمعا وطاعة قال وجهز القوم ثم ان خالدا قال أيها الامير

(وولى بعده أخوه الملك القاهر بيدر) الذى كان نائبا عنه فأقام يوما واحدا وقتل (وولى بعده أخوه الملك الناصر محمد بن قلاون) سنة ثلاث وتسعين وستمائة فأقام سنة واحدة ثم خلع لصغره فانه كان ابن

ارسل معهم أدلاء يعرفونهم الطريق ويكونون لهم عيونا على أعدائهم فطلب لهم من أهل حلب من المعاهدين
من يكون ناصحا لهم فاختاروا لهم أربعة وأعطاهم أبو عبيدة وأحسن اليهم وطرح عنهم الجزية وقال لهم في أي
درب يكون دخول المسلمين في طلب العدو فاجتمع رأيهم على أن يدخلوا في الدرب الاعظم من بلد قورص ثم
انهم قالوا أيها الاميران هذه الضروب ليست كمثل البلاد التي فتحتموها بل هي بلاد شديدة البرد كثيرة الشجر
والمدر والحجر وفيها مضايق وشعاب وأودية وكهوف وعقبات فقال أهل اليمن سيروا وأنتم امامنا فانكم ترون منا
عجبا فسار أبو الهول والمعاهدون أمامه وسار ميسرة في أعقابهم بعد ما ودعوا الناس وودعوهم بالتهليل
والتكبير وقراءة القرآن والمسلمون يدعون لهم بالنصر والسلامة قال عطاء بن جعدة وسرنا والدليل أمامنا
حتى أتينا عقبة حنداس فقطعناها وعبرنا نحو الساجور وأتينا قورص فنزلنا فيها وبتنا فلما أصبحنا ودخلنا
الدروب وجدنا بها أرضا وعرة وأشجارا ومياها جارية ومضايق ليس للفرس فيها مجال فهالنا وحشة ذلك المكان
اذ ليس للعرب فيه مجال ولا فسحة فقلت في خاطري ان طالت علينا هذه الاودية خشيت على المسلمين أن يظفر
بهم عدوهم والادلاء أمام المسلمين وقد تعلقوا في جبال شامخة صعبة الصعود فلم يبق أحد الا وترجل عن فرسه
قال ومشينا حتى تقطعت نعالنا وسال الدم من أرجلنا فلم نزل على ذلك ثلاثة أيام والادلاء يقولون لنا كونوا على
يقظة فان أخذ عليكم المجاز هلكتم فلما كان في اليوم الرابع خرجنا الى أرض واسعة وكان دخولنا الى بلاد الروم في
أول الصيف ونحن مخفون من الثياب ولما دخلنا الى تلك الارض وجدنا بردا كثيرا ونظرنا الى الثلج وهو على
الجبال عن يميننا وشمالنا قال وكان دامس أبو الهول لم يأخذ معه ثيابا تدفئه فحصل له من البرد ما لم يحصل لغيره
فقال قبح الله تلك البلاد فاذا كان هذا البرد عندهم في الصيف فكيف يكون في الشتاء وجعل يرتعد فرآه ميسرة
فقال يا أبا الهول مالي أراك ترتعد فقال أخذني البرد وليس معي ما يدفئني فدفع اليه فروة فلبسها فدفئ فقال
كساك الله من ثياب الجنة (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وساروا الى أن وصلوا الى أرض طيبة كثيرة المياه
قليلة الشجر فنزلوا فيها ثم انهم ساروا فلم يروا أحدا الا ان الروم كانوا قد نزحوا عن البلاد حذرهم من المسلمين فلما كان
في اليوم الخامس ونحن سائرون اذ لاحت لنا قرية فقصدها المسلمون واذا هي خالية ولم يسمعوا غير أصوات
الديوك والغنم فدخلوها فلم يجدوا عندها مانعا ولا دافعا فعرفنا انهم تواروا عنا فصاح ميسرة وقال خذوا حذركم
فان القوم قد انهزموا وقد دخل الناس الى القرية فاخذوا ما كان فيها من طعام وأثاث ومتاع قال سعيد بن عامر
فرأيت أبا الهول وهو يحمل على عاتقه ثلاثة أكسية وقطيفتين قال فقلت له يا أبا الهول ما هذا فقال أستعد به لبرد
هذه البلاد الخبيثة فما أنساها أبدا قال وأخذوا ما كان في القرية من طعام وعلوفة وساروا الى أن وصلوا الى
مرج يقال له مرج القبائل وهو مرج واسع فانبثت الخيل فيه يمينا وشمالا ونزل الجيش هناك وميسرة يراود
نفسه في الرجوع الى حلب وذلك أن أبا عبيدة كان قد أمره أن لا يبطئ عنه وأن يكون حذرا فبينما هو كذلك
والخيل منبثة والناس آمنون من عدوهم اذ أقبل بعض الخيالة ومعه علج يقوده فلما وصل الى ميسرة قال
له ما شأن هذا ومن أين أخذته فقال اعلم أيها الامير اني سبقت أصحابي فرأيت شخصا يلوح مرة ويختفي مرة
فأسرعت اليه فاذا هو هذا فأتيته وسقته اليك قال فتقدم اليه رجل من المعاهدين فسأله فحدثه فاطال معه
الكلام والناس سكوت فلما أطال قال ميسرة ويلك ما الذي يقول هذا العلج فقال أيها الامير انه يقول ان الملك
هرقل لما ركب البحر وخرج من انطاكية ووصل الى قسطنطينية تصدت له الروم من كل مكان من المنهزمين
وغيرهم وبلغه أن انطاكية قد فتحت صلحا وانه قتل من كان فيها من المقاتلة فصعب عليه وبكى ثم قال السلام
عليك يا أرض سوريا الى يوم اللقاء وقد تجمع عنده من البطارقة والحجاب وغيرهم خلق كثير فقال لهم اني أخاف
من العرب أن ترحل في طلبنا ثم انه جهز ثلاثين ألفا مع ثلاثة بطارقة وأمرهم أن يحفظوا له الدروب فقال له
ميسرة وكم بيننا وبينهم قال يقول لكم فرسخان قال فلما سمع ذلك ميسرة أطرق الى الارض لا يرد جوابا ولا
يبدي خطابا فقال له رجل من آل سهم يقال له عبد الله بن حذافة السهمي وكان من أبطال الموحدين
وشجعانهم وكان له عمود من حديد وكان يقاتل به لا يقابله في الحرب سواه وكان دميم الخلقة فقال لميسرة بن
مسروق مالي أراك أيها الامير مطرقا الى الارض اطراق الحصان لصلصلة اللجام والرجل منا يقاتل ألفا من
الروم فقال والله يا عبد الله ما أطرقت خوفا ولا جزعا ولكن خوفا على المسلمين أن يصابوا تحت رايتي وهي أول راية

دخلت الدروب فيلومني عمر بن الخطاب وكل راع مسؤل عن رعيته فقال المسلمون والله ما نبالي بالموت ولا نفكر في الفوت لاننا قد بعنا أنفسنا بالجنة وشريناه ومن يعلم انه ينقل من دار الفناء الى دار البقاء فلا يبالي بما وصل اليه من الكفار ثم انه قال أيها الناس أترون أن نلقاهم في موضعنا هذا أو نسير اليهم فسألوا المعاهد وقالوا ان كان موضعهم أفسح من هذا رحلنا اليهم فقال ليس من هذه البلاد بعد عمورية أفسح من هذا المكان فان عولتم على لقائهم فاثبتوا مكانكم وان عدتم الى ورائكم كان خيرا لكم من قبل أن يشرف عليكم عدوكم قال فعرض ميسرة على العلج الاسلام فأبى فضرب عنقه فبينما هم على ذلك اذ أشرفت عليهم الروم فنزلوا بازائهم وكانوا كالجراد المنتشر وكان قد مضى النهار فاضرمت النيران فلما أصبح الصبح صلى ميسرة بالناس صلاة الفجر فلما فرغ قام في الناس خطيبا فقال أيها الناس هذا يوم له ما بعده وان رايتكم هذه أول راية دخلت الدروب واعلموا أن اخوانكم مطاولون لفعلكم واعلموا ان الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر واسمعوا ما قال نبينا صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف ولا تنظروا الى قلتكم وكثرة أعدائكم فقد قال تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فقال المسلمون اركب بنا يا ميسرة على بركة الله والقهم بنا وانا لنرجوا من الله النصر عليهم قال فاستبشر بقولهم وركبوا وانفصلت العبيد من العرب ووقفوا تحت راية أبي الهول وأخذوا على أنفسهم لقتال عدوهم واستنصروا بربهم وهو يوصيهم وجعل على الميمنة عبد الله بن حذافة السهمي وعلى الميسرة سعد بن أبي سعيد الحنفي وقدم العبيد مع أبي الهول فلم ينطق بكلمة وركب جيش الروم ومدوا صفوفهم ثلاثة صفوف كل صف بعشرة آلاف وأمامهم الصلبان وهم في عددهم وعديدهم فلما استوت الصفوف خرج رجل من الروم من المتنصرة وقرب من المسلمين وقال ان الباغي بغيه برديه أما كفاكم ما ملكتموه من الشام العظيم حتى اقتحمتم هذه الجبال واغاسا اقتسكم الآجال وهنا ثلاثون ألف عنان وقد حلفوا بالصلبان أن كلا منهم لا ينهزم وان وقع ميتا فان أردتم أن نبقي عليكم فاستسلموا للاسر حتى يحكم الملك هرقل فيكم بما يريد فخرج أبو الهول والراية بيده وقال له صدقت في قولك ان الباغي برديه بغيه وأما قولك انا نلقي اليكم بأيدينا لتبقوا علينا فانت اذا باغ بقولك هذا اذ نطقت بغير تجربة منكم وها أنا عبد من عبيد العرب لا قدر لي ولا قيمة عند ذوي الرتب فاقرب مني حتى أجعل لك صريعا تخور في دمك ثم ان دامسا همز حصانه اليه وطعنه فارداه عن فرسه قتيلا ثم جال على فلوه وهز رايته وقال الله أكبر فتح الله ونصر وجاءنا بالظفر ونظرت الروم الى أبي الهول وقد قتل صاحبهم وكان من شجعانهم فغضبوا لذلك فخرج اليه آخر فتاركه يقرب منه حتى طعنه في نحره فاخرج السنان من ظهره ونظر الروم الى ذلك فقالوا هذا عبد من عبيد العرب قد فعل ما ترون قال فلم يجسر أحد أن يخرج اليه فاغار عليهم وقتل من القلب واحدا ورجع قال فحمل عليه صف من الصفوف وهم عشرة آلاف ودهموه بالخيل فحملت العبيد وحملت المسلمون والتقى الجمعان قال ميسرة فلله در العبيد لقد أبلوا بلاء حسنا واستنقذوا أبا الهول من عين الهلاك وهم يقولون نحن عبيد لعباد الله وضربنا مثل الحريق في سبيل الله ونقتل من كفر بالله قال ولم يزل الحرب بينهم حتى قامت الشمس في قبة الفلك وحمي عليهم الحر وافترق الجمعان قال وان المسلمين موقنون بالظفر والنصر والمشركون قد أيقنوا بالهلاك وقد قتل منهم خلق كثير وأسر من الروم تسعمائة وقتل منهم زهاء من ألف فلما انفصل الجمعان افتقد المسلمون أبا الهول فلم يجدوه فقال ميسرة ان كان أبو الهول قد قتل أو أسر فقد أصبنا به والى الله تعالى أشكو ما أصابنا من فقد أبي الهول وأسر من المسلمين عشرة ثم ان ميسرة قال من فيكم يكشف لنا خبرهم واذا بالروم قد عادوا للقتال وحملوا بجمعهم فقاتلوا قتالا شديدا فكان الرجل من المسلمين يجتمع عليه العشرة والعشرون والخمسون الى أن يقتلوه أو يأسروه وكانت العرب في أربعة آلاف والروم في ثلاثين ألفا فعظم بينهم الحرب وهاج الطعن والضرب فلله در ميسرة بن مسروق العبسي لقد جاهد في الله حق جهاده وهو مع ذلك ينادي أيها الناس اذكروا الدار الآخرة واعلموا أنها أقرب لاحدكم من رجوعه لاهله فاستقبلوها استقبال الوالدة لولدها ولا تولوا الادبار عنها فان أصاب القوم منا فاني أخشى ان ذلك وهن بنا ثم انه نادى أحطموا أجفرة سيوفكم فذلك طريق النجاة قال زيد بن وهب فلم يبق أحد من المسلمين حتى رمى بجفير سيفه فلما رأت الروم ذلك فعلوا مثلنا ورمى كل منهم بجفير سيفه وسميت تلك الوقعة باسمين وقعة مرج القبائل ووقعة الحطمة لاجل حطم أغمدة السيوف قال واقتتلوا حتى ان الرجل يقول

وبين العسكر وحشة فخلع نفسه وذهب الى الكرك وفي مبدا ولايته سنة تسع وتسعين وستمائة قدم غازان ملك التتار في مائة ألف الى دمشق فخرج الناصر الى قتاله في نحو عشرين ألفا فانهزم عسكر الناصر وقتل جماعة من

ان سيفه ما بقى يقطع والمسلمون يبتهلون الى الله والكفار تعج بكلمة كفرهم قال وان المسلمين يطلبون الفرج من الله والسودان تقاتل قتال الموت وكان شعار العرب فى ذلك اليوم النصر النصر وشعار السودان يا محمد يا محمد قال ابن ثابت وكنت قد أخذنى القلق على المسلمين ونحن فى ركب عظيم اذ سمعت فى الروم ضجة هائلة واذا بهم يقاتلون اناسا من ورائهم وهم فى وسط عسكرهم والزعقات منهم قد علت وسمعت قائلا يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فقلت هذه أصوات الملائكة فاتبعت الصوت فاذا هو صوت دامس أبى الهول وهو بارك تحت جحفته ومعه العشرة المأسورون وهم يقاتلون معه ويحمون بعضهم الى أن خلصوا من بينهم وسمعته يقول هذه الابيات

يوثقنى الاعداء فى الحديد * وناصرى وسيدى المبيد مهلك عاد وبنى ثمود * أغاثنى بعونه الشديد محمد الطاهر الرشيد * حل عنى القيد والحديد ذاك رسول الملك المجيد * صلى عليه الناصر الحميد

قال فحملت المسلمون وكشفوا عنهم فخرجوا وكأنهم قد غرقوا فى بحر دم والله ما قتل من المسلمين أكثر من خمسين رجلا بواحد أو باثنين وقتل من المشركين نيف عن ثلاثة آلاف غير ما قتله أبو الهول وأصحابه فى وسط عسكر الكفر فلما نظر ميسرة الى دامس أراد أن يترجل اليه فاقسم عليه أن لا يفعل وافترق الجيشان فضم ميسرة دامسا الى صدره وقبله بين عينيه وقال له كيف كان أمركم قال اعلم أيها الامير ان الروم كانوا قد تكاثروا على فرسى فقتلوه ووقعت فأخذونى أسيرا وجعلونى فى الحديد وفعلوا بأصحابى مثلى وقد أيسنا من أنفسنا فلما جن الليل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لا بأس عليك يا دامس اعلم ان منزلتى عند الله عظيمة ثم انه أمر يده الكريمة على الحديد فسقط منى وفعل ذلك مع أصحابى وقال لنا أبشروا وابنصر الله فأنا نبيكم محمد رسول الله وقال لى أقرئ عنى ميسرة السلام وقل له جزاك الله خيرا ثم غاب عنى فانتبهت فوجدت الموكلين بنا نياما مما لحقهم من التعب وقد رموا سلاحهم فأخذنا سيوفهم وطوارقهم وقتلناهم وحملنا فيهم ونصرنا الله عليهم ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلنا منهم من قتلنا وخرجنا من بينهم سالمين وهذا حديثنا قال فضج المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) ثم ان بطريق الروم كان اسمه جارس فلما رأى ما قد حل بأصحابه قال وحق المسيح خاب ملك أنتم حماته فان لم تقاتلوا بعزم وشدة والا قتلتكم قال فحلفوا أن لا ينهزموا أو يقتلوا عن آخرهم فلما وثق منهم أمر أن تضرم النيران على شواهق الجبال وأمر أن ينفذ النفير الى البلاد بأسرها قال فأتت اليه الروم من كل جانب فأتى اليه عشرون ألفا وان المسلمين لم يكترثوا بذلك فلما كان الغد صلى ميسرة بالمسلمين صلاة الخوف وهو أول من صلاها داخل الدروب وأول راية دخلت كانت رايته فلما فرغ من صلاته قام فى الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه وقال أيها الناس اثبتوا للمنازل بكم فالصبر عند نزول المصائب وهذه رحمة من الله لنا اذ نحن فى صدور الاعداء وقد دارت بنا هذه الجيوش ونحن لا نقاتل الا بنصر الله لنا وان الامير أبا عبيدة كان قد أمرنى أن لا أبعد بكم عنهم ولنا منهم الآن سبعة أيام وما يظن أبو عبيدة اننا نلاقى جيشا فقال له سعيد بن زيد يا ميسرة ما الذى تريد بهذا الكلام ان كنت تريد انك تحرضنا فنحن أشوق الى لقاء الله من الظمآن الى الماء البارد فقال ميسرة ما أردت بذلك الا مشورتكم وقد رأيت ان ننفذ الى أمير المسلمين رجلا يعلمه بما قد بلينا به وان مدد القوم يزيد فلعله يجدنا باخواننا فقال سعيد نعم ما قد أشرت به فدعا برجل من الاربعة المعاهدين ووعده بكل خير وأمره أن يأخذ معه آخر وأن يسير الى أبى عبيدة و يعلمه أن نفير القوم قد لحقنا من الحصون والقرى وسائر البلاد وقد نزلوا بازائنا وأن يحدثه بما قد رأى قال فسار المعاهد والرجل الى حلب وأجهدا نفوسهما فى السير من طرق يعرفانها الى أن وصلا جيش المسلمين فسقطا كأنهما البغال الهرمة من شدة السير والتعب فأمر أن يرش عليهما الماء فلما أفاقا قال لهما ما وراءكما أهلكت الكتيبة قالا لا والله ولكن نفر عليهم العدو من كل مكان وأخبراه بما كان من الحرب والقتال وكيف حطموا أجفرة سيوفهم وكيف أسر أبو الهول وكيف خلص وعن ما هم فيه فقلق أبو عبيدة عند ذلك وقام مسرعا وأتى قبة خالد بن الوليد فوجده يصلح درعه فلما رآه قام اليه واقفا وقال له خيرا أيها الامير فأخذ بيده وسار به الى ان أتى رحله وقال للرجلين قوما فحدثا الامير بما قد حدثتمانا فحدثاه بما كان من أمر المسلمين فقال خالد ان الله سبحانه وتعالى منذ نصرنا ما خذلنا فلله الحمد على ذلك وقد أمرنا بالصبر على الشدائد فقال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا وقال ان الله مع الصابرين

الامراء وملك غازان دمشق ما خلا قلعتها وخطب له بها وحصل لاهلها من التتار المشقة العظيمة ثم أخذ الناصر فى التجهيز لقتالهم لان ابن تيمية جاءه على البريد وحثه على ذلك

وأما خالد فقد حبس نفسه على الجهاد فى سبيل الله ولا يبخل على الله ورسوله فلعل الله أن ينجينى من النار ويرزقنى الشهادة ثم أسرع الى خيمته ولبس لامته وقلنسوته المباركة وركب جواده فوقع النفير فى الناس قال فاقبلوا من كل جانب فلولا أن منعهم أبو عبيدة كانوا ساروا بأجمعهم فانتخب منهم ثلاثة آلاف فارس واردفهم بالفين آخرين (أخبرنا) أحمد بن هشام عن عياض عمن حدثه قال لما سار خالد بالجيش لمعونة ميسرة بن مسروق ومن معه رفع خالد يديه الى السماء وقال اللهم اجعل لنا اليوم سبيلا واطو لنا البعيد ويسر لنا كل صعب شديد وسار نحو الدروب قال وأما ميسرة ومن معه فانهم دارت بهم الروم من كل جانب وهم يقاتلون فى كل يوم أشد القتال الى أن يقبل الظلام فيفترقون وفى كل يوم يزيد عددهم ومددهم وقد لحق المسلمين من التعب والجراح ما لحقهم ولكن من غير فشل وكأنهم قوم قد حجب عنهم الموت باذن الله تعالى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا عمر بن راشد عن الزبيدى قال لما سار خالد ليلحق ميسرة وينجده الى داخل الدروب سجد أبو عبيدة سجدة أطال فيها وقال اللهم انى أسألك بمن جعلت اسمه مع اسمك وعرفت فضله لأنبيائك ورسلك الا طويت لهم البعيد وسهلت لهم كل صعب شديد وألحقتهم بأصحابهم يا قريب يا مجيب قال وميسرة ومن معه منتظرون من الله فرجا يأتيهم ونصرا ينزل عليهم قال عبد الله بن الوليد الانصارى حدثنى ثابت بن عجلان عن سليمان بن عامر الانصارى قال كنت مع ميسرة فى وقعة مرج القبائل ويوم حطمنا أغمدة السيوف والروم تقبل من كل جانب ومكان الى المسلمين ونحن نباكر القتال ونروح رواحا قال سليمان بن عامر فخرج يوما من الأيام بطريق من الروم قد لبس درعين وعليه سواعد من الحديد وعلى رأسه بيضة تلمع فوقها صليب من الجوهر وبيده عمود من الحديد كأنه ذراع بعير فجال بين الصفوف وطلب البراز وكان أحد الثلاثة المقدمين على الثلاثين ألفا قال فجعل يدعو الى البراز ويطمطم فقال ميسرة للترجمان ما يقول هذا الاغلف قال انه يذكر انه فارس شديد ويطلب شجعانكم وأبطالكم فقال ميسرة من يبرز اليه فأسرع اليه رجل من المسلمين من قبيلة النخع وعليه درع من دروع الروم وثياب من ثيابهم فقلنا انه من المتنصرة وقد عاد الى الاسلام فجعل العلج يتكلم وهو يظن انه يفهم كلامه فلما رآه لا يبرز اليه حمل عليه وضربه بعموده فزاغ النخعى عنها ووطاها عليه فوقع العمود على رأس جواده فصرع الجواد براكبه وسار النخعى على قدميه فناداه ميسرة يا أخا النخع ارجع فرجع القهقرى والعلج يطلبه والنخعى راجل والعلج فارس فسار اليه عبد الله بن حذافة السهمى وصاح بالعلج فادهشه فالتفت اليه وسار النخعى الى أن وصل عسكر المسلمين وحمل عبد الله بن حذافة على العلج وحمل العلج عليه وصعب بينهما المجال وصار عبد الله كلما ضرب العلج لا يقطع فيه شيأ والعلج كلما ضرب عبد الله يأخذها بحجفته فتوهن ساعده من ثقل العمود وطال بينهما القتال والتقيا بضربتين فبادره عبد الله بالضربة تحت لحيته فطلب به نحره فلحق رأس سيفه رقبة العلج فطارت رأسه عن بدنه وأراد الفرس أن يرجع الى عسكر الروم فأخذه عبد الله ونزل اليه وأخذ سلبه ورجع الى المسلمين فعظم ذلك على الروم وكان عندهم معظما وعند الملك قال فبرز بطريق آخر وقال هذا صاحب الملك قد قتل ولا بد لى من أخذ ثاره من الذى قتله اما بقتله أو أسره وأبعث به الى الملك يصنع به ما يريد ثم انه أتى الى البطريق المقتول ورأسه طايح عن بدنه فبكى عليه وقال بلسان فصيح معاشر العرب يوشك ان الله يهلككم ببغيكم علينا وفعالكم بنا فليبرز الى قاتل هذا البطريق حتى آخذ منه بثاره فلما سمع منه ذلك عبد الله بن حذافة هم بالخروج فمنعه ميسرة شفقة عليه لأجل راحته فانه قد تعب وأراد ميسرة أن يلقاه بنفسه فقال عبد الله بن حذافة دعونى أيها الامير باسمى وأتخاف انى اذا اعاجز فقال له ميسرة انى أشفق عليك فقال عبد الله أتشفق على من تعب الدنيا ولم تشفق على من حر النار وعيش عاش فيه رسول الله لا يبرز اليه غيرى ثم برز اليه وتحته فرس المقتول وما غير من لامته شيأ وبيده سيفه وحجفته فلما التقيا ورأى البطريق فرس صاحبه علم انه قاتله فما أمهله حتى نفر اليه وحمل على عبد الله كأنه جبل قد انهد من علو وتشبث به وجذبه فاخذه أسيرا وذهب الى قومه وقال أوثقوه بالحديد واحملوه على خيل البريد واذهبوا به الى الملك فى هذه الساعة قال ففعلوا ذلك وساروا به ورجع البطريق الى الميدان وهو يفتخر بما صنع فاراده ثلاثة من المسلمين كل منهم يريد أن يخرج اليه فقال ميسرة ما يخرج لهذا اللعين غيرى واستدعى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وسلم الراية اليه وقال له كن للراية حافظا حتى أخرج الى هذا اللعين فان عدت

فخرج اليهم وهزمهم ومن يومئذ انكسر شرهم وصار أمرهم فى ادبار ولما ذهب الى الكرك ولى مكانه السلطان بيبرس الجاشنكير فاقام سنتين ثم عاد السلطان الناصر محمد بن قلاون ثالثا الى مصر من الكرك وهى

أخذتها وان قتلني فاجرى على الله فاخذ سعيد الراية وخرج ميسرة الى البطريق وهو يقول

قد علم المهيمن الجبار * بان قلبي قد كوى بالنار * على الفتى القائم بالاسحار
سيعلم العلج أخو الاشرار * أني منه آخذ بالثار

قال وحمل عليه وتجاولا طويلا وعظم الأمر بينهما وتدانيا وتقاربا وتباعدا وغابا عن الأبصار تحت الغبار وكل فرقة تنظر الى صاحبها وتدعوله ثم انكشفا وهما للتفرق أقرب منهما للتقارب فقال العلج لميسرة بحق دينك ماهذه الراية التي طلعت من وراء عسكركم فلم يلتفت الى كلامه بل قال له وماذاك على الله بعزيز فقال وحق ديني ماقلت لك الاحقا قال وهو يحلف كاذبا فالتفت ميسرة لحرصه أن ياتي الله بالفرج وينظر تحقيق ماقاله اللعين فحمل البطريق عليه وه وكن يده منه ليأخذه أسيرا واذا قد طلعت راية خالد بن الوليد وهي مشرقة بالنور وهي في يد خالد بن الوليد وكبر المسلمون يدا واحدة فمن عظم تكبيرهم ارتجت يد العلج عن ميسرة والتفت البطريق ليرى كيف الخبر فقبض عليه ميسرة وهم أن يقلعه فلم يقدر لانه كان مرفلا في السرج فحمل يجذبه فلم يقدر وقرب خالد منهم فرفع سيفه يريد أن يضرب به ميسرة ليطلقه من يده فحاد السيف عن يد ميسرة ووقع على يد العلج الشمال فقطعها وانخرع ميسرة وانثنى البطريق الى أصحابه ويده مقطوعة وهو يئن فالتقى به غلمانه فاخذوه وكووه وأما خالد فانه التقى بميسرة وتسالما وحدثه بما وقع له مع الروم وكيف أسروا عبد الله بن حذافة السهمي فتأسف خالد واسترجع وقال يؤسر مثل عبد الله بن حذافة والله لا يفارقهم خالد أو يخلصه ان شاء الله تعالى وأقام خالد بقية ذلك اليوم فلما كان من الغد أتاهم من جيش الروم شيخ وعليه مسوح السواد حتى وقف بازائهم وأومأ بالسجود فنعه خالد وقال له ما الذي تريد قال ان كبير هؤلاء القوم يريد صلحكم ويطلق أسيركم ويدفع لكم ماتريدون وترجعون فقال خالد ماترجع الا على انفصال وأما الأسير فاذا لم تطلقوه طوعا أطلقتموه كرها قال ألأنت أمير هؤلاء قال نعم قال ان رأيت أن تؤخر القتال بقية يومنا هذا وليلتنا فافعل لندبر بيننا وبينكم ويبرد وجع هذا البطريق ونجيبكم الى ماتريدون قال أجبناكم الى ذلك فرجع الشيخ الى قومه وقال للبطريق قد أجابوا ووضعت الحرب أوزارها ونزل خالد والمسلمون بازائهم في أماكنهم وأضرم الروم النيران وزادوا فيها وحملوا أثقالهم وساروا من أول الليل فلما كان الغد ركب المسلمون فلم يجدوا للمؤمنين أثرا فعلموا أنهم قد ولوا الادبار فتأسف خالد على مافاته فاراد أن يتبعهم فنعه ميسرة وقال له انها بلادهم وهي وعرة وان الصواب رجوعنا الى عسكر المسلمين قال فاخذوا ماتركه الروم ورجعوا منصورين ولكنهم حزينون على أسر عبد الله بن حذافة السهمي فساروا حتى أتوا حلب فلقيهم أبو عبيدة وفرح بسلامتهم وأقبل ميسرة يحدثه بما جرى لهم وكيف أسر عبد الله بن حذافة فتأسف عليه وقال اللهم اجعل له من أمره فرجا ومخرجا وكتب الى عمر بن الخطاب يخبره بما وقع له من أمر السرية الى الدروب وما كان من المسلمين وأخبره باسر عبد الله بن حذافة وبعث الكتاب فلما وصل الى عمر ابن الخطاب فرح بسلامة المسلمين واغتم على عبد الله بن حذافة وأسره لانه كان يحبه حبا شديدا فقال وعيش رسول الله لأكتبن الى هرقل بان يرسل عبد الله بن حذافة فان لم يفعل والاسرت اليه بالجيوش والعساكر ثم انه كتب * بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وصلى الله على نبيه محمد المؤيد من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أما بعد فاذا وصل اليك كتابي هذا فابعث الي بالأسير الذي عندك وهو عبد الله بن حذافة فان فعلت ذلك رجوت لك الهداية وان أبيت بعثت اليك رجالا وأي رجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى ثم انه طوى الكتاب وبعث به الى أبي عبيدة وأمره أن ينفذه الى هرقل فلما وصل الكتاب الى هرقل قال له من أين كتابك هذا قال من أمير المؤمنين أمير العرب فقرأه فاذا هو من عند عمر بن الخطاب قال فدعا بعبد الله بن حذافة اليه قال عبد الله بن حذافة فدخلت عليه والتاج على رأسه والبطارقة حوله فلما وقفت بين يديه قال لي من أنت قلت رجل من المسلمين من قريش قال أنت من بيت نبيك قلت لا أنا من بني عمه قال هل لك أن تتبع ديننا وأزوجك ابنة بطريق من بطارقتي وأجعلك من اخصائي فقلت لا والله الذي لا اله الا هو لا فارقت دين الاسلام أبدا وماجاء به محمد عليه السلام فقال أجب الى ديننا وأنا أعطيك من المال كذا وكذا ومن الغلمان كذا وكذا ومن الجواري كذا وكذا قال عبد الله فدعا بسفط من الجوهر وقال اذا دخلت في ديني أعطيتك اياه فقلت لا والله لو أعطيتني

التوليـة الثالثـة وكان بيبرس قد هـرب الى الصعيد ثم هرب منه الى جهـة الشام فاحضره الناصر وخنقه ودفن بمدرسته البيبرسية بالدرب الاصفر داخل باب النصر واستمر الملك الناصر في السلطنة وتمكن منها

ملكك وملك قومك ما فارقت دين الاسلام أبدا ولو أعطيتني كل ما تملكه فقال اذا لم ترجع الى دينى قتلتك أشر
قتلة فقلت لست أفعل ولو قطعتني قطعا ولو أحرقتني بالنار لا رجعت عن دينى فاصنع ما أنت صانع قال فغضب
من كلامي وقال اسجد لهذا الصليب سجدة وأخلى سبيلك فقلت لست أفعل قال فكل من لحم الخنزير وأنا
أطلقك قلت حاش لله ما كنت بالذى أفعل قال فاشرب من هذا الخمر شربة واحدة وأطلقك قلت لا والله لا أشرب
أبدا قال وحق دينى لتأكلن وتشربن قهرا ثم أمر بى فجعلنى فى بيت وجعل عندى من ذلك اللحم والخمر وقال
اذا أضر به الجوع والظمأ أكل وشرب وأغلقوا على الابواب * قال حدثنا عامر بن سهل عن يوسف بن عمران
عن سفيان بن خالد عمن يثق به ان هرقل كان قد مات بعد هزيمته من انطاكية بايام قلائل مما دخل على قلبه
من الغم ويقال انه مات مسلما والذى فعل ذلك بعبد الله بن حذافة ولده قسطنطيوس وكانوا يقولون باسم أبيه هرقل
قال فلما كان فى اليوم الرابع طلب عبد الله بن حذافة وقال للغلمان ما فعل قالوا لم يأكل شيئا ولم يشرب وهو على
حاله قال له وزيره أيها الملك اعلم أن هذا الرجل شريف فى قومه لا يرى الذل فكل ما تفعله فى هذا الرجل تفعله
المسلمون اذا قبضوا على ملك منا قال فاستدعاه وقال له ما فعلت باللحم قال هو على حاله فقال له ما منعك أن تأكل
قال فزعا من الله ورسوله وأيضا انه قد حل لى بعد ثلاثة أيام ولكن ما أردت أن تشمت بى الملحدون وورد كتاب
عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فلما قرأه أعطى عبد الله مالا كثيرا وثيابا وأعطاه لؤلؤا كثيرا هدية لعمر بن
الخطاب وبعث معه خيلا الى أن أخرجوه من الدروب ووصل الى حلب والتقى المسلمين ففرحوا به ثم انه سار الى
عمر بن الخطاب فلما رآه حمد الله شكرا وهنأه بالسلامة وحدثه بما كان من هرقل وأخرج له اللؤلؤ فلما رآه عمر
عرضه على التجار فقالت التجار له هذا ما يقوم ومن جاءك به فقالت الصحابة خذه اليك بارك الله لك فيه فقال
لا اله الا الله محمد رسول الله اذا كنتم قد جعلتمونى منه فى حل فكيف أصنع بمن غاب من المسلمين ومن فى بطون
الامهات وأصلاب الرجال من أولاد المهاجرين والانصار والمجاهدين فى سبيل الله ولا طاقة لعمر بعطائهم يوم
القيامة ثم باعه وجعل ثمنه فى بيت المال * حدثنا عمر بن سالم عن عبد الله بن غانم عن أبى بكر بن عمر عن عبد
الله بن عبد الرحمن بن عبد الله قالوا جميعا انه لما فتح أبو عبيدة انطاكية صلحا وكان من أمر سرية ميسرة بن
مسروق ما ذكرناه أقام أبو عبيدة بحلب ينتظر ما يأتى اليه من عمرو بن العاص لما مضى الى قيسارية فى خمسة
آلاف من المسلمين فيهم عبادة بن الصامت وعمرو بن ربيعة وبلال بن حمامة وربيعة بن عامر

﴿ذكر فتح قيسارية الشام بساحل البحر﴾

قال سبيع بن ضمرة الحرانى كنت مع عمرو بن العاص حين سار الى قيسارية فدخلنا قرية من قرى الشام وكان
البرد شديدا ونظرنا الى كرومها ونظرت الى كرمة فى دار من دور القرية وفيها عناقيد مدلاة أكبر ما يكون
فأخذنا منها وأكلنا فبردنا ولحقنا البرد الشديد من شدة برد ذلك العنقود فقلت قبح الله هؤلاء الملاعين بلدهم بارد
وعنبهم بارد وماؤهم بارد وأنا أخاف الهلاك من شدة برد بلادهم قال فسمعنى رجل من أهل البلد فأراد أن يتقرب
الى لأداعبه فقال لى يا أخا العرب ان كنت تجد البرد من العنب فاشرب من مائه قال سبيع ثم انه دلنا على دن
كبير فيه خمر فشربت أنا وجماعة من عرب اليمن فسكرنا فجعلنا نتمايل سكرا فأخبر بذلك عمرو بن العاص
وكتب الى أبى عبيدة يعلمه بذلك فكتب اليه أبو عبيدة أما بعد فمن شربها فحده عليها وأقم حدود الله كما أمروا ولا
تخش لومة لائم فلما وصل الكتاب الى عمرو دعا بسبيع بن ضمرة وأصحابه فجلدهم بالسياط قال سبيع فلما ضربنى
عمرو وأوجعنى قلت والله لأقتلن العلج الذى دلنا على الخمر حتى شربناها وأكلنا الحد فأخذت سيفى ودخلت
القرية أطلب العلج فلما رآنى ووقعت عينى عليه أردت قتله فولى هاربا فتبعته وهو يقول ما ذنبى عندك فقلت
انت دللتنى على ما يغضب الله حتى أكلت الضرب فقال والله ما علمت انه محرم عليكم قال فنادانى عبادة بن
الصامت وقال يا سبيع اياك أن تقتله فانه تحت الذمة قال فتركته ومضى العلج وأتى الى بتين وجوز وزبيب
وقال كل هذا بدلك فانه يدفئك قال فأكلته فوجدته طيبا فقلت لحاك الله أين هذا كان قبل أن أضرب بالسياط
(قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم ان عمرا ارتحل فنزل بموضع يقال له محل وبلغ الخبر فلسطين بن هرقل وكان قد
أتاه المنهزمون من عسكر أبيه ولجؤا اليه واكتمل جيشه فى ثمانين ألفا ثم انه دعا برجل من المتنصرة وقال له
امض واحزر لى عسكر العرب واكشف لى أخبارهم فوصل اليهم وجاء الى قوم من اليمن وهم يصطلون حول

وعمر مساجد ومدارس وفى أيامه انقطعت الخطبة باسم العباسيين والدعاء لهم على المنابر واكتفى باسم السلطان وكانت وفاته يوم الاربعاء تاسع عشر ذى الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة ودفن عند والده بالقبة

النار نخلس بينهم يسمع حديثهم فلما أراد القيام عثر فى ذيله فقال باسم الصليب كلمة أجراها الله على لسانه فلما سمعوا قوله علموا أنه متنصر جاسوس للروم فوثبوا اليه وقتلوه ووقع الصائح فى العسكر فسمع عمرو الضجة فقال ما الخبر قيل ان قوما من اليمن وقعوا بجاسوس من الروم فقتلوه قال فغضب عمرو وطلبهم وقال ما حملكم على قتل الجاسوس وهلا أتيتمونى به لاستخبره فكم من عين تكون علينا ثم انها ترجع فتصير لنا الان القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ثم انه نادى فى جيشه من وقع بغريب أو جاسوس فليأت به الى قال وان فلسطين استبطأ الجاسوس فعلم بقتله فارسل غيره فاشرف على القوم من فوق شرف عال وحذرهم وعاد اليه فاخبره أنهم فى خمسة آلاف الا أنهم كالاسود الضارية أو كالعقبان الكاسرة يرون الموت مغنما والحياة مغرما فلما سمع ذلك قال وحق المسيح والقربان لابد من قتالهم فاما أن أبلغ المراد أو أموت صبرا ثم انه جمع عسكره واختار منهم عشرة آلاف فارس شدادا وولى عليهم بطريقا اسمه بكلاكون وهو صاحب جيشه وقال سر بهؤلاء فانت طليعة جيشى فسار من ساعته ثم انه عقد صليبا آخر وسلمه الى دمستق العسكر واسمه جرجيس بن باكور وضم اليه عشرة آلاف وقال له الحق بصاحبك فسار فى أثره فلما كان فى اليوم الثانى خرج فلسطين ببقية الجيش وترك ابن عمه قسطاس فى قيسارية يحفظها وترك عنده عشرة آلاف قال بشار بن عوف فبينما نحن نازلون اذ أشرف علينا البطريق الاول فى عشرة آلاف فارس فلما قربوا منا رأيناهم فحزرناهم فاذا هم عشرة آلاف قال ففرحنا وقلنا نحن فى خمسة آلاف وعدونا فى عشرة آلاف فكل رجل منا يقاتل اثنين فبينما نحن كذلك اذ أشرف علينا البطريق الثانى فى عشرة آلاف فقال عمرو رضى الله عنه اعلموا أن من أراد الله واليوم الآخر فلا يرتاع من كثرة العدو ولو تزايد المدد فان الجهاد أوفر متجرا وأعز قدرا وأى نفر أعلى عند الله ممن يقتل فى سبيل الله وصفوف الكفار ويكون حيا عند الله يرتع فى مروج الجنة وينال من الله سابغ النعمة والمنة فقد قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الآية ولو أن الجاسوس الذى قتلتموه لم تعجلوا عليه لاخبرنا بسير هذا الجيش الينا وكثرته وكنا قد أخذنا حذرنا على أنفسنا بالاحوط ولكن أمر الله لا يرد ثم انه جمع أبطال الموحدين وقال قد رأيت ان ننفذ الى أبى عبيدة نعلمه ليمدنا بالخيل والرجال فان هذا جيش عظيم ثم قال أيها الناس من يركب ويسير الى الامير أبى عبيدة ويعلمه بما قد صرنا اليه فلعله أن ينجدنا كما أنجد يزيد بن ابى سفيان وهو محاصر قنسرين وأجره على الله فقال له ربيعة بن عامر يا عمرو الق بنا العدو وتوكل على الله فان الذى نصرنا فى مواطن كثيرة ونحن فى قلة ينصرنا اليوم على بقية القوم الكافرين قال فقنع عمرو بكلام عامر بن ربيعة وقال والله لقد صدقت وأمر الناس بالتأهب الى لقاء العدو فركب المسلمون ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير فأجابتهم الجبال والتلال والآكام والاشجار والاحجار ومن هو فى تلك الارض من العمار وقالوا الهنا وولانا انا نسمع أصواتا موحدة غير مشركة ولا ملحدة فى التوحيد وقد أسمعتنا كلام التوحيد وأريتنا وجوه أهل التمجيد والتحميد الهنا ما أطيب سماع ذكرك ومن لنا أن نوفى بشكرك قال وضجت الوحوش والسباع الى مولاها شاكرة لما أعطاها وأولاها ونادت عالم سرها ونجواها يا من جميع الوحوش راضية بما آتاها اخرج رزقها ومرعاها تغدو خماصا وتروح بطانا الى باب سيدها ومولاها يا من لو توارت دودة تحت الأرضين السبع لرآها ولو كانت فى غلس الظلمات تحت اليم المظلم جعلت رزقها عند ايلافها اياها الهنا انا سمعنا أصوات توحيدك فى هذه الارض وما كنا عهدناها ونسمع آيات ما كنا عرفناها ولا سمعناها سبحانك يا من قدرته لا ننساها ويا من احسانه وفضله لا يتناهى قال فهتف بهم هاتف من الجو كم لله من مسبح فى الجبال وذراها وتحت تخوم الارض وثراها وفى فلوات البرارى المقفرات وفى قعور البحور الزاخرات ومياها قال فارتاع عسكر الكفار لما سمعوا فى الجو هذه الأصوات وكأنما الارض وأقطارها وأهلها تجاوبهم وكان فلسطين قد أتى وسمع ذلك ونظر الى جيش العرب وقد زاد فى عينه أضعافا فقال وحق دينى لما أشرفت على القوم ما كانوا فى هذه الكثرة وما كانوا أكثر من خمسة آلاف وقد زاد الآن عددهم وتزايد مددهم ولا شك أن الله قد أمدهم بالملائكة ولقد كان أبى هرقل على بصيرة من أمر هؤلاء العرب وليس جيشى هذا بأعظم من جيش ماهان الارمنى لما لقيهم باليرموك فى ألف ألف ولقد ندمت على خروجى اليهم ولكن سوف أدبر حيلة على هؤلاء العرب ثم انه دعا بقس عظيم القدر عند النصرانية وهو قس قيسارية

وكانت مدته الاخيرة اثنين وثلاثين عاما وسبعة أشهر ونصفا فصارت جملة ولايته أربعا وأربعين سنة وخمسة عشر يوما ولم يبلغ هذه المدة أحد من سلاطين مصر (وولى بعده ولده الملك المنصور أبو بكر)

وعالها وقال له اركب الى هؤلاء القوم وكلهم بالتي هي أحسن وقل لهم ان ابن الملك يسألكم أن تنفذوا اليه أفصحكم لسانا وأجرأكم جنانا فابعثوا به ولا يكون من طغام العرب قال فركب القس وعليه ثوب من الديباج الاسود وعليه برنس من الشعر فركب بغلة شهباء وأخذ بيده صليبا من الجوهر وسار حتى وصل الى المسلمين فوقف بحيث يسمعون كلامه فقال يا معشر العرب انى رسول اليكم من الملك فلسطين بن هرقل يسألكم ان تنفذوا اليه أفصحكم لسانا وأجرأكم جنانا وان الله يريد صلحكم ولا يبغى قتالكم لانه عالم بدينه بصير بأموره وليس يحب سفك الدماء ولا فساد الصور فلا تبغوا علينا فالباغى مقهور والمبغى عليه منصور وقد قال لنا المسيح لا تقتلوا الا من بغى عليكم وأن الملك يريد أن تبعثوا اليه رجلا من أفصحكم لسانا وأجرئكم جنانا ثم سكت قال فلما سمع عمرو كلامه قال أيها الناس قد سمعتم ما قاله هذا الاغلف فمن منكم يبادر الى مرضاة الله تعالى ورسوله وينظر ما يتكلم به مع كلب الروم فتقدم اليه بلال بن حمامة مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان غلاما أسود طويلا من الرجال كأنه النخلة السحوق بصاص من السواد عيناه جمرتان كأنهما العلق جهورى الصوت فقال يا عمرو أنا أسير اليه فقال يا بلال انك قد حطمك الحزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا انك من جنس الحبش ولست من العرب لان العرب لهم الكلام الجزل والخطب والفصاحة فقال بلال بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تركتنى أمضى اليه فقال عمرو لقد أقسمت على بعظيم اذهب واستعن بالله ولا تهبه فى الخطاب وافصح فى الجواب وعظم شرائع الاسلام فقال بلال ستجدنى ان شاء الله حيث تريد قال فخرج بلال نحوهم وهو كالنخلة السحوق عريض المنكبين كأنه من رجال شنوءة وكان من عظم خلقته اذا نظر اليه أحد يهابه وكان لابسا ومشتملا من كرابيس الشام وعلى رأسه عمامة من صوف متقلد بسيف ومزودة على عاتقه وبيده عصا قال فلما برز بلال من عسكر المسلمين ونظر اليه القس أنكره وقال ان القوم قد هنا عليهم فما دعوناهم نخاطبهم فبعثوا الينا بعبيدهم اصغر قدرنا عندهم ثم قال أيها العبد ابلغ مولاك وقل له ان الملك يريد أميرا منكم حتى يخاطبه عما يريد فقال بلال أيها القس أنا بلال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤذنه ولست بعاجز عن جواب صاحبك فقال له القس قف مكانك حتى أعلم الملك بأمرك وعاد القس الى الملك وقال له أيها الملك انهم قد بعثوا بعبد من عبيدهم يخاطبك وما ذاك الا استقلالا بأمرنا عندهم وهو عبد أسود قال فارسل له رجلا يقول له أيها العبد أبلغ مولاك وقل له ان الملك انما يريد أميرا منكم حتى يخاطبه فقال له بلال أيها الرجل أنا بلال بن حمامة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولست بعاجز عن جواب صاحبكم فقال فلسطين ارجع اليهم وقل لهم بعث اليكم ملك النصرانية أيليق أن تبعثوا له بعبد من عبيدكم فرجع الترجمان الى بلال وقال له يا أسود ان الملك يقول لك لسنا ممن نخاطب العبيد بل يأتينا صاحب جيشكم أو المؤمر عليكم فرجع بلال وهو منكسر وأخبر عمرا بذلك فقال اشرحبيل أنا أمضى اليه فقال شرحبيل يا عبد الله اذا مضيت أنت فلمن ندع المسلمين فقال عمرو والله لطيف بعباده وهو أرحم الراحمين بخلقه ولكن خذ الراية واخلفنى فى قومى فان غدر الروم فالله الخليفة عليكم فوقف شرحبيل فى مقام عمرو وأخذ الراية وخرج عمرو نحو القوم وعليه درعه ومن فوقه جبة صوف وعلى رأسه عمامة من صنع اليمن مصبوغة صفراء قد أدارها على رأسه كورا وأرخى لها عذبة وفى وسطه منطقة وقد تقلد سيفه واعتقل رمحه وسار عمرو حتى وقف بازاء الترجمان الذى أرسله فلسطين بن هرقل فلما رآه الترجمان ضحك فقال مم تضحك يا أخا النصرانية قال من دناءتك وتيتك وحملك هذا السلاح ما الذى تصنع به ولم تحمله معك وما تريد حربا فقال عمرو ان العرب حمل السلاح شعارهم ووطاؤهم ودثارهم وانما حملت السلاح معى استظهارا ولعلى أن ألقى عدوا فيكون ذلك حصنا من عدوى وأحامى به عن نفسى قال الترجمان شيمتكم أيها العرب الغدر والمكر فكن مطمئن الجانب ثم عطف الترجمان الى فلسطين ابن هرقل وأخبره حين سمع مقالة عمرو بن العاص وقال أيها الملك ان أمير العرب قد قدم علينا وعليه من اللباس كذا وكذا فتبسم الملك من قول القس وقال قل له يتقدم الينا قال فلما قدم أخذ الملك فى التأهب لقدوم عمرو وعليه وزين ملكه وأوقف القسوس عن يمينه وشماله والحجاب بين يديه وأقبل على الترجمان وقال له يا أخا العرب قد أذن لك الملك فسار عمرو على جواده وعسكر قيسارية تتعجب منه ومن زيه الى أن وقف على قبة الملك ثم ترجل ومشت الحجاب أمامه حتى وقعت عينه على عين فلسطين فأدناه ورحب به وبش فى

وكان سيء السيرة فخلع وقتل سنة اثنتين وأربعين وكانت مدة ولايته شهرين وأياما (وولى بعده أخوه السلطان كجك) وعمره ست سنين فأقام ثمانية أشهر والامر الى دولته قوصون وبشتك فخلعوه

وجهه وقال مرحبا بامير قومه وأراد أن يجلسه على السرير فامتنع عمرو من ذلك وقال بساط الله أطهر من
بساطك لان الله تعالى جعل الارض بساطا وأباحنا اياها فنحن فيها سواء وما أريد أن أجلس الاعلى ما أباحه
الله ثم جلس على الارض باركا وترك رمحه أمامه وسيفه على فخذه الايسر فقال له فلسطين ما اسمك قال اسمى عمرو
وأنا من العرب الكرام أرباب الحزم المعظمين فى القوم قال فلسطين انك لغنى كريم من عرب كرام يا عمرو وان
كنت من العرب فنحن من الروم وبيننا قرابة وأرحام متصلة ونحن وأنتم فى النسب متصلون ومن يكونون
متصلين فى النسب ما لهم يسفك بعضهم دم بعض فقال عمرو ان أنسابنا لاحقة من أبينا ونسبنا الاعلى هو دين
الاسلام واذا كان اخوان قد اختلفا فى الدين كان حلالا أن يقتل أحدهم أخاه وقد انقطع النسب بيننا وقد
ذكرت أن نسبك لاحق بنا فكيف يكون نسبك ونسبنا واحدا ونحن قريش الكرام وأنتم بنو الروم قال يا عمرو
أليس أبونا آدم ثم نوح ثم ابراهيم وعيصو بن اسحق واسحق أخو اسمعيل وكلاهما ولدا ابراهيم ولا ينبغى للاخ
أن يبغى على أخيه بل يجود عليه فقال انك لصادق فى قولك الذى قلت وان عيصو ونحن بنو أب واحد وأبونا
نحن اسمعيل صلوات الله عليه وان كان نوح عليه السلام قسم الارض شططا حين غضب على ولده حام واعلم
ان أولاد حام لم يرضوا بها فاقتتلوا عليها زمانا وهذه الارض التى أنتم فيها ليست لكم وهى أرض العمالقة من
قبلكم لان نوحا عليه السلام قسم الارض بين أولاده الثلاثة سام وحام ويافث وأعطى ولده ساما الشام وما حوله
الى اليمن الى حضرموت والى غسان والعرب كلهم ولد سام وهم قحطان وطسم وجديس وعملاق وهو أبو
العمالقة حيث كانوا من البلاد وهم الجبابرة الذين كانوا بالشام فهذه العرب العاربة لان لسانهم الذى جبلوا عليه
العربية وأعطى حاما الغرب والساحل وأعطى يافث ما بين المشرق والمغرب وان الارض لله يورثها من يشاء
من عباده والعاقبة للمتقين ونريد أن نرد هذه القسمة فنأخذ ما فى أيديكم من العمارة والانهار عوضا عما نحن فيه
من الشوك والحجارة والبلد القفر فلما سمع فلسطين كلام عمرو بن العاص علم أنه رجل ماكر فقال له صدقت
فى قولك الا أن القسمة قد جرت فان نقضتموها كنتم من الباغين علينا واعلم أن ما حملكم على ذلك وأخرجكم من
بلادكم الا الجهد العظيم فقال له عمرو أيها الملك أما ما زعمت أن الجهد أخرجنا من بلادنا نعم كنا نأكل خبز الشعير
والذرة فاذا رأينا طعامكم واستحسناه فلن نبارحكم حتى نأخذ البلاد من أيديكم وتصير والنا عبيدا ونستظل
تحت أصول هذه الشجرة العالية والفروع المورقة الاغصان الطيبة الثمار وان منعتمونا مما ذقناه من بلادكم
من لذيذ العيش فما عندنا الا رجال أشوق الى حربكم من حبكم الحياة لانهم يحبون القتال كما تحبون أنتم الحياة
قال وأفحم فلسطين عن جوابه فرفع رأسه الى قومه وقال ان هذا العربى صادق فى قوله وحق الكاس
والقربان والمسيح والصلبان ما لنا معهم ثبات قال عمرو فوجدت الى وعظهم سبيلا وقلت معاشر الروم ان الله
عز وجل قد قرب عليكم ما كنتم تطلبون ان كنتم تريدون بلادكم فادخلوا فى ديننا وصدقوا قولنا فان الدين عند
الله الاسلام قال فلسطين يا عمرو وانا لا نفارق ديننا وعليه مات آباؤنا وأجدادنا قال عمرو فان كرهت الاسلام
فاعطنا الجزية منك ومن قومك وأنتم صاغرون قال فلسطين لا أجيبك الى ذلك لان الروم لا تطاوعنى الى أداء
الجزية واقد قال لهم أبى ذلك من قبل فارادوا قتله فقال هذا ما عندى من الانذار واقد حذرتكم ما استطعت
ولم يبق بيننا وبينكم الا السيف والله يعلم أنى دعوتكم الى أمر فيه النجاة فعصيتموه كما عصى أبوكم عيصو عن أمه
فخرج من الرحم قبل أخيه يعقوب وأنتم تزعمون انكم أقرباؤنا فى النسب وانا البرآء الى الله عز وجل منكم
ومن قرابتكم اذ أنتم تكفرون بالرحيم أنتم من ولد عيصو بن اسحق ونحن من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما
السلام وان الله تعالى اختار لنبينا خير الانساب من لدن آدم الى أن خرج من صلب أبيه عبد الله فجعل خير
الناس من ولد اسمعيل فتكلم بالعربيه وتكلم اسحق على لسان أبيه فولد اسمعيل العرب ثم جعل خير الناس
كنانة ثم جعل خير العرب قريشا ثم جعل خير قريش بنى هاشم ثم جعل خير بنى هاشم بنى عبد المطلب وخير
بنى عبد المطلب نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فبعثه رسولا واتخذه نبيا واهبط عليه جبريل بالوحى وقال له
طفت مشارق الارض ومغاربها فلم أر أفضل منك قال فخضعت جوارح القوم حين ذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووجلت قلوبهم ودخلت الهيبة فى قلب فلسطين حين سمع كلام عمرو فقال له صدقت فى قولك كذلك
الانبياء تبعث من خير بيوت قومها على لسان ربها ثم قال له يا عمرو وهل فى أصحابك رجل بين فى كلامه سريع

وتوفى بقوص بعد أربع
سنين (وولى بعده أخوه
أحمد) فأقام أربعين يوما ثم
خلع وقتل سنة خمس
وأربعين وسبعمائة (وولى
بعده الملك الصالح عماد
الدين اسمعيل أخوه) فأقام
ثلاث سنين وشهرين
وخمسة عشر يوما وتوفى سنة
ست وأربعين وسبعمائة
وعمره نحو العشرين سنة

الجواب اذا سئل فقال له اعلم انى والله أحب أن أمضى وآتيك بهم لتقف على صحة قولى ثم وثب وسار الى عسكره وركب وأتى جيشه فحمد الله المسلمون على سلامته وباتوا يتحارسون فلما صلى عمرو بالناس صلاة الفجر أمرهم بالركوب الى قتال عدوهم قال فاسرعوا الى ذلك واستووا على متون خيولهم واصطفوا للحرب والقتال (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا عروة بن زيد عن مرثد مولى الحضرميين عن موسى بن عمران وابن الصباح لما كان يوم الحرب صف فلسطين جيشه ثلاثة صفوف وقدم المشاة وعدل الميمنة والميسرة ورفع الصليب أمامه وتقدم أمام الجيش فنظر عمرو الى فلسطين وقد رتب عساكره وعزم على الحرب فهيأ المسلمين وصفهم صفا واحدا وجعل فى الميمنة الجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم شرحبيل بن حسنة كاتب الوحى وصابون بن جبابة الحبشى عن شماله وكان أحد فرسان المسلمين فبينما الناس كذلك اذ خرج فارس من الروم وعليه ديباج ودرع وجوشن وفى عنقه صليب من الذهب فجال حتى خطى برمحه من الميمنة الى الميسرة ومن الميسرة الى الميمنة ثم الى القلب ثم وقف بازاء جيش المسلمين وركز رمحه بازائه وأخذ القوس بيده وفوق سهمها ورمى رجلا من الميمنة فاثبت السهم فيه فجرحه ورمى آخر من الميسرة فقتله فنظر اليه عمرو وما قد صنع فصاح بالمسلمين الا ترون الى هذا العلج اللعين وما يصنع بقوسه فمن يكفينا أمره ويزيل عن المسلمين شره فخرج اليه رجل من ثقيف وعليه بردة نسجه وبيده قوس عربية قد فوق سهمها وخرج الى العلج يريده فنظر اليه العلج وليس عليه شئ من الحديد يستره الا فروة دنسة وما معه من السلاح غير القوس فازدرى به وبلباسه وأطلق سهما من كبد قوسه فوقع سهمه فى صدره فاشتبك فى الفروة ووقع غير مصيب وكان اللعين أرمى أهل زمانه ما رمى قط شيأ الا نفذ فيه فغضب لذلك وهم أن يرميه بسهم ثان فاستعجله الثقفى بنبلة ورمى بها نحوه فلم يرها لصغرها وخفائه فوقعها فاشتبكت النبلة فى حلق العلج فخرجت من قفاه فما تمالك العلج الا أن وقع صريعا فاسرع الثقفى الى جواده فاخذه واستوى على متنه ونزع بيضة المشرك عن رأسه وجعل يسعى به نحو جيش المسلمين فاستقبله ابن عم له وكلمه فلم يجبه من فرحه بما صنع ثم أقبل الى عمرو فاعطاه اياه فنظرت الروم الى فعل الثقفى فغاظهم ذلك وجعلوا يشيرون الى السماء فعلمنا انهم يقولون ان الملائكة تنصرنا قال ونظر فلسطين الى ذلك فعظم عليه وقال لبعض البطارقة أخرج الى هؤلاء العرب وحام عن دينك فخرج البطريق وعليه ديباجة خضراء ودرع حصين ومن تحت الدرع جوشن منيع وفى عنقه صليب من الذهب الاحمر ومعه غلام من ورائه يجنب جنيبه وعليه سيفه ودرقته فخرج حتى وقف بين الصفين فجعل يسال القتال فلما نظر المسلمون اليه أقبلوا اليه ينظرون ولا يخرج اليه أحد فقال عمرو معاشر العرب من يخرج اليه ويهب نفسه لله عز وجل فخرج اليه رجل من العرب وهو يقول أنا أكون ذلك فقال عمرو وبارك الله لك فيما تريد وحمل صاحب المسلمين عندما خرج مصمما واستقبله البطريق وجعلا يتجاولان ساعة وهما يتعانقان بالسيوف الى أن خرجت لهما ضربتان فسبقه البطريق بالضربة فاخذها الرجل بالدرقة فقدها نصفين وكانت جلد بعير بطانة واحدة فلم يصل اليه من الضربة شئ وضربه الرجل ضربة فى أثرها فقطعت البيضة وسلكها فتقهقر البطريق الى ورائه ولم يصل اليه أذى فلما رجعت اليه روحه حمل على المسلم وضربه فجرحه جرحا فاحشا فالوى الى أصحابه فصاح به رجل من العرب من وهب نفسه لا يرجع من بين يدى عدوه فقال الرجل أما كفاك هذه الضربة حتى توبخنى ان الله ليلومنى بان ألقى بيدى الى التهلكة ثم شد جراحه وعظم عليه ما قال ابن عمه فلما خرج قال له ابن عمه الذى خاطبه ارجع فخذ هذه البيضة واجعلها على رأسك فقال ثقتى بالله أعظم من حديدك ثم دنا نحو البطريق وهو يقول

يقول لى عند الخروج للقا * دونك هذا الترس فاجعله وقا * من علج سوء قد بغى وقد طغى
أقسمت بالله يمينا صادقا * لأتركن البيض فوق المرتقى * وأدخل الجنة دار المتقى

قال فدعا له المسلمون بالنصر وقالوا اللهم أعطه ما تمنى وحمل على البطريق وضربه ضربة هائلة فوقعت على عاتقه وخرجت من علائقه ثم حمل فى جيش الروم فقتل رجالا وجندل أبطالا ولم يزل كذلك حتى قتل رحمه الله تعالى فقال عمرو هذا رجل اشترى الجنة من الله بنفسه اللهم اعطه ما تمنى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان هرقل حين بعث ولده فلسطين الى قيسارية بعث معه بطريقا من البطارقة وكان اسمه قيدمون وكان من أفرس الروم ويقال انه جال فلسطين وقد كان لقى عسكر الفرس وعسكر الترك وعسكر الجرامقة قال وكان

وهو الذى أوقف قريتين لكسوة الكعبة بيسوس وسنديس (وولى بعده أخوه الاشرف شعبان) فاقام سنة وشهرا وسبعة عشر يوما وقتل (وولى بعده السلطان حاجى أخوه) فاقام سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام ثم خلع وقتل وكان سيئ السيرة

اللاتين يحفظ سائر اللغات فقال فلسطين لابدلى من قتال العرب قال وخرج وعليه لامة وخرج مبارزا فلما رآه المسلمون قد خرج وكأنه جبل قد انهد من أعلاه الى أسفله وهو يلمع من بريق الجوهر ضج المسلمون بقول لا اله الا الله ولما وقف فى الميدان أقبل يرطن بلغته ويطلب البراز فاقبلت العرب يهرعون اليه من كل جانب ومكان يريدون قتاله لأجل ما عليه فقال عمرو ثواب الله خير لكم مما عليه فلا يخرج أحد لطلب سلبه فيكون خروجه لاجل ذلك وان قتل مات فى غير سبيل الله وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه قال فخرج غلام من اليمن ومعه أمه وأخته يريدون الشام وأخته تقول له يا ابن أمى جد بنا فى السير لنصل الى الشام فننا كل من خيره ونعمه فقال لها أخوها انما أذهب لاقاتل لمرضاة الله عز وجل وقد سمعت معاذ بن جبل يقول ان الشهداء عند ربهم يرزقون فقالت له أخته كيف يرزقون وهم أموات فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يجعل أرواحهم فى حواصل طيور الجنة فتأكل تلك الطيور من ثمار الجنة وتشرب من أنهارها فتغتذ وأرواحهم فى حواصل تلك الطيور فهو الرزق الذى جعله الله لهم فلما كان قتال قيسارية خرج ذلك الغلام الى القتال بعد ان ودع أمه وأخته وداع الموت وقال لهما نجتمع على حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وبيده قناة وهى موصلة كثيرة العقد وتحته جواد هجين فلما خرج الغلام حمل على البطريق من ساعته وطعنه بسنانه قال فاشتبك السنان فى درع البطريق فلم يقدر على انتزاعه فضرب البطريق قناة الغلام بسيفه فقطعها وحمل على الغلام وضربه على هامته فشطرها ووقع الغلام ميتا رحمه الله وجال قيدمون على مصرعه ثم طلب البراز فخرج اليه ابن قثم فقتله البطريق فلما نظر الى ذلك شرحبيل بن حسنة رضى الله عنه أقبل يعاتب نفسه ويقول تتفرجين على قتل المسلمين ثم خرج والراية بيده التى عقدها له ابو بكر رضى الله عنه يوم خروجه الى الشام فلما رآه عمرو وقد عوّل على الخروج قال يا عبد الله اركز الراية لئلا تشغلك قال فركزها شرحبيل فوقفت كالنخلة وغاصت فى حجر كأنها نبتت فتفاءل بالنصر وخرج الى لقاء قيدمون والمسلمون يدعون له بالنصر على عدوه فلما رآه البطريق ضحك من زيه وكان للملعون صوت عال وهو ضخم من الرجال وكان شرحبيل نحيف الجسم من كثرة الصيام والقيام بالليل والبطريق فى ميدانه فحمل كل واحد منهما على صاحبه واختلفا بضربتين وكان السابق شرحبيل فلم يعمل السيف فى لامة البطريق شيأ وثبت السيف فى بيضته وحمل قيدمون على شرحبيل فشجه ثم تجاولا على الجوادين قال سعيد بن روح وكان ذلك اليوم كثير البرد والسحاب فبينما هما فى المعركة اذ نزل المطر كأفواه القرب قال فنزلا عن الجوادين وجعلا يتصارعان فى وسط الطين وذلك ان قيدمون حمل على شرحبيل فضرب بيده فى مراق بطنه فاقتلعه من الارض ورمى به على ظهره ثم استوى على صدره وهم أن ينحره فنادى شرحبيل يا غياث المستغيثين فما استتم كلامه حتى خرج اليه فارس من الروم وعليه لامة مذهبة ومن تحته جواد من عتاق الخيل فقصد موضع البطريق وشرحبيل فظن قيدمون انه انما خرج ليعطيه جواده ويعينه فلما قرب منهما ترجل وأمال البطريق برجليه عن صدر شرحبيل وقال يا عبد الله قد أتاك الغوث من غياث المستغيثين فوثب شرحبيل قائما ينظر اليه متعجبا من قوله وفعله وكان الفارس متلثما ثم جرد سيفه وضرب البطريق ضربة قطع رأسه وقال يا عبد الله خذ سلبه فقال شرحبيل والله ما رأيت أعجب من امرك وانى رأيتك جئت من عسكر الروم فقال أنا الشقى المبعد أنا طلحة بن خويلد الذى ادعى النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذب على الله وزعم ان الوحى كان ينزل عليه من السماء فقلت له يا اخى ان رحمة الله قريب من المحسنين وقد وسعت رحمته كل شئ ومن تاب وأقلع وأناب قبل الله توبته وغفر له ما كان منه والنبى صلى الله عليه وسلم يقول التوبة تمحو ما قبلها أما علمت يا ابن خويلد ان الله سبحانه وتعالى لما أنزل على نبيه ورحمتى وسعت كل شئ طمع فيها كل شئ حتى ابليس فلما انزل قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة قالت اليهود نحن نؤتى الزكاة ونتصدق فلما نزل قوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون قالت اليهود نحن مؤمنون بما أنزل الله فى الصحف والتوراة فاراد الله أن يعلمهم انها خاصة بأمة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله الذين يتبعون الرسول النبى الامى فقال طلحة بن خويلد مالى وجه أرجع الى الاسلام وهم أن يسير على وجهه فمنعه شرحبيل وقال له يا طلحة الست أدعك تمضى بل

(وولى بعده أخوه السلطان حسن) بن محمد ابن قلاون وعمره يومئذ احدى عشرة سنة فاقام ثلاث سنين وتسعة وخمسين يوما ثم خلع وحبس بالقلعة (وولى فى محله أخوه صالح) وهو الثامن ممن تسلطن من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاون وأقام ثلاث

ترجع معى الى العسكر قال ما يمنعنى من المسير معك الا الفظ الغليظ خالد بن الوليد وانى أخاف أن يقتلنى فقلت يا أخى انه ليس معنا وهذا الجيش لعمرو بن العاص قال فرجع معى فلما اقربنا من المسلمين تبادروا الينا وقالوا ياشرحبيل من هذا الرجل الذى معك فلقد صنع معك جميلا قال ولم يعرفوه لانه كان متلثما بفضل عمامته فقلت هذا طلحة بن خويلد الذى ادعى النبوة فقالوا أو تاب ورجع الى الله فقال أنا تائب الى الله سبحانه وتعالى قال شرحبيل فاتيت به الى عمرو بن العاص فسلم عليه وبش فى وجهه ورحب به * قال حدثنا حسان بن عمرو اليربعى عن جده ان طلحة بن خويلد لما ادعى النبوة وجرى له ماجرى من الحرب مع خالد بن الوليد رضى الله عنه وسمع ان خالدا قتل مسيلمة الكذاب وقتل الاسود العنسى أيضا لانه قال انه نبى فخاف طلحة على نفسه من خالد فهرب بالليل ومعه زوجته بالشام واستجار برجل من آل كلب فاجاره الكلبى وأنزله فى داره وكان الكلبى مؤمنا وبقى عنده مدة أيام الى أن استخبره عن حاله فحدثه طلحة بجميع أحواله مع خالد بن الوليد ووقائعه معه وكيف ادعى النبوة فغضب الكلبى لكلامه وطرده من جواره فاقام طلحة بالشام وقد تاب من أمره فلما بلغه أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قد قبض قال ذهب من جردت السيف فى وجهه فمن ولى بعده قالوا عمر بن الخطاب قال الفظ الغليظ وهاب أن يمضى اليه وفزع من خالد بن الوليد أن يراه بالشام فيقتله فقصد قيسارية ليركب فى المراكب ويطرح نفسه فى بعض جزائر البحر فلما نظر الى جيش فلسطين قد خرج الى قتال العرب قال أسير مع هذا الجيش فلعلى أنكب نكبة واغسل بها ماشيا من أوزارى وتكون لى قربة الى الله تعالى والى المسلمين فلما نظر شرحبيل فى عين الهلكة قال لا صبر لى عنه فخرج واستنقذه كما ذكرناه فلما وقف بين يدى عمرو بن العاص شكره وبشره بقبول التوبة فقال يا عمرو انى أخاف من خالد بن الوليد ان يرانى بالشام فيقتلنى فقال عمرو فانى أشير اليك بشئ تصنعه وتأمن به على نفسك فى الدنيا والآخرة فقال وما هو قال أكتب معك كتابا بما صنعت وشهادة المسلمين فيه وتنطلق به الى عمر بن الخطاب وتدفعه اليه وأظهر التوبة فانه يقبلها ويندبك الى الفتوح وقتال الروم فتمحو عنك ما سلف من خطاياك فاجابه طلحة الى ذلك فكتب له عمرو كتابا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بما صنع وأخذه طلحة ومشى به الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد عمر فى المدينة وقيل له هو بمكة فمضى حتى وردها فوجد عمر متعلقا باستار الكعبة فتعلق معه وقال يا أمير المؤمنين انى تائب الى الله عز وجل وحق رب هذا البيت عما كان منى قال عمر من أنت قال انا طلحة بن خويلد قال فنفر عمر عنه وقال يا ويلك ان أنا عفوت عنك فكيف الامر غدا بين يدى الله عز وجل بدم عكاشة بن محصن الاسدى قال طلحة يا أمير المؤمنين عكاشة رجل أسعده الله على يدى وشقيت أنا بسببه وأرجو ان يغفر الله لى بما عملته قال عمر وما عملت فاخرج له كتاب عمرو بن العاص فلما اقرأه عمر وفهم ما فيه فرح به وقال ابشر فان الله غفور رحيم وأمره عمر أن يقيم بمكة حتى يرجع الى المدينة فاقام معه أياما فلما رجع عمر الى المدينة وجهه به الى قتال أهل فارس (قال الواقدى رحمه الله تعالى) رجعنا الى الحديث قال لما قتل البطريق قيدمون على يد طلحة ونجا شرحبيل مما كان قد لحقه ورجع الى عمرو وكان المطر شديدا فقطع الناس القتال ولحق الناس الاذى لان أكثرهم بلا أخبية ولا بيوت والتجؤا الى الجابية وتستروا بدورها وكان من رحمة الله بالمسلمين أن وقع فى قلب فلسطين الفزع والرعب لما قتل قيدمون البطريق وكان ركنه ودعامته فشاور أصحابه فى الرجوع الى قيسارية وقال يا معاشر الروم أنتم تعلمون أن جيوش اليرموك ما ثبتت لهؤلاء العرب وان أبى قد ولى الى القسطنطينية من خوفهم وقد ملكوا الشام جميعه وما بقى غير هذا الساحل وانى أخاف أن ندهى من قبلهم ويملكوا قيسارية والرحيل أوفق من المقام ههنا فاجابوه الى ذلك فلما كان الليل ارتحل القوم والمطر ينزل قال سعيد بن جابر الاوسى وكان ذلك كله رحمة للمسلمين من الله عز وجل قال فلما كان فى اليوم الرابع ارتفع المطر وطلعت الشمس فخرجنا من الجابية نطلب قتال الروم فلم نرلهم أثرا فوالله لقد فرحنا بطلوع الشمس أكثر من فرحنا برحيل الروم فكتب عمرو بذلك الى أبى عبيدة كتابا يقول فيه * بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص السهمى الى أمير جيوش المسلمين أبى عبيدة بن الجراح سلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد فيا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فلسطين بن هرقل قد أخرج الى لقائنا ثمانين ألفا من الروم وكان لقاؤنا معهم على موضع يقال له نخل وأخذ شرحبيل بن حسنة وكان الذى ملك أسره قيدمون بن خالة هرقل ثم

سنين وثلاثة أشهر ثم عاد السلطان حسن سنة خمس وخمسين وسبعمائة فاقام ست سنين وسبعة أشهر وأياما وجملة مدته عشر سنين وأربعة أشهر وأيام وفى أيامه بنى جامع الامير شيخون وخانقاه الامير صرغتمش ومدرسة السلطان حسن بالرميلة بناها فى ثلاث سنين

خذله الله على يد طليحة بن خويلد الاسدى وقتل قيذمون بن خالة هرقل ثم وجهته بكتاب الى عمر بن الخطاب وقد انهزم عدو الله فلسطين وأنا منتظر جوابك والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وبعث الكتاب مع جابر بن سعيد الحضرمى فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب فرح بسلامة المسلمين وسير الجواب وقال اذا قرأت كتابى فانزل على قيسارية وأنا فى أثر الكتاب معول على السير الى صور وعكاء وطرابلس والسلام ثم سلم الكتاب الى جابر بن سعيد وأمره بالرجوع

﴿ذكر فتح صور وعكاء وطرابلس الشام وقيسارية﴾

قال وعول أبو عبيدة على النهوض الى الساحل فقام اليه عبد الله يوقنا وقال أيها الامير اعلم ان الله عز وجل قد أباد المشركين ورفع علم الموحدين وانى أريد أن أسير قبلك الى الساحل لعلى أفوز من القوم بغزوة فقال يا عبد الله ان أنت فعلت شيأ يقربك الى الله تجده بين يديك فافعل فوثب يوقنا قائما وأخذ أصحابه وكان قد انضاف اليه من كان يخدمه بحلب وكلهم رجعوا الى الاسلام وكانوا أربعة آلاف وفى عسكر العرب أيضا ممن أسلم من البطارقة ما يزيد عن ثلاثة آلاف فارس (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولما انهزم فلسطين الى قيسارية وتحصن بها بعث الى أهل طرابلس أن يبعثوا له نجدة فبعثوا اليه بثلاثة آلاف فارس من البطارقة المعدة وعليهم وال يقال له جرفاس قال وسار وايطلبون قيسارية فلما كانوا بالقرب منها نزلوا فى مرج ليعلفوا على خيولهم فبينما هم كذلك اذ أشرف عليهم يوقنا وأصحابه وكان قد صحبهم فلنطانوس صاحب رومية وأصحابه وكانوا معوانين على زيارة بيت المقدس والمقام بها فلما أشرفوا على المرج وهم بزيهم ما غيروا منه شيأ ورآهم جرفاس ركب بنفسه يختبر حالهم فلما اقترب منهم سلم عليهم ورحب بهم وقال من أنتم قالوا نحن الذين لجأنا الى هؤلاء العرب واستكفينا شرهم وظننا أنهم على شئ فاذا هم طغاة لادين لهم فهربنا بديننا ونحن أصحاب حلب وقنسرين وعزاز ودارم وانطاكية ونحن قاصدون الى الملك هرقل لنكون فى جنابه فلما سمع جرفاس من القوم ذلك فرح بهم وأنس بكلامهم وقال انزلوا عندنا كى تستريحوا ساعة من التعب فلا شك أنكم سرتم الليل والنهار وخافت أنفسكم من العرب قال يوقنا أين أنتم سائرون قال بعث الينا فلسطين لنكون فى طرابلس فقال يوقنا تيقظوا لأنفسكم فان أمير العرب أبا عبيدة تركناه على نية القدوم الى الساحل فقال جرفاس وماذا ينفع حذرنا ودولتنا قد اضمحلت وأيامنا قد ولت ولسنا نرى الصليب يغنى عن أهله شيأ (قال الواقدى) فنزلوا عندهم ساعة وقدموا لهم من أزوادهم فأكلوا ثم ركبوا وهم جرفاس أن يركب لركوبهم فقال يوقنا اشتغل بأصحابك والبسهم أفخر ثيابهم فان ذلك مما يظهر الرعب فى قلوب أعدائكم (قال الواقدى رحمه الله) حدثنى سليم بن عامر عن نوفل بن عبد الله عن جرير بن البكاء وكان أعرف الناس بفتوح الشام قال ما دخل يوقنا الى ساحل البحر حتى أتقن الحيلة وذلك أنه قد نزل فيه الحرث بن سليم من بنى عمه يرعون ابلهم وكانوا فى مائتى بيت من العرب فأغار عليهم وأخذهم وشدهم كتافا ودخل بهم الى بلاد الساحل فلما جن الليل جمعهم اليه وقال لا تظنوا أنى رجعت عن الاسلام وانما فعلت بكم هذا كى تسمع الروم بسواحلها أنى غدرت بالعرب وأخذتهم قال فاطمأنت العرب الى كلامه وقالوا له ان كنت تريد اقامة دين الله فالله ينصرك وبالاعداء يظفرك قال ووكل يوقنا رجالا تسوق الاموال وانما اطمأن جرفاس وأصحابه الى يوقنا لما رأى الاسرى من العرب والجمال والانعام فلما ركب يوقنا وأصحابه ورأى أنهم طالبون لساحل البحر نكب عن طريق طرابلس وكمن فى الليل عن طريق القوم قال وان جرفاس فرق خزائنه التى كانت عنده على أصحابه وقعد حتى جن الليل وأكلت الخيل عليقها ثم ركبوا واستقاموا على الطريق فلما توسطوا أطبق عليهم يوقنا وأصحابه وداروا بهم ولم يمهلوهم بالقتل وأخذوهم أخذا بالكف وانتشرت الخيل فى تلك الارض لئلا يكون قد انفلت من الروم أحد فلما حصلوا فى قبضتهم وتحت أسرهم أرادوا أن يطلقوا الحرث بن سليم وأصحابه فقال الحرث انى أرى من الرأى أن تتركونا على حالنا فان ثواب الله قد حصل وصحبوا بنا بلاد العدو فانكم ما تشرفون على بلد من بلاد الساحل الا فتحه الله لكم قال يوقنا هذا رأى صحيح ثم أمر أصحابه أن يستوثقوا من الاسرى وكمن ألفان من أصحابه وأصحاب فلنطانوس مع الاسرى وهم ثلاثة آلاف فارس وقال اذا جاءتكم رسلى فاقدموا ثم ألبس أصحابه زى الروم مثل أصحاب قيسارية الذين أخذوهم وسار ونحو طرابلس فلما خرج كل من فى البلد الى لقائهم كان كتاب فلسطين قد

وأرصد لمصر وفيها كل يوم نحو ألف مثقال ذهبا (ثم تولى من بعده ابن أخيه الملك المنصور محمد حاجي) فأقام سنتين وثلاثة أشهر وخلع سنة أربع وستين وحبس بالقلعة الى أن مات فى سنة احدى وثمانمائة (وولى بعده الاشرف شعبان) ابن

وصل اليهم انى قد بعثت اليكم بثلاثة آلاف فارس مع جرفاس بن صليبا ودخل يوقنا مع أصحابه حتى استقر قراره فى دار الامارة ودخل عليه شيوخ طرابلس والبطارقة وأهل الحشمة منهم فلما حصلوا عنده أمر بهم وقبض عليهم وقال يا أهل طرابلس ان الله سبحانه قد نصر الاسلام وأهله وقد كنا فى غش وظلم نسجد للصلبان ونعظم الصور والقربان ونجعل لله زوجة وولدا حتى بعث الله لنا هؤلاء العرب فهدانا وأنقذنا بهم ببركة نبيهم صلى الله عليه وسلم وهو النبى المبعوث الذى ذكره الله فى التوراة وبشر به عيسى المسيح وان الاسلام حق وقوله الصدق يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وينطقون بالحق ويتبعون الصدق ويوحدون الله وينزهونه عن الصاحبة والولد ويجاهدون فى سبيله وهو الذى أمر به أنبياءه ورسله فاما أن ترجعوا الى دين الاسلام أو تؤدوا الجزية والا بعثتكم عبيدا للعرب وهذا ما عندى والسلام قال فلما سمعوا كلامه علموا ان يوقنا احتاز عليهم وأخذ أصحاب الملك فى الطريق فقالوا أيها السيد نحن نفعل ما أمرتنا به فمنهم من أسلم ومنهم من رضى بالجزية فعدل يوقنا فيهم وبعث الى أصحاب الكمين فخلوا الاسرى فعرض عليهم الاسلام فابوا فامر بحبسهم وبعث الى أبى عبيدة بالخبر وما جرى له وبعث الكتاب مع الحرث بن سليم من وادى بنى الاحمر وقال يا عبد الله كن للامير مبشرا بهذا الفتح قال سأفعل ذلك ان شاء الله تعالى وسار بالكتاب حتى وصل الى أبى عبيدة وسلم عليه وناوله الكتاب فلما قرأه وعلم معناه فرح وقال للحرث بن سليم ألم تستأذنى أن تسير أنت وبنو عمك الى وادى بنى الاحمر فمن أوصلك الى طرابلس قال أوصلنى القضاء والقدر وذلك ان يوقنا أغار علينا وأخذنا أسرى وحدثه بحديثهم فعجب من ذلك أبو عبيدة وقال اللهم ثبتهم وأيدهم بنصرك (قال حدثنى) عامر بن أوس قال أخبرنى ابن سالم قال حدثنى موسى بن مالك قال ان عمرو بن العاص لما ارتفع المطر رحل من الجابية ونزل على أبواب قيسارية وأما ما كان من أمر يوقنا فانه لما ملك طرابلس واحتوى عليها واستوثق من سورها وأبوابها ترك أصحابه على الابواب وقال لا تدعوا أحدا يخرج من الابواب وكان فى المرسى مراكب كثيرة فرفع آلاتها وأخذها كل ذلك ولا يعلم أحد من أهل الساحل بما صنع قال وبعد أيام جاءت مراكب كثيرة زهاء من خمسين مركبا فتركهم يوقنا حتى نزل أكثرهم الى المدينة فامر بهم فاتوا بهم اليه فاستخبرهم عن حالهم وقال من أين جئتم قالوا جئنا من جزيرة قبرص ومن جزيرة اقريطش وقالوا معنا العدد والسلاح مضروبة للملك فلسطين فأراهم الفرح والسرور وسلم عليهم وقال انى أريد أن أسيركم ثم أمر بهم الى دار الضيافة وبعث الى قواد المراكب فانزلهم وقدم لهم السماط فلما أكلوا قال انى أريد أن أسيركم بالزاد والعلوفة وعدة السلاح الى خدمة الملك ولكن تقيمون عندى ثلاثة أيام فقالوا أيها البطريق انا على عجل من أمرنا نخاف من لوم الملك ولسنا نقدر على ذلك ولم يزل بهم حتى اذعنوا له فقال أريد أن تنزلوا الشراعات والمقاذيف فتكونوا فى المدينة ليطمئن قلبى بذلك ففعلوا وألصقوا المراكب بالسور ونزل كل من فى المراكب وما بقى فى المراكب الا ثلاثة رجال فلما دبر هذا التدبير قبض على الجميع فلما كان الليل سلم طرابلس لابنى عمه وللحرث بن سليم وفلنطانوس وعمر المراكب برجاله وهم بالصعود اليها واذا عند غروب الشمس قد أقبل خالد ابن الوليد رضى الله تعالى عنه فى ألف فارس من أصحابه فلما رآهم يوقنا سجد شكرا وسلم على خالد بن الوليد وسلم له المدينة وحدثه بما جرى له وما قد عزم عليه فقال نصرك الله وأيدك ثم ان يوقنا ركب من ليلته وسار وكان على سور دمستق جيش فلسطين وهو ارمويل بن نشطة ومعه أربعة آلاف فما أصبح يوقنا الا وهو فى مدينة سور فأمر بالبوقات فضربت والرايات فنشرت ووقف الدمستق يختبر خبرهم فعاد صاحب البحر اليه فقال هؤلاء أهل قبرص وجزيرة اقريطش قد أقبلوا بالعلوفات والطعام والعدد يريدون قيسارية فى خدمة الملك ففرح أهل صور بذلك وأمروهم بالنزول فنزل يوقنا وأصحابه وكان من جملة من نزل معه تسعمائة رجل وكان قد استخلصهم لنفسه فصنع لهم الدمستق طعاما ومد لهم سماطا عظيما وأحضر لقوادهم الخلع ويوقنا ينتظر الليل حتى يثور بأصحابه وكان جملة من نزل معه تسعمائة رجل كما ذكرنا وترك الباقين فى المراكب وقال ان لم يتم لنا ما نريد ولم نظفر بهم فلا تبرحوا من مراكبكم وأنفذ الى خالد وأخبره بالقصة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ما سمعت بأعجب من هذه القصة ولقد حدثنى ابن مزاحم عن الارقط بن عامر عن عمار بن ياسر اليربعى قال لما حصل يوقنا والتسعمائة بمدينة صور وأكلوا سماط الملك وخلع على كبرائهم أقبل اليهم فى السر رجل من

السلطان حسن فأقام أربع عشرة سنة ثم قتل وهو الذى أحدث العمامة الخضراء للاشراف ومكث الى سنة خمس وسبعين وسبعمائة وكان احداث العمامة الخضراء سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وفى تلك السنة كان ابتداء خروج الطاغية تيمورلنك الذى خرب البلاد وأباد

بنى عم يوقنا ممن استحكمت الضلالة فى قلبه واحتوى الكفر على أقانيم جسده فأقبل الى الدمستق وحدثه بأمر يوقنا وما قد عزم عليه وانه يقاتلكم مع العرب وقد فتح طرابلس وأخذ البطريق جرفاس صاحب الملك فلما سمع الدمستق ذلك لم يكذب خبرا دون أن ركب بأصحابه وقبض على يوقنا وأصحابه ووقع الصياح وكثر الضجيج وسمع بذلك أصحاب يوقنا فعلموا أن ذلك بسبب أصحابهم وانه قبض عليهم فاغتموا لذلك غما شديدا واخذوا على أنفسهم من عدو يقبل عليهم قال فلما استوثق عليهم الدمستق أرمويل بن نشطة وكل بهم ألف رجل وقال سيروا بهم الى الملك يفعل فيهم ما يريد وأقبلوا يعنفون يوقنا وأصحابه ويقولون لهم ما الذى رأيتم فى دين العرب حتى تبعتموهم وتركتم دينكم ودين آبائكم قد طردكم المسيح عن بابه وأبعدكم عن جنابه فلما همّوا أن يسيروا بهم وقع الصياح من الابواب ونفر أهل القرى ومن كان بالقرب من صور فسألوهم عن أخبارهم فقالوا قدمت العرب عليكم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان عمرو بن العاص لما نزل على قيسارية وجه يزيد بن أبى سفيان فى ألفى فارس الى صور فلما سمع الدمستق أمر بالابواب فأغلقت وصعدت الرجالة على الاسوار وعمروا الابراج ونصبوا المجانيق وأدخل الدمستق يوقنا الى قصر صور واستوثق منهم لئلا يتم عليه أمرهم وبات القوم يحرسون وأضرموا نيرانهم على الاسوار فأقبلوا يرقصون ويشربون طول ليلتهم فلما كان الغد أشرف عليهم يزيد بن أبى سفيان فنظر اليهم الدمستق فلما رآهم قليلين استحقرهم وطمع فيهم وقال وحق المسيح لابد لى من الخروج اليهم وأهزم هذه الشرذمة اليسيرة ثم لبس الدمستق اللباس وأمرهم بالخروج وترك على حفظ يوقنا وأصحابه ابن عمه باسيل قال وكان باسيل هذا ممن قرأ الكتب السالفة والاخبار الماضية وكان قد رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى دير بحيرا الراهب وكان باسيل قد مضى الى زيارة بحيرا فلما قدمت عير قريش وجمال خديجة بنت خويلد وفيها رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر بحيرا الى القافلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى وسطها والسحابة على رأسه تظله من حر الشمس فلما تبينه قال والله هذه صفة النبى الذى يبعث من تهامة ثم انتظر واذا بالركب قد نزل ورسول الله صلى الله عليه وسلم نزل وحده تحت شجرة يابسة واستلقى اليها فأورقت الشجرة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما عاين بحيرا ذلك صنع طعاما لقريش واستدعاهم فدخلوا الدير وبقى هو مع الابل ليرعاها فلما انظر بحيرا اليهم ولم يره فى جملتهم قال يا معشر قريش هل بقى منكم أحد قالوا نعم بقى فينا من تخلف لحفظ القافلة ورعى الابل قال ما اسم من يرعى الابل قالوا محمد بن عبد الله قال هل مات أبوه وأمه قالوا نعم قال هل كفله جده وعمه قالوا نعم قال يا قريش هو والله سيدكم وبه يعظم فى الدنيا مجدكم قالوا من أين علمت ذلك قال لما أشرفتم على من البرية لم يبق حجر ولا مدر الا خرله ساجدا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فبقى باسيل فى حيرة من أمرهم وكتم سره وعلم أن بحيرا لا يتكلم الا بالحق فلما وقع يوقنا وأصحابه ووكل الدمستق على حفظهم قال ان الاسلام هو الحق وقد بشر به بحيرا الراهب ولعل الله يغفر لى اذ خلصت هؤلاء القوم (قال الواقدى) من حسن تدبير الله لعباده المؤمنين انه لما خرج الدمستق الى لقاء يزيد بن أبى سفيان لم يتأخر أحد من شباب المدينة لا صغير ولا كبير الا وخرج معه وبقيت العوام ينتظرون على الاسوار ما يكون بينهم وبين العرب فلما نظر باسيل الى المدينة وخلوها واشتغال أهلها بالحرب أخذ رأيه على خلاص يوقنا ومن معه فأقبل اليهم بالليل والتفت الى يوقنا وأصحابه وقال أيها البطريق كيف تركت دين آبائك وأجدادك من قبل وعولت على دين هؤلاء العرب وما الذى رأيت من الحق حتى تبعتهم وقد كانت الروم تتخذك عضدا لها وعونا قال له يوقنا يا باسيل ظهر لى من الحق ما ظهر لك من الحق فعرفته وقد هتف بى هاتف يقول لى ان الذى هداك الى دينه يخلصك وبشرنى بالخلاص على يديك قال فلما سمع ذلك زاد ايقانه وتحقق ايمانه وقال ليوقنا لقد أنطق الله لسانك بالحق وان الله تعالى كشف حجاب الغفلة عن قلبى منذ رأيت نبى هؤلاء القوم بدير بحيرا الراهب وهو فى قافلة لاهل مكة ورأيت من دلائله انه لا يسير على الأرض الا والشجرة تسير اليه والسحابة على رأسه تظلله ولقد استند الى شجرة يابسة فأورقت فى الحال وأنبأنى بحيرا الراهب انه وجد فى العلم أن جماعة من الانبياء استندوا اليها وجلسوا حولها فلم تورق فلما استند بظهره اليها أورقت أغصانها وأينعت فعجبت من ذلك وسمعت بحيرا يقول هذا والله الذى بشر به المسيح فطوبى لمن تبعه وآمن به وصدقه فلما عدت من زيارة بحيرا سافرت الى القسطنطينية بتجارة وطفت فى بلاد الروم وأقمت ما شاء الله ثم عدت الى قيسارية فرأيت

العباد (ثم تولى من بعده ولده على) فاقام أربع سنين وشهورا وكان محجورا لصغر سنه والكلام لبرقوق وتوفى سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة (وولى بعده أخوه السلطان صقرخان) حسين ابن السلطان حسن فاقام سنة وستة أشهر وكان عمره

الروم فى هرج ومرج فسألت عن أحوالهم فقيل قد ظهر نبى من الحجاز اسمه محمد بن عبد الله وقد أخرجه قومه من مكة وقد أتى الى المدينة التى بناها تبع وقد ظهر على قومه ونصره عليهم فما زلت أسأل عن أخباره وهى فى كل يوم تنمو وتزيد حتى مات ثم ولى صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأنفذ جيوشه الى الشام فلم يلبث الا يسيرا ثم مات وولى هذا الرجل عمر بن الخطاب ففتح بلادهم وهزم جيوشنا وأنا مع ذلك أنتظر قدومهم الى هذا الساحل حتى أتى الله بهم فقال له يوقنا وما الذى عزمت عليه قال عزمت والله أن أفارق قومى وأتبعكم فان الحق بين ثم حل يوقنا وأصحابه وسلم اليهم العدد والسلاح وقال ليوقنا اعلم ان مفاتيح أبواب المدينة عندى والعسكر خارج المدينة مشتغل بقتال العرب وليس فى المدينة من يخاف جانبه فانهض على اسم الله فقال يوقنا جزاك الله خيرا فلقد هداك الله الى دينه وسلك بك طريق النجاة وختم لك بخير ويجب الآن علينا أن نظهر أنفسنا وننزل فى المراكب حتى ينزلوا الينا ونكون نحن يدا واحدة فقال باسيل سأفعل ذلك ثم انه خرج فى حال الخفاء وفتح باب البحر ومعه رجل من بنى عم يوقنا وركبا زورقا حتى وصلا الى البحر والمراكب وحدثاهم بما قد كان فاقبل كل مركب برجاله اليهما وساروا الى أن نزل الجميع ووصلوا داخل المدينة أعنى مدينة صور وأعمى الله أبصار الكفار فلما هموا أن يثوروا قال يوقنا ليس هذا من الرأى وأين من يهب نفسه لله عز وجل ويخفى أمره ويخرج من الباب ويدور الى عسكر المسلمين ويتوصل الى أميرهم ويعلمه بما كان منا ويكونوا على أهبة واذا سمع منا أحد لا يهوله وليصدم جيش العدو فقال رجل من القوم أنا أكون ذلك الرجل ثم خرج متنكرا وأغلق باسيل خلفه ووصل الى يزيد بن أبى سفيان وحدثه بالامر على حقيقته وبما كان من أمر يوقنا فسجد لله شكرا وبعث من ساعته الى المسلمين ليأخذوا على أنفسهم فى الكبة على القوم ففعلوا ذلك وأما يوقنا رحمه الله فلما علم أن الخبر وصل الى المسلمين قال لاصحابه ليصعد منكم خمسمائة رجل الى السور ويقتلوا من عليه فقال باسيل ليس هذا رأيا فان العوام لا اعتبار لهم ولعل الله أن يهديهم الى الاسلام ولكن مر أصحابك أن يلزموا مطالع السور حتى لا ينزل أحد منهم ويزعقوا بالامان قال فاستصوب رأيه ووكل الرجال بالمطالع ثم زعق يوقنا وأصحابه بصوت مزعج وقالوا لا اله الا الله محمد رسول الله فسمع كل من فى المدينة ومن على السور ذلك فعلموا أن يوقنا وأصحابه تخلصوا من الاسر ووثبوا فى المدينة وطارت عقولهم وانزعجت أفئدتهم على أولادهم وأهاليهم فبقوا فى حيرة فسمع يزيد بن أبى سفيان الضجة فعلم أن المسلمين قاموا فى المدينة فكبر وكبرت المسلمون وهلل الموحدون فسمع الدمستق الضجة من المدينة فعلم أن يوقنا وأصحابه تخلصوا من الاسر وهم الذين فعلوا ذلك فوقع الرعب فى قلوبهم ونظر الى النيران قد اشتعلت فى عسكر المسلمين وتأهبوا للحملة عليهم فلم يبق لهم صبر وقد انقطعت قلوبهم من أجل أموالهم وأولادهم الذين فى داخل المدينة وقيسارية محاصرة وليس لهم مدد من ولد الملك فولوا الادبار واتبع المسلمون آثارهم وملكوا خيامهم وما كان فيها فلما أصبح الصباح فتح يوقنا باب المدينة وأدخل يزيد بن أبى سفيان ومن معه من المسلمين فاحتووا على أموال الروم ونادى من كان على السور الغوث الغوث فأمنهم المسلمون ونزلوا بأجمعهم فقال لهم يزيد ان الله عز وجل قد فتح لنا مدينتكم عنوة وأنتم الآن لنا عبيد فاشئنا حكمنا فيكم ولكن نحن اذا عاهدنا وفينا واذا قلنا صدقنا وقد أعطيناكم الامان من أنفسنا ولنا عليكم الجزية على من لم يدخل فى ديننا ومن أسلم منكم فله ما لنا وعليه ما علينا فاجاب القوم الى ذلك وأسلم أكثر القوم وبلغ الخبر الى فلسطين بان صور قد فتحت فعلم أنه لا بقاء له فاخذ الفرصة وانهزم وأخذ خزائنه وأمواله وذخائره وخدمه وأركبهم فى المراكب بالليل وقلع يريد اللحوق الى قسطنطينية فلما نظر أهل قيسارية الى ذلك خرجوا الى عمرو بن العاص وصالحوه على أن يسلموا له المدينة فصالحهم على مائة ألف درهم وما ترك الملك من خزائنه ورجاله فاجابوه الى ذلك وكتب لهم كتاب الصلح فعندها دخل عمرو بن العاص الى قيسارية وأخذ بقية ما ترك الملك وضرب الجزية عليهم من السنة الآتية كل رجل أربعة دنانير وبذلك أمرهم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وبعث عمرو جيشا الى صور ومع ياسر بن عمار بن سلمة وكان شيخا كبيرا قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا والنضير وقتل أخوه يوم حنين قتله مالك بن عون النضيرى فبعثه عمرو الى صور ومعه رجل من أصحابه وصالح عمرو بن العاص أهل قيسارية على مائة ألف درهم وما خلفه فلسطين من بقية ذخائره قال ودخلها يوم الاربعاء فى العشر الاول من رجب الفرد سنة تسع عشرة من الهجرة

ست سنين وكان أمره لبرقوق كأخيه ثم خلع سنة أربع وثمانين وسبعمائة وانقرضت بموته دولة الاتراك ومن الغرائب انه قد ولى من ذرية الملك الناصر اثنا عشر سلطانا ولم تبلغ مدتهم مدة الناصر فانه أقام أربعا وأربعين سنة ونصف شهر كامل ومدة هؤلاء ثلاث وأربعون

ووصل

ووصل الخبر الى الرملة وعكاء وعسقلان ونابلس وطبرية فعقدوا كلهم صلحا مع المسلمين وكذلك أهل بيروت وجبلة واللاذقية وملك الله الشام كله للمسلمين ببركة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الطاهرين

﴿ذكر فتوح مصر﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي قال زياد بن عامر قال شام بن عبد الله العنبري حدثنا سالم مولى عروة بن نعيم الشكري قال لما فتح عمرو بن العاص قيسارية صلحا كان لعمر في الخلافة أربعة أعوام وستة أشهر وبلغ الخبر الى أهل الرملة وعكاء وبلقاء وعسقلان وصيدا وغزة ونابلس وطبرية فاتى كبراؤهم الى أبي عبيدة واصلحوا أمرهم معه على مال لا يحصى وكذلك أهل بيروت وجبلة واللاذقية وأنفذ أبو عبيدة لعمرو بن العاص أن يسير الى مصر بامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وملك المسلمون أقاصي البلاد ببركة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعظم وكرم قال وسكنها العرب وتفرقوا في البلاد والمدن ودانت لهم العباد وكل يوم يزدادون فلم يبق في الشام وأعمالها مركز من مراكز الروم الا أخذه المسلمون وتوالدوا وتناسلوا وكثروا ببركة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسحق الاموي رحمه الله تعالى قال حدثنا يونس بن عبد الاعلى قراءة عليه بالخضراء بمدينة عسقلان قال أخبرنا الليث بن سعد قال حدثنا نوفل بن عامر قال أخبرني يحيي بن ساكن المدني قراءة عليه يوم الجمعة ونحن عند منبر يونس بن متى قال لما فتح الله ساحل الشام على المسلمين في سنة تسع عشرة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبوا بذلك الى أمير جيوش المسلمين أبي عبيدة عامر بن الجراح * بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص الى امين الامة أما بعد فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان الله جل وعلا قد فتح ما كان قد بقي من الساحل وأخذنا قيسارية صلحا وهرب منها فلسطين بن هرقل باموالة وعياله ونحن بها ننتظر أمرك والسلام وكتب أيضا يزيد بن أبي سفيان بانه تم اليوقنا في صور وان الله قد عضد الدين ووصل الكتابان الى أبي عبيدة وقد رحل من حلب يريد طبرية فوصل اليه الخبر وهو نازل على الزراعة فلما قرأ الكتابين تهلل وجهه فرحا وضج المسلمون بالتهليل والتكبير وكتب من وقته وساعته الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبشره بما فتح الله على المسلمين وبما فعله يوقنا ووجه الكتاب مع عرفجة بن مازن فركب ناقته وسار حتى وصل المدينة قال عرفجة بن مازن وعلي من ديباج الروم قباء فاخر وعلى رأسي مطرف خز مذهب قال فلما أتيت المدينة ودخلتها يوم الجمعة أول ليلة من شهر رمضان قبل مغيب الشمس وعمر رضي الله عنه قد أتى يريد المسجد فلما أبركت ناقتي وعقلتها وجئته لأسلم عليه نظر الى شزرا وقال من الرجل قلت عرفجة بن مازن فقال يا ابن مازن أما كان لك برسول الله أسوة حسنة وان هذه ثياب الجبارين ومن جعل الله لهم الدنيا جنة وهذا الديباج حرام على الرجال منا ولا يصلح الا للنساء وهذا الذي عليك تصدق به على فقراء المدينة أما والله لقد دخلت يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مزمل بشريط وليس بين جلده وبين الشريط شئ وقد اثر الشريط في نعومة جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأيت ذلك بكيت فقال لي يا عمر ما الذي أبكاك فقلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر يعيشان في ملك الدنيا وأنت رسول الله بهذه المثابة فقال يا عمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال عرفجة فسلمت اليه الكتاب فلما قرأه تهللت أسارير وجهه قال عرفجة ثم نزلت على خالتي عفراء بنت أبي أيوب الانصاري وبت عندها الليلتي فلما أصبحت لم أقدر أن أقابل عمر بذلك الزي فاعطيت الثوب والعمامة لخالتي فباعتهما وتصدقت بثمنهما على فقراء المدينة قال وسرت الى عمر وعلى ثوب من كرابيس الشام كان تحت ثيابي فلما رآني تبسم في وجهي وقال يا ابن مازن ما فعلت بديباجتك قلت يا أمير المؤمنين باعتها خالتي وتصدقت بثمنها على المسلمين فقرأ عمر وما تفعلوا من خير يعلمه الله ثم انه كتب الى أبي عبيدة يقول * بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة عامر بن الجراح أما بعد فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد فرحت بما فتح الله على المسلمين وما وعدنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنوز قيصر وسيفتح علينا من كنوز كسرى والحمد لله على ذلك كثيرا وقد بلغني أن بادية الاعراب قد استلذوا الدنيا وزينتها وقد نصبت لهم شباك محنتها وقد تمسكوا بذيل غرورها ونسوا نعيم الجنة وقصورها ورفلوا في ثياب الديباج والخز وأكلوا الحلواء وخبز الحنطة وألهاهم ذلك عن الآخرة وقد بلغني يا ابن الجراح أنهم قد تهاونوا بالصلاة ونسوا المفترضات لجرد عليهم عتاق الخيل

سنة ومدة ولاية الاتراك مائة سنة وثلاثون سنة وسبعة أشهر ثم جاءت دولة الجراكسة قال بعضهم ولهم سماحة وحماسة وصدقات وكانت أرزاق مصر بايديهم وكانت أهل مصر تتلاعب فيها بايديهم من الارزاق وخدمهم تبيع ما يحصل من

ذوات الهمم واغلظ عليهم ولا تكن لهم خاملا فيطمعوا فيك ومن أخل منهم بشيء مما فرض عليهم فاقم عليه حدود
الله واعلم بانك راع وكل راع مسؤل عن رعيته قال الله عز وجل الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة
وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وقد قال فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عبيدة أمين هذه
الامة فاعط الأمانة حقها ومن ترك صلاته فاضرب به عليها واقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه
فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بالصلاة وبعظمة الله وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان
الله عز وجل يقول ان بيوتي في الارض المساجد وان زوارى فيها عمارها بالعبادة فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم
زارني فحق على المزور أن يكرم زائره وقال صلى الله عليه وسلم جميع المفترضات افترضها الله على في الارض الا
الصلاة فان الله افترضها على في السماء واذا قرأت كتابي هذا فأمر عمرو بن العاص أن يتوجه الى مصر بعسكره
ويقدمهم عامر بن ربيعة العامري ومشايخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقضى بهم عنده مشورته
وأنفذ من قدرت عليه الى ارض ربيعة وديار الجد بن صالح والله اسأله أن يكون لكم عونا ومعينا والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته وسلم الكتاب الى عرفجة بن مازن وأمر له بنفقة من بيت المال قال عرفجة فاخذت
الكتاب وسرت به على طريق تيماء فلقيت عند بيت لحم ركبا من أهل وادي القرى فسألتهم عن أبي عبيدة
فاخبروني أنه على غباغب وهو طالب طبرية قال عرفجة فخرجت أطلب الغور والجولان واقصد طبرية قال
فالتقيت بابي عبيدة على الاردن فسلمت عليه وناولته كتاب عمر رضي الله عنه فلما قرأه جمع المسلمين وقرأه عليهم
فلما فرغ قال ما من رجل ترك الصلاة أو أخل بشيء مما افترضه الله عليه الا جلدته ومن الغد أتى خالد بن الوليد
من طرابلس فقرأ عليه الكتاب وانفذه الى عمرو بن العاص وأرسل يحثه على المسير الى أرض مصر فلما وصل
الكتاب الى عمرو أخذ على نفسه بالمسير وسار معه يزيد بن أبي سفيان وعامر بن ربيعة العامري وجماعة من
الصحابة وسار معه يوقنا في أربعة آلاف من أصحابه وقد وهبوا أنفسهم لله ورسوله فسار عمرو وعلى البيداء من
وراء العريش قال وكانت أرض مصر ورريفها عامرة بالديور والصوامع وكان ديرلزجاج في مملكة القبط وكان
ملكهم يومئذ المقوقس بن راعيل وكان هذا الملك من أهل الرأي والتدبير والفضل والحكمة وكان تلميذ
الحكيم أعاشادمون وهو الذي لما غلبت الحيات على أرض مصر واخربتها صنع لها جلجلا وكان ان حركه سمع
صوته من مقدار ميل قال فتخرج الحيات من أحجرتها فن هربت نجت ومن وقعت هلكت وكان المقوقس من
أعلم أهل زمانه وكانت القبط معه في عيشة مرضية وكان يتوقع ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حكيم
ذلك الزمان بمصر رجلا يقال له عطماوس وهو الذي صنع دواليب الريح ورحى الهواء وكان عمر في الجبال واطلع
على مكنون الحكم والاسرار وعرف عمل صنعة الاكسير وعمل الذهب والفضة والجواهر والحركات المتحركة
من نفسها بهبوب الريح وأجناس الاهوية في أجسامها وكان يجد في علمه ان الله يبعث نبيا من أرض تهامة
بشريعته وتعلو كلمته وتملك أصحابه البلاد فعمل في أيام راعيل أبي المقوقس هيكلا عظيما على أعمدة من نحاس
بمكان يعرف بعين شمس وجعل عليه أشخاصا مجوفة وجعل وجهها الى جهة مصر وكتب عليها بالقبطية اذا
دارت هذه الاشخاص الى جهة الحجاز فقد قرب ملك العرب قال فبينما المقوقس راكب في بعض الايام للصيد
وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انتهى سيره الى عين شمس اذ سمع أصواتا من الاشخاص قد علت
ثم انها تحولت وجهها نحو الحجاز فايقن باتلاف ملكه وزواله فعاد من ركوبه وهو قلق ودخل قصر الشمع وجلس
على سريره وجمع القسوس والرهبان وكبراء القبط وقال لهم يا أهل دين النصرانية اعلموا ان زمانكم قد مضى
وهذا النبي المبعوث لا شك فيه وهو آخر الانبياء ولا نبي بعده وقد بعث بالرعب ولابد لرجل من أصحابه أن يملك
ما تحت سريري هذا فانظروا الى مالكم واصلحوا ذات بينكم وارفقوا برعيتكم ولا تجوروا في حكمكم وأمنوا ضعفاءكم
واياكم واتباع الظلم فان الظلم وبيل ومرتعه وخيم وأعطوا الحق من أنفسكم ولا يستطل قويكم على ضعيفكم وما
دامت الدنيا لاحد من قبلكم حتى تدوم لكم وكما ملكتموها ممن كان قبلكم كذلك يأخذها منكم من كان بعدكم
فاصلحوا نياتكم فيما بينكم وبين خالقكم فان فعلتم ذلك رجوت لكم النصر على أعدائكم ومن يريدكم وان اتبعتم
أهواءكم تبين هلاككم (قال حدثنا) على بن اسحق رحمه الله ورضي الله عنه عن عبد الملك عن أبيه عن حسان
ابن كعب عن عبد الواحد بن عوف عن موسى بن عمران عن حميد الطويل عن أبي اسحق الراوي المغازي

طعامهم للناس من لحم
ونقانس وغير ذلك وكان
لهم سوق تبيع فيه خدمهم
ما يفضل من أطعمتهم التى
يأخذونها من أسمطتهم
وكانوا يتفاخرون ببناء
البيوت الفاخرة والمدارس
والجوامع والترب وكان لهم
خيرات ومبرات ولهم بشاشة

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وبايعه الأوس والخزرج كتب الى ملوك الارض وفي الجملة كتابا الى المقوقس ملك مصر وكان الذي كتب الكتاب اليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ونسخة الكتاب * بسم الله الرحمن الرحيم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صاحب مصر أما بعد فان الله أرسلني رسولا وأنزل علي كتابا قرآ نا مبينا وأمرني بالانذار والاعذار ومقاتلة الكفار حتى يدينوا بديني ويدخل الناس فيه وقد دعوتك الى الاقرار بوحدانية الله تعالى فان أنت فعلت سعدت وان أنت أبيت شقيت والسلام ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه قال أنس بن مالك فاستخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبعه وكان فصه مكتوبا عليه ثلاثة أسطر السطر الاول محمد السطر الثاني رسول السطر الثالث الله ولا نقش أحد على خاتمه كنقشه قال سمرة بن عوف قلت لحميد الطويل أكان لخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فص أم لا قال لا أدري قال وسأل رجل جابر بن عبد الله الانصاري فقال له في أي يد كان يختم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال في يده اليمنى ويقول اليمنى أحق بالزينة من الشمال وفص الخاتم في يمينه وقال عبد الله بن عباس رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يختم في يمينه ثم حوله الى يساره (حدثنا) أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يختم في يساره وحدثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعا يختمون في اليسار (قال الراوي) فلما طبع الكتاب بخاتمه قال أيها الناس أيكم ينطلق بكتابي هذا الى صاحب مصر وأجره على الله قال فوثب اليه حاطب ابن أبي بلتعة القرشي وقال أنا يا رسول الله فقال له بارك الله فيك يا حاطب قال فأخذت الكتاب من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وودعته وأصحابه وسرت الى منزلي وشددت راحلتي وودعت أهلي واستقمت على الطريق الى نحو مصر فلما بعدت عن المدينة بثلاثة أيام أشرفت على ماء لبني بدر فأردت ان أورد ناقتي الماء واذا على الماء رجلان ومعهم ناقتان ومعهم رجل آخر راكب على جواد أدهم فلما رأيتهم وقفت واذا بالفارس أتى الي وقال لي من أين أقبلت وأين تريد فقلت يا هذا لا تسأل عما لا يعنيك فتقع فيما يحزنك ويخزيك أنا رجل عابر سبيل وسالك طريق فقال ما اياك أردنا ولا نحوك قصدنا نحن قوم لنا دم وثار عند محمد بن عبد الله وقد جئت أنا وهذان الرجلان وتحالفنا على أن نهجم عليه على غفلة فلعلنا نجد منه غرة فنقتله قال حاطب والله لقد أمكنني الله منهم فلاجعلن جهادي فيهم ولو بالخديعة فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة فبينما أنا أخاطب الفارس واذا بالراكبين قد وصلا الي وقالا لي بغلظة وفظاظة ويحك لعلك من أصحاب محمد فقلت لهم القد كاد أن يتبدل لكما الطريق عن سبيل التحقيق واني رجل مثلكما أطلب ما تطلبون وأنا قاصد يثرب وقد عولت على محبتكم لأكون معكم ولكن سمعت في طريقي هذا ممن أثق به ان محمدا أنفذ رسولا من أصحابه الى مصر بكتاب فلعله في هذا الوادي فان وقعنا به قتلناه فقال صاحب الفرس أنا أسير معك ثم انه تقدم أمامي وتركنا صاحبيه واقفين ينتظران قال حاطب فلما بعدت به عن أصحابه وغبنا عنهما قلت ما اسمك قال اسمي سلاب بن عاصم الهمداني قلت يا سلاب اعلم انه لا يقدر أن يدخل على يثرب الا من له جنان وقلب وغدر ومكر لان بها سادات الارض وأبطالها مثل عمر وعلي ولكن كيف سيفك قال سيفي ماض قلت أرني اياه فاستله من غمده وسلمه الي فأخذت السيف من يده وهززته وقلت سيف ماض ثم قلت شعرا

سيوف حداد يا لؤي بن غالب * مواض ولكن أين للسيف ضارب

فقال ما معنى هذا الكلام قلت يا ابن عاصم ان سيفك هذا من ضرب قوم عاد من ولد شداد وما ملكت العرب سيفا مثله ولا أمضى من هذا السيف ولكن وجب علي اكرامك واريد التقرب اليك بحيلة أعلمك اياها تقتل بها عدوك فقال بذمة العرب افعل ذلك فقال حاطب اذا كنت في مقام حرب وقتال وخصمك بين يديك وتريد قتله فهز هذا السيف حتى يهتز هكذا وتلثم مضاربه واضرب عدوك بحرفه فانه أسرع للقتل والقطع وملت بالسيف على عنقه واذا برأسه طائر عن بدنه فنزلت اليه وأمسكت الجواد لئلا ينفلت فيغذر أصحابه وتركته مربوطا الى شجرة وأسرعت الى صاحبيه واذا هما ينتظرانه فلما رآياني أقبل أحدهما الي فقال ما وراءك وأين سلاب فقلت ابشر بأخذ الثار وكشف العار واعلم باننا وجدنا رجلين من أصحاب محمد وهما نائمان وقد وجهني سلاب بان يمضي معي أحدكما حتى نتمكن منهما ويقف أحدكما ههنا فان هذا الوادي ما خلا ساعة من

واطف وشجاعة الى أن فشا فيهم الظلم والعدوان وكثرت فيهم المصادرات وغلبت سيآتهم على حسناتهم ومالوا الى العوانية والمفسدين وأخلوا بشعائر الدين فاستجاب الله فيهم دعاء المظلومين ومزقهم كل ممزق ولم يزل ذلك في ممالكهم الى الآن وأولهم

أصحاب محمد فقال نعم الرأى الذى قد أشرت به وسار معى فلما غيبته عن صاحبه قلت ما اسمك قال عبد اللات
قلت له كن رجلا واياك والخوف فانك اذا رأيتنا وقد هجمنا على الرجلين فاستيقظ فقال لابد أن أفعل ذلك
فقلت له انى أرى غبرة ولاشك ان تحتها قوما ممن صبا الى دين محمد فجعل يتأمل كأنه الواله الحيران فعاجلته
بضربة على غفلة فرميت رأسه عن بدنه وعدت الى الثالث فلما رآنى وحدى تيقن بالشر فقارعنى وقارعته
وصدمنى وصدمته الا أن الله أعاننى عليه فقتلته وأخذت الراحلتين والفرس وأسلابهما ووضعت الجميع عند
رجل من أصحابى وكان رفيقا لى من زمن الجاهلية وهو من عبد شمس ثم توجهت أريد مصر ولم أزل الى أن
أتيتها فلما وصلت الى باب الملك قالوا من أين جئت قلت أنا رسول الى ملككم فقالوا من عند من قلت من عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعوا بذلك أحاطوا بى وأوصلونى الى قصر الشمع بعد أن استأذنوا لى وأوقفونى
على باب الملك فأمرهم باحضارى بين يديه فعقلت راحلتى وسرت معهم عند المقوقس واذا هو فى قبة كثر
الجوهر فى حافاتها ولمع الياقوت من أركانها والحجاب بين يديه فأومأت بتحية الاسلام فقال حاجبه يا أخا العرب
أين رسالتك قال فأخرجت الكتاب فأخذه الملك من يدى بيده قال فقبله ووضعه على عينيه وقال مرحبا
بكتاب النبى العربى ثم قرأه وزيره الذى كان يقرأ الكتب فقال له اقرأه جهرا فانه من عند رجل كريم فقرأه الوزير الى أن
أتى الى آخره فقال الملك لخادمه الكبير هات السفط الذى عندك فأتى به ففتحه واستخرج غطا ففتح ذلك الغط
واذا به صفة آدم وجميع الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين وفى آخره صفة محمد صلى الله عليه وسلم فقال لى صف
لى صاحبك حتى كأنى أراه قال حاطب ومن يقدر أن يصف عضوا من أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لابد من ذلك قال فوقفت بعد ما كنت جالسا وقلت ان صاحبى وسيم قسيم معتدل القامة بعيد الهامة بين
كتفيه شامة وله علامة كالقمر اذا بزر صاحب خشوع وديانة وعفة وصيانة صادق اللهجة واضح البهجة أشم
العرنين واضح الجبين سهل الخدين رقيق الشفتين براق الثنايا بعينيه دعج وبحاجبيه زجج وصدره يترجرج
وبطنه كطى الثوب المدبج له لسان فصيح ونسب صحيح وخلق مليح قال والملك ينظر فى الغط فلما فرغت قال
صدقت يا عربى هكذا صفته فبينما هو يخاطبنى اذ نصبت الموائد وأحضروا الطعام فأمرنى أن أتقدم فامتنعت
فتبسم وقال قد علمت ما أحل لكم وحرم عليكم ولم أقدم لك الا لحم الطير فقلت انى لا آكل فى هذه الصحاف الذهب
والفضة فان الله قد وعدنا بها فى الجنة قال فبدلوا طعامى فى صحاف فخار فأكلت فقال أى طعام أحب الى
صاحبك فقلت الدباء يعنى القرع فاذا كان عندنا شئ منه آثرناه على غيره فقال ففى أى شئ يشرب الماء فقلت
فى قعب من خشب قال أيحب الهدية قلت نعم فانه قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لأجبت ولو أهدى
الى ذراع لقبلت قال أيأكل الصدقة قلت لا بل يقبل الهدية ويأبى الصدقة وقد رأيته اذا أتى بهدية لا يأكل منها
حتى يأكل صاحبها فقال الملك أيكتحل قلت نعم فى عينه اليمنى ثلاثا وفى اليسرى اثنتين وقال من شاء اكتحل
أكثر من ذلك أو أقل وكحله الاثمد وينظر فى المرآة ويرجل شعره ويستاك فقال المقوقس اذا ركب ما الذى
يحمل على رأسه فقلت راية سوداء ولواء أبيض وعلى اللواء مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فقال أله كرسى
يجلس عليه أو قبة قلت نعم له قبة حمراء تسع نحو الاربعين قال فما الذى يحب من الخيل قلت الاشقر الارثم الاغر
المحجل فى الساق وقد تركت عنده فرسا يقال لها المرتجز قال فلما سمع كلامى انتخب من خيله فرسا من أنفس
خيول مصر الموصوفة وأمر به فأسرج وألجم فأعده هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فرسه الميمون
وأرسل معه حمارا يقال له عفير وبغلة يقال لها دلدل وجارية اسمها بريرة وكانت سوداء وجارية بيضاء من
أجمل بنات القبط اسمها مارية وغلاما اسمه محبوب وطيب وعود وند ومسك وعمائم وقباطى وأمر وزيره أن
يكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا يقول فيه باسمك اللهم من المقوقس الى محمد أما بعد فقد وصل
الى كتابك وفهمته وأنت تقول ان الله أرسلك رسولا وفضلك تفضيلا وأنزل عليك قرآنا مبينا فكشفنا
يا محمد خبرك فوجدناك أقرب داع دعا الى الله وأصدق من تكلم بالصدق ولولا أننى ملكت ملكا عظيما
لكنت أول من آمن بك لعلمى أنك خاتم النبيين وامام المرسلين والسلام عليك ورحمة الله وبركاته منى الى يوم
الدين قال وسلم الكتاب والهدية الى وقبلنى بين عينى وقال بالله عليك قبل بين عينى محمد عنى هكذا ثم بعث معى
من يوصلنى الى بلاد العرب والى مأمنى قال فوجدنا قافلة من بلاد الشام وهى تريد المدينة فصحبتها الى أن وردت

السلطان برقوق وكان اسمه من قبل الطنبغا فسماه أستاذه يلبغا الكبير برقوق وكان أبوه انكا ولقب بالظاهر باشارة السراج البلقينى تولى سنة أربع وثمانين وسبعمائة فاقام ست سنين وثمانية أشهر وستة وعشرين يوما واختفى فى

المدينة

المدينة فأتيت المسجد وأنخت ناقتي ودخلت وسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشأت أقول

أنعم صباحا يا وسيلة أحمد * نرجو النجاة غدا بيوم الموقف * اني مضيت الى الذي أرسلتني
أطوي المهامه كالمجد المعنف * حتى رأيت بمصر صاحب ملكهم * فبدا الي بمثل قول المنصف
فقرا كتابك حين فك ختامه * فأظل يرعد كاهتزاز المرهف * قال البطارقة الذين تجمعوا
ماذا يروعك من كتاب مشرف * قال اسكتوا ويلكم وتيقنوا * هذا كتاب من نبي المصحف
قالوا وهمت فقال لست بواهم * اني قرأت بيان لفظ الاحرف * وبكل سطر من كتاب محمد
خط يلوح لناظر متوقف * هذا الكتاب كتابه لك جامعا * ياخيرما أمول بجبلك تكتفي

(قال الراوي) ورجعنا الى الفتوح قال حدثني أحمد بن عبيد عن عبد الله بن عمر السلمي عن محمد بن الزهري عن عبد الله بن زيد الهذلي عن أبي اسحق الاموي وهو المعتمد عليه في فتوح مصر وأرض ربيعة والفرس (حدثنا) عمر بن حفص ولم ينفرد بهذه الرواية سواه وكان أصحاب السير قد اشتغلوا بوقائع العراق وفتوحه وما تجدد من سعد بن ابي وقاص وبني كسرى أنوشروان وتركوا فتوح الشام وأرض مصر فيما بعد وكان قد ارتحل عنهم فتركوه لاجل الزيادة والنقصان فيه وانما انفرد ابن اسحق لانه انفرد عن مشايخ ثقات قد وثق بهم من آل مخزوم اجتمع بهم في الرملة بعد الفتوح أحدهم نوفل بن ساجع المخزومي وكان عمه خالد بن الوليد وكان من المعمرين شهد تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم وشهد بعدها الحديبية وشهد يوم اليمامة مسيلمة وكان مع عمرو ابن العاص بأرض مصر في جميع فتوحها والثاني فهد بن عاصم بن عمرو بن سهل بن عمر والمخزومي وغيرهما من الثقات ممن شهد فتوح أرض مصر والوقائع كلها قالوا جميعا ومنهم من قال ان عمرو بن العاص لما انفصل من ساحل الشام وكتب الله سلامة المسلمين وسار متوجها يريد أرض مصر فلما كان بمكان يقال له رفج قال له يوقنا يا عمرو أنت تريد أن تدهم مصر على حين غفلة من أهلها وأنا ممن يمكنني ذلك لان ثواب الله أجل غنيمة فان قلبي ملوث بحب الدنيا واني كنت ممن أشرك بالله سواه وأنا اجتهد في الخلاص وأقاتل من كنت أنصره على الكفر وعبادة الصلبان والسجود للصور من دون الله وقد أخذت الاسلام بنية وقبول لانه الحق وأريد أن أتقدم الى أرض مصر فلعلي أجد لكم بالحيلة سبيلا فقال عمرو وفقك الله وأعانك وحفظك وصانك قال فسار يوقنا ليلا من رفج يطلب الفرماء ولم يقرب من العريش ولا القسار باوكانا حصون عامرة وقد سكنها أقوام من العرب المختلطة وكانوا يؤدون المال الى الملك المقوقس بن راعيل وسنذكر فتوحها فيما بعد ان شاء الله تعالى قال وان يوقنا أشرف على الفرماء وكان بها وال من قبل المقوقس اسمه الرندبان والفرماء على جانب بحيرة تنيس من الشرق فرأى يوقنا خياما منصوبة وقبابا مضروبة فلما رأوا يوقنا وقع الصايح فركب من كان هنالك وكانت الاخبار ترد عليهم كل وقت بما صنع الصحابة فلما بلغهم أن قيسارية فتحت اغتموا لذلك لانه كان فلسطين ابن هرقل قد تزوج بابنة المقوقس أرمانوسة وكان قد جهزها أبوها وأرسلها مع غلمانها وأموالها الى بلبيس ثم انها وجهت حاجبها اعيلاطوس الى الفرماء في ألفي فارس لحفظ ذلك المكان (حدثنا) ابن اسحق رحمه الله أخبرنا موسى بن محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي عن أسامة بن زيد بن أسلم قال ابن اسحق حدثني رجل من القبط رأيته وقد دخل في دين الاسلام فقربت اليه وسألته فاخبرني أنه من قبط مصر من جند المقوقس فقلت له كيف كان من أمركم لما سمعتم بقدوم المسلمين من الشام وكسر جيوش هرقل قال لما بلغنا ذلك بعث المقوقس رسله الى جميع أطراف بلاده مما يلي الشام بان لا يتركوا أحدا من الروم ولا غيرهم يدخل أرض مصر كل ذلك لئلا يحدثوا بما صنع المسلمون بجنود هرقل فيدخل الرعب في قلوب قومه فلاجل ذلك انه لما دخل يوقنا أرض مصر لم يعلم به أحد فلما ركبوا الى لقائه ورأوا حشمه وعسكره وكانوا بزي الروم سألوه عن مكانه وكان قد أخبر في طريقه من حصن كيفا وأعلموه انه اشتغل فلسطين عن زوجته أرمانوسة وان أباها قد جهزها وهي على مدينة بلبيس فقال يوقنا ومتى تزوجها قالوا تزوجها والمسلمون على حصن حلب فقال له انه قد ركب في البحر وترك قيسارية وقد أرسلني حتى آخذها في المراكب من دمياط فلما سمع الحاجب قوله قال يا يوقنا أنا قد جئت رسولا من الملك فلسطين الى الملك المقوقس حتى يرسل معي ابنته الى زوجها فلما سمعوا كلامه قالوا ان الملكة في بلبيس وقد أنفذها اليه ومامنعه من المسير الاخوف العرب وهروب فلسطين من قيسارية فسار

جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين وسبعمائة ثم ظهر بالكرك وكان قد بدا في عمارة مدرسته التي بين القصرين ثم عاد من الكرك واتم بناءها وهي من أحسن مدارس مصر وبنى ايضا تربته بالصحراء وهي مسكونة مشهورة الى الآن

يوقنا حتى قرب من بلبيس فنزل هناك وسار حاجبها اليها وعرفها بما قاله يوقنا فقالت على به فاتى اليه الحاجب وأمره بالمسير فركب و ركب أصحابه وهم بأحسن زى وأتوا الى عسكر ارمانوسة واذا به عسكر كبيرا كثر من عشرة آلاف قال فترجل يوقنا و جه قومه و وقفوا على باب قصرها واستأذنوا عليها فاذنت لهم بالدخول فلما وقفوا بين يديها خضعوا لها فامرت لهم بكراسى فوضعت لهم فامرتهم بالجلوس فجلسوا و وقفت الحجاب والمماليك والخدم فقالت الملكة أرمانوسة له من غير ترجمان كم لكم على الملك فقال شهر فقالت أكان رحل من المراكب أم قبل رحيله فقال يوقنا بل قبل رحيله وانه ركب منهزما ولما وصلت الى غزوه بلغنى أنه سار وكان قد قال لى فى السر بينى و بينه لا طاقة لنا بقتال هؤلاء العرب فان أبى هرقل ترك انطاكية وذهب وقد قاتلهم بجميع جنوده واستنصر عليهم بجميع دين النصرانية وأنفذ اليهم ماهان الارمنى الى اليرموك فى ألف ألف فهزموه وقتلوه وانى أريد أن آخذ خزائنى وأطلب القسطنطينية ثم انه وجهنى اليك أيتها الملكة لتركبى فى المركب اليه قال فلما سمعت ذلك أطرقت برأسها الى الارض ثم رفعت رأسها وقالت انى لا أقدر أن أصنع شيأ الا بأمر الملك أبى وانى مرسلة اليه قال فقام يوقنا وصفق لها ودعا ثم خرج من عندها فوجد غلمانه قد ضربوا خيامه فنزل بها وأرسلت اليه العلوفة والضيافة قال ابن اسحق الأموى رضى الله تعالى عنه ولقد بلغنى أنه لما جن الليل أتت اليها الجواسيس وأعلموها بفتح قيسارية ومدائن الساحل جميعها و بتوجه عمرو بن العاص الى مصر و بحديث يوقنا صاحب حلب وحذروها منه وعرفوها بجميع الاخبار مفصلة وانه هو الذى فتح طرابلس وصور و جبلة قال فلما سمعت ذلك دخل فى قلبها الرعب وعلمت أنه محتال فطلبت حاجبها وقالت له مر العسكر بلبس السلاح وان يكونوا مستيقظين فقد جرى من الامر كذا وكذا ثم انها أوقفت مماليكها وغلمانها وقالت لهم اذا دخل هذا الرجل وخواصه فاقبضوا عليهم فاذا نحن ملكناهم انخذل عسكر المسلمين فلما رتبت هذا أرسلت تطلب يوقنا فذهب حاجبها اليه وقال له أيها البطريق الكبير ان الملكة تطلبك لتوصيك بما تقوله لابيها فقال له السمع والطاعة ها أنا راكب وأصحابى فذهب القاصد فقال يوقنا لاصحابه اعلموا أن الملكة شعرت بنا والقوم قد عولوا على قتلنا فان حصلنا فى أيديهم قتلونا لا محالة وتضرب بنا الامثال لمن يأتى بعدنا فتوكلوا ولا تلقوا بأيديكم الى القتل بايدى الكفار وكونوا نصرة لدين الاسلام وما عسى ترجوا من هذه الدنيا الغدارة التى ما صفت لاحد الا وغيرته بالكدر فاعمروا دار البقاء وجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده فلعلكم ترضونه بذلك قال فاخذ القوم على أنفسهم واشتدوا وركبوا وتوكلوا على الله فى جميع أمورهم (حدثنا) ابن اسحق قال رحمه الله لقد بلغنى أن الملكة أقامت تنتظر قدومهم لتقبض عليهم فاستبطأتهم فبعثت رسولا ثانيا تستحثهم فقال له يوقنا ارجع الى صاحبتك وقل لها ما جرت بذلك عادة الملوك يبعثون يطلبون الرسل الا لامر يحدث وقد كنت عندها فما الذى تريد نصف الليل منى فعاد الرسول وأخبرها بما قاله فركبت من وقتها وتقدمها حاجبها وأمرت الجيش كله أن يركب ودارت بيوقنا وأصحابه ولم تحدث شيأ الى الصباح فاقبل صاحب الملكة اليهم وقال ما حملكم أن تركتم دين آبائكم وهجرتم دين المسيح وأمه وقد جئتم تحتالون علينا الا وان المسيح قد غضب عليكم فقال يوقنا ان المسيح عبد من عبيد الله لا يقدر على شئ لانه مأمور مكلف وقد أنطقه الله بذلك وهو فى المهد فقال انى عبد الله قال وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا والسلام على يوم ولدت و يوم أموت و يوم أبعث حيا ومن يؤمر بالصلاة والزكاة و يموت فليس باله انما هو عبد الله مكلف بالعبادة مثل واحد منا وان الله لا يتشبه بأحد منا وان الله لا يشبهه شئ ولا يشتبه بأحد ولقد أضلكم من صدكم عن ذلك و زاغ بكم عن طريق الحق بقوله على الله والمسيح ولقد كنا مثلكم نسجد للصلبان ونعظم القربان ونسجد للصور ونجعل مع الله الها آخر الى أن تبين لنا دين محمد صلى الله عليه وسلم فشفانا بعد العمى وشرح صدورنا للهدى ودين الاسلام هو الدين الواضح وكنا نقول مثل قولكم ان المسيح ابن الله وابن ابراهيم واسحق كانا نصرانيين فكذبنا الله بقوله فى كتابه ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وقال سبحانه ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين وها نحن قد جئناكم ننجاهدكم اما أن تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله واما الجزية واما القتل قال فلما سمع الحاجب كلامه قال اقوم دونكم وهؤلاء فقد جاؤا يريدون قتلكم وأخذ اموالكم وأولادكم و بلادكم وحريمكم قال فحملوا على يوقنا وأصحابه وعمل السيف بينهم

فكانت مدة تصرفه فى المرة الثانية تسع سنين وثمانية أشهر وتوفى سنة احدى وثمانمائة ودفن بتربته المذكورة (وولى من بعده ولده السلطان الناصر فرج بن برقوق) فاقام ست سنوات واختفى

بقية يومهم فلما كان من الغد ركبوا ودار وا بهم وتصايحت عليهم القبط ودارت بهم الخيل والرجال فبلى يوقنا ومن معه بما لا طاقة لهم به وقتل منهم جماعة وقتلوا هم من القبط خلقا كثيرا ولكنهم صبروا والامر لله وقالوا والله لا نسلم أنفسنا أو نموت كلنا فقد حصل لنا ما كنا نطلب من رضا ربنا * قال ابن اسحق رحمه الله ورضى عنه حدثنا سيف بن شريح عن يونس بن زيد عن عبد الله بن عمر بن حفص عن عبد الله بن الحرث قال لما أخبرت الجواسيس أرمانوسة بقصة يوقنا أنفذت كتابا الى أبيها المقوقس تعلمه بذلك وأنها مغلوبة معهم وان العرب متوجهون مع رجل يقال له عمرو بن العاص وأنها منتظرة جوابك قال فلما وصل الكتاب اليه دعا أرباب دولته وقال لهم قد تم لى من الامر كذا وكذا فما تشيرون به على قالوا أيها الملك نرى لك من الامر ان تنفذ جيشا الى الملكة ينصرها على عدوها وتنفذ الى جلبان ملك البرية تستنصر به على هؤلاء العرب وتنفذ الى مازع بن قيس ملك الجاوة ينفذ لك جيشا وتنفذ الى من بالاسكندرية يأتون والى من بالصعيد يأتون فاذا اجتمعت اليك هذه الامم فالق بهم العرب ولا تأمن لهم فيطمعوا فيك فقال يا أهل دين النصرانية اعلموا ان الملك محتاج الى سياسة ومن ملك عقله ملك رأيه ومن ملك رأيه أمن من حوادث دهره وليست الغلبة بالكثرة وانما هي بحسن التدبير والله لقد كان قيصر أكثر منى جندا وأوسع بلادا وأعظم عدة وقد جمع من بلاد الروم الى اليونانية ومن أقاليمه ومن القسطنطينية ومن سائر البلاد ومن بلاد الاندلس واستنصر بنا وبغيرنا فما أغنى عنه جمعه شيأ ولا قدر أن يرد القضاء والقدر عنه واعلموا ان العقل أساس الآدمى المخاطب المكلف المفضل به على سائر ما خلق على الارض فمن ملك عقله ملك أمره ومن لم يجد منه حظا كان بجهله أرضيا ولن تنال الحكمة الا بالعقل قال الحكيم ماسويه ان الحكمة مرقى جليل وطالبها نبيل وتاركها ذليل لانها غذاء الارواح وقوت القلوب واعلموا انى لست أتكلم الا بالصدق وأنتم تعلمون أن محمدا فى أيامه بعث الينا يدعونا الى دينه فاستدللت على صدق قوله بكتابه وما ظهر من معجزاته وقد سمعتم انه لما بعث ما سمع أحد بذكره الا وخاف منه وقد سمعتم أن القمر انشق له والذراع المسموم كلمه وقال يا رسول الله انى مسموم فلا تأكلنى وقد كلمه الضب والحجر والشجر والمدر وعرج به الى السماء وركب أوج الماء وأول من تغلب عليه قومه وحاربه عشيرته حين أنكروا قوله وقد له فنصره عليهم وقهرهم وقد تبين لهم الحق فاتبعوه ونصروه وهم هؤلاء الذين فتحوا الشام وما أنكرت من أمرهم شيأ فانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون حدود الله التى أمر بها وما فى كتابهم شئ الا وفى الانجيل مثله وقد أضلكم بولص وأغواكم حين غر بكم وبدل شرعكم وسماكم باسم لا يليق بكم وكيف وقد عدل بكم عن الطريق الواضح وأحل لكم جميع ما حرم عليكم من قبل وهذا هو عين المحال وداعية العمى أن تعتدوا أقاويل نبيكم وكيف ينبغى لروح الله عيسى بن مريم ان يكلمكم بما لم يرسله الله اليكم ثم ان بولص قال لكم انه أحل لكم الخنزير وشرب الخمر وارتكاب المعاصى ما ظهر منها وما بطن فاطعتم أمره وصدقتم قوله وحاشا المسيح أن يفعل ذلك وما كان أحد من الانبياء الا على ما جاء به محمد وهؤلاء الحكماء الاولون ما منهم الا من يتكلم بوحدانية الله تعالى وهذا الحكيم دمونا الذى صنع فى برابى اخميم أرصادا وجعلها مثلا للامم الآتية وذكر فيها من يأتى من الامم والاجيال الى آخر الزمان وصور الحكماء منفردة به والنسر يعقد رأس الجمل والنسر يقيم فى كل برج ثلاثة آلاف سنة كما قدر بالمقدار الحكمى وكان قد صور صورة وكتب على رأسها بقلم اليونانية أربعة أسطر الاول من خاف الوعيد سلم مما يريد الثانى من خاف ما بين يديه صان دموعه بما فى يديه الثالث ان كنت تريد الجزيل فلا تنم ولا تقيل الرابع بادر قبل نزول ما تحاذر فمن كان هذا كلامهم فكيف صنع سواهم وهذه فريضة هؤلاء القوم المجدين قال فاطرقوا برؤسهم الى الارض غيظا على الملك قال وما تكلم المقوقس بهذا الكلام حتى أوقف عنده من مماليكه ألف غلام فوق رأسه بالسيف لانه كان قد سمع ما جرى لقيصر وهرقل مع بطارقته لما جمعهم ونصحهم فوثبوا عليه وأرادوا قتله أما المقوقس فانه استوثق بمماليكه حتى لا يطمع فيه قال فلما تكلم بذلك قال له وزيره أيها الملك رأيك راجح وأنا أول من يؤمن بما تقول فقال للوزير اكتب الى ابنتى كتابا تأمرها فيه أن تتلطف بالقوم وتعطيهم الأمان وتنفذهم الينا حتى نخلع عليهم ونطيب قلوبهم ويكونوا معنا يقاتلون من يريد قتالنا وما أراد بذلك الا ان يسلم مثل يوقنا وأصحابه اذ هم على الحق قال فكتب الوزير الى الملكة كتابا بما قاله أبوها فلما وصل الكتاب اليها وقرئ عليها أمرت أصحابها ان يرجعوا عن قتال

(وولى بعده أخوه عبد العزيز) سنة ثمان وثمانمائة وأقام عاما واحدا ثم عاد الناصر فرج ثانيا وأقام الى ان قتل وامتهن فى قتله سنة خمس عشرة وثمانمائة وكان أفرس ملوك الترك بعد الاشرف

يوقنا ومن معه فرجعوا وأرسلت الى يوقنا تعلمه بكتاب أبيها وأرسلت اليه الكتاب فلما قرأه قال لرسولها امض
اليها حتى أستخير الله تعالى في ذلك فقال يوقنا لأصحابه ان الله قد كشف حجاب الغفلة عن قلب هذا الملك وقد
ظهر له ما ظهر لنا من الحق فما الذي ترونه من الرأي قالوا نحن نسمع من رأيك فقال دعوني هذه الليلة قال
فلما جن عليه الليل قام يصلي وأمر أصحابه أن لا ينزلوا عن خيولهم مخافة من غدر القوم فبينما هو يصلي
واذا بشخص قد دخل عليه فارتاع منه ثم تأمله فاذا هو عمرو بن أمية الضمري ساعي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما رآه يوقنا فرح وكان قد رآه مرارا فقال له مرحبا يا عمرو ومن أين فقال ان أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب بعثني الى عمرو بن العاص لأحثه على المسير الى مصر فوجدته قد وصل وها هو منك قريب وقد
أرسلني اليك لأعرفه خبرك فأخبره بما وقع له وقال له امض يا عمرو ودعه يعجل بالمجيء ليعيننا على هؤلاء القوم
وحدثه بجميع ما جرى علينا قال فرجع عمرو وهو مسرع مثل الريح المهبوب الى عمرو بن العاص وأعلمه بقصة
يوقنا قال فترك عمرو بن العاص الأثقال ومعها من يحفظها وركب وسار بجرائد الخيل وترك مع الأثقال عامر
ابن ربيعة العامري فما كان قبل طلوع الفجر الا وهو عند يوقنا فدار بالقوم فلما أحس بهم يوقنا كبر هو
ومن معه ورفع الجميع أصواتهم بالتهليل والتكبير ووضعوا السيف في القبط فما طلعت الشمس الا وقد قتل
من القبط أكثر من ألف وأسر منهم خلق كثير وولى الباقي منهزمين وأخذت أرمانوسة ابنة الملك وجميع
ما معها من الأموال والرجال والجواري والغلمان فقال عمرو بن العاص لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل يزيد بن أبي سفيان وهاشم بن سعيد الطائي والقعقاع بن عمرو التميمي وخالد بن سعيد وعبد الله بن جعفر
الطيار وصفوان وأمثالهم ان الله سبحانه وتعالى قد قال هل جزاء الاحسان الا الاحسان وهذا الملك قد علمتم أنه
كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث هدية ونحن أحق بمن كافأ عن نبيه صلى الله عليه وسلم هديته وكان
يقبل الهدية ويشكر عليها وقد رأيت أن ننفذ الى المقوقس ابنته وما أخذنا معها ونحن نتبع سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد سمعته يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر فاستصوبوا رأيه فبعث بها مكرمة مع
جميع ما معها مع قيس بن سعد رضي الله عنه

﴿ذكر فتح مدينة مصر﴾

قال ابن اسحق الأموي رحمه الله تعالى ورضي عنه لما ورد المنهزمون على الملك وأخبروه بما تم عليهم وعلى ابنته
ضاق صدره وبقي متفكرا فيما يصنع وليس له نية في القتال مع الصحابة فبينما هو متفكر اذ جاءه البشير بقدوم
ابنته ومن معها فخف عنه بعض ما كان يجده فلما دخل عليه قيس رفع مجلسه فوق الملوك والحجاب وأرباب
دولته وكانوا قد اجتمعوا يهنئونه بابنته فلما احضر قيس بن سعد سأله الملك عن أشياء لعل أصحابه أن تلين قلوبهم
الى الاسلام فقال يا أخا العرب أخبرني عن صاحبكم ما الذي كان يركب من الخيل قال الأشقر الأرثم المحجل في
الساق وكان اسمه المترجل فقال لقد بلغنا أنه كان لا يركب الا الجمال فقال قيس ان الله أكرم الابل وشرفها
وقال لها كوني فكانت وأخرج ناقة من الصخر وخص بها العرب من دون غيرهم من بني آدم وكان يركبها
لكونها قد جعلها الله مباركة تقنع بما تجد وتصبر على الحمل الثقيل والسير الشديد وتصبر عن الماء أياما وقد
ذكرها ربنا في كتابه العزيز فقال وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق وقال والبدن جعلناها لكم من شعائر
الله ولما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزواته غزوة بدر كان معه مائة ناضح من الابل وكان معه فرسان
يركب أحدهما المقداد بن الأسود الكندي ويركب الآخر مصعب بن عمير وانا لقينا قريشا في عددها وعديدها
فهربوا ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه يتعاقبون في الطريق وكان عليه الصلاة والسلام
وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب وغيرهم يتعاقبون شارفا وكان أيها الملك
يركب الحمار الذي أهديته اليه ويردف وراءه معاذ بن جبل وعلى الحمار ركاب من ليف وخطامه ليف واعلم
يا ملك القبط أنه كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويقول من رغب عن سنتي فليس مني وكان قميصه من القطن
قصير الطول والكمين ليس له أزرار ولقد أهدى اليه ذو يزن حلة اشتراها له قومه بثلاثة وثلاثين بعيرا فلبسها
رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة واحدة وأهدى له جبة من الشام فلبسها حتى تخرقت وخفين فلبسهما حتى
تخرقا وكان له رداء طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان ونصف وكان له ثوب خز يلبسه للوفود اذا قدموا عليه وكان
أفصح الناس اذا تكلم بكلمة يرددها ثلاثا وكلما رأى قوما سلم عليهم ورأيته كلما تحدث تبسم في حديثه وكان اذا

خلايل نحو سبع مرات
للخروج الى الشام وعهيدها
وقهره تغلبها كالمؤيد شيخ
وغيره وفي أيامه وصل
تيمورلنك بلاد الشام
فسفك دماء المسلمين وسبى
ذراريهم وأسر أمراء الشام
وقتلهم فخرج الناصر لقتاله

اجتمع اليه أصحابه وأراد أن ينهض قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك
قالوا يا رسول الله ان هذه الكلمات اتخذتهن عادة قال أمرني بهن جبريل وأخرجت لنا زوجته لما قبض كساء
وازارا غليظين وقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق هذين فقال المقوقس هذه والله أخلاق الانبياء
فطوبى لمن اتبعه فان أمته هي الامة الموصوفة في الانجيل فقال بعض من حضر أيها الملك ما تكون أمة عند
الله أفضل من هذه الامة وهم نحن فغضب الملك من قوله وقال وبأي شئ أنتم أفضل عند الله أبأكلكم الحرام
وارتكابكم الآثام وصنعكم المنكرات وتجنبكم الحسنات وظلمكم في الرعية وميلكم الى الدنيا أين أنتم من قوم عبر
عليهم الاسكندر فرآهم ليس بينهم قاض ولا حاكم ولا أمير قائم عليهم ولا فيهم من يختص بالغنى دون أخيه بل
هم سواء في كل ما هم فيه أكلهم وشربهم واحد غير متناف ولا متضاد ولباسهم غير متناف ولا متباعد فتعجب
الاسكندر منهم وسأل الاكابر منهم عما رآه من أحوالهم فقالوا أيها الملك انا وجدنا جمجمة وعليها مكتوب يا ابن
آدم ما خلقت الا من التراب وقد خلوت بما قدمت اما صالحا فيسرك واما طالحا فيضرك فتندم حيث لا ينفعك
الندم ولم يكن لك الى الدنيا مرجع فطوبى للكيس العاقل الذي ليس ببليد ولا غافل يتزود الى ما اليه يصير
ولا يتكل على التقصير فبادر الى الخير قبل الموت واغتنم حياتك قبل الفوت وكأنك بالحي وقد هلك
وترك كل ما ملك فلما قرأنا هذا اعتبرنا أيها الملك بهذه الموعظة البالغة ولبسنا أثوابها السابغة فقال ما بال
مساجدكم شاسعة نائية وقبوركم دانية فقالوا أما مساجدنا فبعيدة ليكثر الاجر بكثرة الخطا وقبورنا قريبة
لنذكر الموت فننتهي عن الخطا فقال مالي أرى أبوابكم بغير أغلاق قالوا لانا ما فينا خائن ولا سراق فقال
مالي لا أرى فيكم أميرا ولا حاكما فقالوا لانا ما فينا معتد ولا ظالم فقال مالي لا أرى فيكم معسرا ولا فقيرا قالوا لان
رزق الله فينا الكبير والصغير ثم انهم أخرجوا له جمجمتين عظيمتين فقالوا أيها الملك هذه جمجمة رجل عادل
سالم وهذه جمجمة رجل ظالم وكلاهما صارا الى هذا المصير ولم يغن عنهما الجمع والتدبير أما العادل فمسرور وريان
وأما الظالم فنادم حيران فاز المتقي وخسر الشقي فاختر ما تراه قبل الحين أيها الملك لانك قد ملكت النواصي
ونفذ أمرك في الداني والقاصي واستخلفك الله في الارض وأمرك بالقيام بالنفل والفرض فتذكر مرجعك
ومرسلك واعمل لنفسك واعلم انه لا ينفعك جدك اذا قبضت روحك واشتمل عليك لحدك فاترك أوامر الشيطان
ودواعيه وخذ بأوامر الرحمن ونواهيه ولا يغرنك النعيم فتبوء بالاثم العظيم أذكر أيها الملك ما فعل
الشيطان بأبيك حين نصب له مكيدته وأدار عليه حيلته فنصب له فخ العداوة وغره فيه بحبة البر فقال
قيس أيها الملك أتدري من أولئك قال لا قال هم قوم مؤمنون قال الله عنهم في كتابه وممن خلقنا أمة يهدون
بالحق وبه يعدلون وقد رآهم نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة عرج به فلما عاد أخبر أصحابه بهم قالوا يا رسول الله أهم
قوم مؤمنون بما انزل عليك فأراد أن يعلمهم أن أمة محمد أفضل منهم فأنزل الله وممن خلقنا أمة يهدون بالحق
وبه يعدلون فقال المقوقس لقيس بن سعد يا أخا العرب ارجع الى أصحابك وأخبرهم بما سمعت وبما رأيت
وانظر فيما استقر عندكم وبينكم فقال قيس أيها الملك لابد لنا منكم ولا يحجبكم منا الا الاسلام أو أداء الجزية أو
القتال فقال المقوقس أنا أعرض ذلك عليهم واعلم أنهم لا يجيبون لان قلوبهم قاسية من أكل الحرام (حدثنا)
ابن اسحق رضي الله عنه حدثنا عبد الله بن سهل عن عدي بن حاطب عن سليمان بن يحيى قال ان الملك
المقوقس كان من عادته أنه في شهر رمضان لا يخرج الى رعيته ولا يظهر لاحد من أرباب دولته ولا أحد منهم
يعلم ما كان يصنع وكانت مخاطبته لقيس بن سعد في أواخر شعبان سنة عشرين من الهجرة فخرج قيس من
عنده ومضى الى عمرو بن العاص وحدثه بما كان منه قال ابن اسحق رحمه الله وكان ولي عهد الملك ولده
ارسطوليس وكان جبارا عنيدا وانه لما سمع ما تحدث به أبوه رأى ميله الى الاسلام وعلم انه لا يقاتلهم وربما أسلم
وسلم اليهم ملكه فصبر الى أن دخل أبوه الى خلوته التي اعتاد أن يدخلها ويختلي فيها كل سنة فجمع أرباب
الدولة في الخفية لئلا يدري به أحد فيعلم اباه وقال لهم اعلموا أنكم قد ملكتم هذا الملك وان أبي يريد أن يسلمه الى
العرب لانني فهمت من كلامه ذلك فقالوا أيها الملك أنت تعلم ان هذا الامر مرجعه اليك وأنت ولي عهده فاعمل
أمرا يعود صلاحه عليك وعلينا قال فطلب صاحب شراب أبيه وأعطاه ألف دينار ووعده بكل جميل وأعطاه
سما وقال له ضعه في شرابه قال ففعل الساقي ما أمره به وسقى الملك فمات فأتى الساقي الى ارسطوليس وأعلمه ان

فوجده قد ترك البلاد
وتوجه للروم فرجع
الناصر الى مصر وكثرت
الفتن (وولي بعده السلطان
الملك المؤيد) أبو النصر
شيخ المحمودي مملوك الظاهر
برقوق فأقام ثمان سنين
وخمسة أشهر وتوفي سنة

أباه قد مات فذهب اليه ودفنه فى الخفية وقتل الساقى وجلس على سرير الملك كأنه نائب عن أبيه اذا غاب
كعادته فى كل عام ولم يعلم أحد بموته هذا ما كان منه وأما عمرو بن العاص فانه ارتحل من بلبيس ونزل على قليوب
وبعث الى أهل البلاد والقرى وطيب خواطرهم وقال لهم لا يرحل أحد من بلده ونحن نقنع بما توصلونه الينا
من الطعام والعلوفة فأجابوا الى ذلك وارتحل من قليوب ونزل على بحر المعى فارتجت بنزولهم اليها ووقع
التشويش فيهم وعلا الضجيج وأغلقوا الدروب والدكاكين ووقف أهل كل درب على دربهم بالسلاح ليحموا
حريمهم قال وأما عمرو بن العاص فانه أمر أهل اليمن ومن معه من العربان أن يحدقوا بالبلد وان أهل البلاد
أقبلت اليهم بالعلوفة والطعام والخيرات وهم يردون عليهم من كل فج ثم ان عمرا أراد أن يرسل الى صاحب مصر
رسولا وكان عنده غلام له من أهل الرملة وكان اسمه وردان وكان يعرف سائر الألسن فقال له عمرو يا وردان انى
أريد أن أرسلك الى هؤلاء القبط فانك تعرف بلسانهم ولا تظهر لهم انك تعرفه فقال سمعا وطاعة فقال أريد أن
أكتب معك كتابا اليهم ان كتب واذا برسول ارسطوليس قد أقبل وقال يا معاشر العرب ان ولى عهد الملك
يريد منكم أن تبعثوا اليه رجلا منكم يخاطبه بما فى نفسه فلعل الله أن يصلح ذات بينكم فقال عمر وليزيد بن أبى
سفيان ولشرحبيل وعبد الله بن جعفر الطيار وللنعمان بن المنذر ولسعيد بن وائل اعلموا انى قد ضربت على
ملوك الروم ولست أرى من يتكلم مثلى وما يسير الى هؤلاء الا أنا فانى أريد أن أرد القوم وانظر حالهم وما هم
فيه من القوة وان لا يخفى على شئ من امرهم فقالوا يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوى الله عزمك وما
عندنا الا النصيحة للدين والنظر فى مصالح المسلمين فافعل ما أردت تعانى فقال لشرحبيل قد قلدتك أمور
المسلمين فكن مكانى حتى أمضى الى القوم وآتيكم بما فيه صلاحكم فقال له شرحبيل الله يوفقك ويسددك قال
ولبس عمر ثوبا من كرابيس الشام وتحته جبة صوف وتقلد بسيفه وركب جواده وسار ومعه غلامه وردان وسار
الثلاثة الى قصر الشمع واذا هم بالمواكب مصطفة والعساكر واقفة وهم بالدروع والجواشن والعدد وقد أظهروا
ما أمكنهم من القوة فلما وصلوا الى قصر الملك أخبروا ارسطوليس أن رسولك أتى بواحد من العرب فأمرهم
باحضاره فدخل عمرو راكبا وهو متقلد بسيفه فاراد الحجاب ان ينزلوه عن جواده فأبى وان يأخذوا سيفه فأبى
وقال ما كنت بالذى أنزل عن حصانى ولا أسلم سيفى فان أذن صاحبكم ان أدخل على حالتى والا رجعت من
حيث أتيت فاننا قوم قد أعزنا الله بالايمان ونصرنا بالاسلام فما لنا ان ننزل لاهل الشرك والطغيان وانتم طلبتمونا
ونحن لم نطلبكم فاعلموا الملك بما قاله فقال ارسطوليس دعوه يدخل كيف شاء فخرجوا اليه وقالوا له ادخل كيف
أردت فدخل عمرو وهو راكب حتى وصل الى قبة الملك ورأى السرير به والحجاب وقوفا والبطارقة وهم فى زينة
عظيمة فلما رأى عمرو ذلك تبسم وقرأ فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا
وعلى ربهم يتوكلون قال وكان قصر الملك قد بناه الريان بن الوليد بن أرسلاوس وهو الذى استخلف يوسف
على مصر بعد العزيز ثم خرب وأقام خرابا خمسمائة سنة وما بقى الا أثره فلما بعث عيسى وانتشرت دعوته ورفعه
الله اليه وافترقت أمته فرقا وادعوا فيه ما ادعوا من الالهية وتقول الكذب ولى مصر رجل اسمه بن مقراطيس
فبنى ذلك القصر الخراب وهو فى وسط قصر الشمع وانما سمى قصر الشمع لانه لا يخلو من شمع الملوك فلما بناه
أحضر الحكماء الذين كانوا قد بنوا فى بربة اخميم وكان المقدم عليهم قرباتس فقال لهم انى قد قرأت كثيرا من
الكتب التى انزلت على الانبياء من الله وقرأت صحف موسى ورأيت أن الله يبعث نبيا قوله حق ودينه صدق
أخلاقه طاهرة وشريعته ظاهرة وقد بشر به المسيح فما تقولون فيه فقال قرباتس الحكيم ان الذى قرأته هو
الصحيح قال فمن يخالف ذلك قالوا نعم قال الحكيم أريد أن أصنع تمثالا من الحكمة ونجعله بيتا للعبادة ونجعل
على هيكلها تماثيل يكون وجوهها مما يلى التمثال بأعلى قصرك فاذا جاء وقت مبعث هذا النبى يحول كل تمثال
وجهه عن صاحبه وأما الذى يجعل على الكنيسة فانه عند مبعث النبى العربى يقع على وجهه ويكون موضع
عبادة القوم واقامة شرعهم قال فأخذوا فى عمل الحكمة وأقاموا التماثيل على ما ذكرنا فلما بعث النبى صلى الله
عليه وسلم حول كل شخص وجهه عن صاحبه وسقط الذى كان على سطح الكنيسة وهو الجامع اليوم وأما
التمثال العالى فبقى على حاله بأعلى القصر فلما دخل عمرو بجواده سمعوا من التمثال صوتا عظيما ثم انه سقط
على وجهه فارتاع له الملك وأرباب دولته وصكوا وجوههم ودخل الرعب فى قلوبهم وقالوا بأسرهم ما وقع هذا

أربع وعشرين وثمانمائة
وخرج الى الشام مرتين
وبعده ثم خرج الى بلاد
العثمانى وافتتح قلاعا
كثيرة وكان شجاعا مقداما
عارفا بأنواع الفروسية
ومكر الحروب معظما
للشريعة محبا للفقهاء

القتال الا عند دخول هذا العربي وما جرى هذا الا امر عظيم ولا شك انه هو الذي يقلع دولتنا ويأخذ ملكنا
وامر واعمرا أن ينزل عن جواده فنزل وترجل وجلس حيث انتهى به المجلس وأمسك عنان جواده بيده وبيده
اليسرى على مقبض سيفه ونظر الى زينتهم وزخرفة قصورهم فقرأ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن
يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا
وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ثم قال اعلموا أن الدنيا دار زوال وفناء والآخرة هي
دار البقاء أما علمتم ما كان من نبيكم عيسى وزهده وورعه كان لباسه الشعر ووساده الحجر وسراجه القمر
وقد قال نبينا صلوات الله عليه ان الله أوحى الى عيسى أن نح على نفسك في الفلوات وعاتبها في الخلوات
وسارع الى الصلوات واستعمل الحسنات وتجنب السيآت وابك على نفسك بكاء من ودع الاهل
والاولاد وأصبح وحيدا في البلاد وكن يقظان اذا نامت العيون خوفا من الامر لابد أن يكون فاذا كان روح
الله وكلمته خوف بهذا التخويف فكيف يكون المكلف الضعيف وأول من تكلم في المهد قال اني عبد الله
فاذا كان أقر لله بالعبودية فلم تنسبون اليه الربوبية تعالى الله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ولا أشرك في حكمه أحدا
جل عن الصاحبة والاولاد والشركاء والاضداد لا صاحبة له ولا ولد ولا شريك له ولا وزير ليس لأوليته
ابتداء ولا لآخريته انتهاء ولا يحويه مكان ليس بجسم فيمس ولا بجوهر فيحس لا يوصف بالسكون
والحركات ولا بالحلول والكيفيات ولا تحتوي عليه الكميات ولا المنافع ولا المضرات ثم انه قرأ ان كل
من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا
فقال له الوزير أصح عندكم معاشر العرب أن المسيح تكلم في المهد قال نعم قالوا له فهذه فضيلة قد انفرد بها عن
جميع الانبياء فقال عمرو وقد تكلم في المهد أطفال منهم صاحب يوسف وصاحب جريج وصاحب الاخدود
وغيرهم فقالوا يا عربي أتكلم نبيكم بغير العربية قال لا كما قال الله في كتابه وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء قالوا أبعث الله منكم أنبياء غير نبيكم قال نعم قالوا من قال صالح
وشعيب ولوط وهود قال فلما سمعوا كلام عمرو وفصاحته وجوابه الحاضر قالوا بالقبطية للملك ان هذا العربي
فصيح اللسان جرئ الجنان ولا شك أنه المقدم على قومه وصاحب الجيش فلو قبضت عليه لانهزم أصحابه
عنا قال وغلام عمرو وردان يسمع ذلك فقال الملك انه لا يجوز لنا أن نغدر برسول لا سيما ونحن استدعيناه
الينا فقال وردان بلسان آخر ما قالوه ففهم عمرو كلامه ثم ان الملك قال يا أخا العرب ما الذي تريدون منا وما قصدنا
أحد الا ورجع بالخيبة وانا قد كاتبنا النوبة والبجاوة وكاتبكم بهم وقد وصلوا الينا فقال عمرو وانه لا انخاف من
كثرة الجيوش والامم وان الله قد وعدنا النصر وان يورثنا الارض ونحن ندعوكم الى خصلة من ثلاث اما
الاسلام واما الجزية واما القتال فقالوا انا لا نبرم أمرا الا بمشورة الملك المقوقس وقد دخل خلوته لكن يا أخا
العرب ما نظن أن في أصحابك من هو أقوى منك جنانا ولا أفصح منك لسانا فقال عمرو وأنا الكن لسانا ممن
في أصحابي ومنهم من لو تكلم لعلمت أني لا أقاس به فقال الملك هذا من المحال أن يكون فيهم مثلك فقال ان أحب
الملك أن آتيه بعشرة منهم يسمع خطابهم فقال الملك أرسل فاطلبهم فقال عمرو ولا يأتون برسالة وانما ان أراد الملك
مضيت وأتيت بهم فقال الملك لوزرائه اذا حضر واقبضنا عليهم والاحد عشر أحسن من الواحد ووردان يفهم
ذلك ثم ان الملك قال لعمرو وامض ولا تبطئ علي فوثب عمرو قائما وركب جواده فقال الملك بالقبطية لاقتلنهم
أجمعين فلما خرج من مصر قال له وردان ما قاله الملك فلما وصل الى الجيش أقبلت الصحابة وسلموا عليه وهم
يقولون والله يا عمرو لقد ساءت بك الظنون فأقبل يحدثهم بما وقع له معهم وبما قالوه وبما قاله وردان فحمدوا الله
على سلامته وكان قد أقبل الليل فلما أصبح صلى عمرو بالناس صلاة الفجر وامرهم بالتأهب للقتال واذا برسول
الملك قد أقبل وقال له ان الملك ينتظرك أنت والعشرة فقال عمرو ان الغدر يهلك أصحابه وأهله وان على الباغي
تدور الدوائر يا ويلكم ينفذ صاحبكم يطلب منا رسولا فلما أتيته أراد ان يقبض علي وقال كذا وكذا فأنت يا ويلك
ما الذي يغنيني عنك اذا أردت قتلك وانما نحن ممن يخون ويغدر ارجع اليه وقل له اني فهمت ما قاله وما بقي
بيننا وبينه الا الحرب قال ابن اسحق رحمه الله ورضي عنه هكذا وقع له مع القبط وكان عمرو واذا ذكر ذلك
يقول لا والذي نجاني من القبط قال وعاد الرسول وأخبر الملك بما قاله عمرو فعند ذلك قال أريد أن أدبر حيلة

والعلماء وبنى مدرسته
المعروفة بباب زويلة بدأ
فيها سنة سبع عشرة وكملت
في سنة عشرين وثمانمائة
(وولي بعده ولده أبو
السعادات أحمد) وعمره
دون سنتين وكان أمره
مفوضا الى ططر ثم خلعه

أدهمهم بها فقال الوزير اعلم أيها الملك أن القوم متيقظون لانفسهم لا يكاد أحد أن يصل اليهم بحيلة ولكن
بلغني أن القوم لهم يوم في الجمعة يعظمونه كتعظيمنا يوم الاحد وهو عندهم يوم عظيم وأرى لهم من الرأى أن
تمكن لهم كمينا مما يلى الجبل المقطم فاذا دخلوا في صلاتهم يأتى اليهم الكمين ويضع فيهم السيف قال فأجابه
الملك الى ذلك وأقاموا ينتظرون ليلة الجمعة قال وأما عمرو فانه أرسل يوقنا الى القرى التى صالحوها ليأتيه منها
بما يأكلونه ويعلفون به خيلهم قال فركب يوقنا الى القرى التى صالحوها وسار في عسكره وبنى عمه الى ما يأتى
به ومضى نحو الحرف وكان معهم جواسيس الملك في عسكرهم فأتوا الى الملك وأخبروه بما جرى من المسلمين
فعندها دعا بابن عمه ماسيوس وهو المقدم على جيوش مصر وقال له اختر من جيوشنا أربعة آلاف وامض
بهم واكمن وراء عسكر المسلمين من جهة الجبل واياك أن يظهر عليكم أحد وليكن لكم ديدبان فاذا دخل القوم
في صلاتهم فاحملوا عليهم وضعوا فيهم السيف قال ففعل ماسيوس ما أمره به الملك ومضى في الليل من نحو مغارة
السودان ولم يعلم بهم أحد فلما كان وقت صلاة الجمعة أتاهم الديدبان وأعلمهم انهم دخلوا في الصلاة وكانوا قد
أخذوا بغالا ودواب وأحملوها براوشعيرا وكان قد قال لهم اذا أردتم أن تحملوا عليهم فقدموا الحمول أمامكم فانهم
يأمنون ويحسبون أنها هى التى مضى صاحبهم يأتى بها كما قال ففعلوا ذلك (حدثنا) ابن اسحق رحمه الله حدثنا
عمارة بن وهب عن سعيد بن عامر عن سليمان بن نافذ عن عمرو عن جابر عن محمد بن اسحق قال هكذا دبر
عليهم القبط وكان بين القوم وبينهم نصف ميل وليس عند المسلمين خبر بما صنع المشركون وكان سعيد بن
نوفل العدوى يقول لعمرو أيها الامير ما الذى عاقنا عن قتال هؤلاء القبط فيقول والله ما تأخرى جزع وانما
قد علمتم قصد هذا الملك المقوقس وما هو عليه من الدين والعقل وهو مقر بنبوة نبينا وقد دخل الى خلوته التى
أسسها لنفسه في هذا الشهر المعظم وقد بقى منه خمسة أيام ويظهر ونبعث اليه رسولا ونرى ما يكون جوابه فاما
الصلح واما القتال قال فبينماهم يتحادثون في ذلك اذ أتاهم رسول من عند ارسطوليس بن المقوقس وقال لهم
معاشر العرب ان ولى عهد الملك يسلم عليكم ويقول لكم انى لا أقدر أن أحدث أمرا حتى يخرج الملك من خلوته
وقد بقى له خمسة أيام وهو يدبر في رعيته بما يشاء فقال له عمرو قد علمنا ذلك ولولا الملك وما نعلم منه انه يحب نبينا
وانه مؤمن به ما أمهلنا كم طرفة عين فمضى الرسول قال ابن اسحق رحمه الله وما بعث هذا اللعين هذا الرسول
الا ليطمئن المسلمون وليقضى الله أمرا كان مفعولا واذا جاء القدر لا ينفع الحذر واذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه
(قال الراوى) فكان المسلمون قد اطمأنت قلوبهم بذلك الخبر وقربت الصلاة فقام عمرو وخطبهم خطبة بليغة
حذر فيها وأنذر فلما فرغ أقيمت الصلاة وأقاموا واليهم يرقبون مخافة العدو أن يكبسهم في صلاتهم قال جابر بن
قيس ونحن لا نرى أحدا من أهل مصر لا فارسا ولا راجلا قال فاصطففنا خلف عمرو للصلاة وليس يبين لنا عدو
نخافه فلما أحرمنا وقرأ عمرو وركعنا وأومأنا للسجود اذا أشرفت الدواب والبغال وعلى ظهورها الاحمال والعسكر
من ورائها وهم أهل الكمين الذى أكمنه أعداء الله وهم على عدد أصحابنا الذين مع يوقنا فلما رآهم موالينا
ظنوا أنهم أصحابنا وقد أقبلوا بالعلوفة فرفعوا أصواتهم بالفرح وقالوا جاءنا يوقنا وأصحابه ولم يكلمهم العدو حتى
أتونا ونحن في الصلاة ووضعوا السيف فينا ونحن ساجدون السجدة الاخيرة ونحن بين يدى الله تعالى قال
واذا بالسيوف تقرقع في لحومهم وما أحد منهم قام من سجوده وكان القتل في آخر صف من المصلين والصف
الذى يليه وهم من اليمن ومن بجيلة ومن وادى القرى ومن الطائف ومن وادى نخلة ثم قال ابن عتبة وكنت
قد شهدت وقائع الشام وحضرموت واليرموك فوالله ما قتل منا في وقعة من الوقائع مثل ما قتل منا يوم بحر
الحصى في أرض مصر بالحيلة التى دبرها عدو الله علينا وقال والله ما منا من انحرف عن صلاته ولا حول وجهه
عن ربه وقد أيقنا بالهلاك عن آخرنا حتى أشرف علينا يوقنا بأصحابه فلما نظر وا ما حل بالمسلمين صاحوا
ورموا ما على رؤسهم من العمائم وقال يوقنا البنى عمه والله من قصر منكم عن عدوه فالله يطالبه به يوم القيامة وما
أرى الا أن الاعداء قد غدروا وكبسوا المسلمين فدوروا من حولهم وضعوا السيوف فيهم واحذروا أن ينفلت
منهم أحد فحملوا وأطبقوا على القبط فدفعوهم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل القتال بينهم
حتى فرغ عمرو من الصلاة هو ومن معه وثاروا ثوران الاسد وركب عمرو ومعاذ وسعيد بن زيد وجميع الصحابة
وحملوا في العدو وطعنوهم طعنة قال جابر بن أوس وحلنا بينهم وبين الوصول الى مصر فوالله ما نجا منهم أحد

طار واستقل بالامر تلك
السنة وأقام ثلاثة أشهر
وتوفى ودفن بجوار الليث
ابن سعد في القرافة (وولى
بعده ولده محمد) وعمره نحو
عشر سنين فاقام نحو أربعة
أشهر وخلع سنة خمس
وعشرين وثمانمائة (وولى

وبقوا كأنهم طيور وقعت عليهم شبكة صياد فلما وضعت الحرب أوزارها هنأ المسلمون بعضهم بعضا بالسلامة وشكروا الله على ما أولاهم من نصر وأثنوا على يوقنا خيرا وافتقدوا قتلاهم فكانوا أربعمائة وستة وثلاثين قد ختم الله لهم بالشهادة قال واتصل الخبر الى ارسطوليس بقتل ابن عمه ومن معه وانهم لم ينج منهم أحد فصعب عليه ذلك وأيقن بهلاكه فدعا ببطارقته وأرباب دولته وشاورهم في أمره فقالوا أيها الملك أنت تعلم بان الدنيا ما دامت لأحد ممن كان قبلك حتى تدوم لك وما زالت الملوك تنكسر وتعود وما أنت بأكثر ممن انهزم من ملوك الارض وقد سمعنا ان داونوس بن أردين بن هرمز بن كنعان بن برحور الطارسي هزمه الاسكندر الرومي سبعين مرة فاخرج الى لقاء القوم واضرب معهم مصاف ولا تيأس وهؤلاء القسوس والرهبان والشمامسة والمطران والبترك يدعون لك بالنصر قال فعول على لقاء المسلمين وفتح خزائن أبيه وأنفق على الجند وأعطاهم السلاح وطلب شباب مصر وأمرهم الخروج وبعث يستنجد بملك النوبة وملك البجاوة وأقام مدة ينتظر قدومهم (قال حدثنا) محمد بن اسحق القرشي عن عقبة بن صفوان عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه قال لما كان من أمر المسلمين ما ذكرناه مما قدره الله عليهم من كبسة عدوهم كتب بذلك عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه * بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سلام عليك واني أحمد الله وأصلي على نبيه أما بعد فقد وصلت الى مصر سالما وجرى لنا على بلدة بلبيس مع ابنة المقوقس كذا وكذا ونصرنا الله عليهم ورحلنا الى بحر الحصى وقد كنا صالحنا قوما من أهل قرى بلاد مصر ببلاد يقال لها الجرف حتى يعينونا بالعلوفة والميرة ويجلبوا الينا الطعام واني أرسلت عبد الله يوقنا ليشتري لنا منهم طعاما ومضى في خيله وسرت بنفسي رسولا الى مخاطبة القوم فهموا بالقبض علي ونجاني الله منهم وانهم أكمنوا لنا كمينا من الليل وأشغلونا برسول والكمين كان من الليل فلما استوت صفوفنا للصلاة كبسوا علينا ونحن في الصلاة فلم نشعر حتى بذلوا فينا السيف وقتلوا منا أربعمائة وستة وثلاثين رجلا والاعيان منهم ستون ختم الله لهم بالشهادة ونحن الآن في بحر متلاطم أمواجه من كثرة القوم والعساكر فانجدنا يا أمير المؤمنين وأدركنا بعسكر ليعيننا على عدونا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وختم الكتاب وأعطاه عبد الله بن قرط فسار من ساعته وجد في السير الى أن وصل المدينة فقدمها في العشر الأوسط من شوال سنة اثنين وعشرين من الهجرة فأناخ مطيته بباب المسجد ودخل فرأى عمر بن الخطاب عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن قرط فدفعت الكتاب اليه فنظر الي وقال يا عبد الله قلت نعم قال من أين أتيت قلت من مصر من عند عمرو بن العاص قال مرحبا بك يا ابن قرط ثم فك الكتاب وقرأه وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال من ترك الحزم وراء ظهره تباعدت عنه فسحة الخطا ووالله ما علمت عمرا الا حازم الرأي مليح التدبير ضابط الامر حسن السياسة ولكن اذا نزل القضاء عمي البصر ثم انه كتب كتابا الى ابي عبيدة وذكر له ما جرى لعمرو بن العاص بمصر وأمره أن ينفذ اليه جيشا عرمرما وأنفذ الكتاب مع سالم مولى أبي عبيدة قال عبد الله بن قرط فأقمت في المدينة يومين واستأذنته في المسير فزودني من بيت المال وكتب الى عمرو يقول * بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص أما بعد فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد بلغني ما جرى لكم بمصر من غدر عدوكم كما سبق في أم الكتاب وكان يجب عليك يا ابن العاص أن لا تطمئن الى عدوك ولا تسمع منه حيلة وما كنت أعرفك الا حسن الرأي والتدبير ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا فاستعمل النشاط في أمرك ولا تأمن لعدوك واستعمل الحذر فان الامام ما يكون الا على حذر والله يعيننا واياك على طاعته وقد أنفذت الى أبي عبيدة أن يرسل اليكم جيشا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وختمه وسلمه لعبد الله بن قرط قال فأخذته وسرت وأنا أجد السير حتى أتيت مصر ودفعت الكتاب لعمرو بن العاص فقرأه على المسلمين ففرحوا بذلك وأقاموا ينتظرون اخوانهم (حدثني) ابن اسحق حدثني سهل بن عبد ربه عن موسى بن عبد الرزاق قال لما كبس ابن المقوقس جيش المسلمين ورجعت دائرة السوء عليه وقتلوا عن آخرهم وبلغه الخبر بكى على ابن عمه وحلف بما يعتقده من دينه انه لا بد له أن يأخذ بثارهم ثم انه أمر أرباب دولته أن يجتمعوا بالكنيسة المعلقة في داخل قصر الشمع فاجتمعوا وجلس على سرير عند المذبح وقام فيهم خطيبا فقال يا أهل دين النصرانية وبني ماء المعمودية اعلموا أن ملككم عقيم وبلدكم عظيم وهذه بلاد الفراعنة ممن كان قبلكم وقد ملكها

بعده الملك الاشرف) أبو النصر برسباي الدقاقي وهو ثامن ملوك الجراكسة فاقام ست عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام وتوفي سنة احدى وأربعين وثمانمائة وفي أيامه بنى المدرسة الاشرفية التي بالعنبرانيين بالقاهرة

عدة ملوك ممن احتوى على الاقاليم وملكها مثل الملك المعظم من آل حمير ومثل مستفان والابستق والهدان وهو بانى هذه الاهرام ونمروذ بن كنعان ولقمان بن عاد وذى القرنين الملك العظيم وانقضى ملكهم منها ورجع الى سبا وأرضها وحضرموت وقصر عمان ثم تولى هذه الارض القبط من آبائكم وأجدادكم اطلميس وبلينوس والريان بن الوليد وهو الذى استخلص يوسف لنفسه والوليد وهو المكنى بفرعون وبعدهم طلماوس ثم جدى راعيل ثم أبى المقوقس وجميع ملوك الارض تحسدنا على ملك مصر وهؤلاء العرب الطامعة ليس فى العرب أطمع منهم فانى أراكم قد كسلتم وفشلتم عن لقائهم نطمعوا فيكم وفى ملككم كما طمعوا فى ملك الشام وانتزعوه من أيدى القياصرة نقاتلوا عن أموالكم وحريمكم وأولادكم وأما أنا فواحد منكم واعلموا ان الملك المقوقس قد أمرنى بلقاء هؤلاء العرب وقال انه لا يظهر اليهم حتى أرى ما يظهر من قومى وأرباب دولتى فما تقولون وما الذى اجتمع عليه رأيكم فقالوا أيها الملك انا نحن عبيد هذه الدولة وغلمانها فانها قد استعبدت رقابنا بنعمتها واحسانها ونحن نقاتل لمحبتها فاما ان نرزق النصر من المسيح واما ان نموت فنستريح قال فشكر قولهم وخلع على أكابرهم وقال لهم اخرجوا واضربوا خيامكم ظاهر البلد مع القوم وطاولوهم بالمبادرة الى أن يأتى الينا نجدة من ملك النوبة والبجاوة فاجابوا الى ذلك وأمر واتلمانهم بان يضربوا الخيام خارج البلد فضربوها مما يلى النور والرصد قال ابن اسحق وفى ليلتهم تلك جاءتهم الاخبار بانه وقع بين ملك النوبة وملك البجاوة حرب وانه ما يجيئكم منهم احد واخرجوا الملك ارسطوليس مرادقا معظما اوسط جيش القبط قال واخذ المسلمون على انفسهم واقبلوا يحرضون بعضهم ويحرسون قومهم بالنوبة فكان عمرو فى أول الليل يطوف حول العسكر ومعاذ اذا انتصف الليل ويزيد بن أبى سفيان فى آخر الليل والنور على عسكرهم والايمان لائح عليهم واصواتهم مرتفعة بالقرآن وبذكر الله وبالصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق فلما وصل كتاب عمر بن الخطاب الى أبى عبيدة وقرأه على المسلمين قال خالد بن الوليد يا أبا سليمان ما ترى من الرأى فقال اذا كان أمير المؤمنين أمرك أن تنجد عمرو بن العاص فانجده فقال أبو عبيدة ان الطريق الى مصر بعيد وان أنا ارسلت جيشا كبيرا خفت عليه من بعد الطريق ومن المشقة فقال خالد كم جهدك أن ترسل قال اربعة آلاف فارس فقال خالد ان الله كفاك ذلك قال وكيف ذلك يا أبا سليمان قال انى عزمت على ما ذكرت فابعث اربعة من المسلمين فهم مقام اربعة آلاف فارس فقال أبو عبيدة من الاربعة قال خالد أنا احد الاربعة والمقداد بن الاسود وعمار بن ياسر ومالك بن الحرث فلما سمع أبو عبيدة ذلك تهلل وجهه وقال يا أبا سليمان افعل ما تراه فدعاهم خالد واعلمهم بما عزم عليه فقالوا سمعا وطاعة فقال خذوا على انفسكم نحن نسير هذه الليلة قال فلما صلى أبو عبيدة بالناس صلاة المغرب قدم الثلاثة الى قبة خالد فركبوا وودعوا أبا عبيدة والمسلمين وأخذوا معهم دليلا يدلهم على الطريق الى وادى موسى والشوبك وأخذوا معهم ما يحتاجون اليه وسار وابريدون مصر فما زالوا يجدون الى ان قربوا من عقبة أيلة واذا هم بخيل ومطايا تزيد على ألف فارس فاسرعوا اليهم فاذا هم من ثقيف وطى ومرداس قد وجههم عمر بن الخطاب الى مصر مع رفاعة بن قيس وبشار بن عوف قال فلما رأوهم سلموا عليهم ورحبوا بهم واستبشروا بالنصر لما رأوا خالدا وعمارا والمقداد ومالكا وارتفعت أصواتهم بالتهليل والتكبير وساروا باجمعهم (قال) حدثنا يوسف بن يحيى عن دارم عن منصور بن ثابت قال كنت فى جملة الوفد الذى وجهه عمر رضى الله عنه مع رفاعة وبشار والتقينا بخالد بن الوليد وأصحابه عند عقبة أيلة وسرنا معهم حتى وصلنا أرض مصر وقربنا وبقى بيننا وبينها يومان فبينما نحن نسير فى بعض الليالى وكانت ليلة مظلمة لا يكاد الرجل أن يرى من شدة الظلام اذ سمعنا حسا امامنا فوقفنا فقال خالد أيكم يأتينا باتيان العرب بخبر هؤلاء الذين فى هذا الجيش قال نصر بن ثابت وكنت راكبا فقفزت من على ظهر الراحلة وسعيت على قدمى واخفيت حسى الى ان تبين لى جيش كثير فحققت أمرهم فاذا هم جيش من العرب المتنصرة وهم يزيدون على ثلاثة آلاف وهم ركبان المطايا والخيل فقلت والله لا عدت الى أصحابى الا بالخبر اليقين قال فاتبعت أثرهم لاسمع ما يقولون وما يتحدثون فمشيت معهم قليلا فاسمعهم يقولون أذل الصليب أعداءنا فانا قد أصابنا التعب ولحقنا الجهد ومن وقت خروجنا من مدين لم نجد أحدا ومصر قد قربنا منها فانزلوا لنأخذ راحة ونريح مطايانا ونعلق على خيلنا واذا بمقدمهم يقول وحق المسيح ما بغيتنا الا فى الخلع والاموال من ملك مصر ولكن اذا عولتم على الراحة فانزلوا قال فنزل القوم على ماء يعرف

والشركسية خارج باب النصر والمدرسة بالخانقاه السرياقوسية وأرسل الى قبرص وفتحها وأحضر ملكها أسيرا ومن عليه وأعاده الى بلاده بمن شاء من جماعته وصار يرسل الجزيه فى كل سنة (ثم تولى من بعده ولده عبد العزيز أبو المحاسن يوسف) فاقام

بالغدير وأقبلوا يجمعون الشيح ويصنعون لهم الزاد وعلقوا على خيولهم وتركوا ابلهم ترعى قال نصر بن ثابت فعلمت أن القوم من متنصرة العرب فتركتهم وأتيت الى أصحابي وحدثتهم بذلك فحمدوا الله كثيرا وأثنوا عليه وقالوا الحمد لله ما الذى ترى فقال أرى أن تركبوا خيلكم الآن وتستعدوا للحرب ونسير اليهم ونكبسهم فانهم قد أتوا النصرة صاحب مصر وما أتوه الا مكاتبة لهم يستنجدهم على أصحابنا قال فلبسوا سلاحهم وركبوا الخيل وتركوا امواليهم مع المطايا والرحال وسار واخيالة ورجالة الى أن قربوا من نيران القوم نصبر واحتى خمدت وناموا فتسللوا عليهم كتسلل القطا فقال دوروا بالقوم ولا تدعوا أحدا منهم ينفلت من أيديكم فيشير عليكم عدوكم قال فداروا بهم كدوران البياض بسواد الحدق وأعلنوا بالتهليل والتكبير ووضعوا فيهم السيف فما استيقظ أعداء الله الا والسيف يعمل فيهم ووقعت الدهشة فى القوم وهم فى أثر النوم فقتل بعضهم بعضا ووقف ابن قيس ومعه جماعة على البعد منهم وبشار ورفقته وكل من انهزم أخذوه فلما أصبحنا رأينا القتلى منهم ألفا وأسرنا منهم ألفا فعرضوهم على خالد فقال حدثونى من أين جئتم والى أين مقصدكم فقالوا انا قوم من متنصرة العرب وكانا كنا أصحاب الشام فلما هزمتم الملك هرقل رحلنا من أرض الشام ونزلنا أرض مدين ونحن على خوف منكم وكاتبنا صاحب مصر وهو المقوقس لعله ان يأذن لنا أن نكون من أصحابه ونكون له عونا عليكم فما أجابنا الى ذلك فبعثنا الخيل العربية الى ولى عهده وصاحب الامر من بعده فلما كان فى هذه الأيام جاءتنا خلعة ورسالة بالدخول الى مصر فرحلنا اليهم فوقعتم بنا فلما سمع خالد منهم ذلك قال من حضر لم يسلم قليبا أوقعه الله فيه قريبا ثم عرض عليهم الاسلام فابوا فامر بقتلهم فقتلناهم عن آخرهم وقسمنا رحالهم وما كان معهم ووجدنا معهم الخلع التى وجهها اليهم ابن المقوقس ففرقها خالد على المسلمين وفيها خلعة سنية وكانت لمقدم القوم فاعطاها لرفاعة وسار واحتى قربوا من الجبل المقطم فرأوا جيش المسلمين فأرسل خالد رجلا من قبله وهو نصر ابن ثابت وقال له امض الى هذا الملك وقل له ان العرب أصحاب مدين قد أتوا النصرتك قال فمضى الرجل الى أن وصل الى عسكر القبط فاخذه الحرس وقال له من أنت قال أنا مبشر الملك بقدوم العرب المتنصرة الى نصرته قال ابن اسحق فاخذوا نصر بن ثابت وأتوا به الى سرادق الملك قال فلما وقفت بين يديه نادانى الحجاب أن اسجد للملك ففعلت وأنا اسجد لله تعالى حتى لا ينكروا على وكان قد صح عندهم أنه من امتنع من السجود فهو مسلم قال فلما رفعت رأسى قال لى الوزير يا أخا العرب أوصل أصحابك الى نصرة الملك فقلت نعم وها هم فى دير الجبل المقطم قال فلما سمع الملك ذلك أمر من حجابه أناسا ان يمضوا الى لقائهم وسرت فى جملتهم وأخذوا معهم الجنائب وأظهر وازى الفراعنة وخلع على نصر بن ثابت عوض بشارته وساروا الى لقاء المتنصرة * قال حدثنا عسكر ابن حسان عن رفاعة بن أوس عن موسى بن عون عن جده نعيم بن مرة قال كنت فيمن وجهه عمر بن الخطاب من أهل نخلة وكان خالد يحبنى ويقربنى لان أبى كان يسافر له ببضاعة الى سوق بصرى قال فلما رأى خالد أصحاب الملك قد أتوا قال لى خالد يا ابن مرة أريد أن أوصيك فقلت بماذا قال اعلم أن العدو قد أرسل يلاقينا وهو يظن أننا من متنصرة العرب ولا شك أن عمرو بن العاص ومن معه تجفل قلوبهم منا وأريد أن تنزل عن فرسك وتكمن خلف هذه الحجارة فاذا خلا لك الطريق فانسل نحو عسكر المسلمين وحدثهم بأمرنا وما قد عزمنا عليه من غدر القوم فان عمر الا يطمئن لغيرك واقرئه سلامى وقل له ليكن على أهبة فاذا سمع تكبيرنا يأمر أصحابه ان يرفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير فان ذلك مما يزيد فى رعب أعدائنا فقال نعم قال ففعلت كما أمرنى خالد ونزلت عن فرسى وأسلمته الغلامى دارم ومضيت نحو الجبل وكمنت بين الاحجار (قال الواقدى) وان خالدا أمر أصحابه بلبس الخلع التى أرسلها لهم ابن المقوقس فلبسوها فوق دروعهم ولبس رفاعة بن قيس وبشار بن عون أحسنها وغير خالد زيه والمقداد وعمار ومالك الاشتر قال فلما وصل مقدم جيش القبط قال خالد لرفاعة وبشار ترجلوا له واصقعوا بين يديه وصلبوا على وجوهكم فليس عليكم فى ذلك حرج واحلفوا بالمسيح والسيدة مريم واياكم والغلط بأن تذكروا محمدا صلى الله عليه وسلم فيفطن القوم بنا واجعلوا الجهاد نصب أعينكم وتوكلوا على الله فى جميع أموركم قال ففعلوا ما قال لهم خالد وترجلوا عند رسول القبط وصقعوا * قال حدثنا نصر بن عبد الله عن عامر بن هبار قال يا عم اعلم أن الله اذا أراد أمرا هيأ أسبابه وذلك انا لما أشرفنا على أول ديار مصر نزلنا على دير يقال له دير مرقص وكان ديرا عامرا بالرهبان فلما نزلنا عليه أشرف علينا أهله وقالوا من أنتم قلنا نحن

ثلاثة أشهر وستة أيام وخلع سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة وأقام أياما وجهز الى الاسكندرية ومات فى أيام خشقدم (ثم تولى بعده الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائى) فأقام أربع عشرة سنة وتوفى سنة سبع وخمسين وثمانمائة وعمر فى أيامه عمارات

من أصحاب الملك هرقل ملك الشام وقد جئنا النصرة صاحبكم فانه قد أرسل الينا يستنفرنا لاجل هؤلاء العرب
قال نفرحوا بنا ودعوا لنا وكان كبيرهم والمقدم عليهم فى دينهم شيخا كبيرا وكان من قسوس الشام وكان من
أعلم القوم بدينهم وأعرف الناس بآل غسان وكانت الضيعة قد أقطعها هرقل للملك جبلة بن الايهم وكان قد
دخل على جماعتها ولده هذا القس وكان اسمه يونوناس وان المسلمين لما فتحوا بعلبك وحمص هرب هذا القس
بأمواله وأولاده الى طرابلس وركب البحر فى مركب وتوصل الى مصر وبلغ خبره المقوقس فاحضره وسأله عن
حاله فحدثه بامره فخلع عليه وجعله قيما فى الكنيسة المعلقة التى فى قصر الشمع وصار من أصحاب سكناه فى دير
مرقص ولا يدخل مصر الا فى أمر مهم فلما نزل عمرو بن العاص ومن معه عليهم وقتل ابن المقوقس أباه احتاج الى رأى
البترك فأرسل اليه وأنزله فى الكنيسة وولى البترك مكانه هذا القس يونوناس بن لوقا فكان فى الدير فلما نزل
خالد بن الوليد ومن معه على الدير قال عامر بن المبارك الثعلبى فاشرف علينا وتأملنا وكان أعرف الناس بخالد
ابن الوليد لانه رآه فى مواطن كثيرة من الشام وكان صاحب حمص قد أرسله رسولا الى أبى عبيدة ليصالحوهم
قال فجعل يتفقدهم وينظر فى وجوههم ثم قال وحق المسيح ما أنتم من آل غسان وما أنتم الا من عرب الحجاز
وقد جئتم لتحتالوا علينا فانى رأيت امامكم الذى فتح الشام وقتل ملوكها وسوف أكاتب الملك بقصتكم ليقبض
عليكم فقالوا ما عندنا خبر من الذى تقوله وقد خيل لك ذلك أما علمت أن المسلمين ما خلوا لنا حالا وقد نهبونا
وأصبحنا بالذل بعد العز والفقر بعد الغنى وقد كتب الينا ملك مصر بان نجىء اليه فأرسل الينا بالخلع وطيب
قلوبنا قال عامر فضحك اللعين من قولى وقال لى ان آل غسان أكثرهم يعرف بكلام الروم وحق دينى ما أنتم
منهم وقد صح قولى انكم مسلمون فقلنا له يا ويلك لو كنا من الذين تقول عنهم ما كنا نأتيكم بالنهار وكنا نكمن
ونسير فى الليل حتى نصل الى أصحابنا وانك استحقرت المسيح اذ جعلتنا من أصحاب محمد فقد وقعت فى ذنب
عظيم ثم اننا نزلنا بالقرب منهم فقال أصحابه يا أبانا ليس هؤلاء القوم ممن ذكرت فلو كانوا مسلمين ما جسروا
أن يدخلوا أرض مصر فى ضوء النهار ولا يقربوا العمران فقال وحق دينى أنا أعرف الناس بهم وانهم مسلمون بلا
شك فامتنعوا منهم ولا تخرجوا لهم طعاما ولا ماء وسأنفذ خبرا للملك بذلك فيكون منهم على حذر قال عامر بن هبار
وكان من لطف الله بنا أن الرهبان الذين بالدير لما سمعوا كلامه قال بعضهم لبعض يجب علينا أن نأخذ لنا
منهم صلحا لنكون آمنين من غائلتهم ولا نبرح من ديرنا هذا فقال أكبرهم ان أنتم فعلتم ذلك فاننا لا نعلم من
ينصر من الفريقين أصحابنا أم العرب فان كان النصر لأصحابنا أخذنا من هذا القس أن يعلم بنا الملك اننا
صالحنا المسلمين بغير امره فانه يقتلنا وان هذا اللعين تعلمون أنه على غير مذهبنا وهو فى كل يوم يكفرنا لانه
نسطورى ونحن يعقوبية فان أنتم أردتم صلح هؤلاء العرب فدونكم وهذا القس فاقبضوا عليه وسلموه لهم
وخذوا منهم أمانا قال ففعلوا ذلك وقبضوا عليه وأشرفوا علينا وقالوا لنا بحق ما تعتقدون من دينكم أنتم من
أصحاب محمد أم لا فانا قد قبضنا على هذا اللعين ونريد أن نسلمه لكم وانكم تعطوننا أمانا فانا قوم لا نعرف حربا
ولا قتالا فقال لهم مالك الاشتر يا هؤلاء أما ما زعمتم من صلحنا فانا نصالحكم وما كان أمرنا بالذى يخفى ولا نرضى
بالكذب فانه أشنع شىء عندنا ولا سيما ان الاسلام يمنعنا من استعماله ولو أن السيف على رأس أحدنا اذا سئل
عن دينه أجاب به وتكلم بوحدانية الله تعالى ونحن من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولكم الامان وهذا أمان
الله ورسوله قال فلما سمع الرهبان من مالك ذلك نزلوا وفتحوا الباب وسلموا لنا القس فقال له خالد يا عدو الله
أردت أمرا وأراد الله خلافه ثم انه عرض عليه الاسلام فأبى وقال أنا هربت منكم من الشام ثم أوقعنى المسيح فى
أيديكم وما أظن الا أن المسيح مسلم فافعل ما أردت فضربوا عنقه قال عامر بن هبار وخرج الينا أهل الدير
بأجمعهم ومعهم الطعام والعلوفة فأكلنا وأقمنا عندهم الى الليل فقال شيخهم الذى أشار عليهم بقبض القس
الرومى لخالد أيها السيد انى قد تفرست فيك الشجاعة فبالله من أنت من أصحاب محمد فقال أنا خالد بن الوليد
المخزومى فقال أنت وحق دينى الذى فتحت بلاد الشام وأذللت ملوكها وبطارقتها وان صفتك عندى ثم انه
دخل الدير وأتى ومعه سفط ففتحه واذا فيه بين أوراقه ورقة وفيها صفة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
وزيه وصورته وصورة أبى عبيدة وصورة خالد بن الوليد والسيف فى يده مشهور وقال ما زلت أسمع أخبارك كلها
فلم عزلك عمر بن الخطاب وولى غيرك فقال خالد اعلم أن عمر هو الامام وهو الخليفة ومهما أمرنا فلا نخالفه فان

كثيرة من مساجد وقناطر وجسور وغير ذلك وكان مواظبا يحب الفقراء والأيتام والاحسان اليهم (ثم تولى بعده ولده عثمان) فاقام أربعين يوما وخلع وتوجه الى الاسكندرية (وولى بعده الملك الأشرف أبو النصر اينال العلائى) فاقام ثمان سنين وشهرين

الله

الله أمرنا بذلك فى كتابه فقال تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فطاعته فرض علينا لانه يحكم بالعدل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وانا قد وجهنا اليه خمس الغنائم من الفتوح كلها من الاموال فما ازداد فى الدنيا الا زهدا ولا آثر الدنيا على الآخرة بل مجلسه على التراب ولباسه المرقعة ويمشى فى سوق المدينة متواضعا راجلا فالتواضع لباسه والتقوى أساسه والذكر شعاره والعدل فى الرعية دثاره ومازال يعطف على اليتيم ويرفق بالأرملة والمسكين ويرفد أبناء السبيل فظ فى دين الله غليظ على أعداء الله قائم بشعائر الله لا يستحى من الحق ولا يداهن الخلائق فقال القس أكانت له الهيبة على عهد نبيكم قال خالد نعم سمعت سعد بن أبى وقاص يقول استأذن يوما عمر فأذن له فدخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر أضحك الله سنك يارسول الله قال عجبت من هؤلاء اللواتى كن عندى فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب فقال عمر أنت احق أن يهبنك وقال لهن ياعدوات أنفسكن أتهبننى ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن نعم أنت فظ غليظ دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غيره قال فلما سمع القس ذلك قال بركة نبيكم عادت على امامكم وعليكم فقال خالد وما يمنعك من الدخول فى ديننا فقال حتى يشاء صاحب هذه الخضراء ثم قال لخالد اريد ان أعطيكم من صلبان هذا الدير حتى تكمل حيلتكم قال وأخرج لهم صلبانا كثيرة فأخذها خالد ودفعها لرفاعة بن قيس وبشار بن عوف وتزيوا بزى الذين قتلوهم من آل غسان وارتحل خالد بعدما وكل بالدير عشرة من أهل وادى القرى لئلا يخرج أحد بأخبارهم ويقربوا للملك بذلك قال وعدنا الى سياق الحديث فلما أشرف أصحاب ابن المقوقس عليهم رأوهم وقد لبسوا خلع الملك وعلقوا الصلبان وشدوا الزنانير ورفعوا صلبانا من فضة كان قد أخرجها لهم القس فلما صعدوا للعجاب ركبوا وساروا حتى وصلوا الى سرادق الملك فترجلوا وقد أخذوا لهم اذنا فأذن لهم فدخلوا ودخل أولهم رفاعة وبشار ومن معه وخدموا الملك وسجدوا له ولم يدخل خالد ومن معه ووقفوا مع بقية العرب خارج السرادق وان الملك لما رآهم قال لهم يامعاشر العرب أنتم تعلمون محبتنا لكم وتقربنا لكم وقد طلبتم أن تكونوا أعوانا على هؤلاء العرب فان نصحتم لنا فى دولتنا شاركناكم فى مملكتنا وقاسمناكم فى ممالكنا ونعمتنا فقال له رفاعة ابشر أيها الملك سوف ترى ما نبذله فى محبتك يوم الحرب قال فخلع عليه وخرج من عنده وأمر لهم بخيام تضرب فى عسكرهم (قال) حدثنا عامر بن أوس عن جرير بن صاعد عن نوفل بن غانم عن سهل بن مسروق قال لما قدم الجيش الذى وجهه عمر بن الخطاب مع رفاعة وبشار وكان من أمرهم ما ذكرناه نظر اليهم عمرو بن العاص ومن معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلوا ينظرون اليهم والى زيهم فقال معاذ لعمرو ما هؤلاء من المتنصرة وان نفسى تأبى ذلك فقال عمرو والله يا أبا عبد الرحمن لقد نظرت بنور الله وانى نظرت فيهم واحدا واحدا ورأيتهم بزى وادى القرى وزى الطائف فقال شرحبيل بن حسنة وأنا نظرت أعجب من ذلك انى رأيت خالد بن الوليد فى جملتهم ولاحت لى عمامته وقلنسوته وثيابه التى كانت عليه يوم دخول طرابلس فقال يزيد بن أبى سفيان أنا والله رأيت مالكا الاشتر النخعى وعرفته بطول قامته وركوبه على فرسه ثم قالوا لابد أن ينكشف لنا خبرهم على جليته فهم فى الحديث اذ قد أتاهم نعيم بن مرة فلما رأوه تهللت وجوههم فرحا وسرورا فلما وصل اليهم وسلم عليهم وحدثهم بالحديث كله سجدوا لله شكرا وقال بعضهم لبعض أيقظوا هممكم وكونوا على يقظة من أمركم فاذا سمعتم التكبير فى عسكر العدو فبادروا اليهم ❊ قال ابن اسحق ولله فى خلقه تدبير وذلك أنه لما جن الليل جمع ارسطوليس بن المقوقس ارباب دولته وقال لهم قد ضاق صدرى من هؤلاء العرب وقال لهم قد غلا السعر عندنا الان أهل البلاد قد اجلت من خوفهم وان خيلهم تضرب الى الريف من هذا الجانب والى الصعيد من هذا الجانب والنوبة والبجاوة ما يأتينا منهما أحد للفتنة التى هى بينهم والرأى عندى أن نحارب هؤلاء العرب صبيحة عيدهم قالوا أيها الملك هذا هو الرأى فقال أخرجوا السلاح وفرقوه على من ليس معه سلاح هذا ما جرى عنده وليس عنده خبر بما جرى فى قصره بعد (قال ابن اسحق) وكان من حسن تدبير الله تعالى لعباده المؤمنين أنه كان للمقوقس أخ شقيق واسمه أرجانوس وكانا متحابين وكان المقوقس لا يقطع أمرا دونه وكانا اذا ركبا لا يفترقان واذا جلسا يجلسان معا على السرير وكان المقوقس قد دخل فى خلوته التى ذكرناو كان أخوه من محبته قد رتب هناك من يعرفه لما يخرج من خلوته فلما كان فى هذه النوبة

وستة أيام وتوفى سنة خمس وستين وثمانمائة ودفن بتربته التى أنشأها فى الصحراء (وولى بعده ولده أبو الفتح أحمد) فأقام خمسة أشهر وأربعة أيام وخلع ظلما مع كثرة محاسنه (وولى بعده الملك الظاهر خشقدم الناصرى) فأقام ست سنين وخمسة أشهر واثنين

استعطا دفاتى الى ابن أخيه فرآه على السرير فقال له مافعل الملك فقال انه فى خلوته الى الآن وقد رأى ان طالعه ضعيف مع هؤلاء العرب وقد أمرنى ان أكون مكانه حتى يرى مايريد من قتالهم أو صلحهم قال فكتم ارجانوس الامر فى نفسه وعلم ان أخاه قد قتل وكان ارجانوس ممن يعتقد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويعلم ان دعوته تطوف المشرق والمغرب وان الملوك تضمحل فى أيام أصحابه وسينزلون على البلاد فترك ارجانوس الامر موقوفا ولم يبد مافى نفسه لاحد فلما خرج ابن أخيه مع العسكر جمع ارجانوس الذين تركهم ابن أخيه لحفظ البلد فى قصر الشمع وقال لهم اعلموا ان العقل هو عمدة قوى ابن آدم لان الله قد خصه به دون سائر المخلوقات وان أخى قد قتله ولده لامحالة وقد كان محبا لكم ومشفقا عليكم واعلموا ان هؤلاء العرب قد كان قدامهم من ملكه أعظم من ملككم وماثبت بين أيديهم وليس بين دولتكم وبين أن تزول وتضمحل الا أن يلتقى هذان الجيشان وان ظفر بكم هؤلاء العرب قتلوكم ونهبوكم وسكنوا فى مساكنكم وأيتموا أولادكم فقالوا له أيها الملك فما يكون عندك من الرأى وما نفعل قال انى أرى من الرأى ان تستيقظوا لانفسكم وتغلقوا أبواب القصر ولاتدعوا أحدا يدخل عليكم من جند الملك ولا هو نفسه فانهم لايقدرون أن يقاتلوكم والعرب من ورائهم وانه يعدى الى الجانب الغربى ويمضى الى الاسكندرية ونعقد انا صلحا مع هؤلاء العرب على أنفسنا وأولادنا وحريمنا ونسلم لهم بعد ذلك فن أراد يتبعهم ومن أراد يعطيهم الجزية قال فاستصوبوا رأيه وعلموا أنه نطق بالحق وكان ارجانوس له فى سرايته ألف مملوك قال فاحتوى على قصر الملك وأخذ الخزائن والاموال وغلق أبواب قصر الشمع وفعل مافعل وليس عند ابن أخيه خبر الى أن ذهب من الليل نصفه أوأكثر فجاء اليه بعض خدمه وأخبره بما فعل عمه فأيقن بتلفه وخروج ملك مصر منه قال فبينما هو فى حيرة فى أمره اذ كبر خالد بن الوليد ومن معه فى وسط عسكره فسمع عمرو وأصحابه التكبير فكبروا ووقعت الخذلة على الكفار وحملت فيهم المسلمون ووضعوا فيهم السيوف فلما نظر ارسطوليس الى مانزل به والكبسة التى وقعت بعسكره لم يكن له دأب الا أن ركب وأحدقت به مماليك أبيه وأرباب دولته وطلبوا الهزيمة وقصدوا البحر وعدوا الجانب الغربى وطلبوا الاسكندرية فجازوا على مدينة مريوط وفيها الموبذان الساقى ومعه ثلاثة آلاف من عسكره فلما أن صاح الصائح فى مصر بأن الملك انهزم وماثبت أحد من عسكر القبط وولوا والسيف يعمل فيهم وغرق منهم فى البحر خلق كثير ونصر الله المسلمين انهزموا (قال ابن اسحق) حدثنى من أثق به أنه قتل فى تلك الليلة من عسكر القبط خمسة آلاف وغنم المسلمون أثقالهم وما كان فيها من الاموال فلما أقبل الصباح اجتمع خالد بالمسلمين وسلم بعضهم على بعض وهنوهم بالسلامة ودخلوا مصر وملكوا دورها وأحاطوا بقصر الشمع فاشرف عليهم ارجانوس بن راعيل أخو المقوقس وقال لهم يافتيان العرب اعلموا ان الله قد أمدكم بالنصر وقد فعلت فى حقكم كذا وكذا ولولا حيلتى على ابن أخى لما انهزم منكم وقد ظفرتم الآن ونحن نسلم اليكم على شرط أنكم لاتتعرضون لنا ولاتمدون أيديكم لنا بسوء ومن أراد منا أن يبقى على دينه يؤدى الجزية ومن أراد أن يتبعكم يتبعكم فقال لهم معاذ بن جبل قد نصرنا الله على الكفار بصدق نياتنا وصالح أعمالنا واتباعنا الحق وانا ماقلنا قولا الا وفيناه ولا استعملنا الغدر ولا المكر وأنتم لكم الأمان على أنفسكم وأموالكم وحريمكم وأولادكم ومن بقى منكم على دينه فلا نكرهه ومن اتبع ديننا فله مالنا وعليه ماعلينا فلما سمع أرجانوس ذلك نزل اليهم بالمفاتيح فأمنوه وأمنوا من كان معه فى القصر وجمعوا أكابر مصر ومشايخها وقال لهم ان الله قد نصرنا عليكم وقد انهزم ملككم منا وأنتم الآن فى قبضتنا وقد صرتم مماليكنا ومن أسلم منكم قبلناه ومن أبى استعبدناه فقالوا أيها الملك ماهكذا بلغنا عنكم قال وما بلغكم عنا قالوا سمعنا عنكم ان الله قد أسكن الرحمة فى قلوبكم وأنتم تعفون عمن ظلمكم وتحسنون الى من أساء اليكم وأنت تعلم اننا قوم محكوم علينا ولو كان الامر الينا لاتبعناكم فارفقوا بنا وانظروا فى أحوالنا فقال عمرو لاصحابه وللامراء ماترون من الرأى فى أمر هؤلاء القوم فقال شرحبيل بن حسنة اصنع ماأمر الله به من العدل فيهم واحسن اليهم وطيب خواطرهم فاننا اذا قصدنا غير هذه المدينة وسمع أيها الامير عنك أهل المدينة الأخرى بما فعلته مع أهل مصر يسلمون بغير منازعة ولاحرب فقال معاذ بن جبل وخالد بن الوليد والمقداد وعمار ومالك وربيعة ويزيد القول الذى قاله كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعمول به فقال عمرو لاهل مصر قد أمناكم على أنفسكم وأولادكم وحريمكم منعمنا عليكم وقد وضعت عنكم جزية هذه السنة وفى السنة الآتية نأخذ منكم الجزية من كل محتلم أربعة دنانير ومن

وعشرين يوما وتوفى سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وكان فيه شح وطمع ودفن بتربته التى أنشأها بالصحراء (وولى بعده الملك الظاهر أبو سعيد بلباى العلائى) فأقام سبعة وخمسين يوما وخلع وجهز للاسكندرية فأقام بها الى أن مات (وولى بعده الملك الظاهر تمربغا

أسلم منكم قبلناه قال فلما سمع أرجانوس بن راعيل كلام عمرو قال لقد أنصفت وان الله بهذا نصركم وقد وقفت الآن على صحة دينكم وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله واشهدوا على ان كل ماتركه أخى من الاموال والقصور والثياب والمتاع هو هبة منى اليكم عما فعلتم مع أهل بلدى قال فلما نظر أهل مصر الى أرجانوس وقد أسلم دخل أكثرهم فى الاسلام وعمد عمرو الى الكنيسة وعملها جامعا وهو المعروف به الى يومنا هذا وجمع الاموال التى أخذها من وراء القبط المنهزمين ومن منازلهم وما كان فى قصر الملك وأخرج الخمس وأعطى كل ذى حق حقه ثم كتب كتابا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبعث الخمس والكتاب مع علم بن سارية وسلم المال والكتاب له وسير معه مائة فارس وأمره بالمسير الى المدينة فاستلم الخمس وسار حتى قدم المدينة وسلم المال والكتاب لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما قرأه حمد الله شكرا وأمر بالمال الى بيت المال فقال علم بن سارية يا أمير المؤمنين ان عمرا يسلم عليك ويقول لك ان القبط كانوا استسنوا سنة فى نيلهم فى كل سنة وذلك أنهم كانوا اذا أبطأ عليهم الوفاء فى النيل يأخذون جارية من أحسن الجوارى ويزينونها بأحسن زينة ويرمونها فى البحر فيأتى الماء ويفى النيل وقد قرب ميقات ذلك ولا يفعل عمرو شيأ الا باذنك فقال كتب عمر بن الخطاب * بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت مخلوقا لا تملك ضرا ولا نفعا وأنت تجرى من قبل نفسك وبأمرك فانقطع ولا حاجة لنا بك وان كنت تجرى بحول الله وقوته فاجر كما كنت والسلام وأمره أن يدفعه لعمرو بن العاص يرميه فيه وقت الحاجة اليه ثم انه كتب * بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فالسلام عليك وانى أحمد الله وأصلى على نبيه واذا وصل اليك كتابى هذا فاطلب أعداء الله حيث كانوا واياك أن تلين جانبك لهم وانظر فى أحوال الرعية واعدل فيهم ما استطعت واطلب العفو بالعفو عن الناس وأجر الناس على عوائدهم وقوانينهم وقررهم واجبا فى دواوينهم وأعل رسوم العافية بالعدل فانما هى أيام تمضى ومدة تنقضى فاما ذكر جميل واما خزى طويل ثم انه سلم الكتاب الى علم بن سارية فسار هو ومن معه الى أن قدموا مصر وسلم الكتاب الى عمرو فاما كتابه فقرأه على المسلمين وأما كتاب النيل فانهم قد كانوا عدوا الى الوفاء وتوقف النيل على الوفاء وقد يئس الناس من الوفاء فى تلك السنة فمضى عمرو الى النيل وخاطبه ورمى فيه كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فلما رماه فيه هاج البحر وزاد فوق الحد ببركة عمر بن الخطاب وانقطعت عن أهل مصر تلك السنة السيئة ببركة عمر رضى الله عنه (حدثنا) محمد بن يحيى بن سالم عن عدى بن يحيى بن عوف قال لما بلغنا أن عمرا افتتح مصر وأتى الى الكنيسة المعظمة عندهم وجد فى مذبحها بيتا مغلقا واذا فيه صورة من الفضة وأمام الصورة شخص آخر وفى يده أعلام وهى على صفة الصورة التى وجدها النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة لما افتتح مكة فدعا عمرو بالقسوس وقال لهم ما هذه الصورة قالوا هذه صورة ابراهيم وأبيه آزر فتبسم عمرو وقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين فقال معاذ بن جبل لما قدمت من اليمن سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجهه قترة فيقول له ابراهيم ألم أقل لك لا تعصنى فيقول آزر اليوم لا أعصيك فيقول ابراهيم يارب انك وعدتنى أن لا تخزينى يوم يبعثون فأى خزى أخزى من هذا فيقول الله حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول له يا ابراهيم انظر الى ما تحت قدمك فينظر الى الريح وقد أخذت أباه فتلقيه فى النار قال ثم أمر عمرو بالصورتين فكسرتا وعبر عسكر المسلمين الى الجانب الغربى وقد تقدم خالد فترجل الى نحو الاسكندرية وتقدم على مقدمته عبد الله يوقنا وسار يوما وليلة هو وبنو عمه وهم بزى الروم

﴿ذكر فتوح مدينة مريوط﴾

قال ابن اسحق وكان قد بلغ الموبذان الذى مع الثلاثة آلاف وهم فى مدينة مريوط وقد حصنها لما حصل فلما قدم عليه يوقنا قال له الموبذان ما الذى أقدمك علينا فقال يوقنا ان المسلمين وجهونى اليك وهم يعرضون لك على خلاص نفسك ويأمرونك بتسليم هذه المدينة اليهم ولك الأمان على نفسك وأهلك ومالك ومن أردت ولك الخيار فى المقام تحت يد الاسلام أو الانفصال فان اخترت المقام فلا مانع عنك وان أردت المسير أوصلناك الى أى موضع أردت فلما سمع الموبذان ذلك قهقه ضاحكا وقال وحق دينى ان الغدر شعاركم والمكر دثاركم فلا أفلح

الظاهرى) فأقام ثمانية وخمسين يوما وخلع وذهب الى دمياط ثم أعيد الى الاسكندرية ومات بها (وولى بعده الملك الاشرف أبو النصر قايتباى) الظاهرى المحمودى نسبة للخواجا محمود وللظاهر جقمق معتقه وهو السادس عشر من الملوك

من آمن لكم وأما أنا فلا أخون الملك فى بلده وأنا وهو فى أرض واحدة وسوف أبعث اليه بان أقدم اليه واساعده عليكم جزاء بما عملتموه من الخديعة وستعلمون على من تدور الدائرة ومن يكونن المغبونين فى الآخرة وأنتم يا معشر الروم قد كفرتم بالمسيح وجحدتم السيدة أم النور وخرجتم من ملة الحواريين وأردتم هؤلاء العرب الجياع الاكباد العراة الاجساد وان يغنوا عنكم شيأ وحق المسيح لابعثن بكم الى الملك فيقتلكم على كفركم وكان يوقنا قد ترك جماعته ومضى فى عشرين رجلا منهم اليه يعمل عليه حيلة فلما دخل عليه أنزله فى دار الضيافة فوضعوا سلاحهم فلما أكلوا الطعام وتحادثوا وكان قد فطن بهم وأمر غلمانه أن يكونوا على حذر أن يهجموا عليهم فيقبضوهم ويريد بذلك أن يرسلهم الى الملك الى الاسكندرية ورماهم فى بيت مظلم فى دار امارته وأقام ينتظر غفلة من عسكره وكانوا قد أحاطوا بالبلد وكل بهم جارية اسمها ماريناوهى أخت مارية التى أرسلها المقوقس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت أختها اشقيقتها وسلم اليها المفاتيح لمنزلتها عنده وقال لها احفظى عليهم لأرى ما أنظر فيهم قال فلما جن الليل واشتغل عدو الله الموبذان بالشراب قال فصبرت ريناالى أن غرق فى سكره هو ومن معه ونام وأمنت على نفسها فأتت الى الباب وفتحت على يوقنا وأصحابه وقالت لهم ابشروا لاخوف عليكم فان الله قد جعل رحمتكم فى قلبى وأنا أخت مارية التى أهداها المقوقس لنبيكم وانى أريد منكم أن توصلونى عند أختى مارية فقال لها يوقنا ابشرى بما يسرك ولكن أخاف عليك من عدو الله فاترين فقالت والله ما جئتكم حتى سكر ونام فقال يوقنا اعرفينا الطريق التى نسلكها الى قومنا قالت ان هذا المكان فيه سرب يخرج الى ظاهر البلد وهو مبنى من قديم الزمان وبابه الخارج مبنى عليه قبة على أعمدة وتحتها قبر بين المقابر فكل من رآه يظن أنه قبر وان الذى بنى هذه المدينة امرأة يقال لها نعمان بنت عاد وصنعت هذه المقابر التى وراء التل وهى كأنها قصور مشيدة وكان فيها أناس سكنوها فقال يوقنا افعلى بنا ما يقربك الى الله تعالى ورسوله واعلمك أن تنزلينا من هذا السرب حتى نذهب الى أصحابنا ونأتى بهم من هنا ما دام الموبذان سكران وهو نائم فقالت سأفعل ذلك ان شاء الله تعالى غير انى أريد أن أفتح لكم باب السرب قبله حتى لا تتفرقوا (قال الراوى) وقد مضت رينا أخت مارية وأشرفت على الموبذان فاذا هو ومن معه صرعى من الخمر فتركتهم وعادت الى باب السرب لتفتحه واذا هى تسمع وراءها حسا ففزعت ووقفت تسمع * قال حدثنى عبد الرازق بن يحيى عن سليمان بن عبد الحميد عن سفيان الاعمش عن أوس بن ماجد وكان ممن شهد فتوح مصر والاسكندرية قال لما نزل خالد بن الوليد على مريوط بجيشه تفقد يوقنا وقال لاصحابه انه من وقت أن بعثته برسالتى الى مريوط للموبذان ما عاد قالوا أيها الامير انه من وقت ما دخل اليه ما خرج ونحن فى انتظاره فعلم خالد ان يوقنا قبض عليه فبات مهموما من أجله وكان خالد صاحب همة وعزيمة لا ينام من خوفه على المسلمين وكان معه جواسيس قد أخذهم معه من كل اقليم وقد اصطفاهم لنفسه وهو يحسن اليهم وأينما ذهب يكونوا معه ليأتوه بالاخبار فبينما هو فى غم بسبب يوقنا واذا هو بواحد منهم قد دخل عليه وأعلمه ان ولد الموبذان قد أتى من اسكندرية من عند ارسطوليس ومعه خلع وهدايا لابيه ومعه خمسمائة فارس وقد بلغه أنكم محاصرون أباه فترك العسكر وما معه بالبعد وانفرد ومعه خادمان وأتى وما نعلم ما يريد قال فلما سمع خالد ذلك قام وأخذ معه غلامه همام وأربعة ممن يعتمد بهم وأبعد وقعد على سفح التل من نحو اسكندرية ونظر الى التل واذا بولد الموبذان ومعه الخادمان قصدوا الى وراء التل عند تلك المقابر التى وصفتها رينا ليوقنا وقصدوا القبة فمشى خالد وراءهم وفرق جماعته من أربع جهات القبة وكبسهم واذا هم قد فتحوا طاقا فى وسط القبة فأخذهم خالد فلما رآه الموبذان ارتعدت فرائصه وخاف فقال خالد ان صدقتمونى أمنتكم وان لم تصدقونى رميت رقابكم فقال الغلام أنا أصدقك أنا ولد الموبذان وكنت عند الملك فى اسكندرية وقد أنفذ معى خمسمائة فارس عونا لابى وحفظا لهذه المدينة فنحن فى الطريق واذ جاءتنى الجواسيس بانكم نازلون على البلد فأوقفت العسكر وأتيت الى هذه القبة فقال له خالد وما الذى تريد من هذه القبة ألكم فيها سلاح أم مطلب فيه مال قال لا قال فما تريد منها قال الغلام ان أمنتنى قلت لك الحق فقال له خالد قد أمنتك على نفسك فقبل يده وقال يا مولاى أريد أمانا لابى ومن يلوذ به فأعطاه فقال اعلم أن هذه القبة على سرب والسرب ينتهى الى دار الامارة ودار الامارة فى وسط هذه المدينة قال فلما سمع خالد ذلك تهلل وجهه فرحا وسرورا وقبض على الغلام وعلى الخادمين وأمر همام وواحدا آخر من معه

الجراكسة والحادى والاربعون من ملوك الترك بويع يوم خلع الظاهر تمربغا سادس رجب عام اثنين وسبعين وثمانمائة فاقام تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر وعشرين يوما وتوفى سنة احدى وتسعمائة ودفن بقبته بالصحراء وقبره ظاهر يزار وكان ملكا جليلا له

ان

أن يفتحوا السرب ففتحوه فارسل هماما الى العسكر وأمره أن يأتى بهم فى السرب وان يأتوا معهم بالنار والزيت والقناديل وأن يسرع بذلك وكان ذلك التل عاليا والذين فى المدينة لا ينظرون ماوراءه فلما أقبل همام بعطايه خالد وقدوا المسارج ونزلوا فى السرب وابن الموبذان أمامهم فوصلوا الى الباب واذا بربناعند الباب تريد فتحه ليوقنا ومن معه فلما سمعت حسهم قالت من أنتم فاشار خالد لابن الموبذان أن كلمها فقال لها أنا فلان ابن الموبذان افتحى ولا تعلمى أبى قاذ فلم يبق لها بد أن تفتح الباب ففتحت فصعد خالد ومن معه فقبضوا على ربنا فقالت لهم ياقوم دعونى فانى أردت أن أخلص أصحابكم وجئت لافتح لهم هذا الباب وأنزلهم اليكم وتملكوا هذه المدينة من ههنا وقد أتى بكم رب العالمين وأنا ربنا أخت مارية زوجة نبيكم فلما سمع خالد ذلك فرح وقال لها واين أصحابنا فاتت بهم عندهم فحلوا وثاقهم وأتوا الى دار الامارة فوجدوا الموبذان لا يشعر بنفسه من الخمر فوكل به جماعة وأمر الباقين أن يملكوا السور وقبضوا على الحرس ونزلوا الى الابواب وكان لها بابان فكسروا أقفالهما وفتحوهما وأرسل الى بقية العسكر فدخلوا المدينة والكل فى حكم الليل فلما أصبح الصباح استيقظ الموبذان ومن معه واذا بالمسلمين حولهم وكل من فى المدينة قد أسر فقال له خالد ياعدو الله لولا أنى أعطيت ولدك الامان كنت قتلتك شر قتلة ولكن خذ أهلك وانصرف فانا قوم اذا قلنا قولا نعمل به وفهم الموبذان أن ولده قد دلهم على السرب فلما خرج الموبذان باهله قال ولده لخالد يامولاى ان أنا مضيت معه قتلنى ولست أريد بغيركم بدلا وأنا أقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال له خالد ان قصر أبيك ومافيه لك وعرض خالد الاسلام على أهل مريوط فاسلم أكثرهم ثم ان خالدا قال ليوقنا رحمه الله ابشر من الله بالرضوان والغفران والثواب فبصبرك على الشدائد فتح الله علينا هذه المدينة فقال والله مافتحها الا بفضله وبركة نبيه صلى الله عليه وسلم وكتب خالد الى عمرو بن العاص يبشره بفتح مريوط ونحن معولون على الدخول الى اسكندرية وأرسل الكتاب اليه (قال ابن اسحق) وأقام خالد بمريوط لاجل ذى الكلاع الحميرى لانه مرض معه وكان مرضه شديدا فجلسوا عنده شهرا ولم يفارقه خالد فقدر الله له بالوفاة فحزنوا عليه حزنا شديدا عظيما فكان ذو الكلاع ملك حمير وكان قبل دخوله فى الاسلام يركب له اثنا عشر ألف مملوك سود سوى غيرهم قال أبو هريرة الدوسى رضى الله عنه ولقد رأيته بعد تلك الحشمة يمشى فى سوق المدينة وعلى كتفه جلد شاة لما قدم من اليمن الى الجهاد فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه فلما مات رثاه ولده تنوخ بمارثى به حمير أباه سبا بن يشجب فى الزمن المتقدم وهو

عجبت لسوء لماذا فعل * وسلطان عزك كيف انتقل * وسلمت ملكك ذا طائعا
وسلمت للامر لما نزل * فيومك يوم رفيع النزال * ودورك فى الدهر دور رحل
فلا يبعدنك فكل امرئ * سيدركه عرسنين الاجل * ائن صحبت نائبات الزمان
وشت مع الدهر وجه الامل * لقد كنت بالملك ذاقوة * لك الدهر بالمزعان وجل
بلغت من الملك أقصى المدى * نقلت وعزك لم ينتقل * فطمحت آفاته والمدى
وجئت من العرب حول الدول * حويت من الدهر اطلاقه * ونلت من الملك مالم ينل
وحملت عزمك ثقل الامور * فقام بها حازم واستقل * صحبت الدهور فهنا تها
ومامر عيشك فيه فعل * بنيت القصور كمثل الجبال * ذهبت فلم يبق الا الطلل
نعمنا بأيامك الصالحات * ومشربنا بك وابل وطل * تؤمل فى الدهر أقصى المنى
ولم تدر بالامر حتى نزل * فزالت امزلك شم الجبال * ولم يك حزمك فيها هبل

﴿ذكر فتح اسكندرية﴾

قال وعول خالد على المسير الى اسكندرية (حدثنا) زياد بن أوس الطائى عن معمر بن الرشيد قال لما نزل خالد بعد رحيله عن مريوط قال له عيونه انه لما انهزم ابن المقوقس وأتى الى اسكندرية وبلغه فتح مصر صعب عليه قال وكانت اسكندرية عامرة كان فيها الخلق كثيرا والمراكب فارسل مراكب وعمرها بالرجال وأمرهم أن يكبسوا سواحل بلاد الشام على المسلمين فقالوا سمعا وطاعة ومضوا الى ساحل الرملة فوجدوا بالليل نيرانا كثيرة فسألوا من كان خبيرا بالبلاد فقالوا هذه نيران المسلمين النازلين ههنا فقالوا هذه حاجتنا التى جئنا فى طلبها فنزلوا وقصدوها واذا بها حلة من حلال دوس بنى عم أبى هريرة وكان معهم طائفة من بجيلة وفى جملتهم ضرار بن الازور

اليد الطولى فى الخيرات وكانت أيامه كالطراز المذهب وهو واسطة عقد ملوك الجراكسة وسار فى المملكة بشهامة ماسارها أحد قبله من عهد الناصر محمد بن قلاوون وله العمارات الكثيرة من مساجد ومدارس ورباطات وغيرها وهى باقية الى الآن (ثم تولى من

وهو مريض وأخته خولة معه تمرضه وكان أبو عبيدة أمرهم بالنزول هناك لأجل كثرة المرعى وهم آمنون
مطمئنون من الروم وغيرهم لان دولة الروم قد انصرمت وأيامهم قد ولت فما فطن القوم الا وقد كبسهم القبط
فى حندس الليل ووضعوا فيهم السيف فقتلوا منهم رجالا وأخذوا منهم أسارى ومن جملتهم ضرار وأخته وأخذوا
ما قدروا على حمله وأتوا بهم المراكب وكان جملة من أسروه من الرجال والنساء والاولاد والعبيد الفا ومائة
فوضعوهم فى المراكب وأقلعوا بهم من ايلتهم وساروا طالبين اسكندرية (قال ابن اسحق) وكان أبو عبيدة قد
استوطن طبرية لكونها فى وسط البلاد وهى قريبة من الاردن والشام والسواحل وان أبا هريرة قد أتى ليزور
قومه فى تلك الايام ويسأل عن حال ضرار وكانوا يحبونه لشجاعته فاتى أبو هريرة ومعه حليف له من بنى بجيلة
فاصبحنا تلك الليلة فى الحى واذا بهم قد اخذهم القبط وبيوتهم مطروحة والرجال مقتولة وآثارهم منبوذة
ووجدوا من الذين انهزموا أناسا مجروحين فسألوهم فقالوا ما عندنا خبر حتى كبسنا قوم نصارى وما نعلم من أى
الطوائف هم ولم نفق حتى وقعوا فينا بالسيوف فقتلوا ما ترون وأسروا الباقين وأخذوهم فى مراكبهم فقال أبو
هريرة لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وساروا الى ساحل البحر فلم يروا لهم أثرا فلما عولوا على الرجوع اذا
بلوح من ألواح المراكب تلعب به الامواج وعليه شخص فوقفوا له حتى أقبل وخرج الرجل واذا به أمير دوس
وحيان ابن عم أبى هريرة فلما رآه ترجل له وعانقه وهنأه بالسلامة وقال له يا ابن العم ما وراءك فقال هجم العدو
علينا ليلا وأسرونا وساروا فلما توسطنا البحر بعث الله بريح فغرقت مركبنا وقد نجانى الله على هذا اللوح فقال
له ومن أعداؤكم قال من قبط مصر وانى سمعتهم يذكرون اسكندرية كثيرا قال فرجع أبو هريرة يطلب
طبرية وأتى ابن عمه الى مكان الحلة حتى يلم شعث الناس ويداوى المجروحين فجمع ما تركوه وأتى بهم الى الرملة
وأما أبو هريرة فاتى أبا عبيدة وأخبره بما جرى فاسترجع وبكى وقال أعوذ بالله من الساعات الرديئة ثم قال والله
ائن وصلوا الى اسكندرية ما بقيتهم صاحبها طرفة عين ويموت ضرار ويمضى دمه هدرا وكتب الى عمرو بن
العاص يعلمه بذلك ويحذره من صاحب الاسكندرية وانه أسر الفا ومائة من جملتهم ضرار وأخته وكانت تداويه
وهى عنده فاذا وصل اليك كتابى هذا فاجتهد فى خلاصهم وان وقع فى أيديكم أحد من القبط ففادوهم به ودفع
الكتاب لزيد الخيل وأمره أن يسير الى مصر فلما قدم زيد الخيل الى مصر دفع الكتاب لعمرو بن العاص فلما
قرأه صعب عليه وكان يحب ضرارا فارسل الكتاب الى خالد بن الوليد وكتب اليه يحثه بالمسير الى اسكندرية
وانه يفتقد حال الاسرى فلما وصل الكتاب الى خالد وقرأه صعب عليه أمر ضرار وأخته خولة ﴿حدثنا﴾ ابن
اسحق قال حدثنا عاصم بن منصور عن أحمد المروزى عن سلمة عن عبد الله بن المبارك عن عبد العزيز عن
أبيه قال لما أخذت النصارى حلل دوس وضرارا وأخته وعصفت عليهم الريح وغرق احدى المراكب
ووصل الباقى الى اسكندرية أوقفوهم أمام ابن المقوقس فاراد قتلهم فقال له أرباب دولته أيها الملك لا تعجل
عليهم واعلم أن العرب متوجهة اليك ولابد لنا من قتالهم فان أسر أحد منا ممن يعز عليك يكون عندنا من
نفادى به واعمل أن تصالح العرب فاستصوب رأيهم وقال ادفعوا هؤلاء الاسرى الى دير الزجاج وأرسل معهم ألفى
فارس يوصلونهم الى الدير فجاءت عيون خالد وأخبروه بما وقع فقام وأخذ معه أصحابه وسار يطلب دير الزجاج
فوصل خالد الى الدير قبل وصول الاسارى ومن معهم فلما أحدقوا بالدير أشرف عليهم راهب كبير السن وكان اسمه
مباحا وكان تلميذا لبحيرا راهب بصرى وكان مؤمنا بالله وبانبيائه فقال له خالد يا راهب كيف ترى الدنيا قال
تخلق البدن وتجدد الامل وتقرب الامنية وتقطع المنية قال فما حال أهلها قال من نال منها شيأ أنغصته ومن
فاته منها شئ أحسرته قال فما خير الاصحاب فيها قال العمل الصالح والتقى قال فما شر الاصحاب فيها قال اتباع
النفس والهوى قال خالد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث
وجدها ثم قال كيف طابت لك الوحدة قال ألفتها قال فهل نلت منها فائدة قال نعم الراحة من مداراة الناس
قال فما أحسن هذا الاعتقاد لو كان فى دين الاسلام والتوحيد قال فما أعرف غيره قال فما تقول فى محمد بن
عبد الله صلى الله عليه وسلم قال سيد الرسل وخاتم الانبياء وصفى الاصفياء وحجة الجبار على الورى قال
لم لا تكون فى بلاد الاسلام فهى أصلح لك من ههنا قال قلبى ما لوث بحب الدنيا قال خالد أعندك خبر
بالعرب الاسرى الذين أرسلهم الملك هنا قال لا والله ولكن مر بى البارحة بطريق وأسقف واستقيا ماء

بعده ولده محمد أبو
السعادات) وهو فى سن
البلوغ سنة احدى
وتسعمائة فاقام ستة أشهر
ويومين ثم خلع فى ثامن
عشر جمادى الاولى بعد
ثبوت عجزه عن السلطنة
بحضرة القضاة والخليفة
المتوكل على الله
وولوا بدله الملك الاشرف

من بئر هذا الدير فسألتهم امن أين أتيتم فقالا من الاسكندرية وانا رسل الملك كيماويل صاحب أرض برقة وانه أرسلنا الى ملك القبط يسأله أن يرسل له أسرى من عرب المسلمين حتى يراهم ويسمع كلامهم فاجاب أنه يرسل منهم جماعة وانا ماضون نعلم صاحب برقة بذلك فقال خالد لعلكم من المسلمين الذين فتحوا بلاد الشام قال خالد نحن هم فقال الراهب ان أخباركم عندى فى كل وقت وأعلمك أنى رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وهو فى قافلة قريش وأنا عند بحيرا فلما مات بحيرا انتقلنا الى هذا الدير واعلموا انه ما بقى بارض الكنائس ولا بارض العقبة ولا بارض الرمادة أحد ولا ديار من راهب ولا قس الا وقدم لزيارتى ويسألنى عنكم وعن نبيكم ويقولون لى أنت كنت على طريقهم ورأيت نبيهم فشرحت لهم دينكم وأرشدتهم الى ما ظهر من معجزات نبيكم صلى الله عليه وسلم ولقد جرى بينى وبين راهب منهم بالقرب مناظرة وقال لى ان النبى الذى بشر به عيسى المسيح بن مريم ليس هذا فقلت له بلى هو والله النبى العربى فقال لى انا سمعنا فى العلم أن الرسول الذى يظهر بارض الحجاز يعرج به الى السماء وما سمعنا أن هذا عرج به فقلت بلى والله أنا سمعت بانه عرج به الى السماء وخاطب العلى الاعلى وأصبح فأعلم بذلك قريشا ثم قال لخالد اعلم ان فى وسط هذا الجبل ديرا يقال له دير المسيح وقد استولى عليه بطريق ومعه جماعة وهو يقطع الطريق على قوافل العرب وانه منذ زمان قطع الطريق على قافلة وفيها شخص من بلادكم وهو مسلم فاخذ القافلة وعرى أهلها وأطلقهم وقبض على ذلك المسلم وأخذ ماله ووضعه عنده فى العذاب الشديد والرجل يستجير فلا يجار ويقول له ما أطلقك حتى تكفر بالرحمن وتسجد للصلبان ثم انه يأتيه بصورة من نحاس وعلى رأسها عمامة سوداء ويقول له هذه صفة نبيكم وينصبه قباله ويصب فضلة كأسه على رأس هذه الصورة وذلك الرجل يستجير من فعاله قال فلما سمع خالد ذلك أخذ معه شرحبيل بن حسنة وعامر بن ربيعة ويزيد بن أبى سفيان وهاشم بن سعيد والقعقاع ورفاعة وترك بقية العسكر محيطة بالدير ومضوا الى وسط الجبل فوجدوا الدير فوصلوا اليه واذا بالبطريق قد أقبل ومعه وحش مذبوح وقد قصد الى شجرة بالقرب من الدير وتحتها عين ونزل على العين وصاح بغلمانه فاتوا اليه وأضرموا النار وجعلوا يشوون له وهو يأكل ويشرب الخمر وقال لهم هاتوا المحمدى فاتوه برجل قد ركبه الذل وغلبه القهر فلما رآه قال له أنت غلبتنى بتجلدك على العذاب وحق دينى لا أرفع عنك العقوبة حتى ترجع عن دينك الى دينى فقال له اصنع ما بدا لك فانى أعلم ان الكل بمشيئة الله وبارادته وانى صابر على مر البلاء وما أرجع عن دين محمد المصطفى قال فهم أن يقوم اليه ليضربه فصاح به خالد بن الوليد وحمل عليه وطعنه فاخرج السنان من ظهره وقتل غلمانه وخلصوا المسلم ونزلوا على العين ولم يكن لاهل الدير شرب الا من تلك العين فاشرف عليهم الرهبان من أهل الدير وقالوا ما نحن أهل سيف حتى نقاتلكم وقد نهانا كم نبيكم عن قتل الرهبان فقال خالد سلموا الينا مال هذا البطريق وعياله وأطفاله ونحن نتركم فى ديركم ففتحوا لهم وسلموا لهم جميع موجوداته وأخذوا الاسير وساروا فسأله خالد من أين أنت فقال أنا امية بن حاتم أخو عدى وقد أخذنى هذا فى أواخر أيام أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فانى كنت طالب برقة مع قافلة ومعى بضاعة فاخذها وأخذنى وكان أمر الله قدرا مقدورا قال فرجعوا عند أصحابهم ولم يأتوا القبط فالحقوا ان ينزلوا عن خيولهم الا والراهب صاح بهم استعدوا للقاء عدوكم فانهم قربوا منكم فتجهزوا للقاء العدو واذا بهم قد أقبلوا وضجيج الاطفال وبكاء الناس وأنين الرجال وصراخ المأسورات وصياح القبط عليهم يسوقونهم من ورائهم وزفير الفرسان وهفيف الصلبان والعربيات تنادى بالويل والهوان وخولة بنت الازور على مقدمة الاسارى وهى تقول

جل المصاب وزاد الويل والحرب * وكل دمع من الاجفان ينسكب * ومادت الارض مما قد بليت به
حتى توهمت أن الارض تنقلب * جالت يد القبط فينا عند غفلتنا * واستحكم القبط لما زالت العرب
لهفى على بطل قد كان عدتنا * فيه العفاف وفيه الدين والادب * قد كان ناصرنا فى وقت شدتنا
أعنى ضرار الذى للحرب ينتدب * فيه الحمية والاحسان عادته * فيه التعصب والانصاف والحسب
لو كان يقدر أن يرقى مراكبه * كان العدو وفى والحرب تلتهب * أو كان خالد فينا حاضرا وطنا
لزال عنا الذى نشكوا ونتعب * لو كان يسمع صوتى صاح بى عجلا * مهلا فقد زال عنك البؤس والعطب

قال فلما سمع خالد نداءها قال لبيك يا بنت الازور قد جاءك الفرج وذهب عنك الحرج فاطبقوا على القبط فا

قانصوه مملوك والده قايتباى فاقام احد عشر يوما ثم وقعت فتنة وهرب ولم يعلم حاله فاعيد السلطان محمد بن قايتباى ثانيا للسلطنة بعد ثبوت رشده فاقام سنة وستة أشهر ونصف شهر ثم

كان بعيد حتى قتلوا منهم سبعمائة وأسروا ألفا وثلثمائة وخلصوا الاسرى وسلموا على ضرار وهنؤه بالسلامة ووَدَّعوا الراهب بعدما كتب له خالد كتابا بأن له من طعام الاسكندرية صاعا ولكل من سكن الدير من أهله وقبيلته ثم انهم ساروا طالبين الاسكندرية وهم سائقوا الاسرى من القبط بين أيديهم قال وكان الملك ارسطوليس لما سمع بان العرب قد أتوه اخرج عسكره وضرب خيامه خارج باب السدرة قال فلما قدم المسلمون وقع الصائح بقدومهم ووقع الخوف فى قلب الملك وعسكره وقالوا أيها الملك ما الذى تدبر فى أمر هؤلاء العرب قال وماعسى أن أدبر والخوف قد ملأ قلوبكم وهم طمعوا فيكم ورأوا أنكم تنهزمون ولا تخافون العار واذا قاتلتموهم كانت قلوبكم متفرقة وأهواؤكم غير متفقة وقد أسروا رجالكم ولم يرهبوا قتالكم ولا مانع عنهم ولو ان أصحابهم الذين أرسلتهم الى دير الزجاج عندى لكنت صالحتهم باطلاقهم ودفعناهم عنا وقد فرطنا أيضا فى الالفين الذين أرسلتهم معهم فلو كانوا فينا لقاتلوا معنا فقال له وزيره أيها الملك هل لك أن ترسل اليهم وتحدث معهم فى أمر الصلح ونحن نسلم اليهم أصحابهم فقال انهم لم يقبلوا منكم رسولا منذ صبأنا عليهم بحر الحصى فبينما هم فى ذلك واذا بصاحب البحر قد أتى اليه وهو الموكل بالنار وأخبره انه رأى مركبا قد ظهرت من قبل الغرب ولا أعلم من أين اتت فقال لا شك أنها من عند صاحب برقة الملك كيماويل وقد أنجدنا فاقبلت المركب ورميت مراسيها ونزل منها شيخ مهيب مليح الشيبة ظاهر الهيبة وعليه ثياب من الصوف الاسود ونزل معه عشرون شيخا من القسوس والرهبان فلما نزلوا الى البر جاءتهم الخيول بالمراكب المذهبة والغلمان والحجاب وعظموا شأنهم وأركبوهم وساروا بين أيديهم الى أن أوصلوهم الى الملك وأدخلوهم عليه فقام لهم وعظم شأنهم وأجلس ذلك الشيخ معه على السرير (قال الراوى) وكان ارسطوليس قد أرسل هدية الى الملك صاحب برقة وأرسل اليه يعلمه بأفعال العرب فى مدة قيصر وانهم قد أتونا ومن جملة ما أرسل له يقول أيها الملك اعلم أن الدنيا دار زوال وانتقال فما وهبت الا واستردت ولا فرحت الا وأحزنت فالمغرور من تشبث بذيلها واطمأن اليها والسعيد من لبس ثياب الحذر منها وعمل لدار المقر أما ترى أيها الملك الى هرقل ملك الشام كيف هرب وزال ملكه وذلك عندما رمته الدنيا بمصائبها وشتتته بسهام نكائبها بعدما كانت فى وجهه مشرقة ولا يخطر له هم الاعداء على بال وما ضربت لك هذا المثل الا لعلمى أن الدنيا لا تبقى على حال وهؤلاء العرب قد داسوا وعلوا على البلاد وأذلوا بسيوفهم العباد وقد أقاموا لهم شرعا بالسيوف الحداد وقد ملكوا القياصرة وقد جاءت طائفة الينا وأخذوا مصرمنا وأخذوا مملكتا وحكموا فى بلادنا بعدنا ولا بد لهم منك ولا غنى لهم عنك والصواب أن تشمر لهم عن الهمم وتنجدنا على من بغى وأجرم فنحن جيرانك وكنا أجنادك وأعوانك والسلام (قال الواقدى) فلما وصلت الهدية والكتاب عرضه على أرباب دولته وقال لهم ما ترون فيما كاتبكم به صاحب مصر والاسكندرية فقالوا له أيها الملك ما زالت الملوك يستنصر بعضها ببعض والذى أشار به هو الحق وان العرب اذا ملكت ملك القبط فلا بد لهم منا والعبور الى بلادنا فابعث اليه بنجدة ونكون نحن وهو يدا واحدة فالمسيح يعطى النصر لمن يشاء فاجابه الى ذلك وأمر ابن أخيه اسطفانوس أن يمضى فى أربعة آلاف وأمره أن يسير لمعاونة صاحب اسكندرية ثم انه أرسل خادمه الى عالم أرضهم والمشار اليه فى علم النصرانية وهو البترك واسمه سطيس وكان عمره مائة وعشرين سنة وكان تلميذ زير وساوزير وسا تلميذ مرقس ومرقس تلميذ يوحنا ويوحنا أحد حوارى عيسى المسيح وكان هذا البترك سطيس مؤمنا بالله وموحدا وسمع باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته وهو مؤمن من قبل مبعثه وظهوره حتى بلغته أخباره صلى الله عليه وسلم وانه مات فبكى لموته ولزم زاوية الحزن ولم يظهر خبره لاحد مدة من الزمان وقد بنى له صومعة وانفرد بها وجعلها على قارعة الطريق فما مرت به قافلة الا واستخبرها عنه ويسأل عمن جلس بعده للمسلمين خليفة فقالوا أبو بكر وبلغه موته وولاية عمر ثم بلغه فتوح الشام وقدوم الصحابة الى مصر وفتحها فلما أرسل صاحب مصر يستنجد صاحب برقة وأرسل أخاه أرسل هذا البترك فى مركب يبشره بقدوم اسطفانوس الى نصرته فلما وصل اليه وبشره فرح بذلك وقال يا أبانا أريد منك أيها الملك أن تسير الى هؤلاء العرب وتختبر دينهم ونبيهم وتدعوهم الى الصلح وتعلمهم أن فى أيدينا جماعة منهم أخذناهم من ساحل الرملة وقد أنفذت بهم الى دير الزجاج فان أرادوا أصحابهم أطلقناهم لهم ونعطيهم شيئا من مالنا ونعقد لنا ولهم الصلح بانهم لا يرجعون الينا ولا يتعرضون لنا فقال البترك سأفعل ذلك وانى قد قرأت فى الكتب

شرع فى اللهو واللعب ومخالطة الاوباش وارتكاب أمور لا تليق منها أن والدته جهزت له جارية وأدخلتها عليه فقفل الباب وربطها من يديها ورجليها وصار يسلخ جلدها كالجلادين

السالفة فوجدت فيها ان الله يبعث نبيا من أرض تهامة تعرض عليه مفاتيح الارض وكنوزها فلا يلتفت اليها ولا يعيرها ناظره ولا يختار الا الفقر على الغنى وان أصحابه يتبعون سنته وأنا استخبر حالهم قبل سيرى اليهم فقال الملك وكيف تستخبر حالهم يا أبانا قال أيها الملك ارسل بغلة من مراكبك وعليها مركب من ذهب مرصع بالمعادن وتأمر غلمانك أن يسيروا بها ويرسلوها نحو عسكر المسلمين فان أخذوها فاعلم أنهم يحبون الدنيا ولا يريدون الآخرة وان ردوها فنعلم انهم يطلبون ما عند الله قال ففعلوا ذلك وأرسلوها وكان وافى حكم الليل وكان فى الحرس شرحبيل بن حسنة فلما رأى البغلة وما عليها من الزينة ضحك وقال ان أعداء الله يريدون اختبارنا ومعرفة أحوالنا ان كنا نطلب الدنيا أو الآخرة فوالله ما منا من يميل الى ما يفنى وانما بغيتنا فيما يبقى ثم قرأ انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ثم أمسك بعنان البغلة وأطلقها نحو عسكر القبط قال فلما رأوها صلبوا على وجوههم وقال الملك والله بهذا نصروا وبذلنا رأى الله ان أبى كان على بصيرة من أمرهم ثم أمر البترك سطيس أن يتوجه اليهم فمضى فلما قرب منهم رأى أقواما قد هجروا الدنيا فمنهم القارئ ومنهم الذاكر لباسهم الصوف صغيرهم يوقر كبيرهم وكبيرهم يرحم صغيرهم وصوت أحدهم لا يعلو على الآخر الذكر كلامهم والقرآن شعارهم والتقوى لباسهم والخوف من الله أنيسهم فلما دخل على عسكرهم سأل عن أميرهم وصاحبهم فدلوه على موضع خالد فقصده فلما وصل اليه وجده فى ذكر الدين والقيامة فنزل عن بغلته ووقف أمامه وأومأ اليه بالسجود فمنعه خالد فقال له أنت أمير هؤلاء القوم قال كذلك يزعمون انى أميرهم ما دمت على الحق واتباع العدل والانصاف والخوف من الله محسنا للمحسنين منهم مشددا على المسيئين منهم فمتى حدت عن هذه الاشياء فلا امارة لى عليهم فقال البترك أنتم والله القوم الذين بشر بكم عيسى بن البتول وان الحق معكم لا يفارقكم قال فأمره خالد بالجلوس فجلس وقال يا معاشر العرب أخبرونى عن نبيكم فقال خالد ان الله اختار من ولد آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر كنانة واختار من كنانة قريشا واختار من قريش بنى هاشم واختار من بنى هاشم عبد المطلب واختار من عبد المطلب عبد الله واختار من عبد الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقال كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وقال لما خلق الله العرش كتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فلما وقع آدم فى الزلة رأى على ساق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فقال يا رب من هذا قال ولدك يا آدم الذى لولاه ما خلقتك قال يا رب فبحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فقال يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد فى أهل السموات والارضين اشفعناك ثم ان الله جعل اسمه مقرونا باسمه وذكره مع ذكره ووسمه بما وسم به نفسه فقال ان الله بالناس لرؤف رحيم وقال فى حقه بالمؤمنين رؤف رحيم وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وقال يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان الله عز وجل رفع ذكره وعظم فخره وأعز قدره فقال تعالى ورفعنا لك ذكرك وهذا غاية الشرف والتعظيم والتبجيل والتكريم وقال يا محمد لا أذكر حتى تذكر معى فمن أحبك فقد أحبنى ومن سبك فقد سبنى ومن جحدك فقد جحدنى ومن أنكر نبوتك فما عرفنى وها أنا اشهد على نبوتك فقال عز من قائل ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم وقال فى موضع آخر وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله قال فلما سمع البترك ذلك من خالد فرح وقال لقد نجا من اتبعه وخسر من فارقه ثم جدد اسلامه على يد خالد وحدثهم بأمره من أوله الى آخره ثم حذرهم من أخى صاحب برقة وانه واصل ومعه أربعة آلاف فارس وانى قد سبقته فى السير وهذا الملك القبطى يريد صلحكم فقربوه على انكم تصالحونه أن يعطيكم شيأ من المال ويسلم اليكم قوما من أصحابكم قد أخذهم من ساحل الرملة فقال خالد ان أصحابنا قد فك الله أسرهم وجمع بنا شملهم وقد نصرنا الله على القبط الالفين الذين كانوا مع الاسارى فانا أخذنا ألفا وثلثمائة أسير وقتلنا سبعمائة ثم انه عرضهم عليه وعرض الاسلام عليهم فأبى أكثرهم وأسلم بعضهم فأمر خالد بضرب رقابهم بين العسكرين ثم ان البترك عاد الى صاحب اسكندرية وقال له هؤلاء لا تغلك غرتهم لانهم حذرون من أعدائهم وعرفه بقصة أصحابه وانهم هؤلاء الذين ضرب بوارقابهم قبالك فقال له يا أبانا ومن أين لهم هؤلاء قال قد وقعوا بهم وخلصوا أصحابهم وأسروا من أصحابك ألفا وثلثمائة وقتلوا سبعمائة قال فلما سمع ابن المقوقس ذلك سقط فى

وهى حية فلما سمعوا صراخها أرادوا الهجوم عليه فما أمكنهم لانه قفل الباب وأحكم قفله من داخل واستمر كذلك الى أن سلخها وحشا جلدها بالثياب ثم خرج يفتخر بحسن صنعته ومعرفته بالسلخ واستمر فى حركاته

يده وأيقن بالاف مالكه وقال لارباب دولته وعسكره خذوا أهبتكم للقتال وكانكم بعسكر الملك كيماويل صاحب برقة وقد أقبل عليكم ونقاتل هؤلاء العرب بقلوب قوية وأسرار نقية ويعطى الله النصر لمن يشاء وباتوا وهم معولون على القتال (قال ابن اسحق) ولقد بلغني أن الملك نام بقية ليلته فرأى فى منامه كأن شخصا أشقر عريض الصدر قد خرج من حمام ومعه شخص آخر مليح الوجه حسن الخلق وسيم قسيم فى عينيه دعج وله نور يسطع كأنه قمر فقال ابن المقوقس للاشقر من أنت قال ابن العذراء البتول أنا المسيح بن مريم وهذا الذى بشرت به من قبل مبعثه هذا محمد رسول الله العربى الأمى من آمن به فقد اهتدى ومن جحد نبوته فقد اعتدى وقد جئنا النصرة صحابه ومقامنا على القبة (قال ابن اسحق رحمه الله) ولقد بلغنى ان برج القبة مما يلى باب البحر وذلك ان الاسكندر لما بنى الاسكندرية وسماها باسمه كان الخضر وزيره وهو الذى بنى الباب الاخضر وصنع تلك القبة باسمه ورسمه وكان يأوى اليها انصار ذلك الباب مشهورا به الى يومنا هذا قال ثم ان عيسى عليه السلام قال للملك فى نومه ان كنت من أمتى فاتبع شريعة هذا النبى وذهب عنه فلما أصبح حدث أرباب دولته بما رأى فى نومه فقالوا ايها الملك هذه أضغاث أحلام وما كان عيسى المسيح يماشى العربى وهو عدوه وانما الشيطان قد خيل لك ذلك ولا تلتفت اليه قال فاصغى الملك الى كلامهم ثم انه أمر عسكره بالقتال فركبوا وصافوا المسلمين وأما الملك فانه نظر الى برج القبة واذا بالقبة يسطع منها نور فدخل الوهم فى قلبه مما رأى فى منامه وقال والله ما هذا النور الا نور المسيح ومحمد وان هذا هو الحق لا شك فيه (حدثنا ابن اسحق) حدثنا عامر بن بشر عن الاحوص قال كنت فى خيل خالد بن الوليد يوم قتالنا على الاسكندرية قال لما وقفنا فى ميدان الحرب وقف مقابلنا فارس وهو بطريق عظيم الخلقة وعليه لبس اللامة وتحته جواد عربى فنادانا بالعربية بلسان فصيح وقال يا عرب انصرفوا عنا فانا لا نريد حربكم وقد ملكتم منا مصر والصعيد وأكثر الريف وقد بقى فى أيدينا هذه الجهة وما نحن منازعونكم فيما أخذتموه منا ونحن لا ننازلكم البغى ونصالحكم صلحا نعرده عن ظهر أنفسنا ونبذل فى رعيتنا او ان أبيتم عن صلحنا القينا كم باسرار نقية وقلوب للجهاد قوية فنردكم على أعقابكم منهزمين وفى أذيال الذل متعثرين لانه ما عدا أحد على أهل هذا الدين الا ذل وانهزم لانه قوم لنا الكنائس الاربع والصوامع والبيع والقسوس والرهبان والمذابح والقربان والانجيل والصلبان ثم سكت عن كلامه (قال الراوى) وكان هو الملك بن المقوقس فكان أول من بادر الى رد جوابه شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له لقد فخرت بما يؤدى صاحبه الى البوار ويعقبه سوء الدار يا ويلكم أتفتخرون علينا بالشرك والطغيان وعبادة الصلبان والكفر بالرحمن ونحن أولو التقى والايمان والفوز والرضوان والقبلة والقرآن والحج والاحرام والصلاة والصيام والاجتهاد والاحترام ديننا أفضل الأديان ونبينا المبعوث بالمعجزات والبيان وبالآيات والبرهان وأنزل عليه القرآن ومن اتبعه نال من ربه الغفران ومن جحد محبته باء بغضب الملك الديان الذى كان ولا مكان ولا دهر ولا زمان ولا وقت ولا أوان شهد لنفسه بالربوبية ولصفاته بالأزلية ولذاته بالأحدية ولملكه بالأبدية سلطانه قاهر وكرمه ظاهر وتدبيره محكم وقضاؤه مبرم وعرشه رفيع وصنعه بديع وليس بوالد ولا مولود ولا لذاته حد محدود ولا لبقائه أجل ممدود خضعت الأعناق لعظمته وخشعت الاصوات لهيبته وعنت الوجوه لعزته وذلت الأقوياء لقوته لا يحصى نواله ولا يفنى كماله ولا تبيد نعمه وافضاله يا ويلكم كيف طاب لكم الكفر بالهيته والاشراك بربوبيته وان تجعلوا له ولدا من خلقه وبريته وتسجدون للصلبان فى دار مملكته ولا تفزعون من عظمته ثم انه قرأ ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون ثم قال شرحبيل ان لله عبادا لو أقسموا على الله أن يدك لهم هذا السور لفعل وكانت اشارته الى سور المدينة فغار السور فى الارض وبانت المنازل والدور قال فارتعدت فرائص الملك لما عاين ذلك من عظيم القدرة فلوى عنان جواده الى عسكره وأفئدتهم قد طارت وأفكار القبط قد حارت فلما جن الليل أخذ الملك خزائنه وأمواله وحريمه وعياله وركب فى المراكب وسار يريد جزيرة أقريطش فلما أصبح الصباح وقع الصائح بالمدينة بأن الملك قد انهزم فاجتمع الاكابر وقالوا ان الملك قد انهزم وما لنا من يدفع هؤلاء العرب

الشنيعة الى أن قتل فى بحر الجيزة وجاؤا به وهو مقتول الى القاهرة ودفن فى تربة أبيه فى سنة أربع وتسعمائة (وولى بعده الملك الظاهر) قانصوه الاشرفى القايتبائى خال محمد بن قايتباى بذلت له اخته مالا كثيرا وولته

قال نفر جوابا جمعهم الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقفوا بين يدى خالد وقالوا ان الله قد نصركم
بحق وأيدكم بصدق وانا نريد منكم أن تعاملونا بالنصفة وتنظروا الينا بعين الرحمة والعدل سنة من كان
قبلنا منكم من الروم فقال خالد ما فعل ملككم قالوا انهزم بأهله وماله فى البحر فقال نحن قوم قد أسكن الله الرحمة
فى قلوبنا وبصرنا بمعالم ديننا وأظهرنا على أعدائنا وفضلنا على سائر من كان قبلنا من الاجناس فقال
تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس ونحن نجريكم على أحسن عوائدنا مع سائر من فتحنا بلادهم وقد امسكنا
عنكم ولو أردنا أن نملك البلد بالسيف لهان علينا ولكن خير الناس من قدر وعفا ونريد منكم مائة ألف مثقال
ذهبا صلحا عن أنفسكم وأهاليكم وندعوكم بعد ذلك الى الاسلام فمن أجاب منكم كان له ما لنا وعليه ما علينا ومن
عدل عن ذلك أخذنا منه الجزية عن السنة الآتية من كل رجل وغلام بالغ الحلم أربعة دنانير ونشرط عليكم
شروطا أن لا تركبوا دابة ولا تعلوا دوركم على دور المسلمين ولا ترفعوا أصواتكم عليهم ولا تبنوا كنيسة ولا صومعة
ولا ديرا ولا تجددوا ما دثر وتلقوا المسلمين بالذل والانكسار وتسارعوا فى قضاء حوائجهم وما يريدون من اصلاح
شأنهم ولا تعدلوا عن تعظيم أهله ومن أذنب منكم ذنبا حددناه ومن ارتد عن قولنا قتلناه وان تشدوا الزنانير
على خصوركم اظهار الدينكم وأن لا تظهروا ناقوسا ولا صليبا ولو آمنتم بالله ورسوله لكان خيرا لكم فقالوا
ايها الامير ما نترك ديننا فقرأ واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان
الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله
عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم
قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ فقالوا أيها الامير نريد أن تولى علينا رجلا من ناحيتك يجمع المال الذى تقرر
علينا فيعامله بالعدل وليكن معه رجل منكم من أصحابكم فقال خالد انى لا أعرف أحدا من أجاويدكم فاختاروا
لانفسكم برضاكم من اوليه عليكم فأشاروا الى رجل منهم اسمه شيعا ابن شامس وكان مقدما فى القبط فولاه خالد
على جمع المال ورياسة البلد وندب معه قيس بن سعد وأوصاهم وقال خذوا من كل واحد ما يحتمل حاله ومن
كان معسرا ضعيفا فاندعوه واحسنوا ان الله يحب المحسنين ولا تظلموا يتيما ولا فقيرا ولا أرملة فتعجب القبط من
حسن وصيته وكلامه فدخل القوم واجتمعوا فى دار الامارة وبعث شيعا غلمانه يجمعون الناس (قال حدثنا)
جرير بن عاصم عن نعيم بن موسى الدارانى عن سليمان بن عوف عن جده مازن بن سعيد قال وقع القسط على
أهل اسكندرية فكان أكبرهم فى الحشمة وأعزهم فى المال يزن عشرة قراريط وأوسطهم حالا يزن قيراطين
واقد أتى برجل من أغنيائهم اسمه براس لا يدرى ما يملك من المال والدبش والغنم وكان أبخل أهل زمانه فقال
له شيعا قد وجب عليك فى هذا المال دينار قال وحق المسيح ما أنا بالذى يؤديه ولو مت وان تصدقت به كان
أفضل من عطيتى للعرب فقال له قيس بن سعد ان فى الذى نأخذه منكم صونا لانفسكم وحفظا لدمائكم ونحن
ما نأخذه على وجه الصدقة منكم بل نأخذه حلالا لا حراما ياويلك لو دخلناها دينتكم بالسيف ألست كنت أنت
أوّل من قتل وملك أوّل ما نهب وقال له شيعا خذلك الله واعنك كل من فى اسكندرية يعلم انك كنت أوّلا فقيرا
لا تقدر على شئ من أمور الدنيا وقد آتاك الله من فضله ووسع عليك رزقه فقال ألست ورثته عن آباء
كرام وأجداد عظام وما لله علىّ من فضل قال فغضب قيس وقام اليه وقمعه بقرعة كانت معه وقال له
كذبت يا عدوّ الله ورسوله الفضل والحمد والمنة لله لانه رزقنا من فضله وأسبغ علينا من نعمه وان تعدّوا
نعمة الله لا تحصوها ثم قال قيس اللهم انه جحد نعمتك فأزلها عنه قال فوالله ما مضى يومه حتى جاء الخبر بأن
أغنامه قد هلكت جميعا وبساتينه يبست ودياره قد تهدمت وأمواله ذهبت قال قيس الله أكبر هذا والله
حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو هريرة بجانبى * قال ان ثلاثة من بنى اسرائيل كان أحدهم
أبرص والآخر أقرع والآخر أعمى فبعث الله اليهم ملكا فأتى الابرص فقال له أى شئ أحب اليك فقال الجلد
الحسن والابل فأتى الاقرع فقال له أى شئ أحب اليك قال الشعر الحسن والغنم وأتى الثالث فقال له أى شئ
أحب اليك فقال النظر والبقر قال ثم ان الملك مسح بيده على جلد الابرص فعاد أحسن جلده وأعطاه ناقة
عشراء فبارك الله له فيها حتى ضاقت بابله الديار وأما الاقرع فأتاه ومسح بيده على رأسه فأنبت الله له شعرا حسنا
وأعطاه نعجة عشراء فتوالدت الى أن ضاقت بها تلك الديار ثم أتى الاعمى ومسح بيده على عينيه فعادتا أحسن

وفى ربيع بالسلطنة بحضرة
الخليفة والقضاة سابع
عشر ربيع الأول سنة
أربع وتسعمائة وكانت
سيرته حميدة ورتب لاهل
الازهر فى أيام رمضان الخبز
والحرمزة وضاعفها الغورى

عينين وأعطاه بقرة عشراء فتوالدت الى أن ضاقت بها تلك الديار قال ثم أتاهم ليمتحنهم فاتى الابرص فقال له كنت أبرص فقيرا الا تملك شيأ فاعطنى مما آتاك الله من هذه الابل ناقة أتسبب عليها فقال ما كنت فقيرا ولا أبرص وانما ورثت هذا المال من آبائى قال فذهب الى الاقرع وقال له مثل ما قال للابرص فقال مثل ما قال الابرص فذهب الى الثالث وقال له مثل ما قال لصاحبيه فاجاب بان قال بسم الله والله لقد صدقت فاذهب الى هذه البقر فاقسمها بينى وبينك فقال له بارك الله لك فى مالك وقد رد الله صاحبيك كما كانا فانهما كفرا نعمة الله (قال الراوى) وجمعوا المال ومضوا به الى خالد وبنى فيها المساجد وأخذ كنيستهم العظمى فجعلها جامعا وترك لهم أربع كنائس وكتب الى عمرو بن العاص يعلمه بفتح اسكندرية ففرح وركب وترك موضعه أباذر الغفارى وذهب الى الاسكندرية وبنى فيها جامعا فى الربض وهو معروف بجامع عمرو الى يومنا هذا

﴿ذكر فتح مدينة دمياط وما والاها﴾

(قال الراوى) وأتت اليه أهل رشيد وفوة والمحلة ودميرة وسمنود وجرجة ودمنهور وزوابيار والبحيرة وصالحوه على بلادهم ثم انه بعث المقداد ومعه أربعون فارسا وهم ضرار ورافع وشاكر ونوفل وراجح وعاصم وفارس وعروة وسهل وعمير وكعب وسعيد ويزيد وصعصعة وغيرهم وأمرهم بالمسير الى دمياط وأمر عليهم المقداد بن الاسود الكندى فساروا الى البراس ودمياط كان بها خال الملك المقوقس وكان عسكره اثنى عشر الفا وكان قد حصن البلد وجمع فيها من آلة الحصار من الزاد وغيره قال فلما أشرف عليه الصحابة ونظر الى قلتهم ضحك وقال ان قوما ينفذون الينا منهم أربعين ليملكوا بلدنا انهم لفى عجز وقلة عقل قال وكان ولده الاكبر فارسا مشهورا فى جميع بلاد النيل وكان اسمه هربرا وكان يثق به وبشجاعته وبراعته وليس فى عينيه الفرسان شيأ فلما رأى الصحابة وهم أربعون قفز اليهم وهو لابس لامة حربه وطلب البراز فخرج اليه ضرار بن الازور وحمل عليه فطعنه فقتله وحمل على عسكر دمياط فالجأهم الى حيطان البلد وهو كأنه النار فى الحطب فاستعاذ منه الجيش ثم ان خال الملك وكان اسمه الهامرك اجتمع بارباب دولته وقد صعب عليه قتل ولده وكان عندهم حكيم يثقون به وبرأيه ويعتمدون على عقله فاحضروه وقالوا له أيها الحكيم العالم ما الذى تشير به علينا فى أمر هؤلاء العرب فقال أيها الملك ان جوهر العقل لاقيمة له وما استضاء به أحد الاهداه الى سبيل نجاته وقاده الى معالم مصالحه وهؤلاء القوم لاتذل لهم راية ولا تلحق لهم غاية قد فتحوا البلاد وأذلوا العباد واشتهر أمرهم وعلا ذكرهم وفشا خبرهم وعلت كلمتهم وطافت الارض دعوتهم فما أحد يقدر عليهم ولا يصل اليهم وما نحن باشد من جيوش الشام ولا أمنع بلدا وهؤلاء القوم قد أيدوا بالنصر وغلبوا بالقهر وان الرحمة فى قلوبهم فعاهدهم فما عاهدوا عهدا وخانوا وما حلفوا يمينا فكذبوا وقد بلغك ماهم عليه من الدين والصيانة والصدق والامانة والرأى عندى أن تصالحوهم لننال بذلك الامن وحقن الدماء وصون الحريم ودفع الامر العظيم ونكون قد صالحناهم ودفعناهم بشئ من مالنا قال فلما سمع الهامرك ذلك من الحكيم أمر بضرب عنقه فلما عرف الحكيم أن المنية قد غشيته قال اللهم انى برئ مما يشركون بك لاشريك لك ولا ولد لك ولا صاحبة لك وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال فلما سمع الهامرك كلامه ضربه فقتله وأمرهم بان يأخذوا على أنفسهم للحرب فلما كان الغد خرجوا الى ظاهر دمياط ونصبوا خيامهم قال وكان للحكيم ولد ورث فضائل أبيه وكان فيه فطنة وعقل وتدبير فلما قتل أبوه أظهر الفرح والدعة للملك الهامرك وقال لقد أراحنى الملك منه ومن شره فبلغ الهامرك ما قاله ابن الحكيم فارسل اليه وخلع عليه وطيب قلبه فلما كان الليل قال والله لآخذن بثار أبى من هذا اللعين ومن أولاده وكانت داره ملاصقة للسور فنقب نقبا واسعا وخرج منه وقصد الصحابة فلما رأوه قالوا له من أنت قال ان أبى قد قتل من أجلكم وقد نقبت نقبا وخرجت منه فقوموا على بركة الله وعونه حتى تملكوا المدينة منه فقال له ضرار يا ويلك وان الذى بعثك بهذه الحيلة أراد قتلك أما علمت ان الحذر شعارنا واليقظة دثارنا وهم بقتله فقال له المقداد أمهل يا ضرار وفقك الله الى الخير ووقاك الألم والضير ثم قال المقداد انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو يشير الى شخص بين يديه وكأنما يقول على زى هذا الغلام وكأنما أتأمل الى هذا الغلام فرأيته على ما هو عليه الآن وكان على وسطه منطقة من الاديم وفيها حلق فضة وهى تحت أثوابه ثم ان المقداد قال يا غلام اكشف عن أثوابك فكشف عن أثوابه واذا المنطقة

وزادها فاقام فى السلطنة سنة وثمانية أشهر ثم خلع (وولى بعده الملك الأشرف) جانبلاط فاقام نصف سنة وخلع سنة خمس وتسعمائة وبنى المدرسة الجنبلاطية خارج باب النصر وهدمها الفرنسيس فى سنة أربع

بعينها فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام المسلمون فصافحوه ومضى الغلام أمامهم الى أن دخل بهم النقب ووسعوه بأيديهم حتى دخلت خيولهم ثم ردوا الحجارة والطين والبناء على حاله وأعمى الله أبصار القوم عنهم فلما كان الغد نظر أعداء الله فلم يروا للصحابة أثرا ولا خبرا فضجوا بكلمة كفرهم وماجوا وقالوا هربت العرب ووقع الصايح فى العسكر فظهر أهل البلد ليقفوا على صحة الخبر ولم يبق فى البلد سوى النساء والاطفال قال ابن اسحق وكان للحكيم بنوعم ثمانون رجلا وان ولده طاف عليهم بالليل وأعلمهم بما فعل فاقبلوا معه وأسلموا عن آخرهم فلما كان الغد وخرج كل من فى البلد بادر بنوعم الحكيم واخوته الى الابواب فأغلقوها وأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فوقعت الجندة على النساء والصبيان واستوثق القوم من المدينة بالثمانين رجلا فامسكوهم الابواب وخرج الصحابة رضى الله عنهم ورفعوا أصواتهم يكبرون ويدعون الله عز وجل فلما نظر لهم أهل البلد علموا أنهم قد ملكوها وان الذى فعل ذلك بنوعم الديرجان الحكيم وقد أغلقوا الابواب وقفلوها وملكوا السور فوقف الملك ينظر الى ما فعله الصحابة وعلم أن المدينة أخذت منهم وكان فى أولاده ولد عاقل لبيب كامل الذات والصفات وافر العقل وكان منذ نشأ يتبع العلماء ويجالسهم ويطلب العلم ومنذ ملك عقله ما أكل لحم خنزير ولا كشف ذيله على محرم ولا سجد لصورة ولا لصليب وكان هم أن يبنى صومعة وينفرد فيها فلم يمكنه أبوه من فرط محبته له وكان لا يستطيع فراقه وهذا الغلام اسمه شطا وكان يحب أن يسمع أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبحث عنها فلما نظر الى الصحابة وقد ملكوا منه البلد وشطا عن يمين أبيه نظر شطا الى الصحابة والى زيهم والى نور الايمان وهو ساطع منهم قال فشخص شطا نحو السماء ببصره وصاح وسقط عن قربوس فرسه بوجهه قال فارتاع أبوه وجميع عسكره من تلك الصيحة فلما افاق قال له أبوه يا بنى ما الذى رابك قال ظهر والله الحق وبان وقد تبينت لى حقيقة الايمان وقد نظرت الى عسكر هؤلاء العرب وعليهم نور عظيم ومعهم رجال عليهم ثياب خضر وهم على خيول شهب وبينهم قبتان معلقتان فى الجو بلا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وفيها رجال ما رأيت أحسن من وجوههم ولا شك انهم الشهداء ورأيت فى احدى القبتين حورا لو برزن لأهل الدنيا لماتوا شوقا اليهن وان الله تعالى ما كشف عن بصرى وأرانى ذلك الا وقد أراد لى الخير وما كنت بالذى بعد هذه الرؤيا أبقى على الضلال ولا أتبع المحال وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وحرك جواده وقال من أحبنى من رجالى وغلمانى فليتبعنى قال فتبعه من القوم ألف رجل ولحقوا بالصحابة وألقوا سلاحهم وأعلنوا بكلمة التوحيد قال فلما نظر البامرك الى مافعل ولده شطا قال والله ما فعل ولدى شطا ذلك الا وقد رأى الحق واستأشك فى عقله ودينه ثم انه أسلم ولحق بولده فلما نظر أرباب دولته ذلك قالوا اذا كان الملك وولده قد أسلما فما ارقوفنا نحن فاسلموا جميعا على أيدى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا المدينة فمن أسلم تركوه ومن أبى أخرجوه الى بلاد الاراياف قال وفتح المقداد النقب الذى دخلوا منه وأمر ببنائه بابا فسماه باب اليتيم وهو ابن الحكيم وترك عندهم المقداد رجلا من الصحابة يعلمهم شرائع الاسلام وهو يزيد بن عامر رضى الله عنه ورجع المقداد وأصحابه الى اسكندرية وحدثوا عمرا بما فتح الله عليهم من دمياط ففرح بذلك وكتب كتابا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بفتح مريوط والاسكندرية ودمياط ورشيد وفوة والمحلة ودميرة وسمنود وجرجة ودمنهور وأبيار والبحيرة وبعث الكتاب مع عامر بن لؤى

﴿ذكر فتح جزيرة تنيس﴾

قال حدثنى زياد عن حميد الطويل عن يونس بن الصامت عن نصر بن مسروق قال لما فتحت دمياط وكان من أمرها ما كان قال البامرك لولده يا بنى ان الله قد أنقذنا من نار الجحيم وقد هدانا الى الصراط المستقيم وذلك لسابقة سبقت لنا فى القدم وهذه تنيس بالقرب منا وهى جزيرة ولا يمكن التوصل اليها الا فى المراكب والصواب أننا نكاتب صاحبها أباثوب وندعوه الى الله والى دين نبيه فان أجاب والا قصدناه والله ينصرنا فقال شطا هذا هو الرأى وأنا أكون الرسول اليه بنفسى فقال يا بنى اعزم على بركة الله وعونه قال فركب شطا فى مركب وأخذ معه أربعة من غلمانه الخواص فلما نظر يزيد بن عامر الى ذلك قال وأنا أسير معك الى صاحب تنيس فانه لو سألك عن ديننا ومعالمه لم يكن عندك به علم بأن تكلمه ونحن بحمد الله ما فينا من يتكبر ولا من

عشرة ومائتين بعد الالف وكان فيها قبتان ليس لهما نظير فى مصر (وولى بعده الملك العادل طومان باى) وكان من أعيان مماليك قايتباى وكان بالشام فبويع هناك ثم جاء الى مصر وبويع له أيضا بقلعة

يتجبر وماطلبتنا الا الآخرة والعمل بما يقربنا الى الله ثم سار معه يزيد بن عامر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصلوا الى جزيرة تنيس وفيها رجال يحفظونها فلما نظر والى شطا وغلمانه وبينهم رجل بدوى قالوا من انتم قال لهم شطا أنا ابن الملك البامرك صاحب دمياط ومعنا هذا الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جئنا كم رسلا قال فارسلوا منهم واحدا يستأذن لهم فاذن لهم أبو ثوب قال فنزلوا فى الزورق واذا به قد أرسل لهم دواب ليركبوها فامتنع يزيد من الركوب ووافقه شطا على ذلك وسار واكلهم رجالا الى ابى ثوب فاستأذنوا عليه فأذن لهم فلما دخلوا قصر أبى ثوب واذا به فى حشمه وخدمه وزينته والحجاب والغلمان بين يديه وهو فى مرتبة امارته وكان قد تكبر وتجبر منذ نزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصر ومنع المال والخراج أن يؤديه للمقوقس وولده وقد اجتمع عنده مال عظيم فلما دخل عليه يزيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشطا وغلمانه ونظر والى أبى ثوب وغلمانه وتجبره بدأ يزيد بالسلام فقال السلام على من اتبع الهدى انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى (قال الواقدى) حدثنا ابن سالم عن جرير بن أحمد عن ابن عيينة عن ابن جرير وكان أعلم الناس بقصة فتوح مصر والغرب قال كان أبو ثوب هذا من أرض العريش من متنصرة العرب من آل غسان وهو قريب جبلة وكان صاحب مال ورجال وانه لما وقعت الهزيمة على الروم وفتح الشام وانهزم الملك هرقل وهرب معه جبلة هرب معهم أبو ثوب هذا بماله وأهله واخوته الى أرض الجفار ونزل فى البرية ما بين العريش ورفح وأن المقوقس خرج فى بعض الايام يريد الصيد فى عسكره فانتهى فى سرحته الى أرض العريش فانطرد قدامهم وحش كبير فطلبه الملك وتبعه ولم يتبعه أحد من عسكره وهو وراءه وحده الى أن رماه فى حلل العرب فى حلة أبى ثوب فقام اليه وعظمه وبجله وعلم أنه الملك فامسك ركابه وأنزله فى بيته وذبح له الاغنام ووضع له الطعام وتلاحق به الجيش قال فاضافهم أبو ثوب ثلاثة أيام فلما كان فى اليوم الرابع ركب فى خدمة الملك وشيعه وعاد فلما دخل المقوقس الى مصر أمر وزيره بان يكتب الى أبى ثوب بولاية تنيس واعمالها وأرسل له الخلع والاموال والمماليك والغلمان فلما وصل اليه منشور الملك وخلعه فرح أبو ثوب وركب وسار الى الفرمة وركب منها فى المراكب الى تنيس فلما مكث فى ولايته بعث الى أهله واخوته فأتوا اليه فولى أخاه أباسيف على جزيرة الصدف وولى أخاه الثانى أباشق على جزيرة الطير وولى ولده على دينور فلما طال عليه الامر طغى وتجبر ومرت الأيام والليالى حتى قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض مصر فمنع دفع الخراج الى مصر والى المقوقس وولده ورأى نفسه فى تلك الجزيرة فتحصن بها وقال لا أحد يقدر أن يصل الى فلما قدم شطا ويزيد بن عامر ونظر اليهم أبو ثوب أظهر الاعجاب والتكبر ولم يلتفت اليهم ولم يجسر أحد من جماعته أن يأذن لهم بالجلوس فلما نظر الى ذلك يزيد بن عامر قرأ أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وجلس الى جانبه شطا ونظر يزيد الى سرير أبى ثوب فاذا هو من الذهب وفيه صورة النخلة ومن تحتها صورة مريم والمسيح فى حجرها نقر افناداها من تحتها أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا الى قوله انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا قال فلما سمع أبو ثوب كلام يزيد التفت اليه بغضب وحنق وقال ما هذا الكلام الذى نطقت به قال يزيد هذا كلام الله جل جلاله الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذى لا تفنى عجائبه ولا تنفد غرائبه ولا تبدل كلماته ولا تمل آياته فقال له ما معنى الذى ذكرت ونطقت به وما تفسيره فقال يزيد أما قول الله اخبارا عن عيسى حين قال انى عبد الله فانه يعلم الخلق انه عبد الله وليس بولده جل الواحد الاحد الفرد الصمد وأما قوله آتانى الكتاب معناه أعلمكم الاحكام وأعرفكم الحلال والحرام وأما قوله وأوصانى بالصلاة والزكاة معناه انى مأمور بالطاعة والخدمة والزكاة مثلكم فان فى مالى حقا لله وأما قوله والسلام على يوم ولدت ويوم أموت فيعلمهم انه يموت ومن يموت لا يكون له العزة والجبروت وأما قوله ويوم أبعث حيا فيعلمهم انه واياهم مبعوثون فى يوم القيامة ووقوف يوم الحشر والندامة ولو كانا الهين لكان لهما ارادتان ووقع الخلف بينهما وان الحكمة غير ذلك وهى على وحدانيته شاهدة قال فلما

الجبل وكانت مدته أربعة أشهر ونصفا وبنى مدرسة العادلية خارج باب النصر ثم هجم عليه العسكر وقتلوه ودفن بمدرسته وقد خربها الفرنسيس أيضا (وولى بعده الملك الاشرف قانصوه الغورى) يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة ست

سمع أبو ثوب من يزيد بن عامر هذا المقال قال لقد ملئتم بالاباطيل وغرقتم فى بحر الاضاليل فقال يزيد الله أعلم من هو تائه فى تيه المحال مشرك بالملك المتعال الذى لا سماء تظله ولا أرض تقله ولا ليل يؤويه ولا نهار يأتيه ولا ضياء يظهره ولا ظلام يستره ولا يقهره سلطان ولا يغيره زمان كل يوم هو فى شان أما لكم بصائر أما منكم من ينظر ويعتبر فى قدرة الله القادر أما منكم من يعظ نفسه بذهاب النهار واقبال الليل أما آن لكم أن تنزهوه أما آن لكم أن توحدوه أما سمعتم ممن تعبدونه وتبرؤن اليه وتعظمونه فان المسيح قد أقر له بالعبودية وتبرأ من دعوى الربوبية وقال انى عبد الله ولقد بشر بنبينا قبل مبعثه وعرف بنى اسرائيل بقربه من الحق وكرامته أما سمعتم بمعجزاته وما ظهر من دلالاته أما انشق له القمر أما كلمه الضب والحجر أما خاطبه البعير والشجر أما هو من أطيب بيت من مضر قال فعجز أبو ثوب عن رد الجواب ولم يكن له ما يزيل حجته الان قال ابن يزيد بن عامر لقد علمنا ما فعل ولكنه كان ساحرا وان كان قولك هذا حقا فادع الله وتوسل اليه بمحمد أن يسقينا الغيث فان جاء الغيث علمنا ان قولك ليس فيه شك ونؤمن بالله ونصدق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم قال يزيد بن عامر ان الله يقدر على ما ذكرت فان الله على كل شئ قدير ان العبد المخلص اذا دعاه أجاب دعوته ولكنه يفعل ما يشاء وأنا أتوسل الى الله بخير خلقه وصفيه وهو الفعال لما يريد ثم ان يزيد قام وخرج من مجلس أبى ثوب فقال له الى أين قال أدعو الذى لو شاء أنزل عليكم رجزا من السماء ثم قرأ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين (قال) حدثنا عاصم عن رويم عن ابن جبير قال انما طلب أبو ثوب الغيث واقتصر عليه لانه كانت له مزرعة بالبعد من النيل ولا يقدر أن يسقيها ولا يصل اليها ماء وكانت قد أشرفت على الهلاك واليبس وكانت منه ببال وكان قد غرس فيها من جميع الثمار والاشجار وصنع لها مصانع تمتلئ بماء المطر فيسقيها وقت الحاجة اليها وكان المطر قد أمسك عنها والمصانع نشفت فلما خرج يزيد الى البحر توضأ وصلى ركعتين ثم رفع رأسه نحو السماء وقال اللهم انك قد أمرتنا بالدعاء ووعدتنا بالاجابة فقلت وأنت أصدق القائلين واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان وقد دعوت كما أمرت فاستجب كما وعدت يا ذا المعروف الذى لا ينقطع أبدا ولا يحصيه غيرك قال ابن جبير لقد بلغنى ممن اثق به ان يزيد بن عامر ما برح يدعو حتى ارتفع السحاب من الجو ووقف وقفة الخاضع ورفع جناح السائل المتواضع وارتفعت سحابة وتألفت والرعد يصول حولها صولة الغاضب وهو لها بصوت البرق يزجر بصاعقة وقعقعة وهدير وهو على ذلك سيره ومسيره وقد أحاطت بالسحابة ملائكة الرحمة متمنطقة بنطاق الخدمة يسوقونها من خزائن رحمته ويجذبونها بأزمة القهر الى ملك أبديته وهو واضع أجنحة عبوديته موسوم بوسم يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته والركام يسرى ويسرع اسراع الوجل يسبح من يسجد لجلاله فترى الودق يخرج من خلاله فاذا هى أشرفت وتكاملت بالماء وسقت والبروق من أركانها قد انشقت وهبت عليها رياح قدرته من مواضع خزائن رحمته وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته فعندها تفتح مغاليق أبوابها وترفع ستر حجابها فهمت بدموع أشجانها على أيدى خزانها فتستبشر الارض عند ورودها وتنتظم عقود الزهر عند ورودها فى جيد وجودها وتخرج كنوز ذخائرها فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها قال ونزل المطر يسكب بقية يومهم وليلتهم فلما كان الغد حضر يزيد بن عامر مجلس أبى ثوب وقال له كيف رأيت صنع الله الصانع المتكفل بأرزاق العبيد قال فضحك أبو ثوب وقال ان سحركم لعظيم وان مكركم لجسيم وان سحركم يفعل أكثر من هذا فقال انما ذلك رحمة من الله قد أبر من اقسم باسمه عليه فلما رأى نزول المطر وظهرت بركات صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على سبيل المكر الآن تحققت أن دينكم الحق وقولكم الصدق وأنا مؤمن بالله ومصدق برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوف أعرض دين الاسلام على أهل جزيرتى وأصحابى وأهلى وأبنى المساجد وآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فقال يزيد ان أنت فعلت ذلك رشدت وان نافقت فان ربك لبالمرصاد ثم خرج من عنده هو ومن كان معه وشطا وغلمانه ومضوا الى دمياط الى البامرك وحدثوه بما كان من أبى ثوب فقال والله لقد خدعكم بخديعته ورماكم بسهم مكيدته فقال يزيد بن عامر ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين فما لبثوا أياما قلائل حتى وصل الخبر أن أبا ثوب جمع من سائر الجزائر وهو قادم عليهم فلما سمع البامرك بذلك قال ليزيد بن

وتسعمائة بعد اختلاف بين العسكر ثم اتفقوا على توليته لانهم رأوه لين العريكة سهل الازالة متى أرادوا ازالته أزالوه لانه كان أقلهم مالا وأضعفهم حالا فقال أقبل التولية بشرط أن لا تقتلونى فان أردتم خلعى من السلطنة أخبرونى وأنا أنزل لكم

﴿ بى = (شا) = ٧ ﴾

عامر ما الذى ترى من الرأى فى أمر هذا العدو فقال يزيد نستعين بالله ونتوكل على الله ومن قاتلنا قاتلناه (قال ابن اسحق) وان البامرك أرسل ولده شطا الى البرلس ودميرة وطناح ومن تحت يده يطلبهم فجاؤا من كل جهة وكتب يزيد الى عمرو بن العاص يعلمه ان أباثوب قد جمع الجموع فلما وصل اليه الكتاب أرسل اليهم هلال بن أوس بن صفوان بن ربيعة أحد بنى لؤى ومعه ألف فارس وأمره بالمسير الى دمياط وذلك فى العشر الاول من شعبان سنة عشرين من الهجرة وكان لعمر بن الخطاب فى الخلافة أربع سنين ونصف أماما كان من أبى ثوب فانه لما نفر اليه العساكر أخرجهم بظاهر تنيس فكانوا عشرين ألفا من الرجال ومن الخيل خمسمائة فارس من القبط ومتنصرة العرب وعداهم فى المراكب وأتوا نحو دمياط فخرج شطا بن البامرك فقتل منهم رجالا وجندل أبطالا وانه اشترى الجنة من الله بنفسه ولم يزل يقاتلهم بقية يومه ثم انه عاد من قتال اللئام الى الصلاة والصيام ولم يزل على قدم الخوف والوجل وهو منكس الرأس من الخجل من الله تعالى عز وجل فلما مضى أكثر الليل وطلع نجم سهيل اضطجع فلما كان وقت الغلس وقرب الصبح وتنفس استيقظ شطا وهو باكى العين فقال له أبوه يابنى ما الذى أبكاك فقال رأيت شيأ فى منامى أبصرته وسمعت منه كلاما وعاينته وحفظته وحرزته والدنيا هى طالق وانى بعون ربى واثق ولاشك أنى لك مفارق فقال أبوه أعوذ بالله يابنى ما هذا الكلام ولعل ذلك أضغاث أحلام فقال لا والله ما هى أضغاث أحلام لكنه أمر من الملك العلام الذى أجرى الاقلام وخلق الضياء والظلام وبعث سيد الأنام بشرائع الاسلام وانى رأيت فى منامى كأن أبواب السماء قد فتحت وأنوار الهداية قد سطعت ولمعت ثم تفتحت أبواب السماء الثانية ثم رأيت ملائكتها سجودا على جباهم لايقومون وركعا لاينتصبون وقياما من هيبة ربهم لايقعدون وباكين لاتجف لهم دموع ثم كذلك رأيت سماء بعد سماء الى السماء السابعة ثم رأيت قبة من زمرد أخضر وفيها قناديل من الجوهر وهى تسرج من الانوار وتوقد من غير نار وفيها أربعون حوراء عليهن حلل ما رأيت قط مثلها ولا أبصرت شكلها بوجوه تفتن الانس وفى أرجلهن نعال الياقوت الاحمر بطائنها على النمارق والزرابى فصاحت بى احداهن وهى كبيرتهن وقالت يامفتونا بدار الدنيا أما آن لك أن تذكرنا فقد خلقنا الله لك منذ خلقك وجعل مهرنا منك الجهاد فى مرضاة رب العباد وقد ألفت الجفاء وما هكذا صنع أهل الوفاء انظر ما أعد لك وللشهداء قال فنظرت واذا بقباب معلقة حيث لايدرك لها نهاية بعدد النجوم وقطرات الغيوم وقد نفد الميقات وانقضت الساعات والاوقات فتيقظ من المنام وارحل الى دار السلام وقالت فى كل قبة مثل ما رأيت فقلت ما هذه القباب فقالت هذه قباب قوام الليل والشهداء يأوون اليها من جنة المأوى ثم انها جعلت تقول

أنت يامفتون دوما * فى الدنا ثم المنام فدع النوم وبادر * مثل فعل المستهام
وابك بالوجد دواما * بدموع وانسجام ثم نح باذا كثيرا * فى نهار وظلام
أيها اللائم دعنى * لست أصغى للملام فى عروس قد تبدت * فاقت البدر التمام
طرفها يرشق بالحشا ظ مصيبا كالسهام ولها صدغ منير * مثل نون تحت لام
أحسن الاتراب قدا * فى اعتدال وقوام مهرها ان قام ليلا * وهو باك فى الظلام
ياعمادى ورجائى * ومنائى والمرام فاستمع منى قولى * ثم فكر فى النظام
وغدا بادر لحرب * والى ضرب السهام مسرعا تأتى الينا * بعد ترحال الظلام

فقال أبوه اعلم ياولدى أن من المنام ما يصدق وما يكذب فلا تشغل نفسك بما رأيت فقال لا والله ياأباه ما بقى لى فى الدنيا مطمع ولم يزل باقى ليلته يبكى ويتضرع ويقوم على أقدام الخشوع ويخضع وأجفانه بالدوام تدمع الى أن أصبح الصباح وأشرق بضيائه ولاح فودع شطا أباه وأهله وخرج الى الحرب فتعلق به أبوه وقال له يابنى بحقى عليك لاتبلنى بفراقك فقال شطا دع عنك العتاب فقد قرب لقاء الاحباب فعندها أقامت على أبيه المواسم وانهمل الدمع الساجم ودنا الفراق وقامت الأشواق وجرى دمع كل عين وأقبل البامرك يودع ولده يقول يابنى ان صح منامك وضربت فى دار السلام خيامك فاذكرنا بحسن طريقة الوفا واقرئ سلامى على النبى المصطفى فبرز شطا الى مقام الحرب ودعا للبراز فخرج اليه واحد فقتله وثان وثالث حتى قتل

عنها فعاهدوه على ذلك وبويع بقلعة الجبل بحضرة الخليفة المستنصر بالله هو وأصحاب الحل والعقد فاقام سلطانا خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما وكان ذا رأى وفطنة كثير الدهاء والفسق قع الامرآء وآذى

اثنى عشر فارسا (قال ابن اسحق) فلما رأى أبو ثوب ما فعل شطا بفرسانه لم يطق الصبر دون ان خرج اليه بنفسه وكان من الفرسان المذكورة فلما صار شطا فى الميدان قال له يا شطا كيف تركت الدين المستقيم وعدلت عنه وأصغيت الى هؤلاء الاثام واتبعت دين الاسلام لقد عمل فيك القوم واستوجبت العتب واللوم يا فتى عد الى الدين الصحيح والقول الرجيح وهو دين المسيح فاى شئ رأيت من هؤلاء المساكين حتى تبعت دينهم فلما سمع شطا كلام أبى ثوب أقبل عليه مغضبا وقال له يا لئيم أتامرنى ان أدع الدين المستقيم الذى كان عليه الخليل والكليم وأنى لى بذلك وقد رأيت الليلة مالى من الكرامة عند الله وقد طلقت الدنيا ثلاثا فلما سمع أبو ثوب كلامه حمل عليه ومد سنانه اليه فتلقاه بقلب قوى وجنان جرى وعزم مضى وحسام مصرى وتقاتلا نصف نهار وعطش شطا فأراد الله أن يطيب قلبه فكشف عن بصره فرأى القبة التى رآها فى المنام والحوراء التى أنشدته الابيات وفى يدها كأس من شربها لا يفنى ولا يسقم وفيه من الرحيق المختوم وهى تقول يا شطا هذا شراب من شرب منه لا يسقم ولا يفيق والساعة تصل الينا وتقدم علينا قال فلما نظر شطا الى ذلك وسمع منها ما قالت صاح الله أكبر هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وأخذه الدمع والبكاء خوفا من الله فقال له أبو ثوب مم بكاؤك قال رأيت كذا وكذا فضحك أبو ثوب من كلامه وحمل عليه فتقاتلا قتالا شديدا أعظم من الاول الا أن أبا ثوب سبق شطا بطعنة فى صدره فأطلع السنان من ظهره فخر صريعا فلما نظر البامرك الى ولده مطر وحالم يأخذه صبر دون أن حمل عليه هو وأصحابه قال وأظلمت آفاق تلك الارض من الغبار وترادف القتار فوقعت الهزيمة على البامرك وأصحابه فالجأهم الى أبواب دمياط وطمع فيهم عدو الله أبو ثوب واذ قد أتاهم هلال بن أوس بن صفوان بن ربيعة فوضعوا أيديهم فى أبى ثوب وأصحابه وهم ينادون بالتهليل والتكبير وتحامى أصحاب البامرك وحملوا من قبلهم قال وأما أبو ثوب وأصحابه فانهم ايسوا من أنفسهم قال فهم فى ذلك اذا التقى يزيد بن عامر بأبى ثوب فقال له يا عدو الله أما اتعظت بآيات الله أما ظهر لك الحق من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطبق عليه فأخذه أسيرا وصاح الصائح ان أبا ثوب أسر فاستسلم قومه للقضاء فأخذوهم عن آخرهم بعدما قتل منهم خلق كثير ثم انهم عزوا البامرك فى ولده شطا فقال احتسبته عند الله فقال له يزيد ابن عامر ان فى الجنة درجات لا ينالها الا الصابرون قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (قال ابن اسحق) ودفنوا شطا فى ثيابه بعدما صلوا عليه ودفنوه فى موضع قتله قال فلما كان الغد أقبل البامرك الى يزيد بن عامر وقال رأيت الليلة ولدى فى النوم وهو فى القبة والحور بين يديه فقلت ما فعل الله بك قال قبلنى بأحسن قبول وجاد على وأنزلنى بجوار الرسول (حدثنا) ابن اسحق حدثنى عمر بن الاسقع عن جده عامر بن خويلد قال قتل شطا فى ليلة نصف شعبان فجعل له تلك الليلة موسما فى كل سنة وذلك انه لما قتل لم يبق أحد الا زار قبره تلك الليلة واذ هلال بن أوس نزل وأحضر أبا ثوب وعرض عليه الاسلام فاسلم وأسلم من الاسرى أنا وأبى منهم وأناس وبقوا على دينهم وقرروا عليهم الجزية ودخل المسلمون فى المراكب الى تنيس وبنوا موضع الكنيسة جامعا وبنوا فى جميع الجزائر جوامع واخرج ابو ثوب الخمس من ماله وأموال قومه وبعثوه الى عمرو بن العاص مع أموال من قتل وان هلال بن أوس نزل على التل الاحمر بظاهر تنيس وأقر أهل الجزائر فى أماكنهم فقالوا أيها الامير قد أمنتنا من جانبك وبقى علينا الخوف من جانب آخر قال هلال من أين قالوا من أصحاب القلعة المسماة الفرماء قال وأين هى قالوا على جانب بحيرة تنيس مما يلى شرقها وفيهم أقوام وعليهم الصامت ابن مرة من آل مرداس فلما سمع هلال بن أوس ذلك مضى اليها بجميع من معه فلما وصلوا اليها أشرف عليهم الصامت بن مرة وأمر أصحابه أن يرموهم وكان بها ألف رجل وغالبهم رماة النبل فرموا عن قوس واحد ألف سهم فسمتها العرب من الفرماء فأقام عليها هلال بن أوس عشرين يوما فلم يقدر عليها فبعث الى عمرو يعلمه بما وقع ويستنجده فأرسل اليه المقداد بن الاسود الكندى فى خمسمائة من عسكر الاسلام وأرسل معه ثلاثة آلاف ممن أسلم من القبط

﴿ذكر فتوح الفرماء والبقارة والقصر المشيد﴾

قال فلما نزل المقداد على الفرماء تأهب أهلها للقتال فنزل بالصامت بن مرة ما نزل به فعلم انه يبيد القوم لانه ليس له ناصر ولا معين فصالح المقداد على أن يؤدى لهم أربعة آلاف مثقال من الذهب وأربعمائة ناقة وألف رأس

المعاندين حتى اشتد ملكه وهيبته فهابته ملوك الروم والمشرق والافرنج وفك الاسرى منهم وكان له المواكب الحافلة ومهد طريق الحج بحيث كان يسافر اليه من مصر النفر القليل وكان فيه خصال جيدة وميل الى الخير

من الغنم وأن يمهلوه الى تمام السنة فان شاءدان الى الاسلام والا ارتحل بأمانه فأجابه المقداد الى ذلك وارتحل المقداد وهلال بن أوس ونزلوا على البقارة وكان عليها الباقر بن الاشرف فأسلم هو ومن معه ومضوا الى القصر المشيد ففتحوه صلحا ثم ارتحلوا ونزلوا على الواردة وكان اسمها الواردة فسلمها أهلها وارتحلوا الى العريش فصالحهم أهلها وكذلك أهل رفح وبيدا وميماس ومخلة وعسقلان (قال ابن اسحق) حدثني يوسف بن عبد الاعلى قراءة عليه بجامع الرملة سنة مائتين وعشرين من الهجرة قال حدثني موسى بن عامر عن رفاعة عن جده عبد العزيز ابن سالم عن أبي يعلى العبدى عن طاهر المطوعى عن أبي طالب القشارى عن وهبان بن بشر بن هزان قال سمعت الشرح كله من محمد بن عمر الواقدى وهو يومئذ قاضى بغداد فى الجانب الغربى

﴿ذكر فتوح ديار بكر وأرض ربيعة﴾

حدثنا عدنان بن يحيى الحارثى عن معمر الجوفى ومن طريق آخر عن ابن عمير التميمى والابتداء عن المهلب وطلحة ومحمد قالوا جميعا أو من قال منهم انه لما فتح الله الشام على يد أبى عبيدة عامر بن الجراح وعلى يد خالد بن الوليد وفتح أرض مصر على يد عمرو بن العاص بن وائل السهمى كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى أبى عبيدة يقول له * بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عامر بن الجراح سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فقد أجهدت نفسك فى قتل الكفار وسارعت الى رضا الجبار وقدمت لك ما تجده يوم عرضك ولم نر منك يوما اعراضا عن أداء فرضك وقت بسنة نبيك وجاهدت فى الله حق جهاده تقبل الله منا ومنك وغفر لنا ولك فاذا قرأت كتابى هذا فاعقد عقدا لعياض ابن غنم الاشعرى وجهز معه جيشا الى أرض ربيعة وديار بكر وانى أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يفتحها على يديه وأوصيه بتقوى الله والجهاد والاجتهاد فى طاعته ولا يلحقه التوانى فى الجهاد ويتبع سنن المؤمنين المجاهدين وما أمر به سيد المرسلين لما أنزل عليه رب العالمين يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم كتب كتابا آخر الى عياض بن غنم بالولاية والمسير الى أرض ربيعة الفرس وديار بكر قال وبعث بالكتاب مع ساعدة بن قيس المرادى وزوده من بيت مال المسلمين وأمره بالمسير فسار الى أن ورد على أبى عبيدة فى طبرية فسلم اليه كتاب عمر وسلم الكتاب الثانى الى عياض بن غنم الاشعرى فلما قرأه أبو عبيدة قال السمع والطاعة لله ولامير المؤمنين وهيأ عياضا بسيره الى الجهاد وعقد له عقدا على ثمانية آلاف منهم ألف صحابى من جملتهم خالد بن الوليد والنعمان بن المنذر وضرار بن الازور وربن سابق وضمرة وعمرو بن ربيعة وذو الادغار بن قيس والحكم بن هشام واليسع بن خلف وطلحة وعامر بن بهرام والمقداد بن الاسود وعمار بن ياسر وعبد الله بن يوقنا وكانوا قد قدموا على أبى عبيدة بعد فتوح مصر وكان قدومهم فى شهر شوال سنة ست وعشرين من الهجرة وسار عياض بن غنم من طبرية فى ثمانية آلاف يريد الجزيرة وعلى مقدمته خيل سهل بن عدى فلم يزل سائرا حتى نزل على بالس وكان خالد قد فتحها صلحا فاقام عليها وسرح سهيل بن عدى الى الرقة فنزل على حصارها وكان عليها بطريق اسمه يوحنا وكان من قبل صاحب رأس العين وكان قد استعد للحرب وعبى آلة الحصار فلما رأى أهل الرقة أن صاحبهم معول على الحصار اجتمع بعضهم ببعض وقالوا أى شئ أنتم بين أهل الشام وأهل العراق ولا مقام لكم بين يدى هؤلاء القوم قال فمشوا الى عياض بن غنم بالصلح فرأى أن يقبل منهم فبعث الى سهيل بن عدى أن يصالحهم على ما وقع عليه الاتفاق وارتحل عياض بن غنم عن بالس ونزل على الرقة البيضاء وفى ذلك قال سهيل بن عدى

وصادفنا الغزاة غداة سرنا * بجياد الخيل والاسل الطوال * أخذنا الرقة البيضاء لما
رأتنا الشهب تلعب بالتلال * وأزعجت الجزيرة بعد خفض * وقد كانت تخوف بالزوال
سنقصد رأس عين بعد حين * أجد بحماتى جيش الضلال * وقصدك يا سهيل تبيد جيشا
وتقتل فى البطارق لا تبالى * فنحن أولوا النقية والمعالى * ونحن الصابرون لكل حال
صحابة أحمد خير الموالى * رقى العلياء والرتب العوالى * الى رب السماء دنا علوا
* وخاطبه شفاها بالمقال *

﴿ذكر فتح القلعتين زبا وزلوبيا﴾

وكان يصرف فى شهر رمضان الى مطبخ الجامع الازهر كل سنة سبعمائة وسبعين دينارا ومائة قنطار من العسل وخمسمائة أردب قمح وبنى معامر للخير كثيرة الا انه كان شديد الطمع كثير الظلم والعسف يصادر الناس

(قال الواقدي رحمه الله ورضي عنه) لما فتحت الرقة صلحا عول عياض بن غنم على المسير الى رأس العين وكان ملك يومئذ الجزيرة ملك من ملوك الروم يقال له شهرياض بن فرون وكان جيشه مائة ألف وتحت يده وفي عماله من العرب المتنصرة السلطان بن سارية الثعلبي وهبيرة وهم ثلاثون ألفا من الابطال وانهم لما اتصلت بهم الاخبار بفتح الرقة وان المسلمين قاصدون اليهم مع عياض بن غنم وخالد والمقداد أتوا الى الملك شهرياض برأس العين وقالوا له اعلم أيها الملك ان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قد أتوا ديارنا وقصدوا نحونا ونحن علينا الطلب أكثر منكم ومطلب القوم أننا ندخل في دينهم فاضرب خيامك بظاهر البلد واظهر بجيشك حتى نلقاهم فاما النا واما علينا فاجابهم الى ذلك وقال غير اني أخاف أن تنهزموا عني فاعطوا رهائن واستوثق منهم ورتب آلة الحصار وأخرج الخزائن والاموال ورتب الحرس على الاسوار وزاد في عمق الخندق وعرضه وأرسل الى جملين وكفرتوثا ودارا وماردين وحران والرها وتل مرزة والسن والموزر وأقام ينتظر عياض بن غنم (قال) حدثنا عبد الله بن أسلم عن عاصم بن عبد الله عن ابن اسحق الاموي عن يزيد بن أبي حبيب عن راشد مولاه قال لما عول عياض بن غنم الاشعري على المسير الى رأس العين الى قتال الملك شهرياض بعث قبل مسيره أشعث بن عويلم وعبد الله بن غسان الى القلعتين المعر وفتين بزباوزلوبيا فقال عبد الله يوقنا لعياض ابن غنم اعلم أيها الامير ان هاتين القلعتين اللتين ذكرتهما حصينتان منيعتان احداهما من الجانب الشرقي والاخرى من الجانب الغربي وهما كانتا تحت ولايتي وان صاحبهما كان من قبلي هو أحد بني عمي واسمه اشفكياص بن ماريه كني باسم امه وكنت قد زوجته ابنتي فأخذت في صداقها الحصن الشرقي من الفرات وقد رأيت أنك تأمرني بالتقدم على هذين الحصنين حتى أحل في القلعة الغربية فان فتحها كانت الاخرى في قبضتنا فقال له لله درك يا عبد الله لقد نصحت الاسلام وأهله فجزاك الله خيرا أحسن ما جازى أولياءه سر على بركة الله وعونه فاذا استقر بك المكان ثلاثة أيام أنفذت اليك شعيبا وعبد الله ومن معهما من المسلمين وبعد الفتح ان شاء الله تنزلون الينا فقال يوقنا استعنا بالله وتوكلنا عليه ثم انه أخذ معه من صناديد جماعته مائة ولم يأخذوا معهم ثقلا سوى جنيب من الخيل واحد وسار من أول الليل وترك عياض بن غنم على الباسل فجدوا السير بقية ليلتهم فلما كان قبل الفجر أشرفوا على الخانوقة فوجدوا فيها ألفا من الارمن وهم بالعدة الكاملة فلما أشرف عليهم يوقنا ومن معه وهم يتحدثون بلغة الروم أنسوا بهم وسألوهم عن خبرهم فقالوا هذا البطريق المعظم يوقنا صاحب حلب قد هرب من العرب وأقبل لنصرة صاحب هذه القلعة فلما سمعوا بذلك فرحوا وصعدوا بين يدي يوقنا وأرسل المقدم عليهم خيالا وأمره بالسرعة ليبشر اشفكياص بقدوم يوقنا اليه وهروبه من العرب وانه يستأذن عليه فمضى الرجل وأخبر اشفكياص فاطرق الى الارض ثم قال لوزيره وحق المسيح والانجيل ما جاء الا لينصب علينا ويملك هاتين القلعتين منا كما فعل بطرابلس وصور وما أنا بالذي يأمنه فما ترى أيها الوزير (قال ابن اسحق) ولقد بلغني أن هذا الوزير كان من أهل القراءة وكان أديبا عاقلا لبيبا ممن قرأ الكتب السالفة والاخبار الماضية وقرأ ملاحم دانيال وكان منذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم يسكن في دير مترهبا وهو ما بين السر وحلب فتعبد فيه زمانا طويلا حتى شاع ذكره بين أهل دين النصرانية ثم بعد ذلك أخبر الروم بانه قد وقع بحافر من حوافر حمار المسيح فكانت الروم ينذرون له النذور والصدقات وشاع خبره وسما ذكره فسمي ذلك الدير بدير حافر وانه في بعض الايام خرج من ديره الى مزرعة له هناك واذا برجل من البدو قد عبر وهو راكب على ناقة وكان الحر قد اشتد فأوى الى ظل حائط الدير وأناخ ناقته وعقلها ونام والراهب ينظر اليه فلما غرق في نومه أتت حية من مزرعة الراهب وفي فمها باقة نرجس فجعلت تروح عليه حتى استفاق وذلك الراهب ينظر اليه فلما افاق أتى اليه وسلم عليه وقال له من أي الناس أنت قال من العرب قال الراهب قد علمت ذلك وانما اسألك عن دينك قال ديني الاسلام الذي كان عليه أنبياء الله كلهم عليهم أفضل الصلاة والسلام فقال له الملك على دين هذا الرجل الذي في أرض الحجاز قال نعم (قال ابن اسحق) وكان البدوي ورقة بن الصامت الهذلي ابن أخت ابن رواحة الانصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حضر غزوة تبوك وحضر يوم السلاسل وكان أديبا لبيبا شاعرا الا يتكلم الا بالسجع وكان أبو عبيدة قد وجهه لما كانوا في حصار قلعة حلب الى صاحب الرقة يدعوه الى الاسلام فقال الراهب وكان اسمه شرجوان بن كربان قد بلغني انكم

في أموالهم واذا مات أحد
أخذ جميع ماله واتخذ
مماليك فصار وا يظلمون
الناس ظلما كثيرا فتوجه
الناس فيهم وفي سيدهم
الى الله تعالى فأزال الله
ملكه بسبب فتنة بينه
وبين السلطان سليم خان
ملك القسطنطينية فقصد

تقولون ماخلق الله خلقا أعظم ولا أكرم ولا أرحم من محمد وتركتم آدم ونوحا وابراهيم واسحق ويعقوب
والاسباط وموسى وداود وسليمان وعيسى فأريد أن تبين لى حقيقة ذلك فقال ورقة بن الصامت اسمع ما أقول
ولا تتبع الفضول أما علمت أن عالم الملائكة اجتمعوا بالبيت المعمور ووقع بينهم الجدال فى تصاريف الأمور
وافتخر الكروبيون على الروحانيين والمسبحون على المقربين فزاحمهم ابليس بدقة عبادته ومشيد مبانى
زهادته فقال أنا المخلوق من ضرام النار البارع فى خدمة العزيز الجبار أين أنتم من وقوفى على أقدام الاهتمام
مائة ألف عام وتعبدى فى السموات وأكنافها وبروجها وأعرافها وأوساطها وأطرافها وجبال الارض
وأكنافها فعارضه جبريل بالامتحان والابتلاء وصرفه عن حجة الافتخار والادعاء وقال له ما أنت فى الافتخار
الا فى الحضيض المخضوض ان لله نبيا فى عالم الملكوت محجوبا قد طال اشتياقنا اليه وودنا الخبر فيما يريد وجعل
نهاية عبادتنا الصلاة عليه فأيقن من المفاخر بالنزول ومن اطلاق شمس ادعائه بالأفول وقال رب فهل
الى لقائه من سبيل والى الوصول اليه من دليل فقال جبريل اقطع مسافة الامنية وخض بحر الاعتراف
بعز الربوبية وثق بحبال العز المكين فانك لخدمة من كون من نور التكوين عليه منقوش بقلم التمكين انك
لمن المرسلين فخلع ابليس لباس العمل واستعمل أجنحة الأمل وألقى قلادة الادماء ونكس تاج الكبرياء
واستعد لقوادم الطلب وداخله من قول جبريل غاية العجب وجعل همة عزمه تحصيل السبب وحذر من سوء
المنقلب وقال يا للعجب أنا مع صدق طويتى فى المعاملة والانابة وخلوص سريرتى فى طلب الزيادة هل يكون
أحد مثلى أو يبلغ درجة فعلى وكيف ذلك واذا رفعت رأسى بالتسبيح أعاين ما حول العرش واذا سجدت
لعظمة الله أنظر ما تحت الفرش فنودى أتفتخر علينا بجواهر طاعتك وتوفر أسباب بضاعتك ونحن وفقناك
لطاعتنا ومعاملتنا وأريناك أطراف أرضنا وسمواتنا من قواك على خدمتى من جعلك معلما للملائكة وعزتى
وجلالى لولا أحمد ما خلقت ملكا ولا أجريت فلكا ولا أنرت قمرا ولا أمضيت قدرا ولا أسرجت شمسا
أقررت عرشا ولا بسطت فرشا ولا خلقت جنة ولا نارا ولا فجرت أنهارا ولا بحارا ولا جعلت النجوم طوالع
ولا غوارب ولا الدنيا مشارق ولا مغارب ولكن طر بأجنحة عجل فى طلب الايثار حتى عينك الله بين الجنة
والنار قال فسار بفلك طلب النجوم على قدم مطايا النفر بدحتى اخترق ما بين العرش والكرسى واختبر كل
جنى وانسى وكلما مر بغنى من المغانى رأى معنى من المعانى وذلك أنه لما رأى أصنافا من الملائكة على
اختلاف الاحوال من الاجتهاد والطاعة والاعمال وجميع عباد الله الشاكرة موقوفة على خدمة سيد
الدنيا والآخرة وعلم معنى عبادتهم وتحقق آثار ارادتهم زاد به الاعجاب فاستعظم وجود ذلك فى عالم التراب
وقال أى رب أين أجد دوا أناديه أم كيف التوصل الى سبيل ناديه فقال اطلب نهر السلسبيل فهناك تجد
الى نظره سبيل فسار تحت مشيئة القدر الى أن وصل الى النهر فرأى ضوأ يلوح واسراره بصفات ما فيه
تبوح ودار به المقربون والروحانيون والمسبحون والصافون والراكعون والساجدون وقطب عبادتهم دائرة
على الاستغفار لانه صاحب الافتخار وكلما سبحوا وسجدوا يستغفرون للذين آمنوا به قال فانتظم فى سلكهم
واسلك سبيل مسلكهم انفوز بالنظر فى جملة من حضر واذا بنور أحمد قد تعلى ومن سرادقات قصره تجلى
فسجدت الملائكة له بمعنى عظيم وقالوا انك لعلى خلق عظيم فردلما غشيه النور الوارد ونطق لسان جسده
عاف جسده من ذا الذى ملأ الاكوان بعبادته وافتخر على الملائكة بخالص مجاهدته واذا بالنداء معاشر
الملائكة دعوا النظر الى المغانى وحققوا النظر الى الفضائل والمعانى فأحدقت الملائكة نحو القصر بالاعين
واذا فى جوانبه أربعة أعين فقالوا يارب العزة قد تركنا المغنى فما حقيقة هذا المعنى قال هذه العيون عيون
أنهاره وسيوف أنصاره ومعالم سنته بحساب نسبته وأبواب علمه ومقر حكمه وزينة دينه وأعلام يقينه
وأول عين هى عين التصديق والعين الثانية هى عين التحقيق والعين الثالثة هى عين النور والحياء
والتوفيق والعين الرابعة هى عين العلم والتشريق فعين التصديق لصديقه وعين العدل لفاروقه وعين
الحياء لصهره ورفيقه وعين العلم لأخيه وشقيقه فانظروهم بعين التبجيل والوقار وأكثروا لهم الدعاء
والاستغفار فأنا الذى قلت فيهم الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار فلما علم
شرجوان كلام ورقة بن الصامت لم يرد عليه جوابا ولا أبدى له خطابا غير أنه عرف الحق فكتمه ولم يزل

كل منهما الآخر واجتمعا بعسكرين عظيمين فى موضع يقال له مرج دابق شمالى حلب بمرحلة فى شهر رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة فانهزم عسكر الغورى ولم يعلم حال الغورى فاقام السلطان سليم بالشام شهرا ثم رحل الى

شرجوان فى الدير حتى أخذ المسلمون حلب فانتقل الى اشفكياص فاستوزره قال فلما استشاره فى أمر يوقنا قال له اعلم أيها الملك أن يوقنا من الملوك وأبناء الملوك وقد قرأ الكتب وأخوه كان أفضل منه فى الدين وقد صحب هؤلاء العرب واطلع على سرائرهم ونظر الى دينهم وربما أنه علم عند النظر ان دين المسيح أفضل من دين هؤلاء العرب وقد هرب من أيديهم اليك فان كان الرجل قد أتى بغير حمل ولا ثقل فاعلم أنه هارب من القوم اليك فيجب عليك أن تخرج الى لقائه وتعظم شأنه وترفع مكانه فلما سمع اشفكياص ذلك خرج بعسكره للقائه وبقى الوزير فى القلعة قال فسمعت ابنة يوقنا أن أباها قد أتى فنزلت تسيح فى سرب لها تحت الارض مع جواريها وخدمها وقصدت القلعة الثانية فوجدت اشفكياص قد خرج للقاء أبيها والوزير شرجوان فى مرتبة وزارته فقام اليها وصفق بين يديها وخدمها فجلست تحدث معه فقال لها خذى على نفسك الحذر فان الملك قد خرج وأخاف أن يبطش هذا اللعين بابيك واعلمى أنه ما تبع هؤلاء العرب الا وقد تحقق عنده ان دينهم الحق وقولهم الصدق فقالت له الجارية فما تقول أنت فى دين القوم قال هو والله الحق والدين الصدق وانى كنت كاتم هذا السر فلما سمعت ذلك تبسمت وقالت والله لقد رضيت لنفسى ما رضيه أبى ولكن أنت اكتم هذا عنى (قال الواقدى رحمه الله) وان اشفكياص اتى عبد الله يوقنا وسلم بعضهما على بعض وترجل كل منهما لصاحبه وشكا كل واحد منهما ما يجده من الشوق ثم ركبا وسارا الى القلعة فنزل يوقنا فيها ومن معه وأتت ابنته وسلمت عليه وبكت وبكى وأما اشفكياص فانه معوّل على القبض على يوقنا فقال أيها الملك كيف رأيت هؤلاء العرب فى دينهم وعدلهم وسياستهم فى ملكهم فقال يوقنا ان القوم يزعمون أنهم لا يريدون ملك الدنيا وانما يريدون ملك الآخرة ومع هذا قد ملكوا الشام وأرض مصر وما تغيروا عن طباعهم وأنفسهم الدنيئة وأول الامر وآخره أنهم أظهروا الناموس حتى ملكوا البلاد ولما كشفت أسرارهم وتحققت أخبارهم ورأيت بيان ما هم عليه هربت منهم وبعدت عنهم بعد ان ظننت انهم على الحق ونصحت لهم وملكتهم طرابلس وصور وغيرهما وانطاكية وقد علمت ان المسيح قد غضب على اذ تركت دينه وما أمر به من القربان وما وصى به المريحا المعمدان واستأظن أن لى تطهيرا من درن الذنوب ومساوى العيوب ثم انه أظهر البكاء والتوجع والشكوى فلما عاين اشفكياص ما فعله وسمع كلامه انطلى عليه وقال له أيها الملك اذا كنت قد ندمت على قبيح فعالك ورجعت الى الدين الصحيح بقلبك فابشر بقبول التوبة وزوال الحوبة واعلم أن باب التوبة مفتوح وعلم القبول لأهل الندامة يلوح وقد قرب عيد الصليب وبقى له عشرون يوما وهذا مرقص الراهب بدير السكرة وهو من أعظم أهل دين النصرانية فسر اليه لتغتسل فى ماء المعمودية فتخرج نقيا من الذنوب فقال يوقنا أفعل ذلك ولكن من يضمن أن يعيش فعندها قامت ابنته وصفقت وقالت والله يا ابت ما ادعك تمضى حتى أعلى منك بالنظر وقبلت يد اشفكياص وقالت ياسيدى اريد أن تأذن لابى أن يسير معى الى حصنى فقال هو الليلة عندى وليلة غد يكون عندك فعلم يوقنا أنه لا بد من الاكل معه ولا بد فى سماطه من لحم خنزير ولا بد من الخمر فقال أيها السيد أينما كنت فانا فى نعمتك وخيرك فقال شرجوان لاشفكياص اعلم أيها الملك ان الملك يوقنا كثير الشوق الى ابنته ولهما زمان ما رأيا بعضهما وما يخفى عليك ذلك والصواب أن يكون الليلة عندها وليلة غد يكون عندك فقال افعلوا ذلك قال فأخذت اباها ونزلت فى السرب الى القلعة الشرقية وعبر أصحابه اليه فى المركب فلما جن الليل قالت الجارية لابيها يا ابت كيف تركت العرب بعد صحبتك لهم ونصحك لدينهم أرأيت أن القوم على باطل وأن دينك الاول أفضل منه فرجعت اليه فقال يوقنا أى بنية والله ما أتيت اليك الا من شفقتى عليك وقد افترقنا فى الدنيا وأخاف أن يكون الفراق فى الآخرة أيضا وقد علمت وتيقنت ان هذين الحصنين نصب أعين المسلمين وأنت تعلمين أن قلعتى كانت أمنع من كل قلعة بالشام وقد ملكتها العرب ونزعت ملوكها عن أرضهم وبلادهم فاتقى الله يا بنية فى نفسك واعملى لخلاص نفسك من الزبانية والجحيم الحامية والخلود فى الهاوية وارجعى الى الله من قريب واكفرى بدين الصليب فوالله ما ثم دين أفضل من دين الاسلام وعليه كان المسيح والانبياء عليهم الصلاة والسلام وانما غرر بالنصارى وحيدهم عن طريق الحق رجل يقال له بولص كان من اليهود وأضلهم عن الطريق المستقيم وشرع لهم الضلال القديم حتى كفروا بما جاء به الخليل ابراهيم وهؤلاء العرب قد اتبعوا ما أمر به وأمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولديهم القول الراجح والفضل الصالح وانهم لما قروا الدنيا ثلاثا

مصر فوجد عسكر مصر ولواءهم الملك الاشرف طومان باى ابن أخى الغورى ووقع بينهم حروب كثيرة فرأى طومان باى فى نومه النبى صلى الله عليه وسلم وقال له ياطومان أنت ضيفنا بعد ثلاثة أيام فخلع آلة القتال وذهب الى السلطان

وطالبوا بعد الاجتماع شتاتنا فارضي لنفسك مارضي أبوك لنفسه فقالت والله ماقلت شيأ الا وأنا به عارفة وقد رضيت لنفسي مارضيت لنفسك وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله قال ففرح باسلامها ثم قال أي بنية ما الذي نصنع في أمر هذا الكافر اللعين الفاجر قالت والله لقد قال لي الوزير شرجوان انه مصر على قبضك وقال انك ماأردت الا التنصب عليه فقال يوقنا اذا كان الامر كذلك فاصنعي لنا سماطا وسيري اليه واستدعيه هو وخواصه فأنا آمر أصحابي أن يقبضوا عليهم وعليه اذا اشتغلوا بالطعام والشراب فاذا فعلنا ذلك كانت القلعتان في قبضتنا ونسلمهم الى أصحاب نبينا ثم اني أريهم انا هربنا منهم الى أن نحصل في قرقيسيا فلعل الله أن يفتحها على أيدينا وهذا هو الرأى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما ذهب الليل وأتى النهار أمرت جاريتها بصنع الطعام والحلويات وغيرها فلما صنعوا ذلك وصفوا الموائد وعليها من كل حار وبارد نزلت في السرب وقصدت اشفكياص في قلعته ووقفت بين يديه وصقعت له فقام لها اعظاما وقال لها كيف الملك يوقنا وأحواله فقالت أيها الملك انه مانام الليل وهو متفكر في القيامة وأحوالها والجحيم وما لها ولقد أراد اليوم المسير الى مدينة قرقيسيا وان يقصد الراهب المعظم قرياقوس وقد أخرته الى أن تحضر وامه على السماط وتمضى أنت وهو الى جرجيس حتى يرجع الى دينه وقد جئت اليك لتحضر سماطي وضيافتي أنت وأصحابك وخواصك وتأكلوا من طعامي وتشربوا من شرابي ومدامي والكل من فضلك وانعامك واحسانك وتجبر خاطرى قال فأبى اشفكياص لما دخل على قلبه من يوقنا اذ لم يبيت عنده وخاف أن يقبضه فقال له الوزير شرجوان أيها الملك ليس هذا برأى واذا امتنعت نفر قلبه منك ومايدريك أيها الملك أنه ندم على ماسلف منه وقد أقر بالذنب واعترف وانك اذا أكلت على سماط ابنته ودعوتهم أنت الى سماطك فافعل بعد ذلك فيهم ماشئت قال وكان هذا الكلام من شرجوان لاشفكياص سرا من ابنة يوقنا فقام عند ذلك وقال للوزير احفظ مكاني حتى أعود اليك ولم يكن له ولد يرثه في الملك قال فأخذ معه خواصه من قومه وحجابه وبنى عمه ونزل في السرب والجارية أمامهم وجواريها بين يديه بالشمع وقد علم الوزير أنه مابقى يعود اليه بعدها فلما حصل اشفكياص في قلعة زلوبيا وثب للقائه يوقنا وأصحابه وكان قد أوصاهم بما يفعلونه فلما وقعت العين على العين أقبل يوقنا اليه ليعانقه وضمه الى صدره وقبض عليه قبضة الاسد على فريسته وفعل أصحابه كما فعل وضربوا في الحال رقابهم ولم ينتطح فيها شاتان ولم يعلم بما فعلوه أحد ثم نزلوا من فورهم من السرب ومضوا الى زلوبيا فوجدوا شرجوان ينتظرهم فلما رآهم تبسم وأعلن بكلمة التوحيد وقال لله درك ياعبد الله لقد شرح الله صدرك للايمان وأرضيت الملك الديان فجزاه يوقنا خيرا وملك قلعة اشفكياص وجعل يدعو بالرجال ويعرض عليهم الاسلام فمن أسلم تركه وضمن بعضهم بعضا حتى لاينهزم أحد منهم ويروح الى صاحب قرقيسيا ويخبره بما صنع يوقنا وبعد أيام أشرف عليهم عبد الله بن غسان وسهيل بن عدى في ألفي فارس فأراهم يوقنا التمنع والاعراض وناشبهم القتال خمسة أيام وقد عرفوا ان ذلك منه حيلة وأرسل يعلمهم في السر أن القلعتين في يده والليلة أسلمها اليكم وأظهر الهرب الى قرقيسيا فلعل الله أن يفتحها على يدى فلما كان من الليل أمر شرجوان أن يسلمها اليهم ثم ان المسلمين أعلنوا بالتهليل والتكبير ووقع الصايح من كل جانب وشهروا القواضب وكان في يومه هذا لقد وصل الرسول من صاحب قرقيسيا بالهدايا والتحف الى يوقنا يهنئه بالسلامة والخلاص من العرب والرجوع الى دينه فقبل يوقنا الهدية وأنزل الرسول في خيام أصحابه وكانوا قد ضربوا لهم وطاقا في الجانب الشرقي فلما صار أصحابه المسلمون في قلعة زلوبيا أظهر يوقنا الفزع والهلع وقال وحق ديني ماهؤلاء العرب الا شياطين ثم انه أخذ بعض ثقل ابنته في الليل وسار وايطلبون قرقيسيا ففي ذلك قال طريف أحد بني ربيعة بن مالك وهو سائر صحبة المسلمين الصحابة رضي الله عنهم هذه الابيات

أتينا الى أرض الفرات مع الزبا * ونحن نروم الروم من كل فاجر * وقدامنا ليث الحروب وبهمها
همام شجاع قاتل كل كافر * وأعنى بيوقنا عليه تحية * يناصب للاعدا بحيلة غادر
وقاتل أبناء الصليب وحزبهم * بحد حسام ماضى الصفح باتر * وصاح على الملعون قوم زلوبيا
فاوردوه في الحال سكنى المقابر * وملكنا القلعتين كلاهما * بسعد واقبال ونصرة قادر
سيحظى غداة البعث يوم معاده * بروح وريحان وحور قواصر

سليم طائعا مختارا فقتله وشنقه وأبقاه في باب زويلة مشنوقا ثلاثة أيام ثم دفن بعد دفن الغورى المشهور وبموت طومان باى انقطعت دولة الجراكسة وارتفعت السلطنة من مصر وعادت الى النيابة كما كانت وكانت مدة الغورى

(حدثنا) سيف بن عمرو التميمي قال حدثنا الانصاري عن المهلب عن طلحة عن محمد بن أبي الدقيلي بن ميسور قال لما كان من أمر يوقنا واشفيكاص ما ذكرناه وأرى من نفسه الحرب سار مع ابنته وأصحابه والرسول معهم يرومون قرقيسيا وهم منهزمون فوصلوها مساء ودخلوا معه على شهرياض وأعلموه بأخذ القلعتين وكيف فعل معهم العرب فايقن بهلاكه وأخذ بلاده فقال له يوقنا أيها السيد لا تخف فنحن نقاتل بين يديك حتى نموت وان نزلت العرب علينا يريدون حصارنا لا رينك العجب بقتالهم وان يصلوا اليك بسوء فوثق بقوله وخلع عليه وطيب قلبه وأنزله بدار جواره وبعث شهرياض من ليلته الى خاله وهو يومئذ ملك أرض ربيعة برأس العين فارسل يستنصر به على العرب ويعلمه ان العرب قد أخذوا قلعتي زباو زلوبيا وان الرجل المعظم يوقنا ملك حلب قد هرب منهم بعد خدمته لهم وهو عندي فسار الرجل الرسول الى درمريع ومنه الى الجدل الى رأس العين فوجد رسول شهرياض الملك باعظم تحصين قد أعد آلة الحصار وزاد في عرض خندقها ونصب خيامه ومضاربه على مغاربها وعلى طريق النقب وهو معول على لقاء عياض بن غنم ومن معه وقد جمع عنده سائر عرب الجزيرة من بني تغلب وغيرهم وقد صنع لهم سماطا واستدعى بامرائهم وهو نوفل بن مازن والفريد بن ثعلب بن عاصم والاشجع بن وائل وميسرة بن وائل وميسرة بن عاصم وحزام بن عبد الله وقارب بن الاصم وقال لهم يا فتيان العرب لم نزل نرعى صغيركم وكبيركم وحريمكم وعبيدكم وقد أبحنا لكم أرضنا ترعون في خصبها وسهلها ونرضى منكم بما تؤدون الينا من أو باركم فانتم آمنون وهؤلاء بنو عمكم قد ملكوا الشام ومعاقله وأرض مصر ومابعدها ولم يكفهم ذلك حتى أقبلوا الينا يريدون أن يزاحمونا على ما ملكنا ويخرجونا من أرضنا وقد علمتم ان القوم ان ظفروا بكم لا يبقون عليكم ولا يرضون منكم الا أن تدخلوا في دينهم أو تقاتلوا عن دينكم وأهليكم وأموالكم فكونوا يدا واحدة لا ينفصل منكم شئ كما كان جبلة بن الايهم وآل غسان مع الملك هرقل فان نحن نصرنا على القوم فالارض لنا ولكم على السواء وان كانت الأخرى فنموت على دين واحد ويبقى ذكرنا الى الابد قال فاجابوه الى ذلك وتحالفوا وتعاقدوا وأن يموتوا على سيف واحد فاعطاهم الاموال والعدد والسلاح وسار وامعه قال ثم ان رسول صاحب قرقيسيا قدم عليه وأعطاه كتاب ابن أخته شهرياض فلما قرأه وفهم ما فيه وأنه يطلب منه النجدة أرسل اليه يوريك الارمني وهو الذي بنى تل المؤزر والسن وتل عرب وعابدين والسوائد فارسله ومعه أربعة آلاف فلما قدم الارمني ومعه أربعة آلاف فارس الى قرقيسيا وكانوا قد قطعوا جسرهم الذي كان على الخابور وكان الجسر على أعمدة من حديد وعليها سلاسل وعلى السلاسل زماح وكذلك أيضا من ناحية الفرات وحفروا حول مدائنهم خندقا عميقا عريضا وحصنوا مدائنهم غاية التحصين وأقاموا ينتظرون عسكر الصحابة رضي الله عنهم

﴿ذكر فتح قرقيسيا﴾

ولما ملك عبد الله بن غسان القلعة الغربية حين سلمها اليه شرجون بامر يوقنا وترك يوقنا العرب وهرب الى قرقيسيا دلهم الراهب شرجون على الطريق نحو السرب الى القلعة الشرقية فملكوها واحتوى على ما كان لاشفيكاص فيها وبعثوا الى عياض بن غنم وأرسلوا يعلمونه في السرعة بما صنع يوقنا فدعا له المسلمون وشكروه وأرسل يقول لعبد الله بن غسان ولسهل بن عدي احتفظا على ما في القلعة الثانية ولا تأخذا منها قيمة الدرهم الواحد حتى يسلمه يوقنا البنته واتركا في القلعة من يحفظها والحقا بنا الى قرقيسيا وانزلا عليها والسلام قال فلما وصل الكتاب اليهما فعلا ما أمرهما به عياض وولياء على القلعة الغربية الاحوص بن عامر ومعه مائة فارس وعلى الشرقية زياد بن الاسود في مائة فارس ومضى عبد الله بن سهل الى قرقيسيا فحال بينهم وبينها الفرات فدلهم بعض سكان تلك الارض على المخاضة فعبروا في الليل وأصبحوا على أرض واحدة مع أعداء الله وأرسلوا الى ماجن والمحولة والبديل والصور وبعثوا اليهم الامان وأقروهم في منازلهم وقالوا ان كانت لنا فقد أحسنا فيكم الصنيع وان كانت علينا انصرفنا عنكم مشكورين على عدلنا فيكم قال فاجاب القوم الى ذلك وباعوا عليهم الميرة (قال) حدثنا هلال بن عاصم عن يحيى بن جبير عن سوار بن زيد قال لما بعث عبد الله بن غسان الى أهل تلك القرى وطيب قلوبهم بعث بعد أيام سهل بن اساف التيمي وكان من الصحابة الاول ومعه مائة من المسلمين ليأتوهم بالطعام والعلوفة من ناحية ماسكين فسار سهل ومن معه فلما وصلوا الى الشمسانية شن عليها الغارة

ست عشرة سنة وثلاثة أشهر تقريبا ومدة تصرف الجراكسة مائة واحدى وعشرون سنة وجملة ملوكهم اثنان وعشرون ملكا أولهم برقوق وآخرهم طومان باي ثم جاءت الدولة العثمانية والصولة الباهرة البهية التي هي غرر جباه

واستاق أموالها فخرج عليه نوفل بن مازن فى خمسمائة فارس واستخلصوا منهم ما أخذوه ووقع بينهم القتال فحملوا بأسرار صافية ونيات سامية وأفعال نامية وقلوب تنزهت بالايمان وألسنة تنطق بذكر الرحمن ولم يزالوا فى قتال الى أن قتل من المسلمين ثلاثون وانهزم سبعة وأربعون وأسر سبعة وعشرون من جملتهم سهل بن اساف ابن عدى وحدثوا أصحابهم بما كان من المتنصرة ومنهم فعظم ذلك عليهم (قال الراوى) حدثنى نوفل بن عامر عن سالف بن عاصم عن سالم عن الدوسى قال كنت مع سهل بن اساف حين قدمنا على الشمسانية وخرج علينا نوفل بن مازن فقال والله لقد قاتلنا قتالا شديدا ما شهدنا مثله حتى كان من أهل الهزيمة ما كان قال سالم بن عبد الله لما أسرهم نوفل بن مازن شدهم فى الحبال وقرن بعضهم الى بعض ورجلهم عن خيولهم وسار بهم يطلب رأس العين فاخبروه أن الملك شهرياض على مرج الطير من جانب النقب فقصد اليه ومعه من بنى عمه أربعون رجلا وساقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن أوقفوهم بين يديه وحدثوه بأمرهم فأمر بضرب رقابهم فضرب رقابهم وكان آخر من بقى أميرهم سهل بن اساف وكان أحسن الرجال وجها قال فشفع فيه بعض البطارقة فوهبه له وكان ذلك البطريق اسمه توتا بن لورك وهو صاحب كفرتوتا فاخذه وأتى به الى قصره فى كفرتوتا قال فنظرت اليه ابنته فسألت أباها عنه فقال أى بنية ان المسيح قد طرح رحمة هذا الشاب فى قلبى فسألت الملك فيه فوهبه لى فخذيه اليك فأخذته وأدخلته فى بستان قال فلما كان بعض الايام دخلت البستان فنظرت الى سهل بن اساف وهو يقرأ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود فلما سمعت قراءته أخذت بمجامع قلبها فقالت ما أفصح هذا الكلام وأطيبه وألينه للافهام فقال لها هذا كلام الملك العلام الذى أنزله على سيد الانام فقالت الجارية أما محمد فهو نبيكم لا محالة فيه فمن هؤلاء الذين قال فيهم والذين معه قال هو صاحبه ووزيره أبو بكر الصديق رضى الله عنه أشداء على الكفار هو صاحب هذه الفتوح ومجهز هذه الجيوش عمر ابن الخطاب رحماء بينهم هو كاتبه وصهره عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا هو أخوه وابن عمه وصاحب سيفه على بن أبى طالب فقالت له الجارية وكان اسمها البريتا وكانت تكتب بقلم التوراة والانجيل وتتكلم بكلام العرب وكثيرا ما كانت تسأل علماء دينهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعطيها أحد منهم خبرا حتى وقع بيدها سهل بن اساف فقالت من هؤلاء الذين ذكرت قال هم الذين قالوا وصدقوا وقاتلوا فحققوا وركبوا نجب السوابق فوفقوا وساروا فى بادية الطلب فلم يرفقوا وكلما لاح لهم علم الافاضل تشوقوا ونودوا فى سرائرهم رجال صدقوا ثم أنشد يقول

رجال من الأحباب تاهت نفوسهم * ينادونه خوفا ويدعونه قصدا
وقاموا بليل والظلام مغلس * الى منزل الاحباب فاستعملوا الكدا
يحثون حث الشوق نحو مليكهم * وقصدهم الفردوس كى يرزقوا الخلدا
أولئك قوم فى العبادة أخلصوا * فتاهوا به شوقا وماتوا به وجدا

فقالت له الجارية لقد سمعت من نيسار راهب دير قنا ان الله ينشر دعوة نبيكم فى المشرق والمغرب ويملك المشرق والمغرب وانهم يفضلونه على الآباء والامهات والاخوة والاخوات وأنهم بعد موته يسيرون اليه واذا ذكر يكثرون الصلاة عليه فقال لها سهل بن اساف أما علمت انه كان فى حياته يدعو لهم ويستغفر لهم ولمن دخل فى دينه وأقربه ولقد كانت زوجته عائشة رضى الله عنها تقول كانت ليلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مضى الثلث الأول منها والفلك يدور بالنجوم والسماء تزهو بالكواكب والمردة تحرق بالشهب الثواقب وسرادق الله قد مد جناحه وأحال الظلام بادلهامه فبينما أنا فى وادى الوتين ساكنة وبجانبى أفضل مرسل وأكرم من ابتهل وتوسل واذا به قد قبضنى وبكلامه الشريف أيقظنى وهو يقول أيتها الامين المتكملة بعين السبات الغافلة عن موارد الهبات هبى من منامك واعملى ليوم حمامك فقد قام أولو الالباب ومرغوا خدودهم على الاعتاب وفى التراب قالت فقمت معه للخدمة ووقفنا نشفع للامة الى أن برق بارق الصباح وانفلق فالق الاصباح فقال هلمى للصلاة والاستغفار وطلب العفو من العزيز الغفار قالت فوافقته على ما أراد

الامام السيما الله تعالى حلة الدوام (فاولهم فى ولاية مصر السلطان سليم خان فاتح مصر) وقد ملكها مستقل سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وتوفى سنة ست وعشرين وتسعمائة وكان سلطانا مهيبا قهارا كثير السفك للدماء قوى

ويلغنا القصد والمراد فلما سكت من تسبيحه وفاح ريح طيبه رأيته وهو يتنفس ويقرع بسبابته جوهر سنه فقلت ياسيد الوجود وطيب الآباء والجدود ان العرب لاتقرع سنها الالأمر مهم أو لشأن ملم قال تذكرت حال العصاة من أمتي والمخلصين في محبتي وذكرت قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فقلت يارسول الله أما أنزل عليك قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والله ليغفرن لك ولأمتك لقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى أنت الذي خلقت السموات والأرضون والعرش والكرسي من أنوارك وأنت الذي ربط براق القرب ببابك أنت الذي اخترقت عالم الملكوت وحملت الى حضرة القرب والجبروت وأنت الذي أوتيت ليلة القدر وأنت صاحب البطحاء والحرم ولانت لك الاحجار وسلمت عليك الاشجار وانشق لك القمر ليلة الابدار وأنزل عليك يا أيها النبي جاهد الكفار أنت صاحب عرفات ومنى والمخصوص بالشكر والثنا وسوف يبلغك الله من أمتك المنى أما وعدك الله المقام المحمود واللواء المعقود والحوض المورود والكرم والجود وسرادق السعود على أمتك ممدود وسحاب التوفيق عليهم بجود ولواء أصحابك بجواهر قبولك منضود وعليه مرقوم عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا فكيف تخاف على أمتك نزول الباس وقد فضلوا على سائر الناس بقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس ياسيدي أنت تعلم ان أباك آدم تشفع بك فتاب الله عليه ونوح سأل بك فنجاه الله من الغرق وابراهيم مع علو قدره بك انجاه الله من النار والحرق وموسى مع تقربه ومكانته بك سأل ربه أن يشرح صدره وييسر أمره (قال الراوى) وما ذكر سهل للجارية هذه المناقب الالأن ترجع الى دين الاسلام قال فلما سمعت كلامه قالت فما جزاء من يدخل في دينه ويقول بقوله فقال يخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وتمحى عنه سيآته ويكون جزاؤه الرضوان في الجنان ثم قرأ قوله تعالى ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما قال فلما سمعت الجارية ما تكلم به سهل وقع بقلبها وصغت اليه بلبها وقالت أنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ففرح سهل باسلامها فقالت له اكتم أمرك الى الليل حتى أخلصك وأسير معك الى عسكر الاسلام (قال الراوى) حدثنا صاعد بن عدى النميرى عن أبيه انه سمعه وهو يحدث الناس بالمدينة وقد أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بأموال رأس العين وخزائن الملك شهر باض قال وان الجارية مضت واستدعت بجواريها وأخذت من مال أبيها ألف دينار فلما جن الليل فتحت باب السر بعد ما تجسست فرأت كل من في قصر أبيها نياما فأتت الى سهل وحلته من وثاقه وقالت له قم على اسم الله وبركة نبيه فقام سهل بن أساف الى الباب وأعطته لامة حرب ولبست هى مثلها وخرجا من الباب واذا هما بجوادين فركبا وخرجا وسارا مقدار فرسخين عن كفر توثا واذا هم بحس الخيل وراءهم فقالت ان كانوا من الروم فعلى مخاطبتهم وان كانوا من العرب المتنصرة فعليك مخاطبتهم قال فوقفوا غير كثير واذا بالقوم عدتهم ثلاثة وعشرون فارسا وعليهم ثياب خضر وهم على خيول شهب قال فتأملهم سهل واذاهم أصحابه الذين قتلوا بحضرة الملك قال فدنا منهم سهل وسلم عليهم وقال سبحان الله ألم أشاهد قتلكم قالوا نعم أما علمت أن الشهداء أحياء لا يموتون وانما هى نقلة من دار الى دار وان الله قد بعث بأرواح الشهداء في هذه الليلة لتزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم وكانت تلك الليلة ليلة النصف من شعبان فقال لهم انى أريد المسير معكم وفى صحبتكم قالوا انك لا تقدر على ذلك وقد بقى من عمرك احدى وأربعون ليلة وتلحق بنا وأما هذه الجارية فقد أعد الله لها فى الجنة ما أعد لأوليائه وقد بنى لها قصرا من الجوهر والياقوت الاحمر على شاطئ نهر الكوثر ستوره معلقة وبالانوار مرونقة وقبابه مزوقة وأسرته موضونة وفرشه مرفوعة وأباريقه مصفوفة وزواياه محفوفة وحلله منسوجة وحواشيه بحسن الوفاء مسروجة على أبوابه مكتوب بقلم السر المكنون ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فلما سمعت الجارية قولهم قالت فبم استوجبت هذا النعيم قالوا بتوحيدك الرب العظيم وتصديقك النبى الكريم قال فصاحت صيحة فاذا هى ميتة قال سهل فنزلت فدفنتها وغاب الشهداء عنى وسرت الى المسلمين فحدث عبد الله بن غسان وسهل بن عدى بذلك فازداد المسلمون يقينا بذلك وعاش سهل بعدها احدا وأربعين يوما ومات رحمه الله (حدثنا) صفوان بن عامر عن خويلد بن ماجد عن عبد الرحمن بن النعمان عمن حدثه عن فتوح الشام وأرض ربيعة الفرس قال لما نزل عسكر المسلمين على قرقيسيا مع عبد الله وسهل قال خندق المسلمون على أنفسهم خندقا

البطش والفحص عن أخبار الناس عظيم الكشف عن أحوال الملوك وكان يغير زيه ولباسه ويتجسس بالليل والنهار ويطلع على الاخبار وتوجه لقتال العجم ونصره الله

وتركوا لهم موضعا يدخلون منه ويخرجون قال واتصلت الاخبار بعياض بن غنم وهو بجانب الرقة وهو يتروى فيمن يبدأ بحربه بشهرياض وجنوده أو بحران والرها فقال له خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه أتترك جيشا قد تهيأ واحتفل لقتالك وتمضى لسواه والرأى أن تلقى هذا العدو فاذا أنت هزمته وأوقعت الهيبة هنالك فاقصد ماشئت من البلاد فانها تفتح ان شاء الله تعالى قال فعوّل عياض على ذلك واذ قد أتته جواسيسه وأخبروه انه قد تهيأ لحربكم الملك شهرياض ونوفل وطرباطس صاحب دارا والمؤزر وصاحب جلين وأرمانوس صاحب تل سماوى وأرجور صاحب البارعية وشهرياض صاحب ماردين وورودس صاحب حران والرها وقد صارت جريدتهم مائتى ألف وقد ضمنوا للملك لقاءكم وقالوا الا نلقى العدوّ الا بأهالينا وأولادنا وأموالنا وحريمنا حتى لاينهزم منا أحد وقد تقدم اليكم الارمن وبعدهم الروم وهم دون الفرات فلما سمع عياض ذلك بعث اليهم الوليد بن عقبة ووصاه بما أراد قال فقدم على بنى تغلب وجمع أمراءهم وهم نوفل بن مازن وعاصم والاشجع وميسرة وحزام وقارب وقال يافتيان العرب اعلموا أن من نظر فى العواقب أمن من المعاطب وليس أنتم أحد سنانا ولا أقوى جنانا ولا أجرأ فى الجولان ولا أوسع ميدانا من بنى غسان وليس فيكم من يشبه جبلة بن الايهم وكان فى ستين ألفا وقد نصرنا الله عليهم وقتلناهم ماداتها والصواب أن ترجعوا الينا وتكونوا من حزبنا قال فاجابوه بأجمعهم الا طائفة اياد الشعطاء فانهم ارتحلوا الى بلاد الروم ووصل عرب بنى تغلب الى جيش عياض ابن غنم مسلمهم وكافرهم فرحب بهم وطيب قلوبهم وقال لهم يامعاشر العرب ان الله سبحانه وتعالى قد أراد بكم خيرا بصرفه اياكم الينا ونزوعكم عن عبدة الصليب وقد أراكم الله اعزاز دينه وشرف نبيه وقد وعدنا ووعده الحق بملك كسرى وقيصر وأخذ كنوزهما وما كان ينطق عن الهوى وقال الله فى حقنا ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون قال فاسلم كافرهم وبقوا جميعهم مسلمين (قال الراوى) أخبرنا سيف عن خالد بن سعيد قال لما علم عياض بهروب اياد الشعطاء الى بلاد الروم كتب الى عمر بن الخطاب بذلك فارسل عمر رضى الله تعالى عنه الى هرقل وولده قسطنطين يقول لهم ان لم تصرفوهم عن أرضكم لأنفين كل نصرانى عندنا (قال الواقدى) فلما وصلت رسالة عمر الى هرقل وولده انفذهم اليه قال وعزم عياض على لقاء الملك شهرياض وأما ما كان من شهرياض صاحب قرقيسيا فانه جمع بطارقته وقال لهم اعلموا انه قد بلغنى عمن تقدم من الملوك أنهم كانوا يجيشون الجيوش ولا يستغنون عن الحيل وانا أريد فى غداة غد أن أخرج الى لقاء العرب فاذا اصطفت الصفوف فرجلونى عن جوادى واشهروا علىّ سلاحكم كأنكم تريدون قتلى فاقول لكم أنا معتذر انما أردت أن اجرب خبر جميتكم لدينكم وظننت انه قد أخذكم الخوف من هؤلاء فاذا سمعتم منى ذلك فارجعونى الى اجلالى واعظامى ثم ناوشوهم الحرب فاهرب أنا اليهم وأقول لهم انى أردت أن أسلمكم البلاد فهاش القوم علىّ كما رأيتم وهموا بقتلى وقد جئت اليكم راغبا فى صحبتكم فاذا أمنونى وغفلوا عنى قتلت أميرهم فى الليل وأنا اعلم أن القوم بعده يهون على أمرهم ثم أعول على انهزامهم فقال له وزيره الارمنى وكيف تسمح بنفسك وتلقيها فى أضيق المسالك وان أنت فعلت ذلك لانأمن عليك من العرب ويعتبنا خالك ويقول لنا كيف تركتموه يمضى الى العرب فقال عبد الله يوقنا القد صدق السيد فى قوله وكيف نتركك تمضى اليهم وأنا أدبرك مع هؤلاء القوم تدبيرا يكون أقرب من هذا وأهون فقال شهرياض والوزير الارمنى وما هذا التدبير أيها الملك قال أن نخرج غدا بأجمعنا ونلقاهم ونريهم الجد من أنفسنا ونقاتل بحسب الطاقة ثم ننهزم الى المدينة ونستوثق من أبوابها ونصعد على السور فرعاقر بوامنا فلا نقاتل فاذا فعلنا ذلك طمعت العرب فينا ودنوا منا واعلموا ان فى عسكرهم جماعة من الروم ممن صبا الى دينهم فرعاقر بوامنا فاذا أرادوا ذلك كتبنا اليهم نطيب قلوبهم ونرسل رسولا فى طلب الصلح ونقول ارسلوا الينا عشرة من عقلائكم حتى نرى ماتريدون منا واعلمنا نعقد معكم صلحا فاذا فعلوا ذلك وحصلوا عندنا قبضنا عليهم ونشهرهم وفنا عليهم ونقول لهم اما أن ترحلوا عنا والاضربنا رقابهم فان القوم اذا رأوا الجد منا طلبوا أصحابهم ورحلوا عنا والعرب اذا قالوا قولا وفوا به فان هزموا الملك شهرياض واحتو واعلى بلاده دخلنا بعدها تحت طاعتهم وارتحلنا عنهم الى بلاد الروم قال وانما أراد يوقنا بهذا الكلام أمرين احدهما أن يبرأ عندهم من التهمة حتى يطمئنوا اليه والثانى أن يحصل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة فى المدينة فيحتال أن يكونوا تحت يده ليثور بهم فيملك بهم المدينة

عليهم لكنه لم يتمكن
من بلادهم شدة التمكن
للغلاء والقحط الذى وقع
هناك بسبب انقطاع
القوافل التى كان أعدها
لتتبعه بالمؤن فتفحص
عن انقطاع ذلك فأخبر أن
سببه سلطان مصر قانصوه

فقال له وزيره الارمني وان كان العرب يبعثون الينا صاحبهم أو مواليهم فنقبض عليهم ونعدهم بالقتل فلا يلتفتون الى ذلك ويقع الجد منهم في قتالنا ولا يرحلون عنا فكيف نصنع قال فاراهم يوقنا انه غضب وحول وجهه وقال وحق المسيح لقد دخل رعب القوم في قلوبكم وان تفلحوا بعدها أبدا وحق ما أعتقده لقد قاتلتهم في قلعتي بحلب وقد سارت به الركبان الى سائر البلدان مدة سنة كاملة ولولا ان عبدا أسود من عبيدهم اسمه دامس أبو الهول وعشرين معه نصبوا حيلة علي حتى ملكوا قلعتي لما قدروا عليها أبدا وكانوا قد نزلوا علي بجميع عسكرهم وأبطالهم فكيف بكم وما نزل عليكم الا نفر يسيرة وبلدكم حصين ليس عليه قتال الا من موضعين من صوب الجبل ومن الغرب وما لكم عذر ومن أراد رضا المسيح والاجر قاتل عن دينه وصان أهله وحريمه من هؤلاء العرب وان خفتم أن القوم يرسلون الينا مواليهم أو من لا له عندهم قدر ولا شأن فانا أعرف الناس بهم وبفرسانهم وأبطالهم ومواليهم وخاصة أصحابهم فانفذوا مع رسولكم كتابا باسماء القوم الذين أريد منهم المقداد والنعمان وشرحبيل بن كعب ونوفل وعبد الرحمن بن مالك والاسود بن قيس وخالد بن جعفر وابن قيس وهمام بن الحرث ومالك بن نوبة وسلامة بن عامر قال فضحك الوزير الأرمني وقال وحق ديني ان العرب لا يسمحون بهؤلاء قط الا أن يطلبوا رهائن منكم فقال يوقنا ما أفشل رأيكم وأضعف قلوبكم انفذوا الى القوم فان أجابوا كان ببركة السيد المسيح وان طلبوا رهائن أرسلنا الضعفاء من أهل المدينة ومن أولادهم وألبسناهم أفخر الثياب وقلنا هؤلاء أكابرنا من أهل المدينة قال شهرياض وحق القربان ما نفعل الا ما أمرتنا به ثم انه أمر بطارقته وأرباب دولته أن يأمروا الناس بالتأهب للعرب ففعلوا ولبسوا اسلاحهم واعتدوا للقتال وأمر سهل ابن عدي وأصحابه بالركوب فركبت العرب وخرجت من باب الخندق واستقبلوا العدو بهمم عالية وقالوا اللهم انصرنا عليهم كنصر نبيك يوم الأحزاب وعبوا صفوفهم ثم وعظهم وقال في آخر وعظه ها أنا حامل نحو طاغية الروم وصليبه فاتبعوني فان فتح الله بقتله أو أخذ صليبه فالقوم لا ثبات لهم فقالوا أيها الامير لقد دعوتنا الى شئ هو أحب الينا فاحمل حتى نحمل قال محمد بن عبد الله فحمل هو ومن معه على عسكر قرقيسيا وكان أمير المسلمين عبد الله بن غسان وسهل بن عدي فالتقوا قتالا شديدا وجاهدوا في الله حق جهاده وبذلوا رماحهم وسيوفهم في أعداء الله والتقى عبد الله بن مالك الاشتر ببورنيك الارمني فلما عاين زيه علم انه من ملوكهم فطعنه في صدره فاخرج السنان من ظهره والتقى النعمان بن المنذر بشهرياض وقد طعطع الجوع ولم يعلم النعمان أنه صاحب البلد بل عرف أنه من الملوك فحمل عليه النعمان وهو يقول هذه الأبيات

ونا القوم في الحروب ليوثها * وتنفر منا عند ذاك أسودها * نحامي عن الدين القويم نصونه
ونرغم آناف العدا ونذودها * لنا الفخر في كل المواطن دائما * بأحمد نا الهادي فذا السعيد ها
ملكنا بلاد الشام ثم ملوكها * الى أن تبدى بالنكال عديدها * وسوف نقود الخيل جردا سوابقا
الى شهرياض الكلب ذاك شديدها * وعلك دارا ثم جابين بعدها * كذا رأس عين والجيوش نقودها
ونمضي الى حران ثم سروجهم * كذلك الرها المسلمين نعيدها * واني أنا النعمان ذاك ابن منذر
* أبيد ليوث الحرب ثم أسودها *

ثم أطبق عليه وفاجأه بطعنة فا قاه صريعا فلما نظر جيش قرقيسيا الى هلاك ملكهم انحرفوا الى مدينتهم وتحصنوا في بلدتهم وخافت أرمانوسة ودخل الرعب في قلبها ثم انها قالت للعبد الصالح يوقنا يا عبد المسيح ما بقي لي أحد سواك يسوس ملكنا ويدبر حالنا فقال أيتها الملكة أنا لك وبين يديك ثم انها خلعت عليه وعلى أصحابه وقالت اعلموا ان هذه المدينة والمملكة لكم فقال يوقنا يجب علينا أن نقوم بحقها ونقاتل بين يديها ثم انه رتبهم على الاسوار فدنا المسلمون ورجالهم وهم يرمون بالمقاليع فكانت حجارتهم لا تخطئ أبدا وكان المقدم على الرجال والموالي المنذر بن عاصم ولم يكن بالحجاز ولا باليمن قاطبة أرمى منه بالمقاليع وكان من قوة ساعده اذا خرج حجر يجاوز البرج الاعظم فلم يزل يرمي فيه كل يوم فيصيب الرجل والرجلين فسمته العرب برج المنذر وكانوا قد ضايقوا أهل قرقيسيا مضايقة شديدة فقالت أرمانوسة أين ما وعدت به الملك شهرياض من تدبيرك في هؤلاء العرب فقال أنا في هذا الامر متفكر ثم انه صعد على السور ونادى بالمسلمين ونادى يا معاشر العرب قد طال الامر بيننا وبينكم ولا نسلم لكم الان تهزموا الملك وتملكوا رأس العين ونحن لكم بعد ذلك واطلبوا منا من المال

الغوري لانه كان بينه
وبين اسمعيل شاه كبير
العجم مودة ومراسلات فلما
استقر في تخت السلطنة
استعد لاخذ مصر فكان
منه ما كان وكان مستقره
في مدة اقامته بمصر الروضة
وبنى له كوشك عند قاعة

ماتريدون فقد علمنا انكم اذا قلتم فعلتم ووفيتم قال فلما رآه عبد الله بن غسان وسهل بن عدى والصحابة ونظروا اليه علموا انه يريد أن ينصب حيلة على أهل قرقيسيا فقال سهل بن عدى يا عدو نفسه مكرت بنا وتممت منصوبك علينا بدخولك فى ديننا حتى اطمأننا اليك ثم غدرت ورجعت الى دينك الاول فأين تهرب منا ان توليت عنا ونحن لك فى الطلب وسوف نملك هذه المدينة بالسيوف ونضرب عنقك وهذا أيضا من تمام الحيل فقال يا معاشر العرب لقد صحبتكم وخدمتكم ومارأيت منكم الا خيرا ولكن طالبتنى نفسى بدينى فرجعت اليه والآن فقد مضى ما مضى وهذه المدينة مالكم اليها وصول ولا تقدرون عليها الا انها حصينة وفيها رجال الحرب والقوت عندنا كثير ولكن أنفذوا الينا منكم عشرة من أعز أصحابكم ممن نثق بهم يحلفون لنا ونحلف لهم اذا فتحتم رأس العين سلمناه هذه المدينة اليكم ويكون الصلح بيننا بقية هذه السنة فقد بقى منها اربعة أشهر أولها شهر رمضان فقال له عبد الله بن غسان قد أجبناك الى ذلك فمن هم العشرة الذين تريدهم حتى نرسلهم اليك فقال أريد المقداد بن الاسود والاسود مولى قيس وخالد بن جعفر وواحة بن قيس وهمام بن الحرث وسلامة بن عامر وابن نعيم فهؤلاء نريدهم فانه لا يقع الصلح الا بهم قال فوجه عبد الله هؤلاء الذين ذكرهم له يوقنا قال وفتح لهم الباب فقال له عبد الله نحن ما نسمح بأصحابنا بلا رهائن فمضى يوقنا الى الملكة ارمانوسة وأخبرها ان القوم يريدون رهائن فقالت ارسل لهم من أولاد السوقة قال يوقنا أيتها الملكة ان الحيل فى الحرب من عند العرب خرجت والملوك من شأنها اذا قالت قولا رفت به واعلمى انه قد قال حكيم الفرس اذا كان الغدر طباع قوم فالثقة بكل أحد عجز واعلمى أن أهل البلد فيهم رؤساء وملوك وهم يعظمون شأنك بعد هلاك الملك ولكن ينظرون اليك بعين التأنيث وينظرون الى بعين الغربة ولا هيبة لى عندهم وربما عمدوا بالصلح مع العرب فلا يكون من ذلك ولا يتم لنا ما نريده وربما يرسلون يستنجدون علينا بمثل ملك الموصل وصاحب الهنكارية ويعظم الامر قالت فما الذى تراه من الرأى قال الرأى أن نبعث الرؤساء منهم رهائن عند العرب وانما فعل ذلك يوقنا حتى لا يتعرض له متعرض فى المدينة واذا سلمهم لا يكون فيها رئيس من رؤسائهم فأجابته الى ذلك وانفذت الرؤساء منهم رهائن الى عبد الله بن غسان فلما وصلوا اليه دخل العشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حصلوا فى المدينة أمرهم الى البرج الكبير وهو المعروف ببرج المنذر وانما فعل ذلك حتى لا يعصى من فى البرج لان فيه من أهل البلد فلما حصلوا هناك رجع الى الملكة ارمانوسة وقال قد حصلتهم فى البرج وغدا نرقيهم بأعلى البرج ونقول لهم اما أن ترحلوا عنا أو نقتلهم قالت وكيف نصنع برهائننا وان نحن قتلنا أصحابهم ما ذكرت يقتلوا أصحابنا كذلك قال لها يوقنا اذا كنت تفزعين على أهل البلد فصالحى القوم قالت دبرنا بحسن رأيك فقال السمع والطاعة وأنا أمضى الى هؤلاء العشرة مع ما وصاهم به أميرهم وننظر ما الذى يطلبونه منا ثم انه مضى الى الصحابة وحدثهم بما عزم عليه من تسليم البلد وقال لهم اذا سمعتم الضجة فدونكم ومن فى البرج ثم رجع الى أصحابه ورتبهم على السور ولم يترك منهم احدا من أهل البلد فلما أظلم الليل سار عبد الله يوقنا مع أصحابه المائتين وأعلنوا بالتهليل والتكبير وبادروا الى الباب ففتحوه وأرسل الى عبد الله بان يأتى اليهم بعسكره فأتوا ووضعوا السيف فى أهل البلد فما أفاق أهل قرقيسيا الا والمسلمون قد مكنوا منهم القواضب فقصدوا البرج الاعظم فثار عليهم العشرة الصحابة فعلمت الملكة أرمانوسة أن الحيلة قد تمت عليها من قبل يوقنا وسمعت أهل البلد ينادون الغوث الغوث فأمنهم عبد الله بن غسان وسهل بن عدى واحتووا على ما فى المدينة وأخذوا جميع ما كان فيها من الاموال وما فى البرج الاعظم من الذخائر فاخرجوا منه الخمس وقسموا الباقى على المسلمين وعرضوا عليهم الاسلام فمن أسلم منهم وهبوا له أهله وماله ومن أبى ضربت عليه الجزية ثم اجتمع الذين أسلموا وأتوا الى الامراء وقالوا نحن قد دخلنا فى دينكم فسلموا الينا كرومنا وبساتيننا فقال لهم عبد الله بن غسان وسهيل بن عدى هى بحكم الامام يعنى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو الذى يسكن فيها من أراد ويأخذ خراجها ممن هى فى يده فان حكم الخراج والخمس والجزية بأمر الامام يأخذ حاجته منه ويصرف الباقى فى مصالح المسلمين (قال الواقدى) واسلمت أرمانوسة ومن كان يلوذ بها فأقرهم عبد الله فى أماكنهم وأحسن اليهم غاية الاحسان وجدد لهم الأمان كل ذلك ليتصل الخبر بأهل البلاد فيدخلوا فى الاسلام قال عطية بن الحرث وكان ممن أدرك ذلك وكان فتح قرقيسيا أول ليلة من شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين من الهجرة

المقياس وهو مشرف على
بحر النيل والروضة ولما
أراد التوجه الى الروم
تقدم اليه خير بك بمفاتيح
البلد فردها عليه وولاه
عليها الى أن يموت فشاوره
على ان أبناء الجراكسة
يريدون الدخول فى جملة

ـنوا الكنيسة العظمى وهى بيعة نجرجيس جامعا ولم يبرحوا حتى صلوا فيه وأطلقوا الرهائن وتسلم ولايتها
رحبيل بن كعب فى مائة وخمسين رجلا وعولوا على المسير الى ماكسين والتفت الامير الى عبد الله يوقنا وقال
ا ينبغى لك أن ترجع الى قلعتها فقد جاءت الوصية الينا من قبل الامير عياض قال فرجعت والحمد لله وحده
الصلاة والسلام على من لا نبى بعده

﴿ذكر فتح ماكسين والشمسانية﴾

ل حدثنى زهمان بن رقيم عن الصلت بن مجالد عن القيل بن ميسور قال لما ارتحل عبد الله عن قرقيسيا ونزل
لى ماكسين فتحها صلحا على أربعة آلاف درهم من نقد بلادهم وألف حمل طعام حنطة وشعير فقاتلوا من ذلك
ترك لهم النصف وكذلك أهل الشمسانية ثم نزل على عربان فخافوا اليه وصالحوه بما صالح به أهل ماكسين ثم
تحل الى المجدل فملكها وأقام بها ينتظر ما يرد عليه من أخبار أميره عياض بن غنم وهو نازل على نهر البلخ
كتب اليه يعلمه بما فتح الله على يديه فلما وصل الكتاب اليه كتب اليه أن الزم مكانك حتى يأتيك أمرى
السلام قال سهل بن مجاهد بن سعيد لما فتح الله على يد عبد الله بن غسان أرض الخابور صلحا وأقام بالمجدل
نشد قيس بن أبى حازم البجلى هذه الابيات

أقمنا منار الدين فى كل جانب * وصلنا على أعدائنا بالقواضب
ودان لنا الخابور مع كل أهله * بفتيان صدق من كرام المراتب
هزمناهم لما التقينا عابسا * وثار عجاج النقع مثل السحائب
وكل همام فى الحروب تخاله * يكر بحمل فى صدور الكتائب
وجندل وفد الروم فى كل جانب * تركناهم فى القاع نهب الناهب
ومازال نصر الله يكنف جمعنا * ويحفظنا من طارقات النوائب
فلله حمد فى المساء وبكرة * وما لاح نجم فى صدور الغياهب

﴿ذكر فتوح قلعة ماردين﴾

ال حدثنى سوار بن كثير عن يوسف بن عبد الرزاق عن الكامل عن المثنى بن عامر عن جده قال لما فتحت
دائن الخابور صلحا بلغ قتل الملك شهرياض صاحب أرض ربيعة وعين وردة ورأس العين فعظم عليه
كبر لديه فجمع أرباب دولته وهو نازل على أرض الطير وقال لهم هذه ثلاث مدائن من بلادنا قد ملكت
قلعتان والعرب المتنصرة قد مضت عنا فقال له البطريق توتا أيها الملك انه لابد للعرب منا ولابد لنا منهم
يعطى الله النصر لمن يشاء غير انه كان من الرأى انك لو زوجت ابنك عمود المملكة مارية بنت أرسوس بن
جارس صاحب ماردين ومربن لاعانتنا قلعة المرأة (قال الراوى) وكان السبب فى بناء القلعتين المذكورتين
ن هذا الرجل أرسوس بن جارس كان من أهل طبرزند وكان شجاعا بطلا مناعا وكان أول من بنى المملكة
أرمينية وكان منفردا بطبرزند وكان يغير فى بلاد الروم حيث شاء حتى كتب أهل تلك البلاد الى الملك الاعظم
ستغيثون به من يده فأرسل له الملك هرقل من انطاكية الى ديار ربيعة وقال له ابن لك حصنا تسكن فيه فلما
وسط أرض جبل ماردين نزل تحته ونظر واذا على قلة الجبل موضع نار وكان فيه عابد من عباد الفرس وكان
شهورا عندهم بالعبادة وكانت الهدايا تقبل اليه من أقصى بلاد خراسان والعراق وكان اسمه مدين فلم يزل به
رسوس حتى صادقه وكان يحمل اليه الهدايا والتحف وكان العابد لا يحتجب عنه ولم يزل معه حتى انه وقع به
نفرد فقتله وغيبه فلما عدمه أهل تلك الارض قالوا مات مدين ثم ان أرسوس بنى بيت النار وجعله حصنا
كانت له ابنة يقال لها مارية فلما رأت اباها بنى له مكانا وتحصن فيه بنت أيضا قلعة بازائه وحصنتها وجعلت
بها أموالها وذخائرها ورجالها وكانت كلما خطبها أحد تراه دونها الا انها من بيت المملكة وكان بالقرب من قلعتها
ير بسفح الجبل وفى الدير راهب قد انقطع فيه وكان من أجمل الناس وجها وكان اسمه فرما قال فأتت اليه
أثره فلما رأته وقعت محبته فى قلبها فلم تزل تتردد اليه وتحاسر عليه الى أن صارت بينهم محبة فسلمت نفسها اليه
فحملت منه فلما تكامل حملها ولدت فى خفية ولدا ذكرا فسلمته الى دايتها وقالت لها انظرى كيف تفعلين بهذا
الغلام فانى أحبه ولا أريد قتله لانه ان علم أبى بقصتى قتلنى ثم أخرجت له ذخائر نفيسة وجعلتها فى قماط وخيطت
عليها وقالت من وقع به ينفقها على تربيته ثم انها افتقدت بدنه واذا على خده الايمن شامة سوداء بقدر الظفر
رأت أذنه اليمنى وفيها زيادة قال فأخذته الداية ونزلت به ليلا وهو خادم وكان مطلعا على أسرار المملكة فأتت

الاجناد فاجازه بذلك
وشاوره على ابقاء أوقاف
الجراكسة وهى نحو عشرة
قراريط من أرض مصر
فأجازه بابقائها على ما كانت
عليه فتشوش وزيره وقال
فنى مالنا وعساكرنا
وتبقى لهم أوقافهم يستغيثون

به الى اسفل القلعة فى الطريق الاعظم وهنالك عمود من رخام وغالبه غائص فى الارض وهو قائم وعلى رأس
ذلك العمود قاعدة من الرخام فوضعت ذلك المولود على القاعدة خوفا عليه من الوحش أن يقربه فيأكله ثم
رجعت هى والخادم الى القلعة (قال الراوى) رضى الله عنه وكان من قضاء الله وقدره أن صاحب الموصل الملك
الانطاق قد بعث رسولا اشهر ياض ثم الى أرسوس بن جارس صاحب ماردين فجاز مجرا فى الطريق الذى فيه
العمود فسمع بكاء الطفل فدنا منه وهو على جواده فنظر عصابة الذهب فأخذه وسلمه الى جارية كانت معه فى
السفر وقال لها احتفظى على هذا المولود فلا شك ان له شأنا ثم أوصل الرسالة الى صاحب ماردين وارتحل الى
رأس العين وأعاد الجواب على الملك شهر ياض وأجرى الله على لسانه بان حدث الملك شهر ياض بقصة
الطفل الذى وجده على العمود فقال اعطنى اياه فانه ليس لى ولد يرثنى و يخلفنى فى ملكى فدفعه اليه فاخذه
الملك ودفعه للمراضع والدايات فربوه الى أن ركب الخيل ونشأ وترعرع فسماه الملك عمودا وسماه الناس
ولد الملك وتربى فى النعمة وتعلم طريقة الملوك من ركوب الخيل والرماية والقتال والمبارزة والصراع الى أن
شاع ذكره وانتشر فى الناس خبره وكان لا يأوى الى عين وردة بل أكثر زمانه فى الصيد والقنص وبنى له
قصرا على رأس المغارة يأوى اليه وسمى القصر باسمه عمودا وليس عند أمه مارية خبر بما فعل الزمان به
وانقضت الايام واندرجت الاعوام حتى قدم عسكر المسلمين يريد فتح أرض الجزيرة فلما شاور الملك أرباب
دولته فى أمر العرب أشار عليه توتا أن يزوج ولده عمودا من المملكة فانها لا تصلح الا له وهى بكر ولها من العمر
ثلاثون سنة وقد خطبها الملوك وأبناؤهم فلم ترض بهم لانها تراهم دونها وأنت اذا طلبتها لولدك لم يمتنع من ذلك
أبوها و يفرح بمصاهرتك فاجابه الى ذلك و بعث الى أرسوس بن جارس هدية عظيمة وقال لتوتا كن أنت
الواسطة فى ذلك فسار توتا الى أرسوس وسلم عليه ودفع اليه الهدية فقبلها وتحدث معه فيما ذكرناه فاجابه الى
ذلك وطلب منه الصداق مائة ألف دينار والبارعية وجملين وعشرين أميرا من العرب ليقتلهم قربانا للمسيح
ليلة زفافها فاجابه توتا الى ذلك فركب أرسوس الى قلعة ابنته ودخل عليها وأعلمها بالخبر فرضيت فخرج من
عندها وجمع القسوس والشمامسة وزوج ابنته لعمود وليس عندهم خبر من أحكام القدر (قال الراوى)
ورجع توتا الى الملك شهر ياض وأعلمه أن الامر قد انبرم وأعلمه بما اشترط عليه أرسوس من القلعتين البارعية
وجملين ومائة ألف دينار وعشرين أميرا من العرب يقربهم ليلة زفافها ففرح بذلك وأنفذ الأموال
وقال اذا زفت اليه سلمت الى أبيها القلعتين ثم انه طلب عمودا وأخبره انه قد زوجه ابنة أرسوس بن جارس
وقال له اعلم يا بنى ان من جملة الصداق عشرين من فرسان العرب فتجهز وخذ العسكر واقصد العرب وأمر
أن يخرج معه توتا الوزير وردس صاحب حران وقال لهم ان قدرتم أن تكبسوا العرب فافعلوا ومضوا فى
عشرين ألفا (قال الراوى) وأتت عياضا عيونه وأخبرته بما جرى وانهم قد أقبلوا اليك وهم وردس صاحب
حران وصاحب كفرتوثا وعمود ابن الملك فى عشرين ألفا وهم يريدون كبسكم فى هذه الليلة فاستيقظوا لأنفسكم
قال فجمع عياض وجوه الصحابة واستشارهم فقال خالد بن الوليد اكتب من وقتك الى عبد الله بن غسان وسهل
ابن عدى أن يسير واليناومن وقتهم و يعلمهم بما قصد العدو فيكونون منهم على حذر فاذا قربوا منهم يكمنون
لهم حتى يعبروهم ويسير أصحابنا من ورائهم ونكمن نحن عن يمينهم وشمالهم ثم نطبق عليهم فقالوا كلهم
هذا هو الرأى المصيب وخرج خالد فى ألفين وكتب فى الحال الى عبد الله وسهل يأمرهما باللحوق بعسكر
خالد و يوصيهما بما يفعلون و بعث الكتاب مع سراقة بن دارم فوصل اليهما فى يومه على ناقة له فلما وصل
وقرأ الكتاب ارتحلوا من ساعتهم وأطلع الصحابة على الخبر فركبوا وأنفذ عبد الله عيونه يتجسسون له خبر
العدو (قال الراوى) وأما خالد فانه انفصل من عياض فى ألفين ولم يأخذ بهم على الجادة بل أرسل ألفا
عن يمين الطريق وأمر عليهم ابن سعد والفا عن يسار الطريق مع خالد وأمر سعدا أن لا يبعد عن الطريق
وأرسل عيونه (قال الواقدى) انه لما سار عمود وتوثا وردس فى العشرين ألف فارس لم يزالوا سائرين
الى أن بقى بينهم و بين عسكر عياض بن غنم عشرة فراسخ فنزلوا فى مكان يستريحون و يعلقون على
خيلهم و يلبسون لامة حربهم (قال الواقدى) رحمه الله ورضى عنه وسار جيش عبد الله بن غسان
من ورائهم وسار خالد بن الوليد عن يمينهم ونجبة بن سعد عن يسارهم وليس عند العدو خبر من ذلك

عليها فقال السلطان
سليم ابن البلاد وكانت
احدى رجليه فى الركاب
فضرب عنق الوزير
ووضع رجله الثانية
فى الركاب والمنزل انما انتقاه
لاطفوه فقال عاهدناهم
على انهم ان يكنونا من

فلما علم خالد أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أحدقوا بالقوم أرسل يعلم المسلمين أن يتأهبوا الى وقوع الصوت قال فتأهبوا ثم ان خالدا أخذ خمسمائة من أبطال المسلمين وترك خمسمائة مع عدى بن سالم الهلالى وقال له اذا رأيت الحرب قد اشتعل نارها وتطاير شرارها فاخرج من كمينك ثم ان خالدا لما قصد جيش العدو بمن معه وتظاهر لهم رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير قال فسمعت الروم أصواتهم فلبسوا سلاحهم ولم يركب منهم سوى رودس وأصحابه وهم خمسة آلاف ولم يكن فيهم مستيقظ سواه وتوتا مشغول مع عمود قال وان صاحب حران استقبل خالدا واستصغر شأنه لما رآه فى شرذمة قليلة فطمع فيه واشتغلت الروم بالنظر اليهم وقالوا رودس يكفينا أمرهم قال فبينما هم ينظرون اذ صاح خالد بعدو الله رودس وانحط عليه انحطاط السحاب وهو يقول هذه الابيات

وانا القوم لا تكل سيوفنا * من الضرب فى أعناق سوق الكتائب
سيوف دخرناها لقتل عدونا * واعزاز دين الله من كل جانب
قتلنا بها كل البطارق عنوة * جلاء لاهل الكفر من كل جانب
الى أن ملكنا الشام قهرا وغلظة * وصلنا على أعدائنا بالقواضب
أنا خالد المقدام ليث عشيرتى * اذا همت أسد الوغى فى المغالب

وفاجأ رودس بطعنة فألقاه على وجه الارض فأوثقه غلامه همام وحمل فى أصحابه هو ومن معه قال فهم فى ذلك اذ خرج عليهم نجيبة بن سعد وعدى بن سالم وأشرف من بعدهم عبد الله بن غسان فامتلأت الارض بالزعقات وارتجت سائر الجهات وصدموهم على الخيل العربيات ونادوا باسم جبار الارض والسموات وأطبقوا عليهم من كل جانب وكان التوفيق لاصحابه صاحب الرسالة فالتفت الروم ان تركب على خيلها الا والسيف يعمل فيهم فطحطحوهم وفرقوا مواكبهم واستوثقوا منهم أسرى وأخذوا عمودا وتوتا فكانت الاسارى أربعة آلاف والقتلى ألفا وستمائة وستين وولى الباقى الادبار فوصلوا الى الملك شهرياض فأعلموه بما وقع فضاقت عليه الارض بما رحبت وعلم أن دولته قد انقرضت وان أيامه قد اضمحلت ومضت فاحضر من بقى من أرباب دولته فاستشارهم فيما يفعل فقالوا أيها الملك ان مقامنا على رأس العين سفه فان بينه وبين حران والرها ومروج بعيد فاطمع العرب فى بلادنا بل الرأى أن نرحل ونتوسط البلاد وتكون قلاعنا أقرب منا والميرة تصل الينا من كل جانب فان كانت لنا وانهزمت العرب أخذنا عليهم سائر الطرقات وان كانت علينا وانهزمنا الى ماردين وقلعة مازن وكفرتوثا وقصدنا جاجين وتل توتا والبارعية وتل سماوى وتل القرع والصور ودجلة الجبل ونأمن على أنفسنا قال فأجابهم الى ذلك وارتحل من برج الطير وقصد رأس العين ورتب آلة الحصار وترك فى المدينة عشرة آلاف فارس مع مردتوس وكان من الفرسان المشهورة وهو متزوج بابنة الملك شهرياض فلما رتب أمره رحل الى مرج رغبان (حدثنا) أبو يعلى عن طاهر المطوعى عن ابى طالب بن مليحة عن وهبان بن بشر بن هزارد قال قرأت الفتوح من أوله الى آخره بجامع الرصافة على أحمد بن عامر الحوفى وأحمد قرأ على سعدان بن صاحب وابن صاحب قرأ على يحيى بن سعيد المروزى ويحيى قرأ على أبى عبد الله بن محمد الواقدى وهو يومئذ قاضى الجانب الغربى قال لما نزل الملك شهرياض على مرج رغبان بجيوشه ارتحل عياض فى أثره بعد ما كتب بخبر الوقعة وفتح زبا وزلوبيا والخابور الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسأله الدعاء وبعث الكتاب والخمس وما أخذه من القلاع وأرسله مع حبيب بن صهبان وضم اليه مائة فارس فسار الى المدينة وأما عياض بن غنم ومن معه من عساكر المسلمين فانهم تبعوا شهرياض الى أن نزلوا مع العدو بمرج رغبان قال فنزلوا فى مقابلتهم قال واتصلت الاخبار بأرسوس بن جارس صاحب ماردين بأسر عمود فاحضر ابنته اليه وقال لها أى بنية اعلمى ان بعلك قد أسر وهو ابن الملك ونحن نخاف العار بان يقال مارية بنت أرسوس ما كانت موافقة على ابن الملك وانه لما تزوج بها أسر وقد حرت فى أمرى فقالت له مارية يا أبت وحق المسيح لقد قلت الحق وتكلمت بالصدق فما عندك من الرأى قال لها وما عندك أنت قالت أريد أن أتنكر وأدخل الى عسكر المسلمين وآتى أميرهم وأقول له قد أتيت أسلم على يديك لرؤيا رأيتها وهو انى رأيت المسيح فى النوم ومعه الحواريون وكأنى أشكو للمسيح ما نزل بنا منكم وكأنه يقول لى اسلمى فان القوم على الحق وقد جئتكم لاسلم وأملككم قلعة أبى وتتركونى أنا فى قلعتى فاذا قال أميرهم فكيف تملكينا قلعة أبيك

بلادهم أبقيناهم عليها وجعلناهم أمراءها فهل يجوز لنا أن نخون العهد ونغدر واذا أدخلنا أبناءهم فى جندنا فهم أولاد مسلمين ويغارون على دارهم وأما أراضيهم فأصلها ملك الغانمين ومنهم من وقف

وهى أمنع الحصون وأحصن القلاع فاقول له يرسل معى من فرسانهم مائة فارس من صناديدهم وأدخلهم فى
قلعتى واجعلهم فى صناديق وأرسلهم الى قلعة أبى وأسيرمعهم الى والى قلعة أبى وأقول هذه الصناديق فيها
أموالى وأريد أن أجعلها فى خزانة أبى فاذا حصل القوم عندى رميتهم فى المطامير وأقول لهم است أدعكم حتى
ترسلوا الى أميركم يرسل الى بعلى فقال لها أبوها انك تريدين ان تلقى نفسك فى الهلاك وان العرب لاتتم عليهم
الحيل لانهم هم أربابها قالت وان طلبوا منى رهائن فاذا وقع الفداء باصحابهم طلبت الرهائن مع بعلى فقال لها
دبرى ماتريدين فاعل أن يكون فيه المصلحة قال فنزلت فى الليل وقصدت مرج رغبان ومعها خادم وأربعة
مماليك يسوقون بغالها وعليها من الهدايا والتحف والطرف قال فلما وصلت الى تنيس التقت بغلمان أبيها وحاجبه
ومعهم أربعون أسيرا من العرب منهم عبد الله بن غسان وأمثاله قال وكان السبب فى ذلك ان عياض بن غنم لما
ارتحل يطلب رأس العين مع هؤلاء السادة الذين مع عبد الله بن غسان بحسب العادة فى سيرهم الى حران
وسروج والرها أتوا بالطعام والميرة للعسكر فساروا فلما توسطوا البلاد لقيهم السائس بن نقولا وجرجيس بن
شمعون وقد اقبل بميرة عظيمة لعسكر الملك شهرياض ومعهم ثلاثة آلاف غائصون فى الحديد فلما رأوا قلة
المسلمين طمعوا فيهم فاقبلوا وأطبقوا عليهم من كل جانب فأخذوهم قبضا بالكف واحضروهم بين يدى الملك
شهرياض فهم بقتلهم فقال له وزيره أيها الملك ليس هذا برأى لان ولدك عمودا فى يد العدو وردوس صاحب
حران وتوتا صاحب الحجاب فان أنت قتلتهم قتلوا أصحابك وولدك والصواب انك ترسلهم الى قلعة ماردين يعنى
قلعة المرأة وتسلمهم الى الملكة مارية ويكونون عندها فاذا طلبتهم العرب تقول لهم انهم بقلعة ماردين وليس هم
فى أسرنا ونحن لاننبالى بمن هم عندهم فيكون أعظم لحرمتك وهيبتك فاستصوب رأيه وأرسلهم الى مارية مع
حاجب أبيها فالتقت بهم على تنيس كما ذكرنا فامرت الحاجب أن يوصلهم الى قلعتها ففعل ثم انها سارت حتى
أتت الى عسكر المسلمين فى حكم الليل فكان يطوف فى العسكر سهل بن عدى ونجيبة بن سعد فى جماعة فلما
رأوها أتوا اليها وسألوها عن حالها فقالت أريد أميركم فاتوا بها الى عياض بن غنم فلما وقفت بين يديه قدمت له
الهدايا وهمت أن تسجد له فنهاها وقال ان الله قد أعزنا بالاسلام وأنقذنا من الضلال بمحمد صلى الله عليه وسلم
فأزال عن قلوبنا الغل والحسد واتباع الهوى وشرفنا بالتحية ونزهنا أن يسجد بعضنا لبعض ومارغب فى ذلك
الا الجبابرة من ملوك الارض وان الله يقول العظمة ردائى والكبرياء ازارى فمن نازعنى فيهما قصمته ولا
أبالى ومارية تفهم مايقول فلما انتهى قالت أيها الملك ان الله بهذا نصركم علينا قال لها فمن أنت قالت أنا مارية
بنت أرسوس بن حارس صاحب ماردين وان الذى بايديكم أسيرا هو بعلى ولاصبر لى عليه وهو عمود فلما كثرت
فكرتى فيه واشتد شوقى اليه رأيت المسيح فى نومى والحواريين وقد أمرنى باتباعكم وقد أتيت اليكم بهذه النية
بان أتبع دينكم وأسلم اليكم القلعتين قلعتى وقلعة أبى على شرط أن تبقونى فى قلعتى ولاتغيروا من أمرى شيأ
وأقيم أنا وبعلى فيها وأكون الحاكمة على أهل بلدى قال فتبسم عياض من قولها وقال يامارية أما انك
ماأتيت الينا الا لتنصبين علينا بسبب بعلك وكيف يكون هذا بعلك وهو ولدك وحديثه كذا وكذا قال فلما
سمعت الجارية الحديث من عياض بن غنم انتقع لونها وتغير كونها وقالت له ياسيدى ومن أين لك هذا وان
عمودا ولدى وهو ولد الملك شهرياض قال لها رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة حدثنى بذلك كله فقالت
انى أريد أن أراه فان كان ولدى فان لى فيه علامة فأمر عياض بن غنم بحضوره فأتى به سعيد بن زيد فلما نظرت
اليه وقعت عينها عليه ورأت الشامة التى على خده وزيادة اذنه ورأت عصابتها وما فيها من الجواهر صاحت
صيحة عظيمة أذهلت من حضر وترامت عليه والتزمته وقالت ولدى لاشك فيه وقد صدق محمد صلى الله عليه
وسلم فى قوله قال ونظر الغلام الى امه فتحرك الدم فى بدنه فغشى عليه من البكاء فلما أفاق بكى بكاء شديدا هو
وأمه فلما سكتا قال لهما عياض قد وجب عليكما أن توحدا الله شكرا على ماأنعم عليكما فانه يزيد الشاكرين
ورحمته قريب من المحسنين ولايرد بأسه عن القوم المجرمين ليس له حد ولاقبل ولابعد هو الاول وعليه
المعول وهو الآخر وله المفاخر قال فلما سمع عمود ماقاله عياض قال والله مافى قولك زور ولامحال وأنا أشهد
أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله قال فلما نظرت مارية أمه اليه وقد أسلم وافقته فى
الحال وعرجت عن طريق المحال وشهدت لله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة فقال عياض بن غنم ومن

ومنهم من قامت ذريته من
بعده فهل يجوزان تنازع
الملك فى أملاكهم وأنا
أزلت الوزير كراهة ان
يغير على اعتقادى بتكرار
كلامه فرحم الله هذا
الملك العظيم وهذا
شأن الملوك وكانت مدة

حضر

حضرة المسلمين تقبل الله منكما اسلامكما وفقكما واعلما أن الله قد طهر قلوبكما وغفر ذنوبكما فاستأنفا العمل ولكن كيف السبيل الى هذه القلعة المنيعة فقالت أبشر فان أصحابكم أسروا عند حران وقد وجههم شهرباض الى لافدى بهم منكم هذا الغلام عمودا وقد سيرتهم الى قلعتى وها أنا أسير اليهم وأحصلهم فى قلعة أبى وأفك أسرهم وأملكهم القلعة ان شاء الله تعالى فقال لها عياض لقد وفقك الله فى كل حال وصرف وجهك عن المحال ولقد صعب على أسر أصحابنا ولكن قد طاب قلبى بما قلت من الصواب فدعى ولدك عندنا وارجعى الى أبيك فاذا رأيتيه فقولى له قد تمت حيلتك علينا فاذا حصلت عند أصحابنا فافعلى ما فيه الصلاح فقالت السمع والطاعة ثم ودعت زوجها أى ولدها والمسلمين وسارت من ليلتها الى ماردين فوجدت أباها قد نزل الى خدمة الملك الى مرج رغبان ووجدت الحاجب الذى كان معه الاسرى قد أوصلهم الى قلعة أبيها وتركهم تحت قبضته وكان هذا الحاجب من عقلاء الناس ممن قرأ التوراة والانجيل والزبور وكان راهبا فى مبدا أمره وكانت له صومعة على عمود رخام قائم طويل وصنع على رأس العمود قائمة عظيمة وعقد عليها قبة وكان يصعد اليها بسلم ابريسم معلق بأعلى القبة وله سكان فى الارض فاذا حصل فى القبة انتزع السكتين وأخذ السلم اليه فشاع خبره وعلا ذكره بالعبادة والرهبانية فلما توجه الى بلادهم وفتحت الدابور صلحا اجتمع حول ذلك العمود أمم وقالوا يا أبانا ما الذى تشير به علينا فان العرب قد توجهت الينا وقد فتحت الشام وأكثر العراق وحصلوا فى أرضنا فما الذى تصنع قال فاطلع عليهم من القبة وقال يا معاشر النصرانية ما زالت النعم عليكم ظاهرة وباطنة مطمئنين فى البلاد وقد ذلت لكم رقاب العباد ونصركم المسيح على سائر الامم وردعنكم سائر النجم ومهد لكم الارض فى الطول والعرض اذ كنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتردون المظالم الى أهلها وتحكمون بالحق وتتبعون شريعتكم وتزجرون أنفسكم عن أكل الحرام واتباع الزنا فلما غيرتم غير بكم وفى انجيل يحيى وانجيل مرقس مكتوب من اتبع سنن الحق وعود لسانه طريق الصدق وفعل بأوامر ربه والزم نفسه بما يعنيه ولم يبخس الناس أشياءهم وداوم على صلاته وعمل بأوامر شريعته ولم يتبع هواه بلغه زهده ما تمناه ومن جار وبغى وظلم وتجبر وحاد عن طريق الحق كان فناؤه عاجلا ونفسه بيده قاتلا وخربت داره ونفد ادخاره وكان الخوف شعاره والجحيم دثاره وفى التوراة مكتوب لا تظلموا وانه لا يحب الظالمين وقد بلغنى أن فى القرآن مكتوبا ان الله لا يصلح عمل المفسدين فاصلحوا ذات بينكم واجعلوا تقوى الله نصب عيونكم وقاتلوا عن أهلكم وحريمكم واتبعوا شريعة نبيكم واخرجوا الى جهاد عدوكم فان الجهاد اليوم أفضل من جميع العبادات المأمور بها فانه من جاهد أعداءه كانت الجنة مأواه الا وانى نازل الى صومعتى هذه فلا يتخلف أحد منكم ثم انه أرسل سلمه ونزل فلما رأوه وقد نزل أقبلوا عليه بالسلام وقبلوا يديه ورجليه فأتى بهم الى كنيسة دمائر وكنيسة باذا فصلى بهم ودعا ثم أمرهم بالجهاد وقصد دير ملوخ وهو قبله من دار عبد دان الروم وكان فيه راهب فناداه باسمه وقال له ليس هذا وقت العبادة فانزله من صومعته وسار الى نصيبين فخرج الى لقائه الملك قرقياس فترجل اليه وصافحه وسار بين يديه الى البيعة وزار دير يعقوب وهرع اليه أهل نصيبين فوعظهم وأمرهم بالجهاد وقصد رأس العين وبلغ خبره لأرسوس بن حارس فلما أسر عبد الله بن غسان ومن معه بعثهم مع الراهب ميتا بن عبد المسيح ولعينه مارية فى الطريق كما ذكرنا وأمرته بأن يسير بهم الى قلعتها فلما أن بعد عنها لقى أباها فى عسكره فسأله عما هو فيه فأخبره ان الملك شهرباض أرسله بهؤلاء الأسرى فقال له من أنت قال أنا ميتا بن عبد المسيح فلما سمع أرسوس قوله فرح به وقال وحق دينى لى زمان أرقبك واست استغنى عن رأيك ولكن انطلق بهؤلاء الى قلعتى وتول أنت حفظهم حتى يأتيك أمرى وخذ خاتمى هذا فانطلق وأوصلهم الى القلعة ووضعهم فى الاعتقال وتولى حفظهم بنفسه وجعل ينظر الى حسن عبادتهم وجودة تلاوتهم فاقبل عليهم وقال لهم أخبرونى كم فرض عليكم فى اليوم والليلة فقال عبد الله بن غسان خمس صلوات فمن أتى بها بركوعها وسجودها على الكمال لا يرد على النار قال الله تعالى فى كتابه حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين وقال نبينا صلى الله عليه وسلم الصلاة صلة بين العبد وربه فيها اجابة الدعاء وقبول الاعمال وبركة الرزق وراحة الابدان وستر بينه وبين النار وثقل فى الميزان وجواز على الصراط ومفتاح الجنة وهذه الصلاة فرضت على جميع الامم فلم يؤدوها وقصروا فيها حتى فرضها الله علينا فأديناها والصلاة

ملكه تسع سنين وثمانية أشهر وتوفى ٩ وولى بعده ولده السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان سنة ست وعشرين وتسعمائة فأقام تسعا وأربعين سنة وتوفى سنة خمس وسبعين وتسعمائة

جامعة لجميع الطاعات فإن جا منها الجهاد وإن المصلي مجاهد عدوين نفسه والشيطان وفي الصلاة الصوم فإن المصلي لا يأكل ولا يشرب وزادت على الصيام التمسك بمناجاة ربه وفي الصلاة الحج وهو القصد إلى بيت الله الحرام والمصلي قصد رب البيت وزاد على الحج بقربه من ملكوت ربه قال الله تعالى واسجد واقترب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم جميع المفترضات افترضها الله تعالى في الأرض إلا الصلاة فإن الله افترضها في السماء وأنا بين يديه وقال يا محمد هذه الصلاة افترضتها على جميع الأنبياء وأما أمتك فقد سلمتها إليهم وجعلت جميع الطاعات كلها فيها وقال صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل وقال لي يا محمد قم فاصنع مثل ما أصنع فتقدم وصلى ركعتين وقال لي يا محمد هذه صلاة الصبح وهي أول صلاة صلاها ولذلك سماها الأولى ثم صلى به مرة أخرى إذا صار ظل كل شيء مثله وقال له هذه صلاة الظهر ثم صلى العصر أول وقتها وقال هذه صلاة العصر ثم صلى به مرة أخرى إذا صارت الشمس مصفرة ثم صلى والشمس قد غربت وقال هذه المغرب ثم صلى به عند مغيب الشفق وقال هذه العشاء الأخرى ثم صلى المرة الخامسة والفجر قد طلع وقال هذه صلاة الصبح وقال نبينا فرضت الصلاة مثنى مثنى فزيدت في الحضر وتركت صلاة السفر على حالها فقال ميتا لعبد الله بن غسان يا أخا العرب فما معنى رفع أيديكم في الصلاة للتكبير فقال ألا ترى أن الغريق لما يجد شيئا يتعلق به لينجو من الغرق كذلك العبد في الصلاة فهو غريق في بحار الخطايا والمعصية يرفع يديه ويقول يا رب خذ بيدي فإني غريق في بحار الخطايا والمعصية هارب منك إليك وأما معنى القراءة في الصلاة فهو عتاب بين العبد وربه وأما الركوع فمعناه أنا عبدك وقد مددت عنقي إليك وأما الرفع من الركوع وقول العبد ربنا لك الحمد يعني على عتق رقبتي من الذنوب يقول الله تعالى يقول العبد أنا عبدك قد أعتقتك من الذنوب ومامعنى السجدة الأولى ووضع الجبهة على الأرض كأنه يقول منها خلقتني وبالرفع منها أخرجتني والسجدة الثانية وفيها تعيدني والرفعة الأخرى ومنها تخرجني تارة أخرى وأما معنى السلام على اليمين اللهم اعطني كتابي بيميني ولا تعطني كتابي بشمالي ولما حضرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته قال من حافظ على الصلوات الخمس كانت كمثل نهر عذب يغتسل فيه أحدكم كل يوم خمس مرات فهل يبقى من درنه شيء فكذلك الصلوات الخمس لا تبقي على العبد خطيئة فلما سمع الراهب ميتا كلام عبد الله قال أشهد أنكم على الحق وإن دينكم حق وقولكم صدق ثم أسلم وبعده بقليل وصلت ماريه لما علمت أن الصحابة في قلعة أبيها فلما صارت في أعلى القلعة ونزلت في دار أبيها باتت على قلق بسبب الصحابة فلما كان وقد دخل عليها ميتا وسلم عليها فقالت له يا ميتا ما الذي صنعت بالعرب قال استوثقت منهم حتى يرى الملك فيهم رأيه فقالت والله ما قصرت ولكن اجعلهم معنا في البيعة حتى يروا حسن عبادتنا وقراءتنا الإنجيل فلعلهم أن يدخلوا في ديننا فقال السمع والطاعة ثم إنه نقلهم إلى البيعة فلما كان الليل أتت البيعة فرأت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم في القيود ولم يكن هناك سوى ميتا فقالت له يا ميتا أنت من علماء ديننا وما يخفى عليك الحق وقد اطلعت على دين هؤلاء القوم فالحق معنا أو معهم فقال أيتها الملكة ليس على الحق من غطاء الحق مع هؤلاء العرب والذي قد جئتي به فانجزيه من قبل أن تطلبيه فلا تقدري عليه وقد رأيت بيان صدق القوم وصدق دينهم حتى جمع الله بينك وبين ولدك عمرو فلما سمعت كلام ميتا بقيت باهتة فيه فقالت له ومن أين لك هذا قال رأيته في نومي وحدثها بما كان كأنه كان حاضرا فسجدت شكرا لله فلما رفعت رأسها وثبت قائمة وحلت وثاقهم ودفعت إليهم السلاح وأمرت ميتا أن يكرمهم وقالت له أنا أدبر كيف نقبض على الوالي ونملك القلعة ثم إنها سارت إلى قلعتها وولت عليها من هي به مطمئنة الفكرة وأخرجت منها من تخشى جانبه واستوثقت منها وأما ميتا فإنه جعل الصحابة في البيعة في بيت المذبح وقال لهم إذا كانت غداة غد وأتى الوالي وأصحابه إلى الصلاة فاخرجوا عليهم فإن الله ينصركم عليهم (قال الراوي) فلما كان الصبح أقبل الوالي وخواصه ليصلوا وضربت النواقيس وأتى القس ليفتح باب المذبح ويقرب القربان فلما فتح الباب خرج عبد الله بن غسان وأصحابه الأربعون وكبروا تكبيرة واحدة ارتعدت لها القلعة وما فيها وبذلوا السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم واحتووا على القلعة وما فيها وسمع أهل الربض التكبير فعلموا أنهم قد ملكوا القلعة فولوا على وجوههم هاربين قال فلما سمعت ماريه التكبير والصياح علمت أن قلعة أبيها قد ملكت فغلقت أبواب قلعتها وأرسلت من تثق به إلى عياض بن غنم وأخبرته بما جرى فشكر الله

وكان سلطانا سعيد المريل مصر من بني عثمان مثله وصلت سراياه إلى أقصى المشرق والمغرب وغزا بنفسه ثلاث عشرة غزوة وبنى مدرسة عظيمة مشهورة بالسليمانية وله بيمارستان للمرضى ومازال منسدولى

على ذلك ووصل أكثر المنهزمين الى الملك شهرياض وأعلموه ان قلعة ماردين ملكها العرب فصعب عليه وأيقن باتلاف ملكه ووقع الرعب فى قلبه وقلوب عسكره وبلغ أرسوس الخبر ان قلعته ملكت وخزائنه أخذت فكتم أمره الى الليل وأخذ من يثق به وسار يطلب حوران فوصل اليها فى الليلة الثانية فلما قرب من الباب قام اليهم الحرس فصاح بهم أصحابه وقالوا افتحوا فان هذا البطريق رودس يعنون بطريقهم الاول قد تخلص من العرب ففتحوا لهم فدخل ارسوس وملك المدينة وفشا الخبر فى تلك البلاد ان أرسوس صاحب ماردين قد ملك حران بالحيلة وقصد اليه جميع من يطلب الديوان فصار عنده جيش عظيم

﴿ذكر فتوح الرها وحران﴾

﴿قال الراوى﴾ وكان لرودس هذا صاحب حران المقبوض عليه ولد وكان قد قبض أبوه عليه لانه خاف منه وكان شجاعا اسمه أرعوك فقبض عليه وحبسه فى العمق وكان له أم اسمها ست العسكر وهى صاحبة سميساط وكانت قد مضت الى زيارة أهلها وهى غضبانة لاجل قبض ولدها فلما بلغها ان أرسوس ملك حران صعب عليها وركبت من سميساط وجاءت العمق وخلصت ولدها وأخبرته ان حران ملكها أرسوس فاخرجته وسلمت اليه الاموال وقالت أنفق على الفرسان واجمع لك جيشا وامض الى هذا الرجل الذى فعل مافعل قال فانفق المال وأتت اليه الرجال وبقى فى جيش عظيم وعبر الفرات وقصد حران وبلغ أرسوس الخبر فخرج الى لقائه والتقى الجمعان وكان قد قدم أمام جيشه بطلا من الارمن اسمه أرجوك فى ثلاثة آلاف فوقعت الهزيمة على الارمنى (حدثنا) عبد الله بن أسيد قال حدثنا سالم بن ربيعة عن عدلان التميمى عن محمد بن عمر الواقدى قال لما بلغت الاخبار الى عياض بن غنم بمسير أرجوك الارمنى الى أرسوس أحضر عياض رودس صاحب حران وأخبره بما انتهى اليه من خبر أرسوس وكيف ملك حران وان ولده يريد أن يلقى أرسوس وانى قد عولت على قتلك الا ان تدخل فى ديننا فقال ان أنت أطلقتنى سلمت اليك ماتحت يدى من القلاع واملى أخلص حران لان أهلها يحبوننى لانى كنت محسنا فى حقهم وأنا اقول انهم اذا رأونى سلموا الى البلد وأنا أسلمها اليكم على انك تعطينى السويداء ونصيبين الصغرى وأنا أعطيكم الجزية كل عام قال فأجابه الى ذلك وأمر عبد الله يوقنا ان يستحلفه فحلف وأجاب الى ذلك فأطلقه وبعث معه يوقنا فى جماعته ورد على رودس خيامه وثقله وجماعته وانسلوا من الليل من مرج رغبان طالبين حران فلما قربوا منها أرسلوا عيونهم فوجدوا العسكر نازلا خارجا منها وعسكر ولده بازائه غير انه قد أسر أرجوك وأخذه أرسوس وان عسكره باق على حاله وقد بعث اليهم أرسوس رسولا يدعوهم أن يكونوا من حزبه وينعم عليهم وان ينزل بهم وبعسكره على الرها ليأخذها وتصير من تحت يده فقالوا حتى نرى لانفسنا فى ذلك (قال الراوى) فلما قدم رودس ويوقنا ونظرا الى العسكرين والنيران تتقد قال رودس ليوقنا هذه النار القريبة لاشك انها العسكر ولدى فارسل اليهم من يختبرهم فسار الرجل وعلم من هم وعاد فاخبره ان القوم معولون على أن يحلف لهم أرسوس وان يكونوا جنده وقد تقرر الحال على انه فى غداة غد يخرج فى مائة فارس من أصحابه الى دير فرها بين الرها وحران ومن عسكر ولدك خمسون من أكابرهم ويتعاهدون هناك قال فلما سمع يوقنا ذلك تهلل وجهه فرحا وقال لرودس أبشر فقد صار القوم فى قبضتنا ثم مضوا يطلبون الدير وكمنوا بالقرب منهم ثم ان يوقنا أرسل غلاما له وكان نجيبا قد رباه وكان اسمه شامس وكان لبيبا فقال يا شامس انطلق الى صاحب الرها وهو كيلوك وقل له ان مقدمى صاحب أرجوك قد بعثنى اليك لكى يكونوا من رجالك فانك منهم واليهم وارسوس من الروم وان رجالا منا يأتون الى دير فرها وارسوس معهم حتى يحلف لهم ويحلفوا له ويريد منك ان تخرج فى مائة وتكمن لنا بالقرب من الدير فاذا قدمنا فاخرج علينا قال فانطلق شامس الى أن قدم على صاحب الرها وحدثه بما ألقى اليه صاحبه يوقنا وكان من قضاء الله وقدره أن الحيلة التى دبرها يوقنا وبعث بها الى صاحب الرها قد بعث أكابر جيش أرجوك فلما قدم شامس عليه من قبل يوقنا وحدثه بالحديث الذى ذكرنا تأكد عنده ذلك وخرج فى أربعمائة من قومه فى أكمل سلاح وساروا طالبين دير فرها قال وكان يوقنا قد كمن بالقرب منهم واختلس شامس وأتى الى يوقنا وأخبره بأنهم كامنون فى المكان الفلانى وهم منكم قريب قال وأما ما كان من أمر أرسوس فانه لما أرسل رسوله الى الارمن من عسكر أرجوك أتى رودس وقال لهم انه يحلف لهم ويحلفون انهم لايخامرون عليه ووقع الاتفاق على أن

قائما بنصر الدين وتأييد الشريعة الى أن توفاه الله تعالى وكانت أيامه من غرر الزمان وجملة وزرائه بمصر خمسة عشر وزيرا (وولى بعده ولده السلطان سليم خان الثانى) فاقام فى السلطنة ثمان سنين وشهرا واحدا وأربعة عشر يوما

يكون الحلف فى ديرها فلما كان آخر الليل مضوا وهم متباعدون من بعضهم خوفا من الغدر وكان خاطرهم طيبا بصاحب الرها عاقر زوا عنده ثم انه قبل خروجهم أعلموا الغلمان شجعانهم بأن ينسلوا من العسكر فى خفية وان يلحقوهم ليكونوا عونا لصاحب الرها وقالوا لهم لا تتكلموا دون أن تروا صاحب الرها قد خرج عليه بكمينه فاذا خرجتم فازعقوا بشارة كأنكم من أصحابه حتى يطمئن اليكم فلعل أن تقبضوا عليه حتى يخلص أميرنا ارجوك قال فانسلوا من أول الليل ولم يعلم بهم أحد (قال الراوى) ولما أشرف أرسوس على الدير اذا به قد خرج عليه مائتا فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المقدم عليهم عمرو بن معدى كرب الزبيدى وكان السبب فى ذلك أن عياض بن غنم لما بعث رودس ويوقنا معه وأصحابه ساعظنه من جانب رودس وقال لقد فرطت واذهبنا ولى الله معه عد والله قال خالد أيها الامير لا تشغل سرك من قبل رودس فان ملوك الروم اذا قالت وفت ويرون العار فى أن يقول أحدهم قولا ولا يفى به فقال يا أبا سليمان انه لا ينبغى لنا أن نغفل عن صاحبنا ومن معه ثم انه أرسل عمرو بن معدى كرب الزبيدى فى مائتى فارس وساروا طالبين حران فلقوا فى طريقهم أرسوس وهو خارج الى الدير فقبضوا عليه وعلى من كان معه وأما يوقنا فانه قبض على كيلوك صاحب الرها وكمن الى الليل وتوجه الى الرها فلما قربوا منها وقد لبسوا الثياب التى كانت على صاحب الرها وألبس جماعته ثياب جماعة صاحب الرها فلما قربوا منها وكانوا قد أوقدوا لهم مشاعل فتحوا لهم الباب فدخلوا فلما حصلوا داخلها رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والثناء على رب العالمين فما جسر أحد من العوام أن يتكلم واحتوى يوقنا على ما كان فيها من ذخائر وتحف وخزائن كيلوك وأمواله وترك عليها من يثق به بعد ما قبض على من يخافه من رؤسائها وأكابرها وكان قد استأمنه ابن عم كيلوك فأمنه فدله على جميع ما كان لكيلوك ثم أخذه أمامه وسار وطالبين حران فوجدوا رودس قد فتحها وذلك أنه لما قبض عمرو بن معدى كرب على أرسوس سار رودس ومعه بقية عسكر المسلمين حتى وصل الى حران ونادى الناس الذين على السور فلما عرفوه فتحوا له الباب وصفقوا له وساروا معه الى دار امارته فلما أتى له عظماء البلد وهنؤه بالسلامة فقام فيهم خطيبا وقال لهم اعلموا أن الله أنقذنى وأنجانى وقد جرى من حديثى كذا وكذا وانى عاهدت أمير القوم ان أسلم اليهم هذه المدينة ويوليني على نصيبين الصغرى والسويداء وحلفت له على ذلك وانى سوف أوفى بعهدى وأشهدكم ان كل دين يخالف دين الاسلام فهو باطل وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله قال فلما سمع أهل حران ذلك قالوا لقد أراد الله بك خيرا ونحن نوافقك على اسلامك فاسلموا الا قليلا منهم

﴿ذكر فتوح قلعة رأس العين﴾

(قال الراوى) حدثنا ربيعة بن هيثم عن عبد الله التنوخى عن عبدان بن عطية قال ما أسلم أهل الجزيرة الا أهل حران فلما رآهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخلوا فى الاسلام قالوا اللهم ثبتهم على دينك ولا تمكن من بلدهم عدوا وأعادوا الكنائس مساجد وجوامع وسلموا الصحابة ما حول حران والرها تسليما وأتى يوقنا من الرها الى حران واجتمع بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى أمر الرها وكيف يكون حكمها فقال سعيد بن زيد انك قد أخذت هذا البلد بحيلتك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقد صار كل من فيها عبيدا للمسلمين هم وأموالهم فقال يوقنا انتم تعلمون ان أكثر الجزيرة ما ملكتموه وثم الى الآن حصون موانع والصواب أن تصنعوا جميلا وخيرا يعلو به ذكركم ويرتفع به فخركم فقال له سعيد اذا كان الامر على ما ذكرته فاتركوهم على حالهم حتى نرى ما يرى فيهم الامير عياض بن غنم قال ففعلوا ذلك ثم ان الاخبار اتصلت بالملك شهرياض ان حران والرها وسروج والسخن وأكساس والعمق قد صارت كلها للعرب فايقن بزوال ملكه فدخل الى رأس العين هو ومن يثق به وصلوا فى بيعة نسطوريا وهى الجامع اليوم فلما فرغوا من صلاتهم قال يا معاشر الروم اعلموا أن العرب قد شاركونا فى بلادنا وقد صار لهم معقل يجتمعون فيها وتقوم بلادهم ويصل اليهم منها الميرة والعلوفة وتجيئهم منها الاموال والذخائر وفيها كلها حكمهم وما بقى بيننا وبينهم الا هذا المصف فان كان لنا فلا مقام للعرب بيننا وان كان للعرب فالبلاد لهم من دوننا وقد رأيت رأيا فيه السداد فقالوا وما هو قال أرى ان أماطلهم بالمصف ونكتب للملكين المعظمين شقر وزعفرة فلعلهما ينجدانا بعسكرهما ونكاتب الملك جرجيس بن فارس ونكاتب الملك الانطاق صاحب نينوى

ومات فى شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وكان حليما عظيما وسلطانا حكيما شهما مطاعا أحيا سنة الجهاد وجد فى فتح البلاد منها جزيرة قبرص وكان أول من افتتحها أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان ثم بعده الملك

و بلادها والى الحبر بن صاحب المكار يه فاذا أرسلوا الينا عسكرهم نستعين بالمسيح ونلتقى المسلمين والله يعطى
نصره لمن يشاء فقالوا هذا رأى جيد فكتب الكتب وأرسل الرسل الى الملوك المذكورة وعاد الى عسكره ۞ قال
الواقدى رحمه الله تعالى و رضى عنه ۞ وما منع عياض بن غنم عن حرب القوم الا أنه رأى ان البلاد تفتح
لاصحابه بدون قتال فلم يستعجل لانه قوى ظهره بالبلاد التى فتحت وأيضا انه كتب الى أبى عبيدة بن الجراح
يطلب منه خبرا يأتيه قال ووصلت كتب الملك شهرياض الى أصحاب الاقاليم فما منهم الا من عين عسكرا
لنصرته قال و وصل مكتوبه الى صاحب أخلاط وكان له بنت ذات جمال فائق وكانت من الشجاعة على جانب
عظيم وكان اسمها طاريون وكان مستقرها بجبل سموه باسمها وكان كل من خطبها لا ترضى به الا أن تلقاه فى
الميدان فان قهرها كانت له زوجة قال وانها غلبت جميع خطابها وكان من جملة من خطبها غلام اسمه سوسى
ابن سلنطور صاحب جبل السناسنة وكان قد قدم الى أخلاط بهدية من أبيه الى أبيها فقالت هى على شرط
معروف فبارزته فى الميدان فقهرته و جزت ناصيته ومرت الايام والليالى فلما بعث الملك شهرياض يستنجد
الملوك وأرسل الى صاحب أخلاط أرسل اليه أربعة آلاف فارس وأمر عليهم ابنته طاريون وقال لها أى
بنية قد قدمتك على الجيش وأريد منك أن تظهرى على العرب ما كنت تظهر يه على الفرسان حتى تشكرى
عند أمة المسيح قال وأرسل معها ملك السناسنة نجدة وهم ألف رجل وكان المقدم عليهم ولده فسار فى صحبتها
وكان الغلام قد كمل شأنه وحسن كماله وابتدر هلاله ولم يكن أحد فى زمانه يوصف بجماله فلما نظرت
طاريون الى حسنه وجماله نظرته بعين المحبة فوقع قلبها فى شبكة عشقه فسيرت رجالها مع رجاله (قال
الواقدى رحمه الله تعالى و رضى عنه) وأحسن ما رأيت فى هذه الفتوح انه كان لهذه الجارية ابن عم اسمه
برغون وكان يحبها ولا يستطيع أن يسمع بذكرها وكان من أهل الشجاعة والشدة وكان تحت يده من
المعاقل حيران والمعدن وأبرون ووقف وانظر وبدليس وأرزن وانه سار يحد شهرياض فى ثلاثة آلاف فلما
عبر جيش ابنة عمه طاريون ببدليس اهتم لها وأكرمها وأهدى لها الهدايا والتحف وسار معها الى أن عبروا
حصن كيفا وأخذوا طريقهم على المو زر ونزلوا على حصن يعرف بالهتاج على طريق النهر وكان لابن عمها
عيون يطالعونه على أخبارها قال فلما نزلت على النهر أرسلت الى الغلام سوسى الذى تحبه وهى تقول له اعلم أن
المحبة الصادقة لا تكون الا بعد العداوة المفرطة وقد ندمت على ما فات وما كان منى اليك وقد رأيت انك بعد
رجوعنا من قتال العدو ترسل الى أبى وتطلبنى منه ولكن أريد منك أن تصل الى ليلا فى خفية من ابن عمى
برغون حتى تحلف لى أنك ترسل الى أبى وتطلبنى منه وأحلف لك أنى لا أريد سواك و بعثت له بهدايا مع بعض
خدمها وأرسلت معه شيأ من الحلوى وأرسلت مثل ذلك لابن عمها ولكل أمير صحبها حتى لا ينكر عليها قال وان
ذلك الخادم قد علم بما جرى وكان هذا الخادم قد ربى ابن عمها على كتفه وكان يحبه محبة شديدة فاعلمه بما وقع
من حديثها مع الغلام سوسى بن سلنطور وهى تريد أن تجتمع به الليلة حتى تحلف له انها ما تريد غيره قال فكتم
برغون أمره فلما جن الليل طلب عظماء جيشه وقال لهم اعلموا أنى ما وليت عليكم الا وقد علم المسيح أن عقلى
أوفر من عقلكم قالوا أيها الصاحب أعلمنا بما تريد حتى نقبل قولك ونطيع أمرك قال يا قوم اعلموا أننا سائرون
الى غرة وعن قليل ترون الخيل متوحشة والرماح محوشة قالوا وكيف ذلك قال لان العرب لا تنام ولا ترام
وقد عاد النصر اليهم واعلموا أن الملك شهرياض ليس باعظمهم ولا أكثر جنودا من هرقل ولا من ملوك
الارض وقد ملكت العرب دولتهم وأخذوا معاقلهم وأذلوا ملوكهم وأنا أعلم ان شهرياض لا ثبات له مع
العرب يوم المصاف وقد ملكت بلاده وهى حران والرها وسروج والبيرة والخابور وقد أخذوا ماردين وقلعة
ماردين يعنى قلعة المراة وأخذوا أرسوس وابنته مارية وكانكم بالعرب قد ملكت ديار شهرياض وعادت اليكم
وملكت دياركم وسبت حريمكم واعلموا أن الحق مع العرب وانهم اذا قالوا وفوا به ومن أسلم اليهم أمن على
نفسه وأهله وماله سواء رجع الى دينهم أو أقام على دينه واعلموا ان بقلبى النار من هذه الجارية طاريون وقد
أرسلت اليها لتكون لى أهلا وأكون لها بعلا فأبت ذلك وهى تحب ابن ملك السناسنة فان تزوجت به وصاروا
واحدا أخذوا معاقلنا وملكوا حصوننا ولا يكون لنا معهم مقام وقد رأيت أننى فى هذه الليلة أقبض
عليها ثم انه أخبرهم بما حدثه به الخادم فقالوا أيها الملك اذا أخذتها فأى أرض تؤويك وأى حصن يحميك

الاشرف برسباى ثم صاروا
يعكرون و يقطعون
الطريق فى البحر على
المسلمين فاستفتى
السلطان سليم فيهم المفتى
أبا السعود فافتاه بانهم
ناقضون للعهد فجهز اليهم
وظفره الله بهم و جملة
وزرائه بمصر أربعة منهم
سنان باشا صاحب

قال تقصد الى عسكر العرب وتأخذ لنا منهم أمانا قالوا اذا كنت عولت على ذلك فاعزم قال فاحذروا على أنفسكم
وتأهبوا للرحيل ففعلوا (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) فلما جن الليل تزيا برغون ابن عمها بزى
الغلام سوسى وسار الى سرادق الجاريه فلما رأته ظنت انه سوسى فوثبت اليه قائمة وسلمت عليه وصفقت له وكانت
قد أبعدت الحرس عنها والغلمان والحجاب حتى لا يطلع احد على سرها قال ثم انها تحققت انه ابن عمها فاستحيت
منه ووجلت فلم يمكنها الا أن تخدمه باعظم خدمة فقال لها يا طاريون أظننت انى لا أقف على سرك ولا أبحث عن
أمرك يا ويحك أى مناسبة بين الروم والارمن حتى انك ملت الى ابن ملك السناسنة وتركت مثلى ثم انه مال
عليها بشدة وقبض عليها والقمها اكرة وكتفها وخرج بها الى عسكره فوجد أصحابه قد لبسوا وركبوا ورموا
المضارب وشالوا اثقالهم فلما وصل اليهم حملها على بغل وساروا ونظر أصحاب سوسى الى رحيل برغون فقال لهم
امهلوا أنتم بالرحيل الى أن يطلع الفجر فان هذا طريق ضيق تزدحم فيه الخيل والبغال قال ففعلوا ذلك وجد
برغون فى السير فما أصبح الا وهو على مرج السور فنزل هناك وأما الغلام سوسى فانه لم يمض الى الجارية ولا
سأل عنها ولا سار اليها لانه خاف أن يكون ذلك منها مكرا به فتقبض عليه فلما أصبح أمر غلمانه بالرحيل وركب
وأتى الى سرادق الجارية طاريون فوجد قومها ينتظرون خروجها من سرادقها فدخل عليها خادمها وخرج
وقال لهم ان الملكة ما كان من أمرها ولا سبب لغيبتها قال فماج أصحابه وأرادوا الرجوع فقال لهم صاحبها ان
عدنا الى الملك فلا نأمن ان يرمى رقابنا ويقول كيف غفلتم حتى أخذت ابنتى من بينكم وما عندكم خبر وما
أخذ الملكة الا برغون ابن عمها الان فى قلبه شيء ثم انهم ركبوا وجدوا فى طلبه قال وان برغون لما نزل فى مرج
السور واستراح وهم بالمسير اذا بالقوم قد أشرفوا عليه وهم يزعقون يا ويلك اترك الملكة من يدك قبل حلول
منيتك فاستقبلهم هو ومن معه من بنى عمه وأقاربه فعندها قال ابنى عمه اعلموا أن العرب ما نصروا على أعدائهم
الا بالصدق فى دينهم وقتالهم عن دين الله واعلموا ان هؤلاء القوم الذين طلبناهم لا يخلون لا سيما اذا علموا
اننا قصدناهم وأردناهم من غير قهر لكن من طريق العقل ان دينهم أفضل من ديننا لانهم يشيرون الى الله
بالوحدانية ونحن نسجد للصلبان والصور ونقول ان للخالق زوجة وولدا وهو واحد أحد فرد صمد وقد بلغنى
أنهم يقولون انه من قتل منهم صار الى الجنة ومن قتل منا صار الى النار لانا عندهم من الكفار فان كنتم تريدون
النصر على أعدائكم فاقروا لله بالوحدانية وقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله قال فأعلنوا بكلمة التوحيد فدوت
من أصواتهم الجبال والتلال والرمال والشجر والحجر فلما سمع أعداء الله ما نطقوا به علموا أنهم دخلوا فى دين
الاسلام فتقدم سوسى وقد دار وابير غون وأصحابه وقالوا له يا ويلك يا برغون أما كفاك أن تكون غادرا حتى
تكون بدين النصرانية كافرا أتظن انك برجوعك الى دينهم ينصرونك علينا وأين العرب وما يصل صائحك
اليهم الا ونحن فرغنا منكم وقتلناكم أشر قتلة عن آخركم فقولوا لمحمد ينصركم ثم انهم حملوا على برغون ومن معه
فاستقبلوهم بنية صادقة وهمم متوافقة وأعلنوا بكلمة الحق والصلاة على سيد الخلق وبذلوا صوارمهم فى
العدى وأوردوهم شراب الردى وقصدوا نحو أعدائهم وطلبوا بجهادهم منازل الجنة وطلقوا الدنيا ثلاثا وكانوا
يمشون فى ظلمات ثلاث فانقدحت نار شوقهم بزناد صدقهم فأحرق زرع الكفر فأصبح هشيما تذروه الرياح فلما
أضاءت لهم الافكار ولاحت لهم لوائح الانوار لم يجدوا من يشار اليه بالوحدانية ويوصف بالالهية وينعت
بالازلية الا الواحد القهار فركضوا فى ميدان الاعتذار ونادوا بلسان الاقرار آمنا بالله الواحد القهار فلما
سرحوا خواطر الافكار فى أسرار الاعتبار قالوا كيف عبدنا سواه وما ثم لنا معبود الا اياه فوا خجلتنا
اذا وقفنا بين يديه يوم العرض عليه فبأى عمل نلقاه وبأى بضاعة نقصد رضاه فاشار اليهم منادى
الايمان من القرآن وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم فلما رحلوا
فى عسكر الطاعة وخافوا من هول يوم الساعة وجعلوا رواحل رجالهم فى ركب أقبالهم وساروا فى موكب عزهم
وجلالهم أشرقت شموس اسلامهم فى فلك استسلامهم وانقضت بازات أفراحهم من جو أتراحهم ومنادى
جهادهم يناديهم يا أخيار سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (قال الواقدى) ودارت بهم الاوغاد وشرعوا
نحوهم الصعاد وأشرف برغون وأصحابه على الهلاك واذا بباب السور قد فتح وخرج منه مائة فارس كالليوث
العوابس وقد رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ونادوا يا من تعلقوا بكلمة التوحيد أبشروا بالنصر والتأييد

الخيرات والعمارات (ثم
تولى بعده ولده السلطان
مراد خان الاول ابن
السلطان سليم الثانى)
سنة اثنتين وثمانين
وتسعمائة فأقام فى السلطنة
اثنتين وعشرين سنة وتوفى
سنة ثلاث وألف وكان
ملكا مقداما
وسلطانا ضرغاما وله

ها نحن قد لبينا دعوتكم وخرجنا لنصرتكم وسوف نخلصكم من الامر المهول فنحن أصحاب الرسول (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) وكان هذا السور حصنا من الحصون وكان قد سلمه ميتا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد أرسل عياض بن غنم عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق فى مائة فارس ليأتوه بالميرة وكان فيهم المقداد بن الاسود وضرار بن الأزور وسعد بن غنيم الاسدى ومعمر بن ماجد السلمى وبارى ابن مرة الغنوى وهلال بن عامر الانصارى وعيينة بن رافع الجهنى وخضر بن بعشور الفزارى ومثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم أجمعين فلما وصلوا الى السور تلقاهم طالوت صاحب الحصن وأنزلهم وأكرمهم وأمر لهم بالطعام وأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى جاء برغون وكان من أمره ما كان فلما سمعوهم يكبرون قالوا هؤلاء قد دخلوا فى ديننا وقد وجب علينا نصرتهم فخرجوا كما ذكرنا وحملوا على أعداء الله ونصروا برغون ومن معه وانهزموا فى الليل الى مرج رغبان الى الملك شهرياض فأخبروه بما جرى عليهم قال فأيقن بذهاب ملكه قال فلما أصبح برغون أتى الى الصحابة وشكر الله اذ نجاه ومن معه على أيديهم وقد ازدادوا ايمانا وحدث الصحابة بما كان من أمرهم وساروا معهم الى عياض بن غنم فلما جازوا على ماردين نزل اليهم ميتا وكان قد بلغه ما جرى فسلم عليهم وهنأهم بالسلامة وقال لبرغون وأصحابه ان كنتم تريدون الثواب الجزيل من الملك الجليل فتمموا اسلامكم بما ألقيه عليكم فقال برغون وكيف العمل قال ميتا انزل ههنا أنت ومن معك فاذا غربت الشمس فسيروا على بركة الله وعونه واقصدوا كفرتوثا فاذا جئتم اليهم ليلا فقولوا لاهلها نحن قد وجهنا الملك اليكم لحفظ المدينة فاذا صرتم داخلها فثوروا على اسم الله وبركة نبيه قال ففعل ذلك برغون وجلس الى أن جن الليل وارتحل بجيشه وثقله ودعوا الصحابة وساروا بالميرة وسار برغون الى أن وصل الى كفرتوثا وكان آخر الليل والفجر بدر فلما وصل اليها أمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بذكر شعارهم حتى لا ينكر عليهم القوم وجاءت الاثقال والبغال وسمع أهل كفرتوثا ضجة العسكر فاشرفوا عليهم من أعلى السور وسألوهم من أنتم فقالوا نحن من عسكر الملك شهرياض وقد بعثنا لنكون عونا لكم (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) وأعجب ما فى هذه القصة أن الملك شهرياض قد بعث اليهم يعرفهم أنى مرسل اليكم جيشا مع الحاجب فاذا وصلوا اليكم فافتحوا لهم الباب فان العرب فى آثارهم قال فلما وصل اليهم برغون ومن معه وقالوا لهم نحن من عسكر الملك فتحوا لهم ودخلوا ولم يتكلم حتى انه نزل فى دار الامارة فلما استقر به الجلوس وثق من الأبواب وصعد الى السور وقال لاهل البلد استريحوا الان الملك قد وصانى بالحرس على البلد فقالوا أيها السيد ان كتاب الملك قد جاءنا بغير ما قلته بان لا يتولى حفظ البلد الا الحاجب قال فلما سمع برغون قولهم علم ان الملك يريد أن يرسل لهم جيشا فقال لهم انصرفوا الى منازلكم واياكم أن يظهر منكم أحد فى الليل فانى ان وقعت باحد منكم قتلته قال فانصرفوا ولم يبق عنده سوى الوالى الذى كان من قبل توتاهو وغلمانه فقبض عليهم برغون وضرب رقابهم وتركهم فى بعض الابراج المهجورة وقال لاصحابه كونوا على حذر فان شهرياض يريد أن يرسل جيشا الى هذه المدينة فاذا رأيتموهم قد وصلوا فانزلوا وافتحوا لهم درفة الباب الواحدة وكلما دخل فارس فابعدوا به عن الباب وأنزلوه عن فرسه وخذوا عدته وكتفوه وألقوه فى البرج قال فبينما هو يوصيهم اذ وصل الجيش وهم ألف فارس والمقدم عليهم صاحب الملك الكبير فصاحوا عليهم افتحوا للجيش الملك فتبادرت أصحاب برغون ففتحوا درفة الباب الواحدة وقالوا الا نمكن أحدا يدخل الا واحدا واحدا مخافة يوقنا وأصحابه فانا نخاف أن يدخلوا فى جملتكم فبقى كلما دخل فارس رجلوه بعد أن يبعدوا به عن الباب ويأخذوا سلاحه وجواده ويكتفوه الى أن أدخلوا الالف والحاجب بعدهم فلما اجتمعوا نادوا بأعلى أصواتهم الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وجاءنا بالظفر قال فارتج كفرتوثا ووقع الرعب فى قلوب أهلها وعلموا أنهم ملكوا بلدهم فلم يجسر أحد منهم أن يظهر فى المدينة ومن ظهر قتل فلما أصبح طلب برغون أكابر البلد ومشايخها وبطارقتها فلما حضروا قبض عليهم وأنفذ الى عياض بن غنم يعلمه بما صنع فلما وصلت اليه الرسالة سجد لله شكرا وكان عبد الرحمن بن أبى بكر وأصحابه لما وصلوا بالميرة أخبروا المسلمين والامير بما وقع وان برغون مضى الى كفرتوثا فكان منتظرا لما يأتى اليه من خبره فلما جاءه الخبر بالفتح حمد الله تعالى وتفاءل بالنصر (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فقال عياض ابن غنم للصحابة اركبوا ودونكم والقوم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وأمر خالد بن الوليد أن يكون باصحابه

مدرسة مخطبة باسلامبول وفى أيامه تحركت عساكر المجر فارسل لها جيوشا كثيرة وافتتح منها المدن الكبيرة وجملة وزرائه عصر ستة أولهم مسيح باشا صاحب المدرسة المسيحية بباب القرافة (ثم تولى بعده ولده السلطان محمد خان

فى الميمنة من القوم وامر عمر بن سالم أن يكون على يسار القوم وقال لهم لاتخرجوا حتى تشب نار الحرب وتشتعل بالطعن والضرب فاحملوا واعتمدوا على السيوف فانها أقرب للحتوف وليكن شعاركم التهليل والتكبير واقطعوا أمل أمنيتكم من الحياة الفانية وارغبوا فى العيشة الراضية واياكم والميل الى دار الغرور فانها محل النوائب والشرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقفوا بهممكم وقوف قوم غذوا بحلاوة وصاله فصانوا أمرهم بالوقوف على طاعته فهاموا وتجردوا فى الليل لخدمته وقاموا فأثنى عليهم اذ بحبه هاموا ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال فسار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو الجهات التى ذكرنا وزحف الموحدون ونشروا الرايات والبنود وتواعدوا على اللقاء فى اليوم الموعود وقالوا الهنا مالنا سواك من نصير فانت نعم المولى ونعم النصير قال ووقع الصايح فى عسكر الروم أن المسلمين قد زحفوا وأشرفوا قال فتبادروا الى القتال وتمسكوا بقول المحال وابسوا وتدرعوا وعن الآخرة نزعوا والى الصليب تضرعوا ورفعوا رايات الطغيان وتلت عليهم الانجيل القساوسة والرهبان وفتحت لهم أبواب النيران عندما أشركوا بالرحمن وصار على جيشهم من الكفر شبه الدخان وصار امامهم الشيطان وعلا منهم الضجيج ووقعوا فى أمر مريج فلما نظر المسلمون الى كثرة من اجتمع من قومهم استسلموا لحكم القضا وقالوا نرضى بما قدر وقضى فنودوا من سرائرهم قد اشترينا منكم النفوس فاصبروا لحكم الملك القدوس ولا تولوا الادبار فقد سبق الحكم وانبرى وخط القلم فى اللوح وجرى وكتب بامر الله ان الله اشترى قالوا وما الذى اشتراه من له المنة قال انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة فقالوا نحن نريد التسليم لنصل الى جنات النعيم فقيل لهم انهضوا الى سوق المبيع فقد هبت بشائر الربيع وتجلى لقبض أرواحكم البصير السميع فسجدوه ومجدوا ورفعوا أصواتهم بتوحيده ومجدوا فلما أيقنوا بالوصال طلع لهم سهيل الحال وأزهرت شجرة الأحوال واستدار لهم رقيبه فى فلك التيسير وناداهم انى بما تعملون خبير فلما سمعوا منادى الافكار يناديهم بالعشى والابكار بذلوا نفوسهم وارضوا قدوسهم وجاهدوا واجتهدوا وحملوا واقتصدوا ونهلوا من نهر الشهادة وردوا ولم يزالوا فى حرب الاعادى وموارد الاجتهاد فى معانى ميادين الجهاد حتى خرجت الكمناء وهبت عواصف رياح الفناء فدمر واما كان شيده الكفار من البنا وانتشرت أستار ما املوه من الأمانى والمنى فقلت بينهم الصناديد وأصبحوا صرعى على وجه الصعيد وناداهم منادى التهديد ان عذابى لشديد وماهى من الظالمين ببعيد ولم يزالوا فى قتال الكفار الى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاستتار والمسلمون يقولون ياليتنا دام لنا النهار ولا غلبتنا جيوش الاعتكار واذ قد ظهر لهم على أطناب سرادق القتار ولا الليل سابق النهار قال فلما مضى الليل بغياهبه وأقبل الصباح بجانبه بادروا الى الحرب والطعن والضرب ولم يغفل بعضهم بعضا دون أن وقعت الحملة على المسلمين فانهزم الجناح الأيمن وكان فيه أخلاط العرب قال وانهزمت ميسرة العدو ووقع فيهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل القتال فيهم الى أن غابهم الليل فانفصلوا فلما كان اليوم الثالث تولى الحرب خالد بن الوليد ورتب الناس ترتيبا جيدا وجعل فى الميمنة باهلة وطيا وجعل فى الميسرة عدياوغيرا وفزارة وفى الجناحين كندة وعامرة ومرة وفى القلب أبطال الانصار من ذوى الشدة والانتصار وجعل راية الميمنة بيد عامر بن سراقة وراية الميسرة بيد ضرار بن الازور وراية الجناح الايمن بيد عبد الرحمن الاشتر وراية القلب بيد عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق فلما رتبهم قال لهم اتقوا الله الذى اليه مصيركم واعلموا انه متكفل بتأييدكم ونصركم واياكم أن تؤتى المسلمون من قبلكم واتبعوا سنن الذين فتحوا الشام من قبلكم فمن ولى الادبار كان مأواه النار وغضب عليه الجبار واعلموا أن الله فرض عليكم الجهاد وقتل الاعداء واعلموا أن الاحب الى الله تعالى جل جلاله قطرتان قطرة دم جرت فى سبيل الله وقطرة دمع جرت من خشية الله وهذا اليوم له من الاجر مالا يحد فاتقوا الله عباد الله واثبتوا فى هذه المواطن كما ثبتم فى المواطن الكبار واياكم والفشل فتذهب ريحكم وقوموا شريعة نبيكم واعلموا أن الله مع الصابرين ولا يضيع أجر المحسنين وها أنا أنفرد بجماعة من اخوانكم الى صليب القوم واستبراجع الاعظم من حوله من الكفرة والمشركين قال جل ذكره وكان حقا علينا نصر المؤمنين فاذا رأيتم صليب القوم قد هوى الى الارض فاحملوا ولا تمهلوا قال فلما وعظهم خالد رتب كل صاحب راية فى موضعه وانتخب من انتخب من أبطال المسلمين

الاول) ابن السلطان مراد خان الاول سنة ثلاث بعد الالف فاقام فى السلطنة تسع سنين الاشهرا وتوفى فى سادس رجب عام اثنى عشر والف وجملة وزرائه عشرار بعة عشر منهم السيد محمد باشا الذى جدد عمارة الجامع الازهر

وقال للناس اذا رأيتم الصليب قد وقع فاحملوا والله ينصركم وحمل هو ومن معه وقصدوا لواء شهرياض وصليبه
الاعظم فبادرهم عن حملتهم كثرة العساكر (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) ولقد بلغنى ممن أثق به
انهم لما حملوا طحطحوا العساكر وزعزعوا العساكر وأزالوا الابطال عن مراكزها والبطارقة عن مراتبها وما
اعتمدوا الا على السيوف واستقبلوا بها الصفوف فلما رأى شهرياض فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم رمى التاج عن رأسه وزعق بالبطارقة والاراجنة والقياصرة وقال يا معاشر الروم من بنى الاصفر اعلموا أنه
ما بين ذهاب دولتكم الا هذا اليوم فاما ان تقاتلوا عن دينكم وحريمكم وملككم وذراريكم وأولادكم والا أخذت
منكم فاياكم أن تولوا الادبار فمن ولى غضب عليه المسيح وأدخله النار (قال الراوى) وبلغنى أنه فى ذلك اليوم
وصل اليهم بتركهم الكبير المشار اليه فى دينهم ومعه كل قس وشماس ورهبان بارض الجزيرة جاء يحرض الروم
على القتال وكان هذا البترك اسمه دين الدبروم وكان يسكن بدير يقال له دير قرقوت وانهم وصلوا قبل ان
تحمل المسلمون فوعظهم بين الصفوف وقال من انهزم منكم حرمته فلا يقبله المسيح أبدا ثم انفصل من القوم هو
ومن معه وعلوا على رابية تشرف على القوم ورفعوا الصلبان وفتحوا الاناجيل وأشركوا بالملك الجليل (قال
الواقدى) حدثنا عبد الله بن مالك عن موسى بن أبى العاص عن الاشعب من يحيى قال وحدثنا بشر بن عامر
وكان ممن حضر وقعة مرج رغبان وكانت الوقعة يوم الثلاثاء ثالث شهر صفر سنة سبع عشرة وكان شهرياض
قد أرسل الى رأس العين وسائر بلاده فأتوا بحريمهم وبسائر الأجناد والبطارقة وأولادهم وأقامهن يوم
المصف على أبواب الخيام وقال لهن ما من امرأة الا ترفع ولدها وتصيح باسم بعلها وأخيها وانما فعل ذلك ليثبتوا
فى القتال فأوقعوا الصياح من كل جانب وعملت القواضب وثبت الروم ثباتا عظيما لاجل حريمهم وأولادهم
ولاجل البترك ووقف فى مقابلتهم رجال من اليمن يرمونهم بالنبل وأما خالد بن الوليد فلما حمل باصحابه وهو يريد
صليب القوم سمع عياض بن غنم وهو يقول هذه الأبيات

سنحمل فى جمع اللئام الكواذب * ونفرى رؤسامنهم بالقواضب * ونهزم جيش الكفر منا بهمة
نطول على أعلى الجبال الرواسب * وننصر دين الله فى كل مشهد * بفتيان صدق من كرام الاعارب
فيا معشر الاصحاب جدوا وجندلوا * وكروا على خيل كرام المناسب
فدونكم وقصد الصليب وبادروا * لنرضى الاله الخالق معطى المواهب

قال ثم قصدوا الصليب وكان اللعين شهرياض لما صف الصفوف أقام حول الصليب الاعظم اثنى عشر ألف
فارس كلهم لبس الزرد وترك أمامهم حسكا من حديد حتى لا يصل اليهم أحد فلما حمل خالد وأصحابه وقربوا من
الصليب داست خيولهم على ذلك الحسك فانكبت على وجوهها فوقعوا عن ظهورها فانكبت عليهم الروم
غيظهم وحنقهم فاخذوهم بالاكف لانهم وقعوا عن ظهور خيولهم من الحسك فاخذوهم عن آخرهم وارتفعت
لعطاعط من كل جانب وعملت المرهفات القواضب فلما نظر الامير عياض بن غنم ما نزل بخالد ومن معه
صعب عليه واشتد لديه وقال فى نفسه يا ابن غنم ما يكون عذرك بين يدى الله وقد مضت هذه السادة تحت
رايتك فصاح بأعلى صوته يا معاشر المسلمين احملوا ولا تمهلوا أيقظوا هممكم وعجلوا واستخلصوا السادة من الاسر
واطلبوا من الله النصر قال فلما صاح عياض أوقفوا خالدا ومن معه أمام الصفوف فتأسف ابن وضاح بن مجيد
بن نافور بن عمر بن سالم بن النابغة الذبيانى وكان من أفصح الناس لسانا وأجرئهم جنانا وأحدهم لسانا
وأعلمهم بيانا وكان حليفا لخالد بن الوليد رضى الله عنه فبرز يومه بمرج رغبان وقال أيها الناس ان الصبر
والثبات جندان فلا يغلبان وهذا يوم باله من يوم وما ترون من نخوتكم ومروأتكم ودينكم أن تدعوا أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يد العدا فاستنقذوهم من الردى واتقوا الله لذى اليه مصيركم واعلموا ان ترك
الاشياء النفيسة لا يليق الا بالنفس الخسيسة أما تحققتم ان الدنيا تؤل الى الزوال والفناء والآخرة هى دار
النعيم والبقاء أما علمتم أن الهمم العلية الروحانية والاشباح الجسمانية عولت على الانتقال من الدنيا
الساحرة الى دار الآخرة وقالت لابد من الرحيل لان البقاء فى الدنيا قليل فتزودوا يا معاشر الأرواح فقد قرب
الرواح والقصد منكم قد عرفناه ومرادكم قد فهمناه وان سفركم سفر شاق يحتاج الى زاد ورفاق قالوا فما
الزاد الذى نكثر منه ولا نعدل عنه قيل لهم الزاد الاقوى فى وتزودوا فان خير الزاد التقوى قالوا أما هذا الزاد فنا

ورتب له العدس يطبخ
كل يوم وعمر المشهد
الحسينى (ثم تولى بعده
ولده السلطان أحمد خان
ابن السلطان محمد خان)
فى رجب سنة موت والده
فاقام فى السلطنة أربع
عشرة سنة وأربعة أشهر
ومات سنة ست وعشرين

من يقدر عليه ومنا من لم يقدر عليه قيل اياكم والتعرض لهذا السفر بغير أعمال واعملوا اليوم لا بيع فيه ولا خلال
فلما تزودوا وأخلصوا ومن جيفة الدنيا تخلصوا وخلع عليهم خلع الانعام وتوجهم بتاج العز والاكرام
وجعل لهم الفردوس منزلا وقال فى حقهم كانت لهم جنات الفردوس نزلا واسمعوا ما قال فيهم الملك المقتدر
فنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر قالوا فعندها حملوا بأسرار صافية وهمم وافية وطعنوا فى صدور الرجال
ورفرفت على رؤسهم طيور الآجال ووضعوا السيف فى الروم وجعلوا عليهم يوما مشؤم وقال ولم يزل القتال بينهم
بقية يومهم الى الليل وانفصلوا عن القتال ورجع المسلمون وهم متأسفون على أسر خالد ومن معه فانهم لما
وقعوا فى الاسر وانفصل الناس من القتال وجن الليل أرسلهم الملك شهرياض الى رأس العين مع حاجبه
نقيطاس بن عبدوس ومعه ألف فارس وأمره أن يسير بهم فى الليل ويجد بهم فى السير وان يسلمهم الى والى
رأس العين قال فسار بهم ولم يطلع الفجر الا وقد وصل بهم الى رأس العين وأرسل من يعلم الوالى بالقصة فخرج
فى موكبه للقائهم ووقع الصايح فى رأس العين بقدومهم فما تخلف أحد وكان لهم يوم مشهود فالقاهم الوالى فى
الكنيسة العظمى التى هى جامع اليوم وأوثقوهم فى الحديد (قال حدثنا) فاهم اليشكرى عن بشار بن عدى
عن سراقة بن زهير عن خزيمة بن عازم عن جده عن عبد الله بن عامر قال انه لما فتح الرها وحران وسروج صلحا
اجتمع يوقنا بروديس ومعه أصحابه فقال اعلموا أن الله سبحانه وتعالى قد فتح علينا هذه البلاد وان رأس العين
مدينة عظيمة وأهلها قد استعدوا للقتال وآلة الحصار وربما صعب أمرها وعسر فتحها على المسلمين وانى
معول ان أهب نفسى لله وأسير مع أصحابى فلعلى أن أحصل فى داخل المدينة ولعل الله أن يفتحها على يدى
فقال له سعيد بن زيد قوى الله عزمك وسدد أمرك قال وعول على المسير فى تلك الليلة واذا بعيون المسلمين
قد أقبلت الى حران يخبرونه انه قد أتى عاصم بن رواحة المتنصر فى خمسمائة فارس من قومه اياد الشمطاء وكان
قد وصل مع قومه الى قسطنطينية وقد ورد على الملك هرقل كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه بان يبعدهم
عن دياره وأبعدهم عن أرضه فتفرقوا فى كل موضع وأتى منهم عاصم بن رواحة الى هذا الملك شهرياض فى
خمسمائة فارس وكان الملك يحبه ولما وصل الى البرية كتب الى الملك يعرفه انه خرج من بلاد القسطنطينية
وأتى قاصدا الى بلاده وخدمته وبعث الكتاب مع رجل من بنى عمه اسمه رفاعة بن ماجد فوصل الى الملك
وأعطاه الكتاب ففرح الملك بقدومه وأمره أن يعجل فى الحضور وأرسل الى والى رأس العين بان يخلى له
دارا ينزل فيها اذا قدم مع أصحابه فلما سمع يوقنا ذلك الخبر من عيونه فرح وقال من أى طريق يأتون قال من
طريق سروج وبقى بينكم وبينه ليلة واحدة فخرج يوقنا من معه وصحبهم عمرو بن معديكرب وسعيد بن
زيد ومن معهم وكمنوا لهم فى موضع قد علموا أنهم لا بد لهم من العبور عليه فلما ضرب الليل سرادقات ظلامه
ونصب على الخافقين اعلامه أقبلت خيول القوم وسمعوا حسهم فصبروا حتى توسطوهم من كل جانب وقصدوا
كل واحد واحد فأخذوهم عن بكرة أبيهم ولم ينفلت منهم أحد واحتووا على أثقالهم ورحالهم ورجعوا الى مكمنهم
ونزلوا عن خيولهم فقال لهم سعيد بن زيد من أميركم حتى أخاطبه فأشاروا الى عاصم بن رواحة فقال له سعيد بن
زيد يا ابن رواحة أى مناسبة بينكم وبين الروم حتى لذت بهم وملت الى جانبهم وتركت العرب العرباء فأنت
منا والينا وحسبك حسبنا ونسبك نسبنا الان اغمارا واياداً وربيعة ومضر كلها ترجع الى نزار بن معد بن عدنان
وان الله تعالى قد اختارهم لسكنى حرمه وجوار بيته وقد كنا نعبد الاصنام ونستقسم بالازلام ونتبع طرق
الحرام حتى بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين وأمره بالمقام فى دار
الخيزران ثم دعاهم الى عبادة الملك الديان وقال لهم أنتم من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل وقد فضلكم بارئ
النسم بسكناكم البلد الحرام والبيت المعظم وزمزم والمقام فمالى أراكم على الاصنام عاكفين وبالازلام حالفين
وفى ثياب الكفر رافلين أما لكم عقول تردكم أما لكم بصائر تصدكم أما أنتم من ذوى الاحلام الراجحة أما أنتم
من ذوى الآراء الشامخة ألهذا خلقتم أم به أمرتم نحتم الاصنام من الاحجار وسلكتم طريق الفجار وكفرتم
بالواحد الجبار الذى سير البحار وأجرى الفلك الدوار وخلق الليل والنهار أما تشكرون الصانع الذى جعل
النجوم طوالع وكل اليه راجع قالوا يا محمد من أمرك أن تسب آلهتنا وتسفه أحلامنا قال يا قوم العلم أمرنى
والعقل بصرنى أما علمتم انه من نظر فى المصنوعات وتدبر علم ان لها صانعا لا يتغير فالنظر فى المخلوقات حكمة

والف وبلغ من العمر نحو
ثمان وعشرين سنة وخلف
أربعة ذكور عثمان
ومحمدا ومرادا وأبا يزيد وله
خيرات وعمارات بالحرمين
وغيرهما وله جامع عظيم
بالقسطنطينية أنفق عليه
مالا كثيرا وجملة وزرائه
بعصرمته (وتولى بعده

والتفكر فى صنعه والاقرار بوحدانيته نعمة والايمان به رحمة قالوا فمن تعبد قال اعبد الذى فطرنى وصورنى وشرح خاطرى ونور بصائرى وخلق المخلوقات وقدر صنع المصنوعات وأنزل الأرزاق بقضاء وقدر ليس فى مشيئته كيف ولا فى أقضيته حيف يقول ولا يتلفظ و يريد ولا يظهر ويسمع و يبصر تعالى عن المكان والاين والشبيه والبين وقال لا تتخذوا الهين اثنين أما علمت يا ابن رواحة أن ديننا هو الحق وقولنا هو الصدق وما بعث الله نبيا الا وأمر أمته باتباع دين الاسلام قال الله تعالى فى القرآن ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وقال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا وقال وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وانت تعلم الآن أنكم فى قبضتنا وأسرنا فان آمنتم بالله وصدقتم برسالة نبيه صلى الله عليه وسلم كان لكم مالنا وعليكم ما علينا وان ابيتم ضربنا أعناقكم قال فلما سمع عاصم بن رواحة ذلك من كلام سعيد بن زيد قال وان نحن رجعنا الى قولكم واتبعناد ينكم أيغفر لنا ربنا ما سلف من الاشراك فى ربوبيته والسجود لغيره قال سعيد نعم لان الاسلام يهدم ما كان قبله وجميع ما كنتم فيه لا يطالبكم الله به وتخرجون من الذنوب كما خرجتم من بطون أمهاتكم الى الدنيا ثم تلا قوله تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فلما سمع عاصم كلام سعيد قال أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما نظر أصحاب عاصم اليه وقد أسلم أسلموا عن آخرهم ففرح المسلمون بذلك وقالوا قد وجب علينا أن نطيب قلوب هؤلاء القوم ثم ساروا الى حران وانزلوهم وخلعوا عليهم فقال يوقنا الآن فتحنا رأس العين ورب الكعبة فقال سعيد فكيف ذلك يا عبد الله قال سوف أريك بيان ذلك ثم انه قال لعاصم بن رواحة فى السر بينه وبينه أريد منك أن تشدنى كتافا أنا وأربعين من أصحابى وتحملنا على ظهور الجمال التى تحمل أثقالكم وتركب مع هؤلاء السادة يعنى الاربعين الذين هم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسيروا من ليلتكم هذه الى رأس العين وتقولوا لها الماء بر نا الفرات خرج هؤلاء علينا فنصرنا المسيح عليهم فقتلنا من قتلنا وأسرنا هؤلاء وأتينا بهم اليكم واياك أن تمكنه أن يقتل واحدا منا واذا أراد ذلك تقول له ان المصف بين الملك وبين العرب ولا ندرى من يؤخذ من أصحابنا فيكون عندنا الفداء وترك أصحابك بحران قال عاصم ولم لا نسير بأجمعنا وبأصحابى كلهم فقال يوقنا ان الاسلام لم يتمكن بعد من قلوب القوم ونخاف أن أحدا منهم يغمز علينا فيفسد حالنا وانا أثق بكل أحد بحزقيال والله لقد صدقت فى قولك فنزل بينى عمه الخمسمائة فى حران وانما قال يوقنا ذلك ودبره ليكونوا على سبيل الرهائن قال فكتفوا يوقنا والاربعين من بنى عمه وتزيا الصحابة بزى اياد الشمطاء وخرجوا من حران فى الليل وطلبوا رأس العين فلما وصلوا الى مكان يعرف بعلوا اذا بقرع حوافر الخيل فاخفوا أمرهم حتى وصلوا اليهم واذا هم بأربعمائة عبد أسود وخمسين وهم يقرؤن القرآن وبعضهم يسبح فاستقبلهم سعيد بن زيد ومن معه وكبروا مثل تكبيرهم وقربوا منهم فاذا هم موالى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقدم عليهم دامس أبو الهول رحمه الله تعالى وكان السبب فى قدومهم انه لما بعث عياض بن غنم كتابا الى أبى عبيدة يستنجده على القوم ويعلمه بمن قد اجتمع من الكفار بمرج رغبان فلما قرأ الكتاب أرسل دامسا ومن معه لنصرة الاسلام وكانوا بسميساط وبلادها ومنذ فتحوها استمروا بها حتى جاءهم كتاب أبى عبيدة فترك دامس على سميساط وبلادها من يثق به وجاء فى العدة التى ذكرناها فلما التقيهم سعيد بن زيد سلم بعضهم على بعض وفرحوا باجتماع الشمل ونظر دامس الى الجمال وعليها يوقنا وأصحابه فقال أظفرتم بهؤلاء فى طريقكم فقال سعيد هذا عبد الله يوقنا وأصحابه قد باعوا انفوسهم لله قال فلما سمع أبو الهول كلام سعيد سجد لله على قربوس فرسه وأتى الى عبد الله يوقنا وسلم عليه فقال له مرحبا بقوم قد طلقوا الدنيا بتا زهدا وطلبوا مرضات الله ثم انه قال لسعيد بن زيد يا صاحب رسول الله أشركونا معكم فى هذه الحيلة قال نعم ولكن اصحبوا هذه الجمال واخفوا الدروع والعدد واحتزموا فوقها وسوقوا الجمال أمامكم كأنكم عبيدنا فانه لا ينكر عليكم من رآكم قال ففعلوا كما أمرهم سعيد وأخفوا سلاحهم فى وسط الجمال وأقبلوا على سوقها فلما وصلوا الى الزابخة نزلوا هنالك ولبسوا وتدرعوا ونشرت الاعلام والصلبان التى كانت مع اياد الشمطاء ودار وابيوقنا وأصحابه وجعلوهم بينهم وساروا حتى قربوا من رأس العين فبعث سعيد رجلا من حلفائهم الى

أخوه السلطان مصطفى خان) ابن السلطان محمد خان سنة سبع وعشرين وألف وخلع سنة ثمان وعشرين وألف ولم يخلع قبله أحد من سلاطين آل عثمان (وتولى يوم خلعه ابن أخيه السلطان عثمان خان) ابن أحمد خان وهو مراهق فأمر باكرام عمه

والى رأس العين يبشره بقدوم عاصم بن رواحة وابادة الشمطاء فلما وصل اليه الرسول خرج بالمواكب الى لقائهم وقد اعلمه الرسول بقدوم يوقنا أسيرا ومعه أربعون من أصحابه فصاح الصايح بذلك فما بقى أحد الا وخرج أمام الوالى والتقوا بالصحابة وهم بزى أصحاب اباد الشمطاء وقيدار وابن عاصم بن رواحة وكان الوالى يحبه ويعرفه فترجل اليه وترجل عاصم وتعانقا واقبلت المواكب يسلم بعضها على بعض فقال الوالى كيف أخذت هؤلاء وهذا المارق يعنى يوقنا فقال له انا لما وصلنا الى الفرات وعدينا خرج علينا برجاله فقاتلناه وقاتلنا فنصرنا المسيح عليهم بعد ما قتلنا منهم خمسين رجلا وأخذنا هؤلاء وانهزم الباقى قال ففرح الوالى واقبل على يوقنا يوبخه بكلامه وهو لا يرد عليه والروم تشتمه وتسبه وهو لا ينظر اليهم ولا يكلمهم الى أن دخلوا رأس العين وأمرهم أن يجعلوهم عند الاسارى فى بيعة نسطوريا وقال لهم احتفظوا بهم حتى نكاتب الملك ويرى فيهم رأيه قال فجعلوهم عند خالد وأصحابه ثم ان عاصما قال للوالى انت تعلم ما بيننا وبين هؤلاء القوم من العداوة وان كانوا عربا مثلنا ونخاف انك تجعل على حفظهم أحدا من الروم أو من الارمن وان يحدثوهم باطلاقهم وتدخل المضرة على الملك وعليكم والصواب أن نجعل بعضنا فى البيعة وبعضنا خارجا فانه من أتى الى الجهاد لا يركن الى الراحة فانه من تعب فى الدنيا قليلا لاستراح فى الآخرة طويلا قال فاستصوب الوالى رأيه وأنزله فى البيعة هو وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأضاف يوقنا الى خالد (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) فحصل ستمائة فارس من المسلمين (قال الراوى) فلما استقروا فى البيعة وجن الليل قام سعيد بن زيد الى خالد وسلم عليه وبشره بالفرج فقال يا ابن زيد لقد علمت بذلك منذ قبل ان يوقنا قد أتى به ومعه أربعون فنظرت بنور الاعتبار فعلمت صحة ذلك قال وان الوالى بعث الى الملك يبشره بأخذ يوقنا ومعه أربعون من أصحابه وقدوم عاصم بن رواحة ومعه خمسمائة من أصحابه فلما بلغه الخبر أمر بالبوقات فضربت فسمعت المسلمون بذلك فقالوا ما ضربت البوقات الا لامر مهم اذ أقبل عباد بن بشير وهو متنكر وأتى الى عياض بن غنم فلما رآه قام اليه وسلم عليه وقال يا ابن بشير بم تبشرنى أقر الله عينيك فلم يرد عليه شيأ حتى خلا به وحدثه بجميع ما جرى فلما سمع عياض بشارة عباد بن بشير سجد شكرا لله فقال عباد أيها الامير ان سعيد بن زيد ومن معه يسلمون عليك وعلى من معك ويقولون لك أنجز الصف فلعل الله أن يفتح على يديك فما بينك وبين فتح رأس العين الا أن تهزم القوم وقد فتحت فقال عياض توكلنا على الله فلما جن الليل جمع أصحاب الرايات وحدثهم وقال لهم لا تعلموا أحدا مخافة من جواسيس الروم ولا يصبح الصباح الا وانتم على أهبة الحرب قال فما أصبح الصباح الا والمسلمون قد أخذوا أهبة الحرب فلما طلعت الشمس وانبسطت على الارض عانت الخيل ركابها وحملت بأصحابها وشبت من الحرب نارها وطار شرارها وقطعت الجماجم واستعرت الملاحم وصالت أسودها وتعفرت خدودها وصبرت على شدة حالها وحانت منها أحوالها وتدانت آجالها فهم فى الحرب متوافرون وفى العدد والعديد متقاربون وفى الزحف الى الفزع مختلفون والعجاج ثائر والدم فائر والاسلاب مطروحة للضباع ولحوم القتلى رزق للطير والسباع واقوة العمائم تشتكى منها الاسماع والشمس تضجر منها الجسوم والنفوس والحرب قد أخذت أمرا يقطع الآجال وقد شمرت عن ساق وسروال والوطيس قد حميت جوانبها واستحيت عين مجانبها والصفوف تدانت الى الهياج وقد غيبهم غيم العجاج وكل مقدم قد شد منه جيشه وتكدر بعد الصفو عيشه والخيل تكر كرات وتجتمع مرات والسيوف تقطع البيض والنفوس تكاد تميز من الغيظ والغبار قد سحب ذيلا زنجيا وانسبل على الوهاد رداء سحبا والطير قد حامت وكأن القيامة قد قامت واستقبل المسلمون هذا الحرب الخطير والضرام المستطير فحل بالروم العقاب وسمحوا بنفوسهم ولقوا اليم العذاب ونال المسلمون ما رغبوا فيه من حسن المآب (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) والتقى عبد الله بن عياض بن وائل وعبد الله بن قرط بالملك شهرياض وقد عول على الحرب وكل من فى جيشه قد اشتغل بنفسه عن نصرته وليس عنده سوى عشرة من غلمانه فاطبق عليه عبد الله بن قرط وعبد الله بن عياض (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) ولم أدر أيهما كان أسبق بالطعنة فطعنه فى صدره فأخرج السنان من ظهره فلما نظر غلمانه الى ملكهم مجندلا ولوا على أدبارهم ونزل عبد الله فاحتز رأسه وجعله على رمحه وركب وصاح الا ان الملك قد قتلته فمن كان منكم يثبت للحرب فليثبت وصالت المسلمون على أعداء الله ووضعوا

السلطان مصطفى المخلوع وخرج السلطان عثمان المذكور الى جهاد الكفار بنفسه وغاب نحو سبعة أشهر ثم عاد منصورا مؤيدا ثم عزم على الحج وافضى الحال الى مثل فتنة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه وكانت

فيهم السيوف فقتل من قتل وانهزم الباقون بعدما أسر وامنهم ما أسروه وقد تركوا الاثقال على حالها والاموال والسرادقات فاحتوى عليها المسلمون (قال) جديد بن ناشب الصيمرى كنت مولعا اذا سكنت الحرب بعدد من قتل من الروم فأخذت مخلاة على عاتقى وملأت بحرى حصى فكنت لا أمر بمقتول الا وطرحت عليه حصاة ثم عددت الحصى فاذا هو ثمانون ألفا وسبعمائة وخمسون وأما الاسرى فلا يحصيهم عدد فلما وضعت الحرب أوزارها أمر عياض بالاثقال والاسرى الى كفرتوثا وبعثها مع الصلت بن مازن ومعه ألف فارس وأمره أن لا يبرح منها حتى تفتح رأس العين قال ثم ارتحل عياض فى أثر الوقعة الى رأس عين وردة وبات ليلته يتلو القرآن قال ووصل المنهزمون الى رأس العين وهم باسوأ حال ووقع الصايح بجوانب المدينة بهزيمة الجيش وقتل الملك شهرياض فعظم عليهم وكبر لديهم واستوثق الوالى مرسيوس من المدينة والاسوار وعول على أنه فى غداة غد يضرب رقاب المأسورين وكان من عادة الروم اذا قتل منهم ملك يقتلون عليه مائة أسير من أعدائهم فلما كان الغد ركب عدو الله مرسيوس الوالى فى وسط المدينة وأمر أن يؤتى بالاسرى وهم خالد ومن معه ليضرب رقابهم فأرادوا أن يأتوا بهم واذا بعياض قد صبحهم صباحا فأشغلهم عن ذلك ونزل على باب اسطاحون وهو الباب الشرقى وكان قد ضرب على الباب المذكور قبة من الديباج المدثر برسم عدو الله مرسيوس والى جانب القبة منجنيق عظيم يتعلق فى حباله مائة رجل وكان صاحبه ابن عم الملك وكان اسمه مترقيس بن اشفكياس وكان أبوه هو الملك قبل شهرياض وهو صاحب الدنانير الاشفكياصية قال واغا تقدم عياض بالمسلمين للقتال حتى يشغل أعداء الله عن خالد ومن معه بالمدينة فصاروا يرمون بعجانيقهم وسهامهم وكان قد وصل مع عياض غلام من أهل المدينة اسمه جميل بن سعد الدارى وكان أرمى خلق الله بالنبل وكان قد وصلت له أم عجوز فلما كان ذلك قال يا أماه أريد أن أجاهد هذا اليوم فى الله حق جهاده فلعلى أن ألحق باخوانى وجدى الذين قتلوا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعها وسار فقالت يا بنى سر والله ينصرك ويؤيدك قال ثم انه تقدم ووقف وهو يتستر وكان قد شاع ذكره بين العرب وانه كان ينظر الى الطائر فى الجوفية ولا انى قد عولت أن أضرب هذا الطائر فى موضع كذا فيضربه فيقع الطائر والضربة فى المكان الذى ذكره فلما كان يوم قتال عين وردة تقدم وجعل يضرب البطارقة من أعلى السور فلا تقع سهمه الا فى فؤاد أو فى حدقة حتى قتل ثلاثين بطريقا منهم من وقع الى المدينة ومنهم من وقع الى الخندق قال وكشف برج الباب قال وكان عدو الله مترقيس المتقدم ذكره صاحب المنجنيق أرمى خلق الله فجعل يعبر ويرمى فقال الناس لجميل بن سعد أيها الغلام ابعد لئلا يصل اليك حجر المنجنيق فانا نخاف عليك منه فقال يا قوم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى كتاب الله العزيز أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ولابد أن أثبت لهم ثم انه رمى رجلا من الذين يجرون الحبال فقتله وثانيا وثالثا فقتلهم قال فهربت البطارقة عن الحبال وقالوا لا طاقة لنا بالوقوف فى هذا المكان من هذا الغلام فقال مرسيوس البسوا الدروع واستتروا فلبسوا وقد دوا فى الحبال ورمى بحجر فوقع فى رجل من بجيلة فقتله ولم يزل حتى قتل ستة رجال قال وان جميل بن سعد يرمى فلا تخطئ نباله وهو يقول واشوقاه الى الشهادة وان أصل الى دار العلم والشهادة فنودى من سره ان أردت ذلك فبادر الى ذلك ولا تخف ولا تحاذر وأطلق عنان كميتك فى ميدان طلبتك واياك والتخلف عن بابنا فمن أرادنا أردناه ومن أحبنا أحببناه فقال ها أنا أتقدم وجنانى فى الحقيقة لا يتألم قد بعت منك نفسى فاقبل شراها نفسى آتى الجنة وأراها فقيل له قد قبلناك فامرح وأطلق لسانك بشكرنا وافرح فمن باع نفسه منا لم يكن يغبون واسمع ما سطرناه فى الكتاب المكنون ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون قال فبينما هو كذلك اذ عبر عليه عدو الله ورماه وكذلك جميل قصده بنبلة فوقعت فى صدره ومرت من ظهره ونظر جميل الى الحجر وقد قصده فعلم أنه ميت فالتفت الى ابن عم له اسمه رافع بن خالد وقال له بلغ العجوز سلامى وأنشد هذه الابيات وجعل يقول

أيا رافعا الا حملت رسالتى * تخبر أنى قد لقيت حمامى

وان جئت أمى رافعا وعشيرتى * فخصهم منى بكل سلام

وان سألت عنى العجوز فقل لها * قتيل بحار لا قتيل سهام

مدته أربع سنوات وأربعة أشهر وعشرة أيام وجملة وزرائه ستة (ثم تولى بعده عمه السلطان مصطفى خان) الذى كان مخلوعا فاقام فى السلطنة سنة ثم خلع ومات بعد خلعه بأيام (وتولى بعده ابن أخيه

طرب جابات المصن لما طارت * من الجرالصلد الاصم عظامى
واست أبالى ان قتلت لانى * أرجى بقتلى فى الجنان مقامى

قال وعلم عياض بقصته فبكى رحمة لامه وأمر به فدفن بعد ما صلى عليه وبلغ خبره الى امه فصبرت صبر الكرام وقالت يابنى عشت سعيدا ومت شهيدا وسلكت سبيل آبائك فرحمك الله وآنس غربتك ونفعنى بك يوم القيامة ثم قرأت الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون (قال) حدثنا معمر بن الجون النبهانى وكان ممن حضر مع جده سراقة فتح رأس العين قال لما قتل جميل بن سعد فرحت الروم وأن عدو الله مرسيوس صاحب الامر بعد شهر ياض لما رأى أن المسلمين معولون على حصاره مضى فى الليل الى بيعة نسطور يا وصلى بها وقرب القربان وكان من بغضه للمسلمين قد صور على باب البيعة صورة رجل من العرب وكتب عليه هذا نبى العرب فكل من دخل البيعة يبصق عليه وكان فى داخل البيعة صورة القيامة والميزان والصراط والجنة والنار وصورة عيسى وبيده الصليب وصورة أمه تحت لوائه على باب الجنة قال فلما صلى قال لعاصم بن رواحة لقد أردت الليلة أن أقرب عشرة من هؤلاء العرب الاسرى فى بيت المذبح فقال له عاصم ليس هذا رأى أيها الملك حتى ترى ما يكون من أمر العرب وهذا بين يديك قال فسكت وخرج وان عاصما لم يترك فى البيعة أحدا من الروم واستوثق من أبواب البيعة ودخلت الصحابة الى بيت المذبح فوجدوا فيه سلاحا كثيرا مما كان يجتمع من النذور فأخذوه وعولوا على انه فى صبيحة غد اذا اشتغل أهل المدينة بالقتال يثورون فى المدينة قال ولما دخل الليل قاموا يذكرون الله وينظرون الى تلك الصور والصورة وصفة القيامة والصراط والجنة والنار فقال عاصم بن رواحة لسعيد بن زيد العرب الى دين رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد فى الايمان قال نعم ويقرب الى مقام ابراهيم اذا كان يوم القيامة يوم الحسرة والندامة وعصفت رياح الطامة وحشرت الخلائق والورى وبرزت الجحيم لمن يرى وصفت صفوف العالمين وحيت جوانب المتقين الموقنين ونشرت رايات الصادقين ورفعت أعلام المحققين ونصبت منابر الانبياء والمرسلين وتصدرت مراتب الصديقين وفرحت أرواح الموحدين وضاقت أرواح الكافرين وزهقت نفوس المشركين وقيل بعدا للقوم الظالمين وذلت الملوك والجبابرة وطاطأت رؤس الاكاسرة والقياصرة واستبشرت الابرار وبئست الفجار ونادى منادى الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ألم نحذركم دار البوار ألم يأتكم الانذار ألم تسمعوا ما أنزل على السيد المختار قل تمتعوا فان مصيركم الى النار هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين هذا يوم العرض هذا يوم الوفاء هذا يوم الجزاء هذا يوم الراجفة هذا يوم الآزفة هذا يوم الفصل هذا يوم العدل فاذا غص الموقف باهله وقدم كل ذى جهل بجهله وعضت الأنامل أسفا وطارت القلوب لهفا ونادى المنادى يامعاشر المسلمين امتاز وافان المتقين قد فازوا أمامهم فى الكتاب المكنون وامتازوا اليوم أيها المجرمون فبينما هم قد كظهم العطش ولحقهم الدهش وعظم الأرق واشتد القلق وسال العرق ونادى المنادى وهم يسمعون وقفوهم انهم مسؤلون قفوهم حتى يروا هيبتى وعملكتى قفوهم حتى يشاهدوا سلطانى وعظمتى قفوهم حتى يعرضوا على قفوهم حتى أناقشهم الحساب أين من عصى وأجرم أين من طغى وظلم أنا الجبار الاعظم لا أرحم من لا يرحم أين أمة نوح أين من كان يغدو فى البطالة ويروح أين أمة هود أين آل ثمود أين أمة الخليل أين أمة شعيب أين أهل الشرك والشك والريب أين أمة التوحيد أين أهل الصلاة والتمجيد أين أهل القرآن أين أمة راكب البراق أين أمة طاهر الاخلاق هلموا للعرض والحساب فقد تجلى رب الارباب لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب والمصطفى صلى الله عليه وسلم فى كبكبة حشمته وموكب زينته على رأسه تاج الرضا مكتوب عليه بقلم الامضا ولسوف يعطيك ربك فترضى وبيده لواء الحمد وبين يديه جنائب السعد وعن يمينه الانبياء وعن يساره الأولياء والملائكة وقوف بين يديه وأهل الموقف ينظرون اليه وأمته يصلون عليه وقد تهللت وجوههم فرحا وقد أسبل عليهم الاسلام سرباله وأوصل بهم حباله وقد نادوا ربهم بالتمجيد وأزعجوا الموقف بالتوحيد وقد أضاء نور ايمانهم وعرضوا على ديانهم واستشهدهم على الامم فشهدوا فقبلت شهاداتهم وغيبت عنهم نجوم الافلاس وأمنوا من الهول والباس ونادى مناديهم كنتم خير أمة أخرجت للناس وأهل الموقف ينظرون الى جمالهم ويتعجبون من هيبة جلالهم ويقولون لقد فاز من اتبع

السلطان مرادخان ابن السلطان أحمد خان) سنة اثنين وثلاثين والف فاقام فى السلطنة ست عشرة سنة واحدى عشر شهرا وخمسة أيام ثم مات تاسع شوال سنة تسع وأربعين والف وجلة وزرائه بمصر سنة أيضا

ماتهم وصدق شريعتهم قال مالك يوم الدين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فاذا ورد مقامه أطال فيه هنالك قيامه وبسط أكف ابتهاله وبالغ فى طلبه وسؤاله ويقول أسألك قبول شفاعتى فى العصاة من أمتى واذا بالنداء وعزتى لا أخلف لك وعدا ولا أنقض لك عهدا ولأرين أهل الموقف علو شأنك ورفيع مكانك ولاعطينك حتى ترضى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال فازداد عاصم ايمانا فلما كان وقت السحر وثبت الصحابة على أقدام الحزم والعزم وخرجوا على أهل المدينة فاستعانوا بالله وقالوا اللهم انصرنا كنصر نبيك يوم الاحزاب وقال خالد اياكم أن تفترقوا فتذهب ريحكم واتقوا الله الذى اليه مصيركم واعلموا أن الاعداء يجتمعون عليكم والنساء برجمنكم والشباب يقاتلونكم واياكم أن تطمعوا أحدا فى بحار الحرب بل اصبروا على مر الكرب والضرب وانما يتبين صبر الرجال عند ملاقاة الاهوال وما نحن ممن يفزع بهجوم الآجال لانا قد تحققنا ان لكل منا أجلا لا يتعداه ومن خاطر بعظيم نال عظيما وهذه اسمها عظيم والجمع فيها أعظم وهى قصور ديار بكر وربيعة وقد حصلنا فى وسط مدينة القوم فان كنتم طالبين الظفر فاصبروا ولا تعجلوا فالصبر مقرون بالظفر والعجلة مقرونة بالزلل والصبر عاقبته النصر واعلموا أن هذه البيعة هى بيعتهم المعظمة ولا بد لهم من القدوم الى الصلاة فاذا حصل والهم ههنا ومقدم عساكرهم أطبقنا عليهم من كل جانب وقصعناهم بالقواضب فانه اذا قتلت الملوك وعظماء البطارقة فما يجسر بعدهم أحد ان يرفع يده وأما العوام فلا اعتبار بهم فقال عاصم بن رواحة لله درك أيها الامير ما أخبرك بالامور والحرب ولقد تكلمت بالصواب وأحسنت فى الخطاب فليقر كل واحد منكم فى مكانه وأخفوا سلاحكم فى عيابكم فاذا اشتغل القوم فى صلاتهم ثرنا عليهم ومددنا أيدينا اليهم فاستصوبوا رأيه قال وكانت الصحابة فى بيت كبير البيعة كان برسم النذور وفيه شئ من الامتعة لا يثمن لكثرته (قال الواقدى) حدثنا عبد الله بن يانس عن جده فياض بن زيد وكان من جملة من ذكرناهم من الصحابة وحضر فتوح رأس العين قال هكذا كانت قصتنا وكنا قد دبرنا هذا التدبير ثم رجعنا عنه وكان من الامر المقدر أن ذلك اليوم الذى رجعنا فيه لم يقاتل فيه أحد من جند رأس العين وكان له سبب نذكره (قال الراوى) رحمه الله كان من قضاء الله السابق فى خلقه أنه كان للوالى أخ عاقل لبيب له رأى وتدبير وكان يعرف من الحكمة التى وصاه بها فهرابس أحد حكماء اليونانيين وقد عرف من علم الملاحم وكان صاحب سر شهرياض فما كان يفعل شيأ الا بمشورته وكان قد نهاه عن قتال العرب وقال له ما أرى لك فى قتالهم خيرا والامر اليك لا لك فلما كان من الملك ما كان وقتل جيشه ورجع الامر الى مرسيوس قال له أخوه الحكيم وكان اسمه أرسالوس ومعناه حكيم زمانه اعلم يا أخى انه ليس ينبغى للعاقل اللبيب الفاضل الاديب أن يرمى نفسه فى غير مراميها ولا ينقاد بزمام شهوة النفس فانه من أطاع نفسه هوى فى مهاوى الذل ونسب الى الجهل فان الشهوة عرض واتباع الهوى مرض والاستمتاع باللذات سبب الهلكات ولا خير فى لذة تؤدى الى الفناء وتورث صاحبها العناء الشهوة حين والامل شين والاستمتاع بين والتمتع دين وحب الدنيا مين وما ندم عاقل ولا ساد جاهل ولا وفق عجول ولا رأى لملول ولا سعد خائن ولا صدق مائن ولا عظم بخيل ولا قدم ذليل ولا فخم نبيل ولا حقر جليل ولا نال العبادة من زهد فى الافادة ولا أمن فى الآخرة من سر بالدنيا الساحرة ولا سعد من ظلم ولا حرم من حلم ولا حزم من ندم ولا حاف من تاب ولا رد من أناب ولا هجر من لزم الباب ولا ذل من اتبع الصواب واعلم ان بالسياسة تدوم الرياسة وبالعدل تدوم الدول وبالجور هلك الاول وبقلة التدبير يحصل التبذير ومن بذل جهده كملت أوصافه ومن أفشى السلام فضله الانام واصلاح السريرة نعم السيرة وجمال الانسان فصاحة اللسان وزينة الرجال كرم الخلال وخير الاصحاب التقوى وشر الاخوان اتباع الهوى ولا خاب من قصد طوره ولا ارتفع من جهل قدره والتعلق بالآمال ضياع الاعمال ومعالى الاخلاق نعمت الرفاق وممارسة الحلال نجاة من الاهوال وحب العاجل يبيد الآجل وارتكاب العصيان علامة الخذلان وعلامة التوفيق تيسير الطريق والنظر فى العواقب أمن من المعاطب ومن نظر الى الدنيا بعين الفنا أدرك فى الآخرة ما تمنى واعلم يا أخى انك قد أصبحت مقيدا بحب الدنيا سابحا فى بحار أهوالها متعلقا باذيال محال آمالها وقد تزينت لك برياشها ووقفت لك على قدم احتياشها وزوت عنك جل مصائبها ونصبت لك شبكة مصايدها ووضعت لك تاج

(ثم تولى بعده أخوه السلطان ابراهيم خان) ابن السلطان أحمد خان ووافق تاريخ توليته * استعنت بالله * فاقام فى السلطنة ثمان سنين وتسعة أشهر ثم خلع وفى اليوم الثالث قتل (وفى ذلك اليوم تولى ابنه السلطان محمد خان) وكان عمره تسع سنين فاقام فى

شهواتها على مفرق رأس آفاتها حتى اذا أشرت اليها بالوصال منحتك لذيذ الاتصال وأحسنت لك صحبتها
شهرا ورمتك بسهام الهجر دهرا وطالبتك بما كتبت عليك مهرا حتى اذا علمت أنك غريم الانفاص غير منقاد
للقصاص ألقتك فى بحر الآفات وحبستك فى سجن الغفلات وصغرت أمرك عند الناس وكانت بك نهائب
الوسواس فلا تبرح تذكر الانسان بما كان فيه حتى تخرج روحه من فيه واعلم ان من جملة ما ذكر لنا عن عيسى
ابن مريم عليه السلام أنه رأى طائرا مليح الشكل حسن الريش كامل الزينة فقال من أنت قال أنا الدنيا
ظاهرى مليح وباطنى قبيح قال عيسى عجبت لغافل ليس بمغفول عنه ومؤمل اتمام شئ والموت يطلبه واعلم
ضربت لك هذه الامثال لتتعظ بها وبما نزل بالملك شهرياض كان بالامس على السماط واليوم نزل على الصراط
بالامس كان فى سلطانه وفى ملكه يباهى واليوم صار فى الحفر واهى ما أفاده الغنى أذهبه الفنا وذهب الفرح
بالترح والنوم على السرير بالنوم على العفير ومعانقة الاتراب بالتعفر فى التراب وبدل عن كل خل ودود
بمجاورة الدود جار وما أجار واشتغل بالدار عن الجار وبالرماد عن المهاد وانظر بأى سنان بتر وبأى آلة كيف
هجر وصار قصره مهجورا وعمارته خرابا بورا وتبدل السرور بالثبور وما نفعه الجيش وكثرته ولا الخزائن وعدته
أصبح والله ذليلا وبعد الكثرة قليلا فلا عمل صالح ولا عز راجح ولا ثواب ينفع ولا جميل يدفع وقد بقى مرتهنا
باعماله موثقا بافعاله وأنت تريد أن تسلك مسلكه وتتبع سبيل ما أهلكه فما أحد ينفعك ولا عمل ينيلك اتق
الله فى نفسك وفى أهل ملتك وبلدتك واعقد لك مع هؤلاء العرب صلحا واقبل ما قلت لك نصحا واحقن الدماء
وارحم النساء والاماء وان لم تسلم وهؤلاء القوم ما قالوا قولا الا وفوا به لان الصدق دأبهم والايمان يقينهم ماهم
ممن يطلبون الملك فينازعون عليه ولا يميلون اليه بل طلبهم الآخرة وما عند الله وبالامس وفولروس صاحب
حران ورجع عن دينه ودخل فى دينهم وكذلك الملكة مارية بنت ارسوس وقد دخل فى دينهم جبابرة ملوك
الروم مثل يوقنا وبرغون وعمودوم تا الذى هو أعلم منا بدينهم وقد ملكوا الارض فى الطول والعرض وانما
يحاصر عن نفسه من له ميرة وعدد وجيش وسلاح وعدد يقدر على محاصرة البلد وهذا بلد عظيم وما فيه
ما يقوم باهله سنة أو أقل فان لم تسلم أنت سلم أهله وسلموك اليهم برقبتك وهذه حران لهم وكفرتوثا والرها وسروج
وسجستان وماردين والصور والخابور وما عدا الفرات الى الشام الى أرض مصر وجيوشهم قد طبقت العراق
وملأت الآفاق وقد بلغنى أن الملك كسرى قد عاد الى المحاق فابعث الى أمير هؤلاء العرب واطلب منه الصلح
فانه يعطيكه وتربح نفسك ومالك وأهلك وولدك وعش فى ظل القوم ان شئت على دينهم وان شئت على دينك
فانهم لا يعضبونك قال فلما سمع مرسوس كلام أخيه الحكيم ارسالوس غضب عليه وضربه بمقرعة كانت فى يده
وقال أنت ما خلقك المسيح الا ذليلا وكيف تأمرنى أن أسلم ملكى للعرب وتعرضنى للعطب اخرج باويلك عنى
فان وقعت عينى عليك بعدها قتلتك قال فخرج من عنده وهو غضبان وأما اللعين مرسيوس فانه أمر أرباب
دولته ان يجتمعوا فى كنيسة بيعة نسطوريا حتى يحلفهم فمضى شاويشه فجمعهم وجمع مشايخ البلد وكبراءها
ورؤساءها وأحضر القسوس والرهبان والشمامسة وبترك ديرمقرب حتى يستحلف أهل المدينة فلما حصلوا فى
البيعة أغلقوا أبوابها حتى لا يدخل اليهم أحد من العوام وحصلوا كلهم فجلس الملك والبترك وشرعوا يحلفونهم
وهم آمنون مطمئنون اذ خرجت عليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل سيف مسلول وعزم غير
محلول وصاحوا بالتهليل والتكبير ونادوا نحن أمة التنزيل وأصحاب النبى الجليل نحن حملة القرآن وصوام
رمضان قد أخذ الله منكم بذنوبكم وهتك ستوركم وعصفت عليكم المحن أين الصلبان وعبادتها أين الصور
وحشمتها أين تقريب القربان أين تدبير الرهبان ادعوا أربابكم ينصرونكم هيهات والله ذهب باطلكم
وهلك بالشرك جاهلكم واضمحلت أيامكم وذهبت دولتكم ووضعوا فيهم السيوف وعجلوا بهم الحتوف وقتلوا
البطارقة بالنية الصادقة فاتوا عن آخرهم فلما رأت الروم ما نزل بهم ضجوا بأصواتهم عجوا فقال خالد أولياء الله
جودوا الضرب فى أعداء الله واهرقوا دماء من أشرك بالله قال فقتلت الطرامخة وذو الحشمة الشامخة فلما
بلغ الخبر العوام انهزموا عن الاسوار لما حل بقومهم البوار ودهمتهم الاقدار فذهب داهس الى الابواب
نقضها فدخل المسلمون بالتهليل والتكبير ولم يزل القتل يعمل فى رأس العين وقد وردوا موارد الحين وناح
عليهم غراب البين وأبدت شريعة سيد الكونين (قال الواقدى) وكان فتح رأس العين فى ربيع الاول

السلطنة احدى واربعين
سنة ثم خلع سنة تسع
وتسعين والف (وتولى ذلك
اليوم السلطان سليمان
خان) ابن السلطان
ابراهيم خان فأقام ثلاث
سنوات وشهرا ومات سنة
اثنتين ومائة وألف (وتولى
بعده أخوه السلطان أحمد

سنة

سنة سبع عشرة فجمعوا الاموال والرجال وكانت عدتهم عشرين الفا منهم عشرة آلاف محاربة فاسلم كثير من القوم واسلم الحكيم ارسالوس وجميع من يلوذ به (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) ولم يؤخذ من ديار بكر بالسيف الا رأس العين قال واخرج الخمس من المال وارسله الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكتب له كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عياض بن غنم الأشعرى الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه أما بعد فان الله قد فتح علينا يسيرا ما كان عسيرا وكان اعدة الفتيان شعاع يخطف العيان فلما تضايقوا أمامى وازدحموا قدامى عاينت جيشا كثيفا وسدا منيفا قد أقبلوا من الافواج وتتابعوا كالامواج وتناصروا من كل صوب واشتهروا فى كل نوب والحديد يتألق كالبريق وقد تطايرت السيوف فلا والارماح كعوبا وانقضت المدة وقد وضعت الحرب أوزارها وانطفأت نارها بعدما قتل المسلمون أهل الطغيان الفاسقين ونصر الله الكفاة وخذلت العتاة وولت الاعداء الادبار وأراحنا الله من مضرتهم وطهرت البلاد من كفرهم وكان زعيمهم الخائن وملكهم أول مخذول وأهون مقتول وبعد ذلك فتحنا رأس العين ونحن بعد ذلك متولون على ديار بكر والله المعين وبه نستعين والسلام عليك وعلى جميع المسلمين واقرأ سلامنا على قبر سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ثم طوى الكتاب وختمه وسلمه مع الخمس لعبد الله بن جعفر الطيار وضم اليه مائة فارس من المهاجرين والانصار فسار عبد الله ومن معه وأقام المسلمون على رأس العين شهرا وعمر بيعة نسطور يا جامعا وصلوا فيه وبنوا الكنائس مساجد وترك عرفجة بن مازن العامرى عليها واليا ومعه مائة فارس وأخذ مال الرها وكفر توثا فاخرج منه الخمس وأرسله بعد عبد الله بن جعفر مع سلامة بن الاحوص ومعه خمسون فارسا

﴿ذكر فتح دارا وبيرحا وباعما﴾

قال ورحل عياض بن غنم من رأس العين ونزل على كفرتوثا فأقبل اليه الغلام برغون فرحب به وولاه على المدينة وعرض الاسلام على الجارية طاربون فأسلمت وزوجها بابن عمها وبنى البيعة جامعا وارتحل منها الى دارا فنزل عليها وخرج اليه أهلها واعتقبوا لهم منه صلحا وكان جملة ما صالح عليه أهل دارا عشرين ألف مثقال ذهبا وثلاثين ألف مثقال فضة وأن لا يبقوا سلاحا فأجابوا الى ذلك وبنى كنيستهم جامعا وما أسلم منهم الا القليل وأقرهم على أداء الجزية وارتحل عن دارا وقصد بيرحا فصالح أهلها على ربع ما صالح عليه أهل دارا ورحل عنها وكانت بنو اسرائيل تعظمها وتقصد اليها بالنذور وكان بانيها اخرقيا بن تورخ بن باز يا احد انبياء بنى اسرائيل فخرجوا الى عياض وصالحهم على قدر ما صالح به أهل دارا غير أن مقدمهم قال انى لم أزل أملك البلد حتى يأتينى الموت ومن أراد أن يدخل فى دينكم من أهل بلدنا فلا مانع عنه فقال له عياض ما اسمك قال اسمى طرياطس فقال يا طرياطس انا نحكم على العدل فما فتح الله علينا الا باتباع الحق وسلوك طريق الصدق والعدل فى الرعية وانا نتجنب البغى والظلم وما قصدنا قاصد الا وجدناه وانتم منذ خرجتم الينا ورددتم علينا فنحن نجيبكم الى سؤالكم ونصالحكم على ما صالحنا عليه أهل دارا فقال طرياطس وتصالحوا أهل معربن على ما صالحتم عليه أهل بيرحا فأجابهم عياض الى ذلك ونزل على باعما ودبرها قال واغ اجابه عياض الى ذلك والان له العريكة حتى يبلغ الخبر أهل ديار بكر فيجيبون طائعين ويسلمون له من غير منازعة وكان قد بانه تحصن بلادهم وامتناع قلاعهم قال فدخل طرياطس وأخرج المال من خزائنه ولم يأخذ من أهل بلده شيأ ودفعه لعياض فقبله منه وكتب له كتاب الصلح وشرط عليهم الجزية كما فعل أهل دارا من العام القابل فلما تم ذلك دخل المسلمون اليه وبنوا جامعا فلما بلغ أهل نصيبين حسن سيرتهم وعدلهم وجودة أحكامهم أسلم أكثرهم وكان فى جملة من أسلم أصحاب النذور وأخربوه وبنوه جامعا وأقام عياض على نصيبين شهرا فلما أراد الرحيل جاءه طرياطس وقال قد زدتم فى أعيننا بما رأينا من صلاتكم وعبادتكم فأسلم وحسن اسلامه ولم يزل مالكا حتى مات فى خلافة عثمان ونزل فى مسجد كندة أسامة بن عامر الكندى وعشرة من بنى عمه وارتحل عياض ونزل تحت قلعة المرأة وفيها امارية وولدها عمود فانزلوا له الاقامة والضيافة وسار الى أن نزل على آمد لسبع خلون من شهر جمادى الاولى

﴿ذكر فتوح ميافارقين وآمد﴾

خان) ابن السلطان ابراهيم خان فأقام فى السلطنة ثلاث سنين وتسعة أشهر ومات سنة ست ومائة وألف * وفى هذه السنة لم يطلع النيل بمصر ولم يجر كعادته فارتفعت الاسعار واشتد الكرب على الناس من الغلاء وخصوصا الفقراء

وكان بآمد أخوان شديدا البأس اسم أحدهما بطرس والآخر يوحنا وكان بطرس في شرقي البلد ويوحنا في غربيها وكان ليوحنا بنت اسمها رغوره ولبطرس بنت اسمها صفورا وكل واحد مشغول بما هو فيه ويوحنا أراد أن يتزوج فأرسل الى صاحب دارا وهو مرطاوس فزوجه ابنته مريم وحملت من بلد أبيها اليه وكانت صاحبة حيلة ومكر فلما حصلت بآمد نظرت الى المدينة وكثرة مالها ونعمها وتحصن أهلها وسورها وغزارة بساتينها فقالت لدايتها في السر يا دايتي ما رأيت أحسن من هذه المدينة ولا أحصن منها ولا أمنع ألا ترين الى الاعين المخترقة في وسطها والى الجبال التي قد دارت بها تحميني سورها الاسود فمن بناها على الحقيقة قالت لها اعلمي انه ملك بلاد الروم أجمع من أول بلاد اليونان الى بلاد عمورية ملك يقال له طيماوس بن ارسالوس بن ميطاط بن مكلاوكن بن الاصفر بن العيص بن اسحق وكان أول من بنى بيت الحكمة في بلده رومية الكبرى وكان قد فحصت له المطالب ونشر في الارض العجائب وانه حدثته نفسه بملك الارض لكثرة المال فانتهى الى سوبقة وكان له ولد اسمه اصطنبول فقال لابيه طيماوس أريد أن أبني لي ههنا مدينة أذكر بها قال يا بني افعل وامده بالمال والرجال فأدار سورا على ستة فراسخ وسماها باسمه وعاش أربع سنين ومات وخلف ولدا اسمه قسطنطين فأتم بناءها وسميت بلدة بن اصطنبول باسم أبيه والقسطنطينية باسم ابنه وأما أبوه فانه صار يفتح البلاد حتى وصل الى ههنا فرأى هذه الاعين والدجلة فاستحسن المكان فطلب أرباب دولته وكانوا اثنين وسبعين ملكا وقال قد اخترت أن أبني ههنا مدينة لا يكون على وجه الارض مثلها ولا أحصن منها ولا أمنع وأريد أن كل واحد منكم يبني لنفسه مدينة وبرجا فقالوا جميعا افعل أيها الملك فركبوا واختطوا المدينة وشرعوا في بنائها وأتوا بالصناع من أقصى البلاد واختص كل ملك بمدينة وبرج وحمام وكنيسة فلما أتموا بناءها مات الملك فسميت آمد لانقضاء أمده بها ومازال الملوك يتوارثونها الى أن انتهت الى هذين الاخوين بطرس ويوحنا قال فتعجبت مريم من قول دايتها وكتمت الامر وكان لبطرس ولد اسمه لاون فطلب من أخيه ابنته صفورا لولده وقال زوج ابنتك لولدي حتى أزوج ابنتي لولدك فامتنع ووقع الشر بينهما حتى كان في وسط البلد سور وأبواب فاغلقت وصار كل واحد منهما مشغولا بناحيته فلما رأت مريم ذلك دخلت بينهم بالصلح وقالت هذا لا يجوز وأنتما اخوان ويطمع فيكما ملوك ديار بكر وركبت بنفسها وأصلحت بينهما وفتحت الابواب التي داخل المدينة وصنعت وليمة عظيمة ودعت اليها بطرس وولده لاون وابنته صفورا فأكلوا وليمتها وقدمت لهم الخمر ممزوجا بالسم فلما تمكن منهم قتلوا عن آخرهم وكذلك فعلت بزوجها وولده وصارت ملكة وبنت بيعة لم ير ببلاد الروم مثلها وفرشت أرضها بالفصوص والرخام الملون وزخرفت الحيطان بالذهب والفضة وعلقت فيها ستور الديباج المذهب وطلبت كل عالم مشهور وأزالت عن أهل البلد جميع ما كان عليهم من الحيف وعدلت فيهم فأحبها أهل البلد وشكروا سيرتها واستخدمت الرجال وزادت في اكرامهم وقصدها الناس من كل مكان لاجل عدلها وأقامت في ملك آمد اثنتي عشرة سنة وبعدها نزل عليها عياض بن غنم ومن معه وأحاطوا بالمدينة

﴿قال الواقدي رحمه الله ورضي عنه﴾ بلغني أن عياضا نزل على التل ونزل سعيد بن زيد على باب الروم ونزل معاذ على باب الجبل ونزل خالد على باب الماء فلما نظرت الملكة مريم الى ذلك ورأت أن الصحابة قد عولوا على حصارها ركبت الى كنيستها وجمعت أرباب دولتها وقالت اعلموا أن هؤلاء العرب قد حلوا بساحتكم ونزلوا على مدينتكم وقد طمعت أنفسهم في أخذها وأنتم تعلمون أن هذه قفل ديار بكر ومتى فتحوها فقد أخذوا ديار بكر عن بكرة أبيها واضمحل دين المسيح ولا يبقى له ذكر في هذه البلاد وأنا أعلم أن الملوك ومن يشار اليهم من أهل دين النصرانية وبني ماء المعمودية كلهم ينتظرون ما يكون منا ويعلمون أن مدينتكم لو أقاموا عليها مائة سنة ما قدروا عليها فقاتلوا عن حريمكم وأموالكم واصعدوا فوق الاسوار وقاتلوا هؤلاء العرب وطلبت القسوس والشمامسة والرهبان وأمرتهم أن يحلفوهم على أن يكونوا يدا واحدة ولا يخامر واحد عليها ففعلوا ذلك وصعدوا على الاسوار وشهروا السلاح وآلة الحرب وأقاموا الصلبان والرايات والاعلام وتولت كل طائفة بحفظ برج من الابراج قال فلما نظر عياض الى ذلك وانهم قد عولوا على القتال من أعلى الاسوار جمع أمراء جيشه اليه وقال لهم ان هذه المدينة حصينة وهي عين ديار بكر ومتى فتحها الله علينا ملكنا ديار بكر فما الذي ترون من الرأي وكيف يكون قتالها وأعداء الله قد تحصنوا بهذا الحصن المنيع فقال خالد أيها الامير اعلم أننا ما ملكنا

حتى أكلوا الميتة ثم كثر الموت من الطاعون حتى صار الناس المشيعون للجنائز يسقط منهم الكثير فيموتون وهم سائرون فكانت لا تخلو طريق من طرق مصر من أموات مطروحين فيها لا يعرف لهم أهل ولا مسكن ووفق الله

الله البلاد بقوة ولا بكثرة عدد ولا عدد بل بتيسير الله لنا ونرجوا الله أن يفتحها ببركة نبينا صلى الله عليه وسلم
و بذلك وعد الله نبيه وان هؤلاء القوم وان باطشونا على ظاهر مدينتهم بالقتال رجونا تسهيل الامر وان أقاموا
على ماهم عليه فالصبر فان عاقبة الصبر النصر ولعل أن يأتى فى العرضيات مالم يكن فى الحساب واكتب الى
هذه المرأة كتابا وخوفها ثم منها بكل جميل فلعل الله تعالى أن يلين قلبها للايمان أو تسلم لنا صلحا فدعا عياض
بدواة و بياض وكتب اليها يقول * بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد وآله من عياض بن غنم أمير
جيوش المسلمين بأرض ربيعة وديار بكر الى مريم الدارية أما بعد فان الله سبحانه وتعالى قد نصرنا و بجميع
الكفار قد أظفرنا وعلى قبض ملوكها أيدنا ومانزلنا على بلد الا ملكناه ولا قابلنا جيشا الا هزمناه
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وليس حصنك بامنع من تدمر ولا أحصن وهو الحصن المنيع الذى بناه سليمان
ابن داود وماهو الا أن نزل عليه المسلمون حتى ملكوه وكذلك بعلبك وحلب وانطاكية دار الملك هرقل ولم يبق
بين أيدينا صعب الا سهله الله علينا و بذلك وعدنا الله فى كتابه العزيز فقال وكان حقا علينا نصر المؤمنين فاذا
وصل اليك كتابى هذا فسلمى تسلمى واياك تخالفى تندمى ومهما أردت بلغناك ولسنا نكرهك على فراق دينك
ولا احدا من أهل بلدتك قال الله تعالى لا اكراه فى الدين وان تمسكت بالهوى فستعلمون من أضعف ناصرا
وأقل عددا وسلام على عباده الذين اصطفى ثم طوى الكتاب وختمه وسلمه الى رجل من المعاهدين وقال له
ادن من الحصن وناوله لهم وقف حتى يردوا عليك الجواب قال فذهب ودنا من السور وناداهم بلغتهم
وأشار اليهم بالكتاب فأدلوا له حبلا فربطه لهم ووقف ينتظر الجواب قال فأوصلوا الكتاب الى الملكة مريم
فقرئ عليها فلما فهمت مافيه قالت لارباب دولتها ماتقولون فيما كتب الينا أمير العرب قالوا أيتها الملكة
الرأى لك فمهما أمرتينا به امتثلناه فقالت ياقوم أنتم تعلمون أن النار ولا العار ومتى سلمنا لهؤلاء العرب عيرتنا
الروم و يقولون كيف سلمتم مدينتكم وماحاصرتم سنة ولا عشرة أيام ومدينتكم أحصن بلاد الروم واذا شئتم
كان لكم موضع تزرعون فيه والمياه عندكم وكل ماتحتاجون اليه وقد وصلت الى الكتب من جميع ديار بكر
و واعدونى أن يرسلوا عساكرهم لنصرتنا فقالوا أيتها الملكة هذا هو الرأى الرشيد فاكتبى للقوم كتابا أن
يقطعوا طمعهم منا فكتبت تقول أما بعد فقد وصلنى كتابك وفهمت خطابك فأما ماذكرت من نصر الله لكم
أما علمت أن المسيح يمهلكم ولا يهملكم وانما ذلك استدراج لكم ثم يأخذكم بعد ذلك وكأنكم بالملوك وأبناء
الملوك وقد أقبلت عليكم بسواعد شداد وسيوف حداد وجيوش وأمداد فيأخذون منكم بالثار
ويكشفون عن عباد المسيح العار وما كنا بالذى نسلم حصننا اليكم أبدا فان شئتم المقام وان شئتم الرحيل
والسلام و ربطوه بالحبل وأعطوه للمعاهد فأخذه وأتى به الى عياض فلما قرأه وفهم مافيه قال توكلنا على الله
وفوضنا أمرنا اليه ثم قرأ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا قال
وعول عياض أن يقيم على آمد وخيله تغير على المتاج وميافارقين وسائر تلك البلاد قال وسمعوا ضرب
الناقوس فقال عياض أتدرون مايقول هذا الناقوس قالوا ومايقول قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابن عمه عليا ومعه جماعة من المسلمين ليغيروا على أطراف تبوك فاجتاز وابدير الراهب وذلك الراهب يضرب
بناقوسه فقال على لمن معه أتدرون مايقول هذا الناقوس قالوا الله و رسوله أعلم وأنت ياعلى فقال يقول مهلا
مهلا يابنى الدنيا مهلا مهلا ان الدنيا قد غرتنا واستغوتنا وشغلتنا غدا نرى مانرى مامن يوم يمضى عنا الا
لنا أو علينا يابنى الدنيا جمعا جمعا يابنى الدنيا شرطا شرطا مامن يوم يمضى عنا الا أثقل ظهر امنا مامن يوم
يمضى عنا الا صار منا حملا قد ضيعنا دارا تبقى واستوطنا دارا تفنى قال عياض فقالوا يا ابن عم رسول الله أو
يعلم النصرانى ذلك قال لا يعلم ذلك الا نبى أو صديق (قال) حدثنا الربيع أبو سليمان عن موسى بن عامر عن
جده قراءة بالخضراء من عسقلان قال فأقام عياض على آمد أربعة أشهر قال فخرج من جيشه الحكم بن هشام
واستأذن عياضا أن يشن الغارات على ميافارقين فأذن له فأخذ معه من الصحابة مائة من المهاجرين والانصار
فخرجوا بعد ماصلوا الظهر وعبروا الدجلة وساروا والارض تطوى لهم فما مضى قليل من الليل الا وهم على
ميافارقين فداروا بها الى أن وصلوا الى برج يعرف ببرج الشاة فقال الحكم بن هشام وددت من الله لو فتح لنا هذه

تعالى بعض الاغنياء لحمل
الاموات الذين فى
الطرقات والحارات
و يرسلونها مع خدمهم الى
المغسل السلطانى
فيجمعونهم حتى يصيروا
مائتين فى آخر النهار
فيغسلونهم و يكفنونهم
ويضعون كل ثلاثة أو
أربعة فى نعش واحد

المدينة بلا قتال قال فما استتم كلامه حتى انفتح لهم باب من حائط البرج فدخلوا وهم يخترقون الطرق الى وسط المدينة الى كنيستهم العظمى وتعرف ببيعة ماريا وكانت تلك الليلة ليلة عيد عند النصارى فلما أقبلوا الى الصلاة وجدوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم نزول على باب البيعة فصاحوا وتسامع الناس فاتى صاحب البلد وكان اسمه اسلاغورس فلما رآهم قال من أنتم قال له الحكم نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومن أين جئتم قالوا من عسكرنا قال ومتى جئتم قالوا بعد ما صلينا الظهر قال ومن فتح لكم مدينتنا قال له الحكم فتح لنا من بيده مقاليد الامور قال أوما تفزعون منا فقال الحكم وكيف نفزع من مخلوق لا يضر ولا ينفع وهو تحت أحكام القهر وقد قال الله فى كتابه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين فقال اسلاغورس ان دينكم دين محدث ودينناً دين قديم والقديم أفضل من المحدث فقال له الحكم اذا كان ما قلته حقا فضل ابليس على آدم لانه أقدم منه أما علمت أن طينة آدم مشكاة وقد قال الله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه أشرق نور قلبه فى وقت تجليه واشتغل بالاتقاد فيه فنظر اليه ابليس وظن قميص عبوديته أبيض بالتوحيد واذا هو اسود بالشرك فابان نعته القديم عن نعت رقته بقوله وكان من الكافرين كان سائرا فى أرض الشرك تحت ظل الجهل باله وانب فما زال يقطع منازل العبادات بالعبادات وهو فى عماية عن ابصار جمال المشاهدات فلما ظهرت أنوار مصباح الالهية من مشكاة الابدية استنار وجه صورة حاله فاذا هو وقد فهم من جوابه وان عليك لعنتى وأصل آدم لما طار من وكر بشريته بأجنحة همته فى جو الطلب تعالى عن حطيطة انسانيته حتى دنا من نيران المحن فاحترقت أنوار القسم بأجنحة اصطفائه وحصن قوادم ارتقائه فوقع فى حبال وعصى آدم ربه فلما تاه فى أودية محبته هطلت عليه سحائب محنته ورمى بصواعق اهبطا فلما خرج الى بيداء كربانه اشتملته موا كب آلائه مبشرة اياه باجتبائه ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال وان اسلاغورس أمرهم ان يدخلوا البيعة فقال الحكم بن هشام وما الذى نصنع فى بيعتكم قال تذكرون فيها ربكم قال ما كنا ندعى الى ذكر ربنا فنتأخر عنه قال فربطوا خيلهم ودخلوا وما أراد اسلاغورس بذلك الا أنه قد زخرفها وصور فيها بيت المقدس والصخرة وقبة السلسلة ومحراب داود ومهد عيسى وصورته وامه مريم فلما توسطها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ الحكم بن هشام واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ورفع بها صوته فقال لا والله وانما أقول لا اله الا الله وحده لا شريك له ومحمد عبده ورسوله قال فوالله لقد ماجت بيعة القوم وتزلزلت وصفقت القناديل بعضها ببعض قال وكان للبيعة شيخ عالم بالاديان والشرائع وكان اسمه عبد المسيح فلما نظر ما حل بالبيعة والقناديل صاب على وجهه وكذلك كل من كان فيها وقالوا للملك هم أنت ما أردت الا هلاكنا اذا دخلت هؤلاء العرب الينا أما ترى كيف غضب المسيح علينا فقال البطريق لا وحق المسيح ما هو الا توحيدهم الله وذكر نبيهم أظهر لكم من معجزة نبيهم ما رأيتموه يا ويلكم اذا كان قد فتح لهم باب فى السور ودخلوا منه علينا فكيف لا تهتز البيعة وتصفق القناديل لما دخلوها وأنا كنت فى شك مما ذكرت والآن فيا طربى ان كان على دينهم ﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى﴾ وكان هذا خادم بترك بيت المقدس وكان فى بيت المقدس يوم فتحت على يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسمع من البترك فى بيت المقدس وهو يقول هذا الذى يفتح الارض فى طولها والعرض ومحمد هو الذى بشر به المسيح بن مريم ولقد سأله رجل لما رأى المسلمين يعظمون الصخرة ويقبلون القدم الذى فيها فقال البترك نرى المسلمين يقبلون قدم المسيح فقال له يا بنى نحن نقول انه قدم المسيح وانما هو قدم نبيهم محمد ابن عبد الله لما عرج به الى السماء قالوا أوعرج به فقال نعم أسرى به من مكة الى بيت المقدس وصلى بالنبيين وأسرى به (قال الحكم) رحمه الله وذلك لما استبشرت به النفوس وبلغ خبر رسالته وأنه زيد فى كماله وأشرقت أنوار جماله وأراد الحق أن يشرفه على أهل الكونين باقترابه من قاب قوسين فنودى فى عالم الملكوت تأهبوا ثم تأدبوا فهذه ليلة الدنو والاقتراب هذه ليلة عتق الرقاب هذه ليلة الحبور هذه ليلة السرور وهذه ليلة الابتهاج هذه ليلة المعراج انصبوا علم الارسال وافرشوا فرش الاظلال وقوموا على أقدام الاسترسال يا جبريل زخرف الجنان وزين الحور والولدان يا جبريل انزل بالتهانى الى بيت أم هانى أيقظ حبيب مملكتنا واركبه على براق قدرتنا لنريه من آياتنا فأخذ جبريل مطية خلقها عجيب ونعتها

وبسلونهم الى المقبرة ووفق الله تعالى وزير مصر اسماعيل باشا فكفن الوفا من الاموات * وبعد موت السلطان أحمد خان ابن السلطان ابراهيم خان سنة المذكورة (تولى ابن أخيه السلطان مصطفى خان) ابن السلطان محمد

غريب فألجمها بلجام القرب وأسرجها بكوكب الحب وسار بها فى ميدان الجلال وهو ينادى سبحان الذى
أسرى فلما وقف ببابه ورفع حجابه ونظر واذا هو مدثر بعباءة تذلله متوسد بوسادة عمله قد أنحله الشوق
وأذابه التوق فنشر عليه أنوار السعد وبشره بانجاز الوعد فقال له يا أيها المدثر قم على قدم همتك وقم بوارد
عزيمتك واركب الى السماء وارق راصعد معراج الدنو والارتقاء فقام السيد واتشح وجسمه من الحياء
قد رشح وقد باح باستسلامه وركب مركب تحيته وسلامه ورفع على رأس عصابة الاحترام وأسرى به من
البيت الحرام ذكره جليسه وفكره أنيسه وشوقه دليله وجبريل خليله فلما ولج دائرة بيت المقدس
وحصل فى فناء المسجد الاقصى تجليت عليه أرواح الانبياء فى حلل الانوار والبهاء فبادروا الى سلامه
وتحيته واكرامه وجليت بين يديه وأثنوا بالصلاة عليه وأراد كل منهم ان يصف منزلته ويذكر فضيلته فقال
آدم الحمد لله الذى خلقنى بيده ونفخ فى من روحه وأسجد لى ملائكته وأسكننى دار كرامته وقال ادريس الحمد
لله الذى رفعنى مكانا عليا وبوأنى مجلسا سنيا وقال نوح الحمد لله الذى نجانى من القوم الظالمين وجعلنى أبا
للمؤمنين وقال ابراهيم الحمد لله الذى اتخذنى خليلا وجعل النار بردا على وسلاما وأصلح لى زوجى بعد ما كانت
عقيما وقال موسى الحمد لله الذى أعطانى تسع آيات بينات وكتب لى فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا
لكل شئ وأهلك عدوى فرعون ونجى قومى وفلق لى البحر وكلمنى تكليما وقال لى انى أنا الله وقال سليمان بن
داود الحمد لله الذى سخر لى الانس والجن والطير والريح وعلمنى منطق الطير وآتانى ملكا لا ينبغى لأحد من
بعدى وقال عيسى الحمد لله الذى لم يخلقنى من نطفة قذرة وأحيا لى الموتى وأبرأ لى الاكمه والابرص فلما
افتخروا بجميع كراماتهم قال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد الذى خلقنى من أنوار البهاء ورفع قدرى فى
الارض والسماء وكتب اسمى على ساق عرشه وقرن اسمى باسمه ونزه ذكرى فى معالم قدسه وشرح لى
صدرى ويسر لى أمرى ورفع قدرى وغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر وأيدنى على من كفر وبعثنى
بالرعب وأرسلنى بالحنيفية ونصرنى وجعل أمتى خير الأمم وفرض طاعتى على العرب والعجم وجعل لى
الارض مسجدا وترابها طهورا وشفعنى يوم القيامة فى أمتى ونسخ سائر الشرائع بشريعتى وأدخل سائر
الامم فى شفاعتى وجعل الكعبة قبلتى وأسمعنى صلاة أمتى على من بعدى لاشهدهم يوم القيامة وجعلنى شاهدا
وأمتى شهودا على من جحد وظلم وكتب اسمى على الافلاك وقال جل وعلا انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
(قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما سمع بطريق ميافارقين هذا الكلام من الحكم بن هشام قال والله
ما فى دينكم مراء وأنتم على الحق ولقد كنت أسلمت على يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ببيت المقدس ثم
جئت الى هذه المدينة وكان عليها وال فمات ووليت الامر من بعده فرجعت الى دينى الاول فان أنا تبت اليه
ورجعت الى دينكم أيقبلنى على ما ارتكبت من المعاصى فقال له الحكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يوما لأصحابه بأى شئ يكون ابن آدم أشد فرحا فقالوا بالاهل فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكت
الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون ابن آدم أشد فرحا منه اذا كان فى مفازة ومعه راحلته عليها
زاده وماؤه ومنافعه فاذا كان فى بعض المفازة اشتد عليه الحر فأوى الى ظل فنزل عن راحلته وتوسد ذراعه فنام
ثم انتبه وقد ذهبت راحلته وعليها طعامه وشرابه وغذاؤه ومنافعه فانطلق فى طلبها يمينا وشمالا فلم يجدها فرجع
الى موضعه ليموت فيه وقد أيقن بالهلاك فنام ثم انتبه فوجد راحلته كما هى فأخذ بخطامها ثم قال النبى صلى الله
عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من ذلك الرجل بتلك الراحلة قال فلما سمع اسلاغورس كلام
الحكم بن هشام دمعت عيناه وأخذهم الى دار ولايته وقال والله لقد بان الحق وظهر الصدق فأسلم وحسن
اسلامه وطلب جماعته فأسلموا بأجمعهم ثم انه طلب أكابر البلد وأخبرهم باسلامه وقال لهم انى أريد منكم
ما أريده لنفسى وان دين هؤلاء يعلو ولا يعلى عليه فمن أسلم منكم أمن فى الدنيا والآخرة وهم قد نزلوا على آمد
ولا بد لهم من ديار بكر جميعها فمن خالفهم وعصى نهبوا بلده واستعبدوا أهله وولده فان سلمتم لهؤلاء القوم أمنتم
على أنفسكم وبلادكم فقالوا أيها الصاحب أمهلنا ثلاثة أيام حتى نرى ما فيه الصلاح فتركهم وانصرفوا من
عنده فلما كان الليل اجتمعوا وتحالفوا أن لا يسلموا للعرب أبدا ولو هلكوا عن آخرهم وأصروا على القتال فبعد
ثلاثة أيام طلبهم فلم يأته الا القليل وأتت اليه العين الصافية وأخبرته بما عزم عليه أهل البلد فأبسوا اسلامهم

خان فأقام فى السلطنة
ثمان سنين وشهرا وخلع
سنة خمس عشرة ومائة
وألف (وتولى بعده أخوه
السلطان أحمد خان) ابن
السلطان محمد خان سابع
عشر ربيع الاول من
السنة المذكورة وله مسجد
عظيم باسلامبول يفعل

وأتوا اليه يقاتلونه فخرج اليهم بجماعته ومعه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا قتالا شديدا فلما جن الليل قال لهم أرسلوا الى أميركم يمدنا فارسل واحدا منهم فما بعد عن البلد حتى سمع قرع حوافر الخيل فلما تبينهم اذاهم من عسكر الموحدين واذاهم خمسمائة فارس وعليهم ضبة بن عدى وكان السبب فى ذلك ان عياض بن غنم رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وأخبره بقصة ميافارقين وما جرى لصاحبها من أهل بلده وأمره أن يرسل اليهم جيشا فاستيقظ من نومه وأرسل اليهم ضبة بن عدى ومعه خمسمائة فارس وأذن الله للارض أن تطوى لهم فوصلوا اليهم فى تلك الليلة فأتى بهم الى باب السر وكانوا قد وكلوا به من يحفظه فنادى بهم ففتحوا لهم واذا بصاحب البلد كان بابهم فأدخلهم فقالوا له من أعلمكم بقدومنا فقال صاحب البلد أعلمنى بكم النبى صلى الله عليه وسلم رأيته وقد غمت من ضيق صدرى بقتال هؤلاء القوم أهل البلد فنمت فرأيت شخصه الشريف فبشرنى بقدومكم فلما حصلوا بأجمعهم خرج لقتال أهل البلد فصاح بهم المسلمون يا أعداء الله قد حل بكم البوار وأحاطت بكم الاقدار من أصحاب محمد المختار ووضعوا فيهم السيف فولوا الى منازلهم ودورهم ليتحصنوا بها وقد علموا أنه قد نزل بهم ما لا طاقة لهم به فنادوا الغوث فقال لهم من أتى الينا فهو آمن فخرجوا فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمناكم على جميع ما لكم الا السلاح قال فأتوا بجميع ما عندهم من السلاح وسلموه للصحابة فلما رأوا منهم صدق القول أسلموا الا قليلا منهم وعملوا البيعة الكبيرة جامعا وأقاموا ثلاثة أيام وتركوا عندهم الحكم بن هشام ومعه عشرة من أصحابه ليعلموهم شرائع الدين وأتى ضبة ومن معه الى عياض وأخبره بما جرى ففرح بذلك قال وان أهل آمد لم يفتحوا بابا ولا باشروا قتالا وضاق صدر عياض ومن معه من ذلك (قال الواقدى رحمه الله) ومكثوا خمسة أشهر وكان خالد بن الوليد كما ذكرنا على باب الماء وكان فى كل يوم يركب بجيش الزحف ويدور حول المدينة فاذا أتى الليل نزل فى منزله وكان غلامه همام يخبز له فى كل ليلة أقراص شعير ويتركها له فى قبته فاذا صلى المغرب أكل تلك الاقراص الشعير عند الافطار وانه استمر ثلاث ليال لم يجد شيأ يفطر عليه فقال لغلامه همام أنت يا ولدى ما عندك ما تفطرنى عليه ولك بهذه الليلة ثلاث ليال لم تصنع لى شيأ فقال والله يا مولاى انى فى كل ليلة أصنعها وأضعها لك ولم يكن عندى منها علم وما ظننت الا أنك تأكلها فلما كانت الليلة الرابعة وضع همام الاقراص على عادته واختفى نفسه وجلس لينظر من يأخذها فاذا هو بكلب قد أقبل من نحو المدينة ودخل القبة وأخذ الزاد وخرج فتبعه همام ورآه قد دخل من مسرب الماء فى جانب السور قال فتركه همام وعاد فلما أتى خالد من صلاته أقبل وطلب الفطور فقال له همام يا مولاى كان من الامر ما هو كذا وكذا فقال خالد يا همام أرنى الموضع فمضى همام أمام خالد وأراه الموضع الذى دخل منه الكلب فلما رآه قال الله أكبر فتح الله ونصر وعاد وطلب أصحابه وأعلمهم بالقصة وقال لهم قد عولت أن أدخل المدينة من مسرب الماء وأريد منكم مائة رجل يهبون نفوسهم لله تعالى وتعلمون أن الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار وفاء لمن أخذ منها بحقها ودار رجاء لمن تزود منها ودار نجاة لمن فهم عنها الدنيا مهبط وحى الله ومصلى ملائكته ومسجد أحبابه وأوليائه اتخذوها مزرعة فرحمنا الله واياكم وكان لنا ولكم فمن أراد الزاد من هذه الدنيا الفانية الى يوم حشره فليبادر الى التجارة الرابحة ولا يغره طول الاجل فيطمئن الى التقصير فى العمل الاوانى قد وهبت نفسى لله وقد اشترى ثم قرأ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فمن باع فليبادر ولا يجزع مما يحاذر فالموعد بيننا فى عرصات القيامة وموقف الحسرة والندامة فاتبعوا سلفكم الطاهر والدين الباهر فعولوا على بركة الله وعونه واختار من أصحابه مائة وأمرهم بلبس السلاح وركب الى عياض وأعلمه بما عزم عليه من دخوله المدينة من المسرب وقال له كن على أهبة اذا سمعت التكبير والتهليل فقال علمت ذلك وأنا على أهبة بحمد الله امض أعانك الله ونصرك وسر على بركة الله وعونه قال فودعه خالد ورجع الى أصحابه فوجدهم قد استعدوا وقفوا أمامهم وهم رجالة الى أن أتى الى باب المسرب وكان نصف الليل وأمر الله سلطان النوم فاستولى على من كان على السور والحرس لانه جل شأنه اذا أراد أمرا بلغه وهيأ أسبابه قال فأول من دخل من المسرب خالد رضى الله تعالى عنه وتبعه عامر بن الاحوص وحذيفة بن ثابت وعمران بن بشر وتمام المائة رضى الله عنهم وما منهم الا من تسرب ودخل ومن كان جسيما لا يقدر على الدخول رجع وهو متأسف على الشهادة فحصل فى المدينة ثمانون رجلا ولم يصحبهم الا من دخل من المسرب ثم

ان

فيه مولد النبى صلى الله عليه وسلم * وأول وزرائه الوزير محمد باشا رامى رئيس الكتاب حضر الى مصر أول سنة سبعة ومائة وألف ثم عزل وحضر بعده لوزارة مصر الوزير حسن باشا السلحدار سنة تسع عشرة ومائة وألف ثم عزل سنة

ان واحدا من الذين تأخر واعالج فى حجر فقلعه فاتسع المكان ودخلوا بأجمعهم وأدركوا أصحابهم وقد توسطوا المدينة وارتجت بها الاصوات واستيقظ الراكد وارتعد القاعد وقصد خالد مطلع السور ومنع الناس من النزول وأخذتهم الاحجار وأرسل خالد عشرة من أصحابه الى الباب فكسروا الاقفال وفتحوا الباب وكان عياض قد ركب وأيقظ الناس وقد تهيأ للحرب فلما كبر خالد ومن معه بادر عياض ومن معه الى الباب فوجدوه مفتوحا فدخلوا وأقبل أهل المدينة يهرعون الى السور والليل قد غسق والظلام اتسق والغيام قد أطبق فما بقى أحد يقوم من مرقده الا والسيف قد رمى رأسه عن جسده وهذا خرج من عند أولاده والسيف قد قطع فى فؤاده وخالد ومن معه يكبرون وقد تقطعت بأهل آمد الاسباب وأحاط بهم العذاب قال ولم تزل الابطال تبطح وتطرح وصدور المسلمين تشرح والنحور الكفرة تذبح والعواتق تقطع والشجعان للرؤس تقطع والصوارم تقطع والانوف تجدع وقلب الذليل يفزع والجبان يجزع والعيون تدمع والصايح لايسمع ولا شافع يشفع ولا مانع يمنع ولا دافع يدفع ولا قلب يخشع حتى اذا ولى الليل ونزع والصباح عول على أن يطلع وخالد يصيح صياح السميذع حتى انطوى الليل بمطارف الدجا عند انتشار رايات الضيا فنظر أهل البلد الى ماحل بهم ونزل عليهم فأقبلوا الى دار الامارة يطلبون الملكة مريم فلم يجدوها قال وكان السبب فى ذلك أنها سمعت بأن الصحابة قد حصلوا فى المدينة فعلمت انها لاتخرج من أيديهم فأخفت نفسها ومن معها ونزلت فى سرب فى دار الامارة وأخذت ماتقدر على حمله وخرجت من ذيل الجبل وطلبت بلاد الروم (قال الواقدى رحمه الله) فلما علم أهل المدينة أن ملكتهم هربت نادوا الغوث الغوث فرفعوا عنهم السيف وجمعهم الامير اليه فاجتمعوا فى ميدان المدينة فقال لهم عياض أما بعد فان الله تعالى قد نصرنا عليكم وصبرنا وأظفرنا بكم ولولا ان الله قد جعل نبينا نبى الرحمة وأسكنها قلوب المؤمنين لأبدنا كم بالسيف عن آخركم ولكن قد أمرنا ربنا فى كتابه بكظم الغيظ والعفو فقال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ثم نظر فيهم فمن أسلم قبله ومن لم يسلم ضرب الجزية عليه من عامه (قال الواقدى رحمه الله) وكان شاهد الجمع فى فتح آمد زيد بن حالوك اليهودى وكان عالما بدين اليهودية والنصرانية وكان يزعم انه من أولاد داود عليه السلام وكان بنو اسرائيل يعظمون شانه ويأتونه بالهدايا والتحف وانه لما دخل عياض بن غنم رضى الله تعالى عنه الى آمد وجمع أهلها فى الميدان تكلم المشايخ بما تكلموا به قام هو من وسط قومه وكان اسمه مليا بن حنيتا وعرف المسلمين بمكانه وانه مقدم على بنى اسرائيل وانه من ذرية داود وقال أنتم أصحاب نبى الرحمة وان الله خلق الرحمة وأسكنها فى قلوبكم وان الله فضلكم على سائر الامم وقد أنزل فى صحف ابراهيم وموسى يقول انى أبعث فى آخر الزمان نبيا أميا واجعل أمته أفضل الامم وأسكن الرحمة فى قلوبهم وبهم أباهى ملائكتى وأبعثهم غرا محجلين من آثار الوضوء وان داود عليه السلام لما أصاب الذنب ونفر عنه الوحش خرج الى فلاة من الارض وقال الهى بحق النبى العربى الذى تبعثه فى آخر الزمان الا غفرت لى فاجاب دعوته فقال عياض ان الله يحب العفو وقد عفونا عنكم فقال أهل المدينة فاذا عفوتم عنا نرجع الى دينكم فاسلم أكثرهم وضربت الجزية على من لم يسلم فى العام القابل على كل بالغ أربعة مثاقيل ذهبا وأخذوا اسلاحهم وحملوا لهم شطر أموالهم فحملها وبنى البيعة المعروفة جامعا وأقام فى آمد اثنى عشر يوما وولى عليه صعصعة العبدى ومعه خمسمائة من بنى عمه ومن العرب

﴿ذكر فتوح اليمانية وجبل الجودى﴾

قال وارتحل عياض الى الحصون وهى حصون الجبابرة وانفذ الى أهلها فاسلموا وأرسل النعمان بن معرف الى أهل انكل فاسلموا وسميت باليمانية لانها فتحت على يدى حذيفة بن اليمان ومضى عياض الى الجابية ففتحها صلحا ونزل الى أهل جبل الجودى والسيوان وذى الفرض فاخذوا من المسلمين صلحا وعهدا على تقرير بينهم وارتحل المسلمون حتى نزلوا على الهتاج فأبى أهله أن يسلموا وعولوا على القتال ونصبوا الرعادات والمجانيق فنظر عياض الى ذلك فعظم عليه وقال هذا حصن منيع ومتى تركناه ومضينا عنه أغاروا على أهل هذه البلاد وأذاقوهم الشر وقد لزمنا من أسلم ومن صالحنا ألزم لنا فلا نحيد عنه حتى نفتحه ان شاء الله تعالى فقال خالد انزلوا بنا عليه واعمل أن يأتى من عرضيات الامور مالم يكن فى حساب ﴿قال الواقدى رحمه الله﴾ وكان صاحب الهتاج شيطانا مريدا وجبارا عنيدا وكان اسمه يانس بن كليوس وكان قد تزوج ببير ونة ابنة بريونة ابنة

احدى وعشرين ومائة وألف وحضر بعده لوزارة مصر ابراهيم باشا القبودان ثم عزل سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف وحضر بعده لوزارة مصر الوزير خليل باشا ووقع فى زمنه فتنة عظيمة سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف بين العسكر وقفلت حارات مصر وأسواقها

بريول بن كالوص صاحب قلب والحصن الحديد وكانت قد زفت اليه وأقامت عنده سنة ثم انها مضت الى زيارة أبيها وأمها وأقامت عندهما أشهرا فلما خرجت من عندهما ومضت الى الهتاج عند زوجها فبينما هى فى نصف الطريق اذ بلغها أن المسلمين قد نزلوا على الهتاج فجلست فى مكانها ولم تبرح وكان عدو الله يحبها ولا يجد له عنها صبرا فلما رأى المسلمين وقد نزلوا عليه علم انه لا يقدر ان يجتمع بالجارية فاتفق رأيه أن يصالح المسلمين حيلة منه ومكرا وخديعة حتى تحصل زوجته عنده ويغدر ولا يعطى أحدا طاعة فارسل الى عياض يقول له انك لو اقمت علينا بقية عمرك لما قدرت علينا ولكن صالحنا سنة كاملة شمسية فان أنت فتحت ما بقى من ديار بكر فنحن نرجع الى طاعتك وان لم تقدر على فتح البلاد فلا طاعة لك علينا والسلام وأرسل الى عياض رجلا من متنصرة العرب من ربيعة الفرس وكان ذلك الرجل مدبر بلاد الهتاج هو وبنو عمه وكان اسمه مرهف بن واقد وكان ميله الى العرب أكثر من الروم فلما أدى الرسالة الى عياض أجابه الى الصلح لئلا يطول مقامهم فلما هم مرهف بالرجوع قال لعياض أما والله أيها الامير ما كنت بالذى أدع النصيحة للعرب واستعمالها للعلوج وهذا العلج قد اتفق رأيه على كذا وكذا فان كنت ترحل وتمكن لزوجته وتأخذها ومن معها وتطلب منه البلد فانه يسلم لوقته فافعل فقال عياض ما كنا نقول قولا ولا نفى به ولعل الله ينظر الى صدق نياتنا فيفتحه علينا (حدثنى) مالك بن بشر بن عامر وكان ممن حضر فتوح الشام ودينار بكر وديار ربيعة قال بينما مرهف يحدث عياضا اذا بغبرة قد أقبلت فقال عياض لميسرة بن مسروق اركب وانظر ما هذه الغبرة فركب ومضى هو وجماعة من الصحابة وعاد ميسرة وهو يقول أبشر أيها الامير بالفتح قال وما الخبر يا ابن مسروق قال هذا جيش ابن هبيرة المازنى قد أغار على البلاد وأتى بالاموال والرجال قال فظهر البشر فى وجه عياض وجعل يتطاول الى قدوم ابن هبيرة المازنى حتى وصل وسلم على عياض وعلى المسلمين وعرض عليه الغنائم ومرهف بن واقد يتأملها الى أن عرضت عليه جارية رومية تخجل الشمس منها وعليها زى الملوك فأطرق المسلمون الى الارض يستعملون الادب مع الله فى قوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فلما نظر اليها مرهف قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأن دينكم الحق وقولكم الصدق فقال له عياض ما بالك أيها الرجل قال هذه زوجة يانس صاحب الهتاج وقد طرحها الله فى أيديكم فسجد عياض شكرا لله فلما رفع رأسه قال ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكانت ميرونة قد خرجت من عند أهلها ومعها جماعة من بنات البطارقة فوافق طريق قيس بن هبيرة تلك الارض فأخذها ومن معها وأتى بها الى عياض فقال عياض لمرهف ارجع الى يانس واكتم اسلامك وأخبره بما رأيت واستعمل النصح للمسلمين وقل له ان أراد أهله فليسلم لنا هذه القلعة ومهما أردنا منه قال فرجع مرهف الى يانس وحدثه بما جرى فعظم ذلك عليه وكبر لديه وقال لمرهف ما الذى ترى من الرأى قال اعلم ان هؤلاء القوم ما قالوا قولا الا وفوا به وبذلك نصروا علينا ومن الرأى ان تسلم لهم القلعة ويعطوك زوجتك وجميع مالك وأنا الضامن لك منهم ذلك فقال يانس انزل اليهم وائتنى بعشرة رجال يحلفون لى على ما أريد فان أجابونى الى ذلك سلمت اليهم القلعة ولا تأتنى الا بمن يقبل قوله ويشكر فعله حتى أستوثق منهم لنفسى ولعله يكون الرجل الذى شاع ذكره بالشجاعة وفتح البلاد والشام يعنى خالد بن الوليد وانما أراد الملعون ذلك حتى يقبض عليهم ويخلص بهم زوجته قال فنزل الى عياض وأخبره بذلك وبما قاله يانس فقال عياض يا مرهف يريد الملعون أن يخدعنا ونحن ثمرة الخداع ونرجو من الله ان يرجع مكره عليه ولديه ثم قرأ ان الله لا يصلح عمل المفسدين قال خالد دعنا أيها الامير نصعد اليه والله الموفق للصواب فقال عياض اعزموا على بركة الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فنهض خالد والمقداد وعمار وسعيد بن زيد وعمرو بن معد يكرب والمسيب بن نجية وقيس بن هبيرة وميسرة وضرار ابن الازور وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين وساروا ومرهف أمامهم الى أن وصلوا باب القلعة وكان رتب عدو الله غلمانه فى دركات القلعة وأمرهم أن يأخذوا منهم سلاحهم ففعلوا ذلك الا خالدا وعبد الرحمن وضرارا فقالوا اما كنا نسلم عدتنا الغير نا فان أراد أن ندخل عليه بسلاحنا والا رجعنا من حيث أتينا فدخل مرهف عليه وقال ان هؤلاء الثلاثة امتنعوا من اعطاء السلاح وما الذى يقدرون على أن يفعلوه دعهم يدخلوا كيف شاؤا فلو كانوا نارا ما أحرقوا ولا ترهم الجزع فيطمعوا فقال وحق المسيح لقد صدقت دعهم

اثنين وسبعين يوما والمدافع تضرب ليلا ونهارا وتعطلت سائر الاسباب وآل الامر الى قتل أمراء لا يحصون منهم أحمد باشا أوطه باش مصطفان الشهير بافرنج وبه اشتهرت تلك الوقعة وهرب من مصر أمراء لا يحصون منهم رئيس

كلهم يدخلوا بعددهم حتى يعلموا اننا لا نخافهم ولا نرهبهم وأيضا لئلا تنفر قلوبهم منا فرجع مرهف وأمر الغلمان أن يردوا اليهم أسلحتهم ودخلوا فلما توسطوا القلعة اذا بيانس واقف فلما وقعت عينه عليهم دخل الرعب فى قلبه لان من خاف الله خاف منه كل شئ فجعل يهتز ويقع وكان قد قال لجماعته اذا رأيتمونى قد قربت منهم وصافحتهم فدونكم واياهم فنظر خالد اليهم فعلم ما فى قلوبهم فقال له أيها البطريق قف مكانك فانا قوم لا نؤتى بحيلة ولا مكر لانا قهرنا الملوك وأخذنا بلادهم بهذه الاشياء ثم انه انتضى سيفه وزعق بيانس فادهشه وخيل له أن كل من فى القلعة منهم وتقدم اليه وضربه على حبل عاتقه فاطلع السيف من علائقه فهجمت الصحابة على أهل القلعة ووضعوا السيف فيهم وتكاثر عليهم العدو وتزايد المدد قال وكان فى داخل المدينة خلق من الرستاق من قرى الهتاج من فسطاس وفرساط وكان يانس قد جمعهم لقتال المسلمين قال فلما اقتتل خالد يانس ونظروا الى صبر الصحابة على قتال أهل القلعة قالوا لبعضهم أنتم تعلمون أن العرب ما يسكتون عن أصحابهم وقد نحوا آمد والبلاد فلا تمتنع منهم الهتاج وغيرها اتخذوا لكم عند المسلمين يدا وقاتلوا معهم أهل القلعة قال ففعلوا ذلك وجردوا سيوفهم وضربوا معهم من كان فى القلعة وسمع عياض الصياح فقال أما والله ان خالدا ومن معه غدر بهم فبادروا اليهم أيها المجاهدون قال فبادر أبو الهول وأصحابه الار بعمائة وهم رجالة فتفرقوا فى الجبل وقصدوا القلعة فمن انهزم من الكفار وضعوا فيهم السيوف فما نجا منهم أحد وما وصل أبو الهول الى القلعة الا وقد ملكها خالد واحتوى عليها وصعد عياض والمسلمون وأخذوا كل ما كان فيها وولى عليها مولاه سالما وجعل عنده مائة رجل وكتب الى أهل فسطاس وفرساط ومن فى القلعة أن لا يزنوا بامرأة أبدا وأشهد عليهم خالدا والمقداد وعمارا ومعاذا وشرحبيل وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وضرارا وأطلق عياض الاسارى الذين اتى بهم قيس بن هبيرة وارتحل يطلب ميافارقين فلقيه فى طريقه اهل تلك الجبال واهل الجزيرة وقاب ومتنان وخرب الكلاب فاعطاهم الأمان وضربت عليهم الجزية وردهم الى بلادهم وأتى اليهم أهل ميافارقين للقائهم وشكروهم على حسن سيرتهم وعدلهم وأخرجوا لهم الضيافات والعلوفات ونزل من جهة الميدان فى سفح الجبل وأقام بها عشرة أيام ثم جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشارهم وقال انى عولت على المسير الى ديار أرمينية والى أرزن الروم فاشيروا على يرحمكم الله أى طريق نسلك فقال رجل من المعاهدين ممن هو أعرف الناس بتلك البلاد أيها الامير أتأذن لى أن أتكلم فقال من كان له رأى فليتكلم فقال اعلم انك اذا قصدت بلاد أرمينية يطول مكثك فيها واعلم أن بالقرب منك حصنا منيعا يقال له حصن لغوب وغلب عليه اسم صاحبه وهو بطالقون بن كنعان بن عيدوس له جيش عرمرم يزيد على ثلاثة آلاف فارس

﴿ذكر فتح حصن لغوب﴾

ثم قال اعلم أيها الامير ان تحت يده معاقل كثيرة ورعاياه رحل ركابه من هنا فوقع بهذه البلاد وشن الغارات على أهلها ومن الرأى انك لو وجهت اليه جيشا لعل الله أن يفتح عليك فان أنت فتحت هذا الحصن مضيت حيث تريد وتكون طيب القلب على من تستخلفه من أصحابك فقال عياض لأصحابه ما تقولون فيما تكلم به هذا الرجل فقال خالد لقد تكلم بالحق ونطق بالصدق فاعزم وتوكل على الله ثم انصرفوا من عنده وبات ليلته متفكرا فيمن ينفذه الى الحصن فوقع اختياره على يوقنا فدعاه اليه وقال يا يوقنا يا عبد الله قد اتفق الرأى عليك أن تمضى الى الحصن فما الذى تراه فقال يوقنا أصلح الله الامير قد بلغنى أن الحصن منيع وربما اذا نزلنا عليه طال الامر وتنفد المدة وينقضى هذا الوقت ولا ندرى ما يكون ولكن أهب نفسى لله ولرسوله وآخذ مائة من بنى عمى ونتزيا بزى الفلاحين ونأخذ نساءنا وأولادنا نتركهم على البقر وندخل من جملة أهل البلاد الفلاحين فان حصلنا فى الحصن فنحن نملكه ان شاء الله تعالى فقال عياض يا عبد الله قد اشتهر أمرك عند جميع أهل النصرانية ونخاف أن تسير فتغرر بنفسك ومن معك فيقبضوا عليكم والله تعالى قال ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة قال فاذا أبيت فائذن لى أن أشن الغارات على بلاد القوم قال قد أذنت لك فخرج يوقنا ومن معه وهم ألف من قومه وساروا على أرزن وسردوا سعردو يا باسا وحيران والمعدن (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان من قضاء الله وقدره ان صاحب اسعرد وحيران والمعدن وباتحلسا وعهرد وطراجر وسلواس كان بينه وبين بطالقون حرب وكان يغير بعضهم على بعض وأخربوا المملكتين فلما انتشرت الاخبار بقدوم أصحاب رسول الله صلى

القوم أيوب بك أمير الحاج الشريف ونهبت أموال كثيرة وسبيت ذرارى كثيرة وعزل خليل باشا صاحب الفتنة وحضر بعده لوزارة مصر الوزير ولى باشا الشريف فمكث الى سنة سبع وعشرين ومائة وألف ثم عزل وحضر بعده لوزارة

الله عليه وسلم وانهم على ميافارقين جفل أهل تلك البلاد وعلم بذلك حرسلو صاحب اسعرد وانه لا طاقة له بالعرب فأخذ هدية سنية وذهب بنفسه الى بطالقون بن كنعان حتى يصطلح معه ويكونوا يدا واحدة على قتال المسلمين فبينما هو سائر والهدية معه وقد نزل على قرية اسمها أرغيز وعلق على خيله وهو معول على المسير وهو ينتظر الخيل تقطع عليقها واذ قد كبسهم يوقنا وقد أحاط بالقرية وأخذ كل من فيها وأسر البطريق ومن معه وبات ليلته فلما أصبح عرض الاسارى وقال لهم ان الله قد أظفرنا بكم ونصرنا عليكم واعلموا انى ملك من ملوك الروم ملكت البلاد وقدت الجيوش وأمرت ونهيت وعبدت الصليب وقربت القربان فلما أتى الله بهؤلاء القوم اختبرتهم ونظرت ما هم عليه فعلمت ان الحق معهم فتبعتهم وقلت بقولهم وقد كنا بالشام تفزع منا ملوك العجم وكسرى بن هرمز والديلم والترك وكان لنا كرة الارض وكنا لا نلتفت الى العرب حتى خرجوا علينا فاذاقونا مرار ذهبت شجاعتنا وملكوا معاقلنا وحصوننا واحتووا على ملكنا ونصرهم رب الارض والسماء علينا لانهم يشيرون اليه بالوحدانية فان آمنتم بالله وحده كان لكم الربح فى الدنيا والآخرة واطلق سراحكم وان أبيتم قتلتم عن آخركم فقالوا اتركنا يومنا هذا الى الليل ندبر أمرنا فتركهم واختلى بحرسلو البطريق وحدثه فى السر وقال له اعمل فى خلاص نفسك ورقبتك من النار واسلم وفاد نفسك حتى تنال ما تريد فقد بلغتنى الوقائع بينك وبين صاحب الحصن فقال البطريق لقد صدقت فمن اعلمك فقال له ما السبب فى العداوة بينك وبينه فقال انه طلب أن يتزوج ابنتى وبعث الى هدية فرددتها عليه فصار عدوى وأغار على بلادى وأغرت على بلاده والآن قدمت اليه بهدية حتى أكون أنا واياه يدا واحدة فأتيت أنت الى وأخذتنى فقال يوقنا الى أريد لك من الخير ما أريده لنفسى ولست أجبرك على ان تترك دينك ولكن تعاهدنى على أن لا تغدر وأنا أخلى سبيلك وتمضى الى صاحب الحصن وتدنى نفسك بين يديه وتقول أيها الصاحب قد ندمت على ما كان منى اذ رددتك عن تزويج ابنتى وانى كنت أخذتها وزينتها وسقت معها أموالها على انى أهديها لك فلما كنت فى قرية كذا وكذا خرج على قوم من العرب فأخذوا المال والرجال وقد نجوت اليك بنفسى لتأخذ بيدى وتسعفنى من العرب فانه اذا سمع ذلك دعاه الطمع واستجره الامل حتى يخرج الينا ولعل الله تعالى أن يظفرنا به فاذا ملكنا الحصن ان شاء الله تعالى كنت أنت تبقى على بلادك وكنت آمنا مطمئنا واعلم أن ذمامى هو ذمام العرب ومهما فعلته امتثلوه وأمضوه فلما سمع البطريق كلام يوقنا رحمه الله قال أفعل ذلك ولكنى أخاف من المسيح أن يغضب على اذا خامرت على أهل دينى فقال يوقنا أنا أحمل هذه الاوزار عنك ودع عيسى بن مريم يطالبنى يوم القيامة فقال البطريق ان كان هذا الذى قلته فأنا أفعل وليس يصعب على ولكنى أخاف ان فعلت ذلك الذى أمرتنى به أن لا ينزل من الحصن وربما بعث معى بعض أصحابه فلا يحصل طائل من عدوكم فقال يوقنا وما يكون التدبير فقال البطريق الرأى عندى غير هذا قال وما هو قال تذهب مع أصحابك جريدة بالخيل وأنا أكون معك فما نصبح الا ونحن على الحصن فاذا أشرفنا عليه تعطينى جوادى وسلاحى واركض على فرسى فى حال العجلة فانى أجده فى الميدان مع أرباب دولته فاذا وقعت عينى عليه ترجلت وحثوت التراب على رأسى وأصيح أيها الملك العرب قد أخذوا أصحابى وغلمانى وما جاء معى برسمك فاذا قال وأين هم أقول على فرسخ من بلدك فانه اذا سمع قولى لا يمكنه التأخير عن نصرتى ولا له الا السرعة اليكم واعلم ان أكثر جنده قد فرقهم على الحصون وما عنده الا ألف فارس أو أقل قال فلما سمع يوقنا ذلك من قوله وثق به وبعث الاسرى الى عياض فلما وصلوا اليه قال لهم ان أطلقتكم أتعرفون لنا ذلك قالوا نعم وكيف لا نعرفه فأطلقهم حتى تسمع أهل البلاد فينزلوا الى طاعته وأما يوقنا رحمه الله فانه سار جريدة بقية ليلته فما برق ضياء الفجر الا وقد أشرفوا على الحصن فعندها أطلق البطريق ووثق منه بالعهود وأعطاه جواده وسلاحه وسار كأنه قد أفلت نفسه وساق على شوط واحد الى الحصن وكان بالقضاء المقدر أنه وجد البطريق بطالقون قد عبر الى جانب اسعرد ومعه ألف فارس وألف راجل وكان السبب فى ذلك ان قوما من أصحاب البطريق حرسلو كانوا فى كبسة يوقنا فأتوه وحدثوه بما تم عليهم من القوم فعبر اليه يستخلصهم من يد يوقنا فلما وصل اليه البطريق ترجل وصقع له وحدثه فرق له وقال كيف تخلصت قال خلصت يدى من الكتاف وركبت هذا الفرس فلما أحسوا بى ركبوا ورائى وها هم فى أثرى بالقرب منا يا بابا قال فلما سمع ذلك بطالقون بن كنعان أمر بالركوب وسار من وقته طالبا يوقنا وقال هذا الذى

مصر الوزير عابدين باشا وهو الذى قتل أمير اللواء عيطاس بك يوم الاربعاء ثامن شهر رجب الاصب من السنة المذكورة وضعفت بقتله شوكة الفقارية بأرض مصر وقويت شوكة القاسمية ثم عزل عابدين باشا (وتولى

أردناه من أمر الجهاد قد قربه الله الينا فدونكم والقوم ولم يمهل بعضهم بعضا وتطاعنوا بالرماح وصبر يوقنا
صبر الكرام ووقع الصايح من كل جانب ونشرت أجنحتها النوائب واستعان أصحاب يوقنا برب المشارق
والمغارب فبينما هم قد أشرفوا على المعاطب اذ أشرفت عليهم غرر الخيل وهم يتسابقون فنظر اليهم يوقنا واذا هم
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ثلاثة آلاف فارس يقدمهم خالد بن الوليد وكان السبب فى قدومهم
أن عياضا خاف على يوقنا وبنى عمه فارسل اليهم فى أثرهم خالدا فوجدهم فى القتال فاطلق عنانه وقال يا أهل
الايمان وحملة القرآن دونكم وعبدة الصلبان ارفعوا أصواتكم بذكر ربكم قال ونظر يوقنا النصرة وقد أقبلت
فعظم شأنه والتقى بصاحب الحصن وقد عرفه بزيه فتطاعنا طعنا كافيا وتضاربا ضربا شافيا الا أن يوقنا طعن
صاحب الحصن فرماه الى الارض قتيلا وصنع فيهم خالد رضى الله عنه والصحابة رضى الله عنهم كما تصنع النار فى
الحطب ولما قتل يوقنا صاحب الحصن قطع رأسه وجعله على سنانه ونادى عمن تقاتلون وقد قتلنا صاحبكم فلما
رأوا الرأس ولوا الادبار ومات أكثرهم وولى الباقون نحو الجبل ووقع الصايح فى الحصون بأن بطالقون قد
قتل فولوا الادبار (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) وكان لبطالقون زوجة عاقلة لبيبة صاحبة رأى
وتدبير فلما رأت ماحل بزوجها وان أهل الحصن قد قتل أكثرهم وتفرقوا بالهزيمة أيقنت بزوال ملكها
وخراب بيتها فجمعت المشايخ من أرباب دولتها وقالت لهم اعلموا أن الملك قد قتل وقد تفرق شمل من كان معه
وقد وصلكم ماصنع هؤلاء العرب مع ملوك دين النصرانية وبنى ماء المعمودية وكيف ملكوا الشام وأرض
ربيعة وديار بكر وديار مصر وقد دانت لهم الامور وانتشر شرعهم وعلا ذكرهم ودخل فى دينهم الملوك والبطارقة
ومانزلوا على حصن الا ملكوه ولا وافوا جيشا الا هزموه وقد دخلوا أرضكم وحلوا ساحتكم فما ترون من الرأى
الرشيد قالوا أيتها الملكة ماتكلمت بشئ الا فهمناه وعرفناه والامر اليك فقالت الصواب انكم تحقنون دماءكم
وتصونون حريمكم وأموالكم وتدخلون فيما دخل فيه أهل البلاد وتصالحون العرب فتأمنون على أنفسكم
وتعيشون فى ظلهم فقالوا هذا هو الصواب قالت فلينطلق منكم رجال الى هؤلاء العرب ويعقدوا لنا معهم
صلحا قال فخرجوا من عندها وسار منهم ثلاثون رجلا من خيارهم وعبروا الشط الى عسكر خالد فلما رآهم خالد
والمسلمون علموا أنهم من أهل الحصن فاستقبلوهم وسلموا عليهم ورحبوا بهم ومشوا معهم الى قبة خالد واذا هو
جالس على التراب ووجوه أصحابه حوله وهم يكثرون من ذكر الله وليس لهم حاجب ولا بواب فسلموا عليهم فقرأ
خالد واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فتقدم كبراؤهم وعلماؤهم فى دينهم وقالوا أيكم الامير حتى
نخاطبه فقالوا ليس فينا أمير ولا من يلحظ أخاه بعين الذل لان الاسلام شملنا والدين جمعنا ونحن عباد الله فلما
سمع القوم ذلك قالوا بأجمعهم والله مانصركم الله علينا الا باتباع نبيكم وقول الحق فى دينكم ونحن نريد منكم أن
تحملونا على القول وتشركونا فيما دخل فيه أهل البلاد فقال خالد كم تبذلون لنا من المال فقالوا مهما أردتم
امتثلناه فقالوا انا لانريد الا ماترضى به أهل الذمة الذين فى البلاد حتى تطيب قلوبهم ومن لايرحم لايرحم ولقد
سمعت نبينا صلى الله عليه وسلم يقول لاتنزع الرحمة الا من قلب شقى قال فلما سمع القوم ذلك تهللت وجوههم فرحا
وقالوا لقد نصركم الله بحق وما نرى دينكم الا حقا فاسلموا عن آخرهم وعادوا الى قومهم واجتمعوا فى كنيستهم
وحدثوهم بما كان وبما رأوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن سيرتهم فقال أهل البلد ماكنا
بالذين نرفع أنفسنا عليكم لانكم أولوا الرأى والدين وقد رضينا بما رضيتم به لانفسكم فاسلموا الا قليلا منهم وأما
الملكة فلما سمعت ذلك طاب قلبها وبعثت بالاقامة والعلوفة الى خالد وأمرته أن يعبروا الى جانبها ونصبت لهم
الجسر فعبر خالد ومن معه ونزلوا بالبيعة بحيث ان الملكة تشرف عليهم وتنظر اليهم فرأت أقواما قد طلقوا الدنيا
وطلبوا الآخرة رضى الله عنهم وليس فيهم من ينهر ولا يسفه ولا يخالف أخاه قد اشتغلوا بالذكر وتوشحوا بالصبر
فلما نظرت الى حسن عبادتهم نزلت اليهم وأسلمت على أيديهم فقال خالد تقبل الله منك ورضى عنك فالزمى
قلعتك فلا سبيل لأحد عليك ونظر يوقنا اليها فقال وددت لو كانت هذه أهلى فانفذ خالد يشاورها فاجابت الى
ذلك وبعث خالد الى عياض يشاوره فبعث اليه الجواب بأن زوجه ولا تترك من بلاد الحصن مكانا الا وتنزل فيه

﴿ذكر فتح طنزة وبهردوا واسعرد﴾

قال فعول على المسير الى جانب اسعرد وبهردوا فقدم عليه أهل حصن طنزة للصلح وأن يكونوا طوعا للمسلمين فقال

بعده وزارة مصر على باشا
الازميرى (ومكث) واليا
بمصر الى سنة ثلاث
وثلاثين ومائة وألف ثم
عزل وجاء بعده لوزارة
مصر فى السنة المذكورة
رجب باشا فحبس على
باشا المعزول ثم خنقه
فى قصر يوسف وأظهر
محمد بك جركس

خالد من أسلم منكم قبلناه وكان له مالنا وعليه ما علينا ومن بقي على دينه كانت عليه الجزية من العام القابل فأجابوه الى ذلك فكتب لهم عهدا وعبر الى طنزو يهردوا اسعردوا المعدن وأرزن وقرر واصلحها ورضوا به قال وانقضت عدة صاحبة الحصن وهي جانوسة وتزوجها يوقنا رحمه الله تعالى ولحق خالد بعياض فوجده على سوقار يا وهي مدينة جالوت فلما وصل خالد اليه سلم الناس بعضهم على بعض وأقاموا هنالك خمسة أيام وعولوا ان يسيروا الى بدليس وأخلاط واذ قد جاءهم الخبر أن طاريون ابنة الملك وهي زوجة الغلام برغون الذي فتح كفرتوثا وكان من أمرها ما ذكرناه قد هربت الى أبيها ورجعت الى دينها قال فصعب ذلك عليهم (قال الواقدي) حدثني محمد بن يونس قال حدثني اسمعيل عن قيس قال رحمه الله تعالى ان طاريون لم تتنصر ولا عادت عن الاسلام وانما مضت الى أبيها التدبر عليه حيلة وتسلم البلد للمسلمين لانها ارادت أن تصنع كما صنع زوجها برغون بكفرتوثا فاتفق رأيها ورأى زوجها على ذلك فقال برغون أما أنا فلا أتبعك لانني أفزع من أبيك أن يقبض على فقالت له الزم مكانك ولبست ثيابها وعولت على المسير وجمعت غلمانها في محل خلوة وقالت لهم اعلموا أني قد عزمت على أمر أفعله وأنا أبوح به اليكم قالوا أيتها الملكة ما على العبد الا الطاعة لمولاه فأوقفينا على سرك قالت لهم اعلموا أني كرهت المقام بين هؤلاء العرب وأيضا قد اشتقت الى وطني وعولت على أن أخرج بكم الى الصيد في الجبل فاذا جن الليل طلبنا أرضنا فلما سمعوا قولها فرحوا وقالوا نعم الرأي فقالت اني لست أكرهكم فمن كان له رغبة أن يلبث ههنا وهو مائل الى هذا الدين فليقم غير ملوم ومن أراد الرجوع الى وطنه فليعزم معي فاني أمضي في هذه الليلة وحق ما أسير اليه لئن بلغني أن أحدا منكم أفشى سري الى برغون أو غيره من الناس لاضربن عنقه فمن كان عازما على صحبتي فليتبعني فأجابوها الى ذلك فلما جن الليل ودعت برغون وخرجت ومعها اثنا عشرة نفرا كانوا لا يريدون الاسلام وكان لها بكفرتوثا اثنا عشر غلاما قد رسخ الاسلام في قلوبهم وأحبوا المسلمين قال وسارت نحو الجبل ومضت الى ان تركت أرزن خلف ظهرها وأشرفت على بدليس فنزل صاحبها اليها وقدم لها الاقامة وعلوفة وأقامت هنالك بقية يومها

﴿ذكر فتوح بدليس وأرزن وأعمالها﴾

وكان من قضاء الله السابق وقدره ان عياضا لما نزل على سوقاريا ولحق به خالد ومن معه ولحقهم يوقنا فرح المسلمون بسلامتهم وحدثهم بما جرى فحمد الله شكرا ثم بعث يوقنا رسولا الى صاحب بدليس وكانت أرزن وبدليس وقف وانظر وغيرها من القلاع لبطريق اسمه سروند بن بواص والجارية طاريون نازلة هنالك وسروند عنده فلما علمت بقدوم يوقنا ركبوا الى لقياه واختلت به طاريون وقالت له يا عم لا تظن اني هاربة ولا الى الروم طالبة وانما أريد أن أنصح لله ولرسوله وللمسلمين وأريد أن أغدر بأبي وأقتله وأسلم معاقله للمسلمين ولكن يا عم أشر علي بما أصنع فانت تعلم ان هذا الدرب لبدليس وأخلاط وعليه قلعة قف وانظر واذا أرادت العرب العبور فليس لهم قدرة فما الذي تراه وأخاف ان حصلت عند أبي أن لا أقدر على الرجوع الى بعلي والى المسلمين فقال لها يوقنا اعلمي أنك اذا اضمرت بهذه النية فان الله جل وعلا يفتح عليك أبواب الخير وامضي على ما أنت عليه وأنا لا بد لي أن أمضي برسالة الامير عياض الى أبيك وها أنا بكر فاذا حصلنا هنالك كان لنا من التدبير ما يريده الله ونصل ان شاء الله الى ما نريد وعلمها ما تصنع وودعته وعادت فقالت ان هذا العديم العقل يلح علي ويعذلني لاجل أن أرجع وأعود عما عزمت عليه من الرجوع الى دين المسيح ولولا انني أخاف ممن معه ومن صاحب هذا الحصن أن يعينه علينا لكنت قبضت عليه ثم انها ركبت وسارت تجد السير وأرسلت بعض غلمانها يبشر أباها بقدومها فلما وصل البشير الى المدينة ركب أبوها والبطارقة وأهل البلد لملتقاها فلقوها عند خضريا فلما رأت أباها ترجلت وترجل أبوها والعسكر جميعه وصقعوا بين يديها وضمها أبوها الى صدره وقال لها يا بنتي كيف كان أمرك قالت ان برغون نصب علي ووصل بي الى عسكر المسلمين وأسلم فلم يمكني الآن أطاوعه خيفة منهم الى أن دخلوا ديار بكر فهربت اليك فصلب أبوها على وجهه وهنأها بالسلامة وركب وسار واولموا كب حولهم الى أن دخلت البلد ودخلت دار المملكة فتلقاها الجواري والخدم وصقعوا لها وبكوا وبكت وأخرجت الصدقات والنذور للبيع والكنائس وباتت تحدثهم بما جرى لها وحديث شهرياض وكيف أخذت رأس العين فقال أبوها يا بنية كيف رأيتهم في دينهم قالت أيها الملك القوم يتظاهرون بالدين وانهم يطلبون الدين والعدل حتى

الذى كان مختفيا ثلاث سنين وبطش بأعدائه فقتل اسمعيل كتخدا جاويشان وقتل اسمعيل بك دفتردار حالا وأرسل تجريدة الى أمير الحاج اسمعيل بك ابن أبي ايواز بك فهرب من بندر عجرود ودخل مصر مختفيا ثم أعمل الحيلة

يرجع الناس اليهم وايس والله دين أفضل من دين المسيح وقد نذرت نذرا متى خلصت من يد العرب أن لا أقرب قربانا ولا أشرب خمرا ولا آكل لحم خنزير ولا أنغمس فى ماء المعمودية حتى أتعبد فى بيعة يوحنا شهرين كاملين فاذا أنا تطهرت من دينهم أقرب القربان وأقبل الصلبان ففرح أبوها بذلك فلما كان الغد مضت الى البيعة وأخلت لها موضعا وجعلت تتصدق على الفقراء وتظهر النسك والعبادة وأقامت تنتظر ما وعدها به يوقنا من القدوم بالرسالة الى أبيها (قال الواقدى رحمه الله ورضى عنه) حدثنا أبو محمد قال حدثنى من أثق به عن قيس بن هبيرة قال كنت من أصحاب يوقنا حين سار بالرسالة الى بدليس وتحدث مع طاريون وأنفذ صاحب بدليس اليه وكان لما بلغه قدوم يوقنا صعد الى حصنه فاستحضره وأنا معه فوجدناه على سرير مملكته فسلمنا عليه فقال يوقنا ان أمير جيوش المسلمين بأرض ربيعة وهو عياض بن غنم وقد أرسلنا اليك ندعوك الى توحيد الله ورسالة نبيه ولكم ما لنا وعليكم ما علينا واعتبر بمن تقدم من الملوك وأصحاب الاقاليم والعز فقد أصبحوا هالكين فاجوابك فقال أيها السيد انى قد كنت أردت أن أرسل رسولا الى أميركم فى طلب الصلح وأعطيه شيأ وان أبقى على دينى ومن أراد من أهل بلدى أن يرجع الى دين القوم فلست أمنعه فقال يوقنا بكم يطيب قلبك أن تدفع فى صلحك على بدليس وأرزن وما تحت يدك من البلاد فانى اذا أمضيت لك الصلح فقد رضيت به العرب فقال أيها السيد أعطيهم مائة ألف دينار وخمسمائة زردية وألف قوس وأن لا يولى على مملكتى غيرى حتى أموت وأن لا يبقى عندى من قبلهم الا رجل أو رجلان حتى يعلموا من أسلم شرائع الاسلام وأن يكون أمرى نافذا فى مملكتى ومن أسلم يكون أمره لمن يكون عندنا من قبلكم وما يكون لى عليهم حكم فقال يوقنا قد أمضينا صلحك واتبعنا عهدك وانا أعطيناك عهد الله ورسوله على ما ذكرته قال وأعطاه عهد الله ورسوله وهادنه على الهيئة التى هادن رسول الله صلى الله عليه وسلم هرقل ملك الروم وحلف لهم عن المسلمين كلهم قال وان قيسا ذهب الى عياض فأعلمه بما استقر بينهم فلما وصل كتاب يوقنا الى عياض رحل من مكانه الى أن نزل على بدليس فوجد البطريق قد أخرج ما وقع عليه الصلح فلما قدم عياض نزل اليه البطريق وتلقاهم وحياهم بأحسن تحية وأنزلهم فى أحسن منزل وقدم لهم الاموال وكتبوا بذلك عهدا قال ونظر المسلمون من أهل اليمن وبادية العرب الى البنات وحسنهن فمالت أنفسهم اليهن وشرب أكثرهم الخمر فلما رأى عياض ذلك صعب عليه فأمر أن يأتوه بمن فعل ذلك فأقام عليهم الحد وأخذ منهم حق الله وقال لهم أكفر بعد ايمان أبهذا أمرتم أم لهذا خلقتم أما سمعتم ما قال من أمره بين الكاف والنون قال فتابوا بأجمعهم فلما جن الليل اجتمع يوقنا بعياض وحدثه بأمر طاريون وما وافقته عليه وانها قد وهبت نفسها لله تعالى ومضت تدبر كيف تعمل فى تسليم البلد للمسلمين وانى وعدتها أن أسيرها وأعينها على ذلك فقال عياض اذا كان الامر كذلك فيجب علينا أن نطلع عليه خالدا وأصحابه فقال يوقنا افعل ما فيه الصواب فأرسل الى خالد ومعاذ وقيس والمسيب بن نجية وعمرو بن معد يكرب وعبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهم وحدثهم بالحديث وقال ما ترون من الرأى

﴿ذكر فتوح ارمينية وأخلاط وقف وانظر﴾

قال خالد أصلح الله الامير اذا كان الامر كذلك فابعث يوقنا رسولا ونحن معه فاذا حصلنا هناك يفعل الله ما يريد والحاضر يرى ما لا يراه الغائب قال فسيروا على بركة الله تعالى فتأهبوا وساروا وسار مع يوقنا خمسة وثلاثون من الصحابة وعشرون من أصحاب يوقنا فلما وصلوا اخلاط ونظرت اليهم الروم والارمن علموا انهم رسل فأعلموا بذلك الملك وأنهم رسل من العرب فأمر باحضارهم فأتتهم الحجاب الى باب رومية وهو باب بدليس فرأوهم على خيولهم فقالوا لهم ادخلوا فأخذوهم الى دار الامارة وأعلموا الملك بوسطيوس بذلك فأمر باحضارهم فلما توسطوا الدهليز أراد الغلمان أن يأخذوا أسلحتهم فقال خالد انا قوم لا نسلم سيوفنا لغيرنا وان الله بعث نبينا بالسيف وقد قلدنا اياه ولسنا نزيل ما خصنا الله ورسوله به فدخل الحجاب واعلموا الملك بما قال خالد فقال الملك دعوهم يدخلوا كيف شاؤا لئلا يظنوا اننا نخافهم واغتاظ بوسطيوس الملك فدخلوا بهم فلما رآهم وسلموا عليه جلسوا على الارض كأنهم السباع وكل منهم قد جعل يده على مقبض سيفه وقد بلغ الملك ما هم عليه من الدين والزهد فى الدنيا فأوصى أصحابه أن لا يأمروهم بأن يسجدوا له فانهم لا يجيبونهم لذلك فلما استقر بهم الجلوس قال لهم ترجمانه يا هؤلاء بم أتيتم الينا فقال يوقنا ان أمير جيوش المسلمين بأرض بدليس قد بعثنا اليكم رسلا ندعوكم الى شهادة أن

فاصطلح أمير الحاج اسمعيل بك ابواز مع عدوه محمد بك جركس ووقع الاتفاق على عزل رجب باشا فانزل من القلعة محتقرا وكانت مدته بمصر مائة يوم وحضر محمد باشا النشنجى فمكث الى سنة احدى وأربعين ومائة وألف وحضر بعده

لااله الا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده و رسوله أوتدخلوا فيما دخل فيه الناس وتؤدوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون فاعلم الترجمان الملك بما قاله يوقنا (حدثنا) قدامة انه لم يكن بينهم ترجمان وانما كان المتكلم يوقنا بالرومية وهو لسان القوم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى من أثق به قال كان الترجمان بينهم لان الملك أرمنى لايفهم الا بلسان الارمن و يوقنا كان رومياً لايفهم لسانا آخر فلما بلغه الترجمان غضب وقال وحق المسيح والانجيل لانعطيهم ولاندخل فى دينهم أونموت عن آخرنا ولايحسبوا أننا مثل من لاقوا من جيوش الروم ولنا الشدة والباس والقوة والمراس ونحن نرمى عن الاقواس بالنشاب والعرب تسميه قاطع الشهوات والاسباب وأنا أبعث الى صاحب خوى وسلوس واستنصر عليهم بامراغوص ملك المرج ونردهم على أعقابهم ونستخلص منهم البلاد وليس عندنا جواب غير هذا قال فافهمهم الترجمان ماقاله فقال يوقنا ايأذن لنا بالانصراف لنعلم صاحبنا بهذا الجواب فقال الملك بيتوا عندنا هذه الليلة وفى غد تنصرفون وأمرهم أن ينزلوا فى المكان الفلانى فخرجوا من عنده الى المكان الذى أمر به فنزلوا به ينتظرون ما يكون من الجارية طاريون قال ولما خرج الصحابة من عنده ركب من وقته الى بيعة يوحنا واجتمع بابنته وقال لها ان العرب قد وجهوا الى رسولا ومعه جماعة وقالوا لى كذا وكذا وأجبتهم بكذا وكذا فماترين من الرأى فقالت أيها الملك أين هم قال عوقتهم هذه الليلة حتى أشاورك فى أمرهم فقالت أريد أن أنظر من هم فانه لايخفى على أمرهم فان كانوا من وجوه العرب النافذ أمرهم فأمرنى أن أتحدث معهم وأطيب قلوبهم بانك تصالحهم وأطمعهم بذلك فاذا اطمأنوا بذلك أمرتك بالقبض عليهم واتركهم عندك حتى لا يكون لهم خلاص فاذا قبضت عليهم ترسل الى صاحبهم تقول له متى تقدمت الينا مرحلة واحدة بعثت اليك برؤسهم فاذا سمع ذلك لايتقدم و يقع الصلح على أن نسلم اليه أصحابه و ينصرك المسيح و يطول عمرك و يرفع قدرك و ينصرفون عنك ومائم رأى أوفق من هذا فقال لها يابنية المسيح يطيل عمرك و يرفع قدرك فقومى اليهم ودعى هذه البيعة والزمى البيعة التى فى دارنا فانك كلما أقمت ههنا كان أخوف بنا وان كان مقصودك العبادة ففى أى مكان كنت فان لك فيه معبدا فلما سمعت قوله قالت لست أبرح من ههنا حتى يأمرنى بترك هذا المكان فارسل الملك وراء البترك فلما حضر قام الملك له وعظمه وأجلسه الى جانبه وحدثه بقصة ابنته فقال البترك قد أذنت لك أن تتعبدى حيث شئت وقد استوهبت ذنوبك مع المسيح وغفر لك قال فصلبت وجهها وودعت له وقدموا لها بعض مراكب أبيها فركبت ومضت الى المكان الذى فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدخل فيه سواها وأبيها الملك فلما رأت يوقنا فرحت واستبشرت وقالت له أيها السيد ان أبى جاهل بكم غير عارف بقوالكم وسوف أكشف له عن أموركم وحق دينى مارأيت منكم الاخيرا وسوف أجازيكم على ذلك ولولا محبة الاهل والوطن ودين المسيح ما كنت فارقتكم وخرجت هى وأبوها ومضت الى القصر وقالت له أبشر بما يسرك هؤلاء وجوه القوم وساداتهم والذى عليه زى الروم هذا يوقنا بطريق حلب الذى طرده المسيح عن بابه والرأى عندى أن نطلبهم عندنا الى هذا القصر ونقبض عليهم بحيث لايقف أحد على سرنا قال ففرح أبوها بقولها و بعث حاجبه الى الصحابة فأتى بهم وأنزلهم فى بعض حجر القصر (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان عمال أبيها من البطارقة والمقدمين على القلاع قد أتوا يهنؤن أباها برجوعها الى دين المسيح فقالت طاريون من الصواب أن نمضى أنا وأنت الى هؤلاء العرب ونجلس عندهم ونأكل معهم حتى يطمئنوا الينا وأقول لهم انى أريد أن أشاور أهل بلدى وأرباب دولتى فاما أن نصالحكم ونؤدى اليكم الجزية أونقاتلكم ونبعث اليهم طعاما مبنجا فاذا أكلوه وحكم فيهم البنج قبضنا عليهم ونفعل بهم ماتريد وأشير به عليك قال فلما جن الليل أتت هى وأبوها عندهم وتحدثوا ساعة ومضوا فلما كان الغد جلس أبوها على سريره وعلمت ابنته أنه اشتغل بما هو فيه فأتت طاريون الى الصحابة وقالت لهم اذا جئت الليلة أنا وأبى فدونكم واياه ولاتمهلوه فقد اتفق رأيه على كذا وكذا فشكروها على فعلها ومضت عنهم فلما كان الليل جاءت ومعها أبوها وتقدمت كأنها تحجبه وأشارت اليهم بان لاتعجلوا وامهلوه فامسكوا عنه وتحدثوا ساعة وخرجا من عندهم فلما خلا مع ابنته قال لها أما قولك نقبض على هؤلاء العرب فليس بصواب وانى أريد أن أجمع بطارقتى و ولاة أمورى من الحصون والقلاع وآخذ لك عليهم عهدا أن لايخامروا عليك أبدا وان يطيعوك وأرسل المال والذخائر ومانخاف عليه الى قلعة برقيوس فانها أمنع قلاع

لوزارة مصر الوزير بكر باشا فكث شهرا وعزله العسكر وحضر بعده لوزارة مصر عبد الله باشا الشكفورلى سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف ومدحه شعراء مصر افضله وميله الى الادب وله ديوان شعر جيد على حروف المعجم وقال بعض

الارض (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وهذه القلعة التى ذكرت فى وسط بحيرة أرجيس لاسبيل لأحد عليها قال لها واذا وليتك عليها أطلق هؤلاء العرب فانه ماسبقنى أحد من الملوك الى قبض الرسل وأيضا يتحدث عنى انى فزعت من العرب وقد عولت على لقائهم فان نصرت عليهم فذاك هو المراد وان نصروا على فلى أسوة بأمثالى من الملوك وقد أرسلت الى الملك درفشيل صاحب ارزن الروم بأن يأتى لى بجنوده وعدته وعدده وعدته أن أزوجه بأختك فارونة فاترين من الرأى قالت له أيها الملك اذا عزمت على هذا الامر فلا تترك هؤلاء يمضون حتى يجتمع العسكر ويقدم الملك درفشيل بجيشه ولا يتخلف عنك أحد وبعد ذلك اترك هؤلاء فاذا ساروا الى صاحبهم فسر أنت فى اثرهم بالجيوش واكبس عسكرهم فقال يابنية ليس من الرأى أن نطلقهم من أيدينا بل نبعث الى صاحبهم نقول له انهم مكرمون عندنا وقد رأينا أننا فى يوم عيد ناندبر فيه أمرنا فاما أن نصالحكم بأداء الجزية واما أن نقاتلكم والله ينصر من يشاء ونأمرهم أن ينزلوا فى مرج بطان فانه مرج واسع يصلح لملتقى العساكر ونضرب معهم مصفا ونحن أخبر منهم بالبلاد وغلك عليهم الدروب فلا ينجو منهم أحد ونسير الى ديار بكر فنملكها ونأخذ أرض ربيعة ولايبقى فى هذه البلاد ملك سوانا فقالت له طاريون افعل ماتشاء وتركته وانصرفت الى مكانها فلما عرفت أن أباها قد أغلق أبوابه أتت الى الصحابة وعرفتهم بما قال أبوها فقال خالد اللهم يسر لنا الامر من غير تعب واذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه فقال يوقنا وكيف ذلك ياصاحب رسول الله فقال خالد نعم نحن أمورنا بحمد الله منوطة بالنصر وقد كفانا كل أمر واعلموا أن هذا الرجل قد عول أن يبعث ليجمع ملوكه وجيوشهم ويحرضهم على قتالنا والصواب أننا نصبر حتى يجتمعوا فقالت طاريون لقد نطقت بالصواب ياصاحب رسول الله ووفقت واعل أن يحصلوا كلهم فى أيديكم ان شاء الله فان أبى لايقدر أن يولينى الا فى البيعة بحضرة أصحاب القلاع والحصون ويأخذلى عليهم العهد وبعدما يفعلون ذلك تثورون عليهم ان شاء الله واعل أن يكون فى جملتهم صاحب أرزن ونرسل العبد الصالح يوقنا بزى صاحب أرزن فلعله يملكها ان شاء الله تعالى ونكون ظفرنا بالارب وخرجت من عندهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا صالح بن عمران عن عبد الرحمن بن الحسن عمن حدثه قالوا جميعا أو من قال منهم انه لما اتفق الرأى من الملك صاحب أخلاط على ماذكرنا وأصبح الصباح أرسل وراء صاحب أعماله وولاة الحصون ان يحضروا عنده فاتوا باجمعهم ولم يتخلف منهم أحد وأتى درفشيل من أرزن ومعه عسكره وكان اجتماعهم فى ليالى عيدهم الكبير فزينوا البيعة وجاءت القسوس والرهبان من كل مكان ودخلوا البيعة وصلوا وقربوا القربان فلما فرغوا من قربانهم وصلاتهم جلس الملك على سريره وابنته واقفة عن يمينه فقال للملوك والبطارقة اعلموا انى ماجمعتكم الا لامر أعرضه عليكم وفيه سداد أمركم وملككم ودينكم وقد عولت على انى أولى أمركم المملكة طاريون فانها كما علمتم من أصحاب العقل والرأى والتدبير فى الحرب والشجاعة والبراعة فان قضى على فانها تكون مالكة أمركم فما تقولون فقاموا باجمعهم وصفقوا له وقالوا نعم الرأى الذى رأيته أيها الملك فانجز أمرك فعندها وثب قائما وأزال التاج عن رأسه ووضعه على رأس طاريون وأمسك بيدها وأجلسها على السرير ووقف عن يمينها كأنه حاجب ووقف صاحب أرزن عن يسارها وصفقت لها الملوك وبايعوها وتقدمت القسوس والرهبان وأخذوا لها عليهم العهد والميثاق وأجابوا بالسمع والطاعة وبعدها زوجوا أخت طاريون بولد صاحب أرزن وخرجوا من البيعة فى خدمة طاريون الى قصر الملك وأكلوا السماط وخلعت عليهم وزينت المدينة وضربوا خيامهم بظاهر البلد وعولوا على قتال المسلمين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى اسرائيل بن اسحق عن أبى الاحوص قال بلغنى ان عياض بن غنم لما وجه خالدا الى ملك أرمينية وهى أخلاط واستبطأهم ساءت به الظنون فيهم فارتحل من بدليس الى أرض أرزن ونزل بالمرج ووجه عيونه الى أخلاط فغابوا عنه أياما وعادوا اليه وأخبروه ان الملك قد ولى ابنته طاريون على المملكة وقد عقد لها التاج على رأسها وبايعها الملوك وزينوا المملكة من أجل ذلك وقدم صاحب أرزن الروم وزوج أخت الملكة لابنه وان القوم قد عولوا على لقائكم فلما سمع عياض ذلك قال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم غدروا أصحابنا فقال المسلمون كيف ذلك ياصاحب رسول الله قال لان أصحابنا مضوا الامر يرومونه وقد فسد عليهم فقال الواثق بالله وتوكل عليه وأقام عياض على المرج عشرة أيام وحصل له مرض على أمر الصحابة فاتته الناس يعودونه فقال اذا أراد الله بعبده خيرا أزاره الناس (قال

شعراء مصر فى بعض قصائده
ولما جاء مصر أرخوه
لقد سعدت بعبد الله مصر
وفى مدته جاء الخبر بخلع السلطان أحمد من السلطنة فكانت مدة سلطنته ثمانية وعشرين سنة ومكث مدة مخلوعا ومات وتولى بعده ابن أخيه السلطان محمود خان

الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) وعوفى عياض فبينما هو قد ركب مع وجوه الصحابة وهم يسيرون وقلبه مشغول من قبل خالد ومن معه واذا قد أتاه سعيد بن زيد وهو ينادى الوحا الوحا العجل العجل فاسرع اليه عياض وقال مابك يا ابن زيد يرحمك الله فقال الحق خالدا ومن معه فقد وقعوا فى بحر اللجاج وهم فى وسطه فلما سمع عياض ذلك قال وكيف قال ان طاريون لما ولاها أبوها الملك وجعل العهد لها ظفرت بابيها فقتلته وبعثت وراء الملوك على لسان أبيها فلما جاؤا اليها قتلتهم وان بعض غلمانها اطلع على سرها فمضى الى بقية البطارقة والولاة فأخبرهم بما صنعت فلبسوا السلاح وقعدوا على أهبة فلما كان بالامس ركبت هى فى جيش أبيها الى الميدان وركبنا نحن لركوبها فما علمنا الا والقوم قد أطبقوا علينا وقالوا النبا أظننتم ان المسيح غفل عن أمركم وانه لا يؤاخذكم بذنوبكم وقد أمكن الصليب منكم وهوا بأخذنا فقاتلناهم قتالا شديدا ما سمع أحد بمثله وملانا الارض من قتلاهم فلما جن الليل وضعت الحرب أوزارها وانفصل الجيش مع صاحب أرزن الروم وبقى مع الجارية نفر يسير من غلمانها وغلمان أبيها فأفاضت عليهم الخلع والنعم وبعثت الى الارمن تقول لهم انما فعلت ذلك شفقة عليكم وصونا لحريمكم لانهم أرادوا أن يقبضوا على هؤلاء العرب ويقتلوهم فكان أصحابهم لا يتركون منكم مخبرا فلما بلغهم ذلك قال العقلاء منهم والله لقد فعلت معنا كل خير وأجابها من القوم خمسة آلاف رجل قال وانى تركت المصف وجئت اليكم مستنفرا فلما سمع عياض كلام سعيد أمر الناس بالرحيل وسار واعدوا وخببا الى أن أشرفوا عليهم واذا بالحرب قد قامت على ساقها فكبر عياض ومن معه فارتجت منهم تلك الارض والجبال وحملوا وكان خالد وأصحابه قد أرضوا الله بقتالهم فقاتلوا قتالا ما سمع على وجه الارض بمثله ولم يزالوا كذلك حتى انقشع الغبار وانفصل القتار وافتقدوا من قتل فوجدوا من قتل من بادية الاعراب مائة وعشرين رجلا وافتقد معاذ بن جبل ولده فلم يجده فلما جن الليل دخل ومعه رجال من المسلمين الى المعمعة فوجده يجود بنفسه وقد نالته جراحات فحملوه الى رحله وجلس أبوه عند رأسه فقال عبد الرحمن بن غنم أخو عياض لما رأيته يجود بنفسه بكيت وانتحبت فقال لى مه وهذه الغزوة أحب الى من كل غزوة غزوتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له يا بنى ستلقى ربك وكان أذن المؤذن للظهر فما انصرف العسكر من صلاتهم الا وقد كفنه فى دراعته وهو متضمخ بدمائه فجاءه الناس فوجدوه قد دفنه فقالوا له يرحمك الله هلا كنت انتظرتنا حتى نحضر جنازته قال ليس ذلك من السنة وان ذلك فعل الجاهلية وقد كنا نشتهى ان نبطئ بموتانا ولكنا أمرنا بانجاز موتانا فلما دفنته فى القبر ورجع الى رحله غسل رأسه ولحيته واكتحل ولبس برديه وأتى الى خيمة عياض وهو يكثر من الابتسام والتكبير وليس به الا ما يسليه عن ذلك وقال هنيئا لك يا ولدى فقال له عبد الرحمن وماذا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات له ابن وكان به ضنينا وكان عليه عزيزا فحسن عليه عزاؤه ولم ير منه شئ فى قضاء الله الا غفر له وللميت وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجه الله من الحور العين ولما طلع النهار ركب المسلمون وطلبوا الجهاد واذا بالخيل قد أتت وعليها فرسان بغير سلاح فلما قربوا منهم ترجلوا وقصدوا الامير فابتدر اليهم يوقنا وقال لهم من أنتم قالوا نحن أصحاب أرزن الروم وهذا مقدمنا وأشاروا الى شيخ منهم حسن الشيبة فراطنه يوقنا فقال ان الله دلنى عليكم وبت الليلة على نية القتال فرأيت المسيح بن مريم فى النوم وهو يأمرنى باتباع محمد وقال لى ان نبى هؤلاء العرب هو الذى بشرت به فمن عدل عنه فليس منى فلما سمع يوقنا قوله ترجل هو وجميع من كان معه ومشوا معه الى عياض وحدثه بجميع ما جرى فقام له وصافحه هو والمسلمون وحدث عياضا بما حدث يوقنا ثم أسلم هو ومن معه ففرحت بذلك الجارية طاريون وسلمت اليه أختها وسار بها الى أرزن الروم وأرسلوا معه عشرة من المسلمين ليدعوا أرزن الروم الى الاسلام ويعلموهم شرائع الدين (قال الواقدى رحمه الله) وهم رواحة بن عبد الله وسلامة بن عدى والمرقال بن الاكوع وابن خويلد وجرير بن صاعد وعبد الله ابن سبرة وسهل بن سعد ومصعب بن ثابت وحازم بن معمر وأبو غير بن بشار قال وودع دريشيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتحل والعشرة معه حتى وصل أرزن الروم ففرح أهل المدينة بهم وخرجوا للقائهم فلما استقر الملك فى مجلسه طلب أكابر الناس وحدثهم بما رآه وعرض عليهم الاسلام فاسلم أكثرهم وأقبل العشرة يعلمونهم شرائع الاسلام والقرآن قال وسلم القلاع والحصون التى كانت لاخلاط المسلمين فمنهم من أسلم ومنهم من أقام على أداء الجزية من عامهم الآتى وبعث عياض الى خوى وسلماس وما يلى تلك الارض فأسلم

ابن السلطان مصطفى خان سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف وله مسجد مشهور بالمحمودية ثم عزل عبد الله باشا عن وزارة مصر (وتولى بعده محمد باشا السلحدار) على وزارة مصر قدم من البصرة وأقام واليا بها الى

أهلها الا القليل و بعث من المسلمين رجالا يعلمونهم الشرائع واقر طاريون على أخلاط والله تعالى هو الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

﴿ذكر فتح أرزن واسعرد وجبل مارون﴾

(قال الواقدى رحمه الله) قال عبد الله بن عقيل الجعدى عن أبى اسحق الهمدانى قالوا جماعة فرادى أو من قال منهم انه لما فتح الله ديار بكر وأرمينية واخلاط على المسلمين على يدى عياض بن غنم بعد فتوح أرض ربيعة أرسل وراء الغلام يرغون فى كفرتوثا فلما قدم عليه قلده أمر أرمينية وأخلاط له ولز وجته طاريون وأخذ عليهما موثقا من الله أن يعاملا الناس بالعدل وان يتبعا الشريعة وان يأمرا بأمر الله ورسوله فقبلا ذلك وارتحل عياض من أرض أرمينية بعد أن بعث أفلح مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مائة رجل الى بلاد العراق حتى يدعوا أهلها الى الاسلام و وعدهم بالاجتماع هنالك قال فانصرفوا بالرسالة وأما عياض فانه سار على طريقه التى ورد عليها الى أرزن الروم وخرج منها الى اسعرد الى جبل مارون (قال الواقدى رحمه الله تعالى) كان الذى أسسها السموأل بن عاديا وكان قد سبق قبل ذلك الابلق الفرد من أرض تيماء ولما جاء وزير كسرى وطلبه هرب الى هذا الارض و بنى له فيها هذا البلد فلما نزل عياض عليها دعاهم الى الاسلام فأجاب العقلاء منهم ومن أبى أقر عليه الجزية وكتب لهم عهدا ورحل حتى نزل على الشطاء وأساوح فأجاب أهلها ولم تكن الجزية يومئذ محدودة وأن الذى بناها رجل من أهل برقعيد يقال له عبد العزيز بن عمر وكانت دجلة قبل ذلك فلما نزل عياض عليها وزارهو ومن معه جبل الجودى وموضع السفينة وكان بجنبها أخصاص كثيرة فكانت أهل تلك البلاد تتزح الاخصاص وكان مالكها الجزرى صالحا فأجاب وأطاع وكان يسكن بعاديا وكانت تحت يده كواس والزعفران وقفيز ودربيس وأماكن كثيرة قال ولما بلغته الرسالة أجاب صالح وأطاع وأقبل الى عياض وأسلم وكتب لاهل بلده عهدا وأنفذ لهم من يدعوهم الى الاسلام

﴿ذكر فتوح الاسماعيليات﴾

قال وارتحل عياض الى الجانب الغربى ونزل على بلد فيها بديع القبطى فاجاب صلحا على ما تقرر عليه وارتحل عياض الى أن نزل بالاسماعيليات و بعث عمرو بن جندب ليغير على الموصل وأعمالها ففضى وأغار وأخذ الغنائم و وقع الصايح فخرجوا عليه وقاتلوه وانتزعوا منه الغنيمة وقاتل حتى قتل ودفن بالجانب الغربى فلما بلغ عياضا ذلك ارتحل من الاسماعيليات ونزل على الموصل فخرج اليه أهلها بالعدد والسلاح فكر عليهم خالد بجيش الزحف فجعلهم حطاما ولم يكن عليها يومئذ سور يمنع فاخذها بالسيف ونظر الى نينوى فاذا هى مدينة قد أخذت السهل والجبل فقال ما هذه فقيل هذه نينوى فقال لعلها مدينة يونس بن متى عليه السلام (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان ملكه يومئذ الملك انطاق فكاتبه عياض فابى فانفذ اليه الجزرى صالح فقال ائن لم تجب هؤلاء الى ما أرادوه والا أذقتك شرا ولا أترك لك عيشا فكتب اليه يقول انى أصالحهم الى ستة أشهر حتى أرى ما يكون من أمر كسرى فان ذهبوا بلده دخلت فى طاعتهم قال وكان هو من تحت يد كسرى فاجابه المسلمون الى ذلك وصالحوه على موجها ومرجها وكتب عياض الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعلمه بما فتح الله عليهم فكتب اليه يقول ✽ بسم الله الرحمن الرحيم من عياض بن غنم الاشعرى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أما بعد سلام الله عليك و رحمته و بركاته فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والحمد لله الذى أيد الاسلام بنصره وأدحض الشرك بقهره ولله الحمد على ما أولى ومنح وأزال وكشف ورفع وصرف من عظائم وأخذ من غنائم حمدا يزيد الآمال انفساحا والصدور انشراحا وقد لانت الشدة بعد صلابتها و رقت الايام بعد قساوتها و يسر الله تعالى أمرها وقد أوردت الاعداء موارد المهالك وضيقت عليهم المسالك فارتبكوا فى زقاقهم واشتركوا فى وثاقهم ولم يجدوا فى الارض نفقا ولا فى السماء مرتقى واشتد بهم الغرق وأزعجهم القلق وانهم احتالوا وحايلوا وداهنوا وأرسلوا وأظهروا البعد عن الآثام والدخول فى الاسلام والتنزه من الظلم والجنوح الى السلم فاقررناهم على ذلك بعد أن أشرفوا على المهالك فمنهم من أسلم وبايع ومنهم من أقام تحت الذمة وتابع وقد نشر الله أعلامنا وأعز ديننا وقهر عدونا وشد سيوفنا وأعلى كلمتنا وأظهر شريعتنا وقد صرف الله ثورتهم وأخمد نارهم وأزال نصرتهم

سنة ست وأربعين ومائة والف ﴿وتولى بعده وزارة مصر الوزير عثمان باشا﴾ الحلبى قدم من طرابلس وأقام واليا بمصر الى سنة ثمان وأربعين ومائة والف (وتولى بعده وزارة مصر الوزير بكر باشا) وهى توليته الثانية فقدم من جدة الى

وكفى البلاد والعباد مؤنتهم والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وبعث خمس ماتحصل من ديار بكر مع شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم وضم اليه مائتى فارس وسلمه الكتاب وأمره بالمسير فسار شرحبيل وبعد أيام وصل الى عياض من العراق عامر بن مزينة رسولا من عند سعد بن أبى وقاص يستنجد عياضا على كسرى فانفذ له نجدة ثم فتح الله العراق على يد سعد وماجرى له من الحروب والوقائع نذكر من أمره ما كان والله الموفق

﴿ذكر فتوح العراق﴾

قال حدثنا عبد الله بن محمد قال أخبرنا عبد الله بن جابر ﴿قال الواقدى رحمه الله﴾ أخبرنى من أثق به قال لما وجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعد بن أبى وقاص بالجيوش الى العراق لم يزل سائرا حتى قدم أرض الرحبة واتصلت الاخبار بالعيمور بن ميسرة العبسى وكان يومئذ ملك العرب بعد اياس بن قبيصة النعمان بن المنذر ملك من قبل كسرى بن أردشير فكتب اليه يعلمه أن جيوش المسلمين قد أقبلت من المدينة وقد وجهها عمر بن الخطاب رضى الله عنه اليك وقد عول على أخذ العراق فاستيقظ أيها الملك من غفلتك وانظر فى مصالح دولتك واعلم أن هذا الزمان هو الذى كنا نسمع به ولا نصدق ونكذب به ولا نحقق ولا نظن أن أحدا يجسر علينا ولا يصل بجيشه الينا حتى جاء الوقت المقدور وولى المدينة عمر وهو صاحب الفتوح ومصبح الملوك بشر صبوح فقم على قدم الهمم وسر الى أعدائك وتقدم وقد أعلمناك لتكون على بصيرة من الامر واياك أن تهمل الامر فرب صغير امر عاد كبيرا ويسير عاد عسيرا والحرب أوله شرر وآخره نار تستعر والسلام قال وبعثنا الكتاب مع نجاب فلما وصل به الى كسرى وقرئ عليه انتفض لذلك واهتز على سريره وأحضر الاساورة والموابذة والديلم والسهارجة وقرأ عليهم كتاب الملوك وقال لهم ماترون فى هذا الامر الذى قد وقفنا عليه وأشرفنا من زماننا عليه واعلموا أن هؤلاء العرب قد أخرجهم الجدب والجهد فهم ينظرون لهم مواضع يسكنون اليها وينزلون فيها وقد أذاقوا الروم شرا وأنزلوا بهم ضرا وملكوا المدائن واحتووا على الخزائن وكان الروم قد اجتمعوا عن بكرة أبيهم وما كان منهم أحد الا أتى الشام وتلاقوا فى الحرب بمكان يقال له اليرموك وهذه الشرذمة من العرب قد سرحوا الى بلادكم وقد عولوا على أن ينزعوا الملك من أيديكم ولا ينفعكم الآن تكشفوا عن ساق العزم وتتشحوا بوشاح الحزم وتذبوا عن أهلكم وأموالكم وأولادكم وحريمكم وبلادكم واعلموا أن العرب داخلهم الطمع وقد دخل فى قلوبهم أن علكوا بلادكم وحصونكم ومتى رأوكم ناكلين عن قتالهم فشلين عن نوالهم مالوا عليكم ميلة الاسود على فرائسها افاحسموا موادهم من أول يوم وقد قيل فى الامثال من نظر فى العواقب أمن غائلة النوائب ثم انه فتح خزائن الاموال والخلع وخلع على الهرمزان وقدمه على خمسين ألفا وخلع على عطارد بن مهر ودو وقدمه على عشرين ألفا وخلع على قارين بن همام وقدمه على عشرين ألفا وأمرهم أن يضربوا خيامهم بأرض زرندان ففعلوا ذلك وكتب من وقته الى خراسان وما وراء النهر يستفزهم ومن معهم من الاجناد على قتال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصلت الكتب اليهم أقبلوا يهرعون الى العراق كالجراد المنتشر وكان فى جملة القوم شهريار بن كباد والفرحان الاهوازى والهذيل بن جسوم وجاسر الهمذانى ومعهم أربعون فيلا ووفد الجالينوس بن قتاد (قال الواقدى) فلما اجتمعت الجيوش خرج كسرى يعرضهم بأرض شهرطاق وفراشه وكان رأس جيشه مهرمان فعرض الجيوش فاذا هى مائة ألف وخمسون ألفا غير الاتباع وقدم الديلم والعجم وأمامهم الفيلة وعقدوا على ظهورها الاسرة بثياب الديباج وعلى كل سرير أربعون رجلا مقاتلة وهم يضربون بالطبول والصنوج فى خراطيمها أعنى الفيلة السيوف ليقاتلوا بها وكان فيها فيل أعور كأنه الجبل العظيم وكان هو المتقدم على الفيلة حيثما سار سارت وراءه وان وقف وقفت وقد ربطوا وراء الفيلة عجلا يحمل بيوت السلاح والاموال فلما عولوا على المسير عاد الملك أردشير الى من ذكر من المقدمين وقال اعلموا يا أهل فارس انكم مازلتم ملوكا وهيبتكم فى قلوب الترك والديلم والروم والجرامقة وذلك لما كنتم عادلين فى الرعية فادفعوا هؤلاء بالمال فان أبوا فدونكم والسيف وودعوه وساروا

﴿ذكر فتوح الخورنق وقتل النعمان بن المنذر وفتح الحيرة والقادسية﴾

﴿قال الواقدى رحمه الله﴾ حدثنا الحسن بن اسحق قال أخبرنا سليمان بن عامر قال بلغنى أن سعد بن أبى

السوس فى العصر لانه كان واليا بجدة وأقام بمصر واليا الى سنة تسع وأربعين ومائة وألف ثم وقعت فتنة بمصر وقتل فيها محمد بك غيطاس وعلى بك وصالح بك وعثمان كتخدا مستحفظان ويوسف كتخدا عزبان وأمراء

وقاص قدم العراق فى ثلاثين ألف فارس من بجيلة والنخع وشيبان وربيعة واخلاط العرب وما منهم من قدم العراق الا بأهله وولده وما قدم أحد من ملوك الفرس الا بعياله كله حتى يقاتلوا بجد وعزم وبذلك وصاهم الملك كسرى قال وان سعدا ارتحل من الرحبة الى الحيرة البيضاء وكان هناك جيش النعمان بن المنذر وقد ضرب خيامه والسرادقات الى ظاهرها وقد أضاف اليه جميع العرب وهم من العراق فى ثمانين ألفا وقد أفاض عليهم النعمان النعم والخلع ووعدهم من الملك كسرى بكل جميل وقال لهم ان هؤلاء عرب وأنتم عرب وهلاك كل شئ من جنسه وهؤلاء مثلنا وليس لهم فضل علينا وقد جعلنا الا كاسرة مقدمى دوابهم حتى نكون لهم ركنا وعلى أعدائهم عونا وليس لاصحاب محمد فخر يفتخرون به علينا لكن نحن لنا الفخر عليهم وهم يزعمون ان الله بعث فيهم نبيا وأنزل عليهم كتابا يقال له القرآن ونحن لنا الانجيل وعيسى بن مريم وجميع الحوار يين ولنا المذبح ولنا القسوس والناقوس والرهبان والشمامسة وعلى كل حال ديننا عتيق ودينهم محدث فاثبتوا عند اللقاء وكونوا عند ظن الملك كسرى بكم قال فبينما هو يقول ذلك اذ جاءه عمه الياس وهو صاحب الحرس فقال له أيها الملك ان أعداءنا قد أنفذوا الينا رسولا فقال ائتنى به فأحضره وكان الرسول سعد بن أبى عبيد القارى فلما وقف بين يدى النعمان صاح به الحجاب والغلمان قبل الارض للملك فلم يلتفت اليهم وقال ان الله أمرنا أن لا يسجد بعضنا لبعض ولعمرى ان هذه كانت العادة المعروفة فى الجاهلية قبل أن يبعث الله نبيه محمدا عليه السلام فلما بعث جعل تحيته السلام وكذا كانت الانبياء من قبله وأما السلام فهو من أسماء الله تعالى وأما تحيتكم هذه فهى تحية جبابرة الملوك فقال النعمان انسا من الجبابرة بل نحن أجل منكم لانكم توحدون فى دينكم وتقولون ان الله واحد وتجحدون ولده عيسى بن مريم فقال سعد اخبرنى عن عيسى بن مريم أكانت القدرة فيه حالة أم ربانية وجرى بينهم كلام كثير قال فاعجب النعمان كلام سعد وقال له ياويح قومك ما الذى جئت به فقال له ان الامير سعد بن أبى وقاص وجهنى اليك اذ أنت من العرب ويصل الينا ما نقص عليك وهؤلاء القوم علوج ليس لهم شريعة يؤدونها ولا فريضة يتبعونها ونحن ندعوكم الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ولكم ما لنا وعليكم ما علينا فان أبيتم فأدوا الجزية فان أبيتم الى ما دعونا كم اليه فأذنوا بحرب من الله ورسوله فلما سمع النعمان كلام سعد ضحك استهزاء بقوله وقال لقد حدثتكم أنفسكم بالاباطيل أظننتم أن الفرس مثل الروم لا وحق المسيح بل هؤلاء أثبت جنانا وأشد طعانا وأوسع ميدانا فليت شعرى من نفخ فى معاطسكم وحسن الامل فى أنفسكم حتى جئتم من قحط البلاد ترومون ملك الاساورة وأخذ بلاد الاكاسرة ودونه حرب تصطفق أجرامه وتشب ضرامه وهذا الملك أردشير قد أنفذ جيوشه وعساكره وكانكم بهم وقد أقبلوا فينالون منكم ما يؤملون وما حدثتكم به أنفسكم تزيلونه من قلوبكم فقال سعد بن عبيد يا نعمان لقد تشدقت بالباطل وتفوهت بكلام غير عاقل أما علمت أن العاقبة للمتقين والله بكرمه يرفع عنا البأس ويظفرنا بجميع الناس وقال نبيه صلى الله عليه وسلم ستفتح على أمتى كنوز كسرى وقيصر فاما كنوز قيصر فقد فتحها الله علينا وقد بقيت كنوز صاحبك فقال النعمان من أين كان لصاحبك العلم ومن أين ورثه وقد بلغنا أنه كان لا يكتب ولا يقرأ فقال سعد بصره الله بالعلم فى القدم وعلم ما كتب فى اللوح المحفوظ بالقلم فلما سمع النعمان كلام سعد قال له ياويح قومك ارجع الى قومك فليس عندنا جواب الا السيف قال فركب سعد وعاد فوجدهم قد نزلوا بالقرب منه فحدث سعدا بما جرى له مع النعمان بن المنذر وما كان من جوابه وجعل سعد بن أبى وقاص ينشد

سأحمل فيهم حملة عربية ✻ ولا أنثنى والله عنهم بعسكرى

فاما ترى النعمان فى القيد موثقا ✻ واما طريحا فى الدماء المعفر

ثم أمر الناس بالرحيل فرحلوا وساروا الى أن أشرفوا على جيش النعمان قال فلما رأوا جيوش سعد أمر الناس بالركوب فتبادرت العرب الى خيولهم فركبتها وجنبت الجنائب وضربت الكاسات وتبادرت الابطال ونشرت الاعلام فلما وصل سعد رضى الله تعالى عنه والتقى القوم قد أخذوا أهبتهم رتب جيشه وصفهم وألفهم وجعل فى الميمنة سعد بن عبيد القارى وفى الميسرة سعد العشيرة وفى الجناح الايمن سعد بن نجيبة وعلى الجناح الايسر سعد بن الاقيس الهلالى وأقام الامير سعد فى القلب ومعه أبو محجن الثقفى وزهرة بن حويرية

كثيرن وقامت الجند على بكر باشا فعزلوه وحضر الامير مصطفى أغا أمير خوركبير بخط شريف من الدولة العلية بضبط تركات المقتولين فمكث بمصر ثم حضر خط شريف بتوليه مصطفى أغا وان يكون وزيرا بمصر فاقام

وشرحبيل بن كعب (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا أحمد بن عامر قال أخبرنا على بن مسهر عن أبان عن الحسن قال لما استوت الصفوف وترتبت كل قبيلة جعل الامير سعد يتخلل الصفوف ويعظ من فيها من عرب بجيلة وطيء وبنى هلال والنخع وغيرهم ويقول هذا يوم لا نرى بعده مثله أما بلغكم ما فعل اخوانكم بالشام لما تكاثرت عليهم جموع الاثام فاستيقظ المسلمون لقول سعد وقالوا نحن نحمل عليهم بشدة العزائم ولعل الله أن ينصرنا عليهم فصاحوا بالخيول فخرجت كالرياح العواصف ولم يزالوا فى القتال الشديد الى أن توسطت الشمس فى قبة الفلك وقد ثبتت أصحاب النعمان بن المنذر للضرب والطعان (قال الراوى) وان القعقاع ابن عمرو التميمى أو بشر بن ربيعة التيمى أحدهما التقى مع النعمان فى كبكبة من الخيل والازدهارات على رأسه فحمل القعقاع أو بشر على الكبكبة ففرقها وعلى الكتيبة فمزقها ورمى النعمان بطعنة فى صدره فاطلع السنان يلمع من ظهره فلما نظرت جيوش الحيرة الى الملك النعمان مجندلا ولوا الادبار يريدون القادسية نحو جيش الفرس وغنم المسلمون رحالهم وأموالهم وباتوا فرحين وافتقدوا من قتل من المسلمين فكانوا خمسمائة وثلاثين غالبهم من أهل نخع وقد ختم الله لهم بالشهادة وفى ذلك قالت خزانة بنت خالد بن جعفر بن قرط ترثى من قتل من المسلمين

فياعين جودى بالدموع السواجم * فقد شرعت فينا سيوف الاعاجم
فكم من حسام فى الحروب وذابل * وطرف كميت اللون صافى الدعائم
حزنا على سعد وعمرو ومالك * وسعد مبيد الجيش مثل الغمائم
هم فتية غر الوجوه أعزة * ليوث لدى الهيجاء شمث الجماجم

قال وان المسلمين جمعوا الاموال واحتوى سعد على قصر الخورنق والسدير وترك جميع ما أخذه بالحيرة وترك عنده سالم بن نعيم بن مسروق وترك عنده مائة من أبناء المهاجرين والانصار قال وأما من انهزم من جموع النعمان بن المنذر فوردوا على القادسية وعليها جنود الفرس مع رستم زاده بن اسفنديار ومعه شهريار بن كنار والهذيل بن جشوم وحشرسوم الهمذانى والجنانيوس بن فتاك وشماهير بن حسوسا قال فلما رأوا المنهزمين من جيش النعمان ملك العرب سألوهم عن أمرهم فأخبروهم بقتل النعمان وأخذ الحيرة وقصر الخورنق والسدير وجميع ما فيها قال فوقع التشويش فى عسكر الفرس وتمكن الخوف من قلوبهم وكثرت الاراجيف وأما رستم فانه جمع الملوك والاساورة وملوك الديلم فى خيمته وقام على سريره خطيبا فقال اعلموا أن الدولة بالسياسة والناموس بالرياسة وكأنكم بالعرب وقد أشرفوا عليكم فاخرجوا واذهبوا اليهم واركبوا فخرجوا من عنده وأخذوا أهبة الحرب فبينما هم كذلك اذا بعسكر سعد قد أشرفوا عليهم وهم على الخيل المضمرة العربية وعليها الفرسان الاسلامية والطائفة المحمدية فرتبوا الصفوف وجعل رستم ملوك الفرس عن يمينه وملوك الديلم عن يساره ووقف رستم فى القلب ودارت به الاساورة فبينما هم كذلك اذ بعث الامير سعد رسولا الى رستم وكان الرسول أبا موسى الاشعرى فقصد القلب فلما رآه الحجاب أتوا اليه والترجمان معهم فقالوا له يا عربى ما الذى تريد قال أنا رسول من عند صاحب الجيش فبلغوا رستم ما قاله أبو موسى الاشعرى فقال قولوا له ما لك الى وصول المقدم ولكن انصح لنا عما تريد حتى نأتيك بجوابه قال فبلغه الترجمان ما قاله فقال أبو موسى قل له ندعوكم الى الشهادة فان أبيتم الاسلام فأدوا الجزية فان أبيتم فالسيف أصدق شاهد وقد قال الله فى كتابه العزيز وكان حقا علينا نصر المؤمنين فبلغهم الترجمان ذلك ورجع أبو موسى الى سعد فلما جن الليل هرب من عسكر رستم جماعة والتجؤا الى عسكر المسلمين فلما أصبح رستم بلغه أن جماعة من عسكره هربوا الى عسكر المسلمين فبعث رسولا الى سعد يطلب منه ان يرد عليه الذى هرب من الاساورة والمرازبة فقال سعد انا قوم لا نضيع ذمامنا ولا ننقض عهدنا وقد أتوا الينا مستسلمين وفى صحبتنا راغبين فيجب علينا أن نذب عنهم ولا نمكن أحدا منهم فعاد الرسول الى رستم وأعاد عليه الجواب فغضب وأمر الجيوش بالزحف قال وكان الذى هرب الى جيش سعد شاور بن سليم ونسايك بن أكثم وضرار بن مكال ومن تبعهم فلما رأوا العساكر قد أقبلت تريد المسلمين قال القعقاع أيها الامير قد تقدمت الاعداء والفيلة أمامهم ولا مقام لخيل العرب عند رؤيتها وصياحها فقال سعد أخلصوا النيات وارضوا خالق الارض والسموات وارشقوا الفيلة بالنبل واقطعوا مشافرها بالسيوف قال وكان أمام الفيلة فيل عظيم كأنه جبل وكان اذا سار

والياً بمصر الى سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف (وولى بعده وزارة مصر سليمان باشا) الشامى الشهير بابن العظم فأقام والياً على مصر الى شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف (وتولى بعده وزارة مصر على باشا حكيم أوغلى)

سارت واذا وقف وقفت وأينما توجه كانت وراءه قال فلما احملت الكتائب واضطربت المواكب وجاءت
الفيلة كأنها جبال وعلى ظهورها الابطال وقد أقبلت بالسيوف فى خراطيمها فقتلت من عسكر المسلمين ولم
تثبت لها خيل المسلمين فرفع سعد بن أبى وقاص كفيه مبتهلا بالدعاء لرب الارض والسماء وقال ربنا أفرغ
علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين قال زهرة بن حويرية فوالله لقد رأيت سعدا يدعو
وعينى مع الفيلة واذا بالفيل الاعور قد ولى يريد المدائن والفيلة بأجمعها والرجال لا يقدرون على ردها وهى
سائرة على وجوهها وكفى الله المؤمنين القتال مع الفيلة قال فلما ولت الفيلة غضب رستم وأقبل بعموده الذى من
الذهب يضرب به وجوه الفيلة ويلطم بفارسيته ويحرض قومه على القتال وهم يحملون خوفا منه وهو يطلب
من هرب من جيشه والخيل أمامه منهزمة والمسلمون لا يتبعون المنهزمين وأوقفوهم مواقفهم وقد طابت قلوبهم
بمعاملة الله فطعنوا فى صدور الاعداء وقد اطلع الحق على قلوبهم فما وجد فيها غيره فبينما الامير سعد يحرض
على القتال اذ لقيه الاسود العبسى وهو طائش العقل ذاهل اللب فقال له ما وراءك يا ابن قيس فقال أيها
الامير اياك أن تعبر هذا الصف فان فيه الموت الاحمر والضيغم القسور وهو جبار من الفرس وقد قتل من
المسلمين أربعة ولقد قاتلته حتى كاد أن يأتى على ولولا أن من الله على بخالد بن جعفر بن قرط لكان قتلنى لان
فيه شجاعة وبراعة فقال له سعد يا مسكين وأين المفر من المقدور وقد قدر الله الاقدار أما سمعت قول الملك الجبار
أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ودخل الصف الذى ذكره الاسود واذا قد لقيه خالد بن
جعفر ولونه قد تغير فقال له ما وراءك يا ابن جعفر فقال الثعبان الاغبر والاسد الغضنفر أيها الامير ارجع
عن هذا الفارس فانه علج عنيد وفى يده عمود من الذهب يورث به خصمه العطب وقد قتل الاقران وأباد
الشجعان وقد كاد أن يقضى على لولا سعد العشيرة أدركنى لكان أهلكنى فلما سمع سعد ذلك عظم عليه وقصد
مكانه يريد أن يفدى الناس بنفسه وروحه ويبذل فى سبيل الله مهجته وهو يخترق الصفوف فلقى سعد
العشيرة فقال له ما وراءك يا ابن لؤى قال ورائى جبار لا يقابل وبطل لا ينازل ولولا بشر بن ربيعة لسقانى من
عموده كاس القطيعة فلما سمع قوله قصد نحوه فوجد بشرا أصفر اللون فقال له ما وراءك يا ابن ربيعة فقال ما قصر
القعقاع انى لولاه لكنت من الهول على غرر فسار سعد على طريق بشر وقد سلك سبيل توفيقه فلقى القعقاع
وهو يفرق الكتائب ويصدم المواكب فقال له لله درك يا ابن عمرو أين فارس الفرس وكيف خاص من يدك
فقال أيها الامير لولا أنه دخل الصفوف لسقيته كاس الحتوف وغاص فى وسط الخيل ولم أبلغ منه النيل
(قال الواقدى رحمه الله) ولم يزل القتال بين المسلمين والكفار الى أن فرق الليل بينهم فرجعت كل طائفة الى
مكانها فلما رجع رستم الى سرادقه بعث غلمانه الى مقدم عسكره فحضروا فقال لهم لقد خذلتم ونزل بكم العار
والبوار فما الذى خذلكم وأى شئ شغلكم ونزل بكم وأنتم أولوا البأس الشديد والامر العتيد وهؤلاء
قوم كنا لا نعبأ بهم ولا تحدثنا أنفسنا عنهم بأمر وقد خذلوا فرسانكم وأوردوهم موارد الهلاك وقتلوا منكم
الصناديد فبأى وجه ترجعون الى المدائن وبم تحتجون عند الملك أزدشير وانى أرى دولتكم قد انصرمت وأيامكم
قد انقضت فقالوا أيها السيد لقد بلينا بقوم لا يرهبون الموت ولا يجزعون من الفوت وكلما طعناصدورهم
تقدموا وكلما قللنا جموعهم صمدوا فقال رستم ما أرى من الرأى الا أننا فى نصف الليل نكبسهم فلعلنا
نظفر بهم ويكون لنا عند الملك اليد البيضاء فاستصوبوا رأيه وافترقوا الاجل أن يصلحوا شأنهم (قال الواقدى
رحمه الله) حدثنا عامر بن سويد قال لما رجعنا من قتال العدو الى خيمة سعد رأيناه جالسا على التراب فلما
رآنا قال مرحبا بقوم هجروا الدنيا وطلبوا العقبى كيف كان يومكم قلنا لقد شفينا نفوسنا من الاعداء ونصرنا
شرع نبينا المصطفى ولقد رميت منا رجال كثيرة من المسلسلة بنشابهم فقال سعد اجمعوا الى العسكر جميعه
وأمر واغلمانكم أن يجمعوا الشيح والقيصوم فانى أريد أمرا أرجو لكم به النجاة من الله قال ففعل القوم ذلك
فقال للموالى اجعلوا ما جئتكم به من الشيح والقيصوم على ظهور الابل ووجهوها نحو المسلسلة فاذا قربتم منها
فاضرموا النار فى ظهور الابل والذعوها بأسنة الرماح حتى تدرسهم ونحن من ورائكم بسيوفنا قال ففعلوا ذلك
فلما انى الليل تقدموا أمام العسكر بالاموال والموالى من ورائهم الى أن قربوا من المسلسلة وأطلقوا النار فى
الشيح ولذعوها بالاسنة فلما رأت الجمال وما على ظهورها من النار وما حل بها من الاسنة داست صفوف

وهى توليته الاولى بمصر
فدخلها فى جمادى سنة
أربع وخمسين ومائة وألف
(وتولى بعده محمد باشا
البدكشى) فأقام واليا بمصر
سنة ثمان وخمسين ومائة
وألف (وتولى بعده الوزير

المسالة دوس الحصيد وحطمتها على وجه الصعيد وركب الامير سعد مع الجيش ووضعوا السيف فيمن بقى من المسالة فبينما هم كذلك واذا بعساكر الفرس قد أتوا وارتفع الضجيج وعلا العجيج وسميت تلك الليلة بليلة الهدير ولم يزالوا فى القتال الى الصباح قال وسمعت قائلا يقول كفيناكم فقلت من أنتم فقالوا نحن من خزيمة النخع ولم يزالوا يقاتلون حتى ما بقى منهم أحد ولا بقى لهم نسل فلما طلعت الشمس ركب رستم بن اسفنديار وركب جيشه عن آخره ووقفوا بأجمعهم فاستقبلهم الموحدون وسعد يتخلل الصفوف ويعظهم ويوصيهم أى الامراء وكان فى الليل قد طاف على العسكر فرأى أبا محجن الثقفى يشرب الخمر وقال له يا عدو نفسه لقد محوت أجر جهادك وعبادتك والله لآخذن منك حق الله وجلده الحد وقيده (قال الواقدى رحمه الله) أخبرنا يوسف بن عمر قال الاسدى عن طلحة ومحمد قالوا ان أول من فتح الحرب رستم وطلب البراز فخرج اليه نجيبة فقتله فخرج زهير فقتله فأراد القعقاع أن يخرج واذا بفارس قد أقبل الى رستم وهو كالريح فى هبوبه فصاح برستم صيحة أدهشته وطعنه فى خاصرته فاطلع السنان من الخاصرة الأخرى فنظر اليه سعد فاذا هو أبو محجن وقد صنع ذلك برستم قال المتوكل عليه سألتك بالله أن تتركه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا يوسف بن عبد الاعلى قال حدثنا عمر بن ابراهيم عن عبد الله بن المبارك قال لما نزل سعد بن أبى وقاص على القادسية وقاتل عسكر الفرس وانهزمت الفيلة الى المدائن وكان سعد رضى الله تعالى عنه يتنكر فى الليل ويمشى فى عسكره فمر فى بعض الليالى برجال من ثقيف فوجد أبا محجن وهو يشرب ويترنم على خمرته فلما رآه غضب وقال له لقد ذهب أجرك ونقص قدرك بعد جهادك للكافرين تتعرض لغضب رب العالمين أترضى لنفسك بذلك ثم انه حده وقيده وجعل عليه من يحفظه فلما كان من الغد ووقع الزحف وبرز فارس العجم وكان منه ما ذكرناه عاد الى القيد فلما قتل رستم بمشاهدة الناس أتى اليه سعد ليعلم حقيقة الامر فوجده فى القيد فقال له يا أبا محجن أنت صاحب الفضيلة فقال الفضل لله ولرسوله فاقسم عليه فحدثه بحديثه فقال له اذا كان هذا صنيعك فاذهب فقد عفوت عنك ومن عاد فينتقم الله منه فقال أبو محجن والله ما عدت أشربها أبدا وتاب (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا زائدة عن جده مروان بن أوس قال كنت بالقادسية وشهدت فتحها لما قتل رستم وولده بجزشير وولت الفرس على عقبهم لا يلتفت أحد منهم الى ما وراءه من الاموال والاصحاب وما لهم قصد الا السلامة لانفسهم وأتى نساء المسلمين ومعهن الماء فدرن بين القتلى والجرحى فمن وجدنه من المسلمين فيه الرمق سقينه الماء ونضحن على وجهه وينقلن من قتل من العرب الى العرب ويتركن رمم الفرس (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا سليمان ابن بشر عن أم كثير امرأة همام بن الحرث قالت شهدت القادسية مع سعد فلما نزل النصر وانهزمت الفرس شددنا ثيابنا وأخذنا الماء وابتغينا القتلى فمن كان من المسلمين سقيناه ورفعناه ومن كان من المشركين اخذنا ما عليه (حدثنا) الحرث عمن أدرك ذلك قال لم يكن من قبائل العرب أكثر نساء من نساء بجيلة والنخع وكانوا فى ألف وسبعمائة امرأة قال وأخذت المسلمون عدة لم ير وامثالها وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد وسفيان ابن سليم والمهلب بن غزوان والقادح بن عنبسة ونعمان بن نعيم وأربعون رجلا من المهاجرين والانصار وسنذكر من قتل ممن كانوا يقرؤن القرآن اذا جن الليل كدوى النحل قال وأخذ المسلمون من الاموال ما لم ير مثله ولما كان بعد الفتح بيوم جاءت النجدة التى بعثها عياض بن غنم من أرض الموصل وجاء من شهد الفتوحات بالشام مع عامر بن الجراح وكان الذين قدموا سبعمائة فلما وصلوا الى عين التمر استعجل للنصرة فترك الجيش وسار فى سبعين فارسا وأتت بقية السبعمائة بعد ذلك وكان معه قيس بن عبد يغوث وقيس بن أبى حازم وسعيد بن نزار ومالك بن الاشتر النخعى فتقدم هاشم وقيس معه فى السبعين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا ابراهيم بن بشار قال أخبرنا محمد بن على عن سليمان بن أرقم أن عدة القتلى بالقادسية تسعة وثمانون رجلا وكان المشهور منهم قيس وعطارد وهشام ومذعور ومقرب الاسود وعمرو بن قيس والنعمان (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) وبلغنا عن رجل من تميم عن امرأة منهم قالت شهدت القادسية وضمنا النساء لكل منهن ثلاثة وثلاثون ... الا من العنبر ومثلها امسك وأما الكافور فما كنا نعبأ به الا من عرفه وكانت العرب تقول للسوقة هل لكم من ملح طيب وكانوا يعطون كيل كافور بكيل ملح وان رجلا من العساكر عجن عجينا وجعل فيه من الكافور وجعل يذوقه بعد خبزه ويقول ما لهذا الملح لا يطعم فى العجين وان رجلا من

محمد باشا راغب رئيس الكتاب) فاقام واليا بمصر الى سنة احدى وستين ومائة وألف وعزله العسكر لفتنة وقعت قتل فيها خليل بك أمير الحاج وعلى بك الدمياطى وهرب

له خبرة بالملح قال أعطيكم جراب الملح بطعم طعمه قال فأخذوه وأعطوه ملء جرابه كافورا فعالياوان سعد الماهزم
الله العدو على يديه جمع الاموال كلها وكان الذى يقبض الاموال سليمان بن ربيعة قال فكتب الى عمر بن
الخطاب رضى الله عنه كتابا يقول فيه * بسم الله الرحمن الرحيم من العامل بالعراق سعد بن أبى وقاص الى
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أما بعد سلام عليك وانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه صلى الله
عليه وسلم وانا وصلنا الى العراق والتوفيق يقدمنا والنصر يؤيدنا وقد اطلع الله على قلوبنا وامتحن خفى أسرارنا
فما وجد فيها سواه ولا نعبد الا اياه فوفى لنا بوعده اذ وفينا بصادق عهده فلقينا العدو وهو شاكى السلاح
غير راجع عن الطماح وقد شمر لنا عن ساق الجد فدارت لنا عليه الدوائر فهزمنا كتائبهم وزلزلنا مواكبهم
واستأصلنا شأفتهم وقتلنا مقدمهم فجرى بذلك سابق القدر وأخذناهم أخذ عزيز مقتدر وملكنا الحيرة
والقادسية وأنزل الله بأعدائنا الرزية فلما كان بعد الفتح بيوم قدم المرقال وهشام وسبعون رجلا من الصحابة
وبعده بثلاثة أيام قدم سبعمائة من الشام من جند أبى عبيدة ولم أسلم لاحد شيأ من الغنيمة ونحن ننتظر أمرك
فى ذلك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى جميع المسلمين وسلم الكتاب الى زيد بن عمرو فركب نجيبه وسار
نحو المدينة (قال) أخبرنا أحمد بن عمر قال حدثنى سابق بن مسلم قال وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
يركب فى كل يوم نجيبه ويقصد طريق العراق الى قرتب الظهر وذلك لما بلغه أن رستم نزل على القادسية قال
فخرج على عادته اذ لقيه البشير وهو نوفل فلما رآه نوفل أبرك ناقته وسلم على أمير المؤمنين وقال له أبشر بكل خير
ودفع اليه كتاب سعد وهو يقول قد هزم الله العدو ونصر الموحدين وملكنا الحيرة والقادسية ومشى هو واياه
يخبره بما كان الى أن دخلوا المسجد وهرع الناس اليهم الى أن غص المسجد بهم فرقى المنبر وقرأ عليهم كتاب
سعد وقال الا وان اخوانكم المسلمين يقرؤنكم السلام وقد اتبعوا الكتاب والسنة وحادوا عن طريق البدعة
واقاموا على شرائع الهدى وأرادوا المشورة فيمن قدم عليهم فأما الجواب فالغنيمة لمن شهد الوقعة والمواساة
لمن لحق بهم بعد الوقعة بثلاثة أيام ونزل عن المنبر وكتب الى سعد * بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد سلام عليك
فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد وصلنى كتابك فحمدت الله
كثيرا بما فتح الله على أيديكم وانى قد ابليت بكم وابليتم بى وانى والله لا أحصى شيئا من أموركم فاعلموا وأما اذا
اجتمع صالح فاذا أشفق الوالى ونصحت الرعية فعليه الاحسان وعلى الرعية الصبر والشكر وأما الغنيمة فلمن
شهد الوقعة والمواساة لمن اتى بعد ثلاثة أيام ومن شهد حربكم من مملوك وعتيق بعد ثلاثة أيام فأشركوه والزموا
الاحسان فيما افتتح الله عليكم وختم الكتاب وسلمه للرسول فسار يجد السير الى أن أتى سعدا ودفع اليه الكتاب
فلما قرأه كتب اليه بعد البسملة والحمد بما تجدد أما بعد يا أمير المؤمنين فانى لم أر فارسا مثل القعقاع بن عمرو
التميمى فانه حمل فى العدو فى يوم واحد ثلاثين حملة يقتل فى كل حملة فارسا ولم أر فارسا مثل الحرث الكندى
فانه كان يحمل فى المواكب فيقصم عروتها وأرسل الكتاب الثانى والخمس مع سعد قال ووصل المنهزمون
من الفرس الى المدائن ودخلوا الايوان وحدثوا كسرى بما جرى وبقتل رستم وولده فاغتم لذلك وأيقن
أن دولة الفرس قد انقرضت وانصرمت فاحتجب ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع مات لانه حمل الهم على قلبه
فقام بعده ولده يزدجرد ولم يكن له غيره (قال) حدثنا عبد الله بن مروان قال حدثنا نعيم عن جده وكان أحفظ
الناس للفتوح قال لما وجه كسرى بن أزدشير رستم الى قتال سعد أنفذ معه نصف بيت ماله وهى ستمائة
ألف ألف الى المصف فلما صفت الصفوف وضعها أمام الجيش وقال كل من قتل فارسا كان له كذا وكذا ومن
قتل راجلا فله كذا وكذا فصار ذلك كله الى المسلمين فأرسل الخمس مع سعد وهو مال كثير لا يحصى عدده
لكثرته فلما وصل المال لعمر بن الخطاب بكى وقال أف لمن يغتر بالدنيا أو عبل اليها ثم قرأ قل متاع الدنيا
قليل والآخرة خير لمن اتقى فوالله لم يلتمس منه قليلا ولا كثيرا ولا درهما ولا دينارا فقالت له حفصة يا أمير
المؤمنين لو رفقت بنفسك وأكلت طعاما أطيب من طعامك ولبست ثوبا أميز من ثوبك فقد فتحت لك الفتوح
وأتت الاموال فتمعر وجهه غضبا وقال لها ناشدتك الله أخبرينى عن أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من بيت أموال المسلمين قالت ثوبان كان يلبسهما يوم الوفد ويخطب فيهما يوم الجمعة والعيدين فقال
اى طعام كان يأكل عندكن قالت خبز الشعير وكان عندنا فى أسفل مكة دسم فان تظاهر طعمه فيها يقول

فيها ابراهيم بك غيطاس
الى أرض الصعيد مع
طائفة من صناجق مصر
وهرب أيضا عمر بك بن
على بك مع طائفة من
الصناجق الى أرض الحجاز
(وتولى بعده والياً بمصر
الوزير أحمد باشا) فدخل
مصر أول يوم من شهر محرم

قد زدتن فى الدسم قال فأى بساط كان يبسطه عندكن قالت كان لنا كساء نجعله فى الصيف تحتنا وفى الشتاء نفرش نصفه ونلتحف بنصفه فقال يا حفصة ان مثلى ومثل صاحبى كثلاثة نفر تتابعوا طريقا فمضى الاول وقد زاد فبلغ ثم تبعه الثانى فسلك طريقه فمضى اليه ثم تبعهما الثالث فان لزم طريقهما ورضى بزادهما كان معهما وان سلك غير طريقهما لم يجتمع معهما أبدا

﴿ذكر فتح نهرشير﴾

﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى﴾ وان عمر رضى الله عنه بعث الى سعد بان يمضى الى المدائن وأن يخلف النساء والاولاد فى الحيرة ويجعل عندهم من الجند جماعة ويجعل لهم شركة فى كل مغنم وكان مقام سعد بعد الفتح بالقادسية شهرين فلما استهل الشهر الثالث أنفذ على مقدمته زهرة بن جوية وأتبعه بعبد الله وشرحبيل ابن الشمطاء وأتبعهما بهاشم بن عتبة وخالد بن عرفطة صاحب الساقة وقسم الجيش معهم بعد غنموا ما كان فى عسكر الفرس من مال وسلاح وكراع وكان رحيلهم من القادسية لبضع أيام مضين من شهر شوال قال ونزل زهرة بالكوفة بمن معه ولحق به عبد الله وشرحبيل بمن معهما وتتابعت الجيوش وارتحل زهرة وسار الى بابلس ونزل عليها واذا بأناس من أهل السواد أتوا اليه وطلبوا منه أمانا فأعطاهم وقال لهم ما عندكم من خبر العدو فقالوا أيها الامير استعمل الحذر جلبا بالتيقظ بابا واعلم أن رجلا من المراز بة قد ضمن لكسرى لقاءكم وردكم ومعه عسكر جرار فقال زهرة أبعد الله شره وجعل كيده فى نحره فبينما هو كذلك اذ أشرفت عليهم طلائع القوم وتبينت لهم البيارق والازدهارات فركب زهرة لقتالهم ورتب أصحابه للحرب وهو يقول ان ينصركم الله فلا غالب لكم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولما أشرفت الكتائب أطلقوا ألسنتهم بذكر الله وتسارعوا اليهم فأوسعوا لهم الميدان وتقدمت الصناديد وتأخرت الرعاديد وضج المسلمون بالتكبير وطعنوهم فى صدورهم ونحورهم واذ قد وقعت عين زهرة على فارسهم العميد وبطلهم الشديد فقصده دون غيره وتطاعنا وتضاربا وتقاربا وتباعدا ثم ان زهرة رماه بطعنة فى صدره فخرج السنان من ظهره فخر الى الارض صريعا فلما رأوه ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وكان فيهم رجل من أكابرهم ذو عقل سديد ورأى رشيد فلما رأى ما حل بقومه أتى الى زهرة طائعا مختارا وعقد له معه صلحا فأعطاه أمانا وسأله عن خبر جيوش كسرى فقال يا سيدى اعلم أن أكابر من انهزم منهم بالقادسية قد اجتمعوا وهم النهرجان والمهراق الدارى والهرمزان فقال لهم القيروان بأى وجه تعودون للملك كسرى وقد أعطاكم الوظائف والعطايا والولايات فأقيموا ههنا حتى تبيض وجوهنا عنده أو نهلك عن آخرنا قال فلما سمع زهرة وعبد الله وشرحبيل وهاشم وخالد انتظروا سعدا حتى أتى وأعلموه فقال استعينوا بالله وتوكلوا عليه وكانوا قد ملكوا الجسر فعبروا عليه وعدوا الى الجانب الآخر وأشرفوا على جموع القوم فوقعت فى الفرس الاراجيف وتمكن الخوف من قلوبهم وكلما عبى الهرمزان والقيروان جيشهما وصفا صفا انتقض بغيره فعلم أن ما فيهم خيرا وما كانت الاساعة حتى فرق الله جموعهم وبدد شملهم وانطلقوا على وجوههم فمضى الهرمزان الى الاهواز وكانت كنوز كسرى فى جبل ظاهر الاهواز وكان عليها مقدما نهاوند فلما بلغه هزيمة العسكر نهبها وأما النهرجان ومهراق فانهما اقصدا المدائن وعبرا نهراشير وهى مدينة الذنب قال فلما حصلوا بأعدوة القصوى وقطعوا الجسر قصدوا الايوان ويزدجرد هنالك فدخلوا عليه وحدثوه بما جرى لهم مع العرب فلما سمع ذلك أيقن بزوال ملكه فلما كان الليل عول على أن ينفذ أمواله وذخائره الى نهاوند وتهيأ للحرب وأما زهرة فانه سار فى أثر القوم حتى جاوز سوار ونزل وأتى بعده هشام والمرقال ونزلا عنده حتى تكامل الجيش ونزل سعد بن أبى وقاص وارتحلوا الى كوثاريا وأشرفوا عليها فلما رأى الفرس عسكر المسلمين قد أشرف عليهم أخذوا أهبة القتال وتهيؤا وقدمهم شهريار فلما وصل اليهم زهرة ورآه شهريار وقع الرعب فى قلوب أصحابه وماج بعضهم فى بعض ولولا خوفهم من شهريار لولوا الادبار ورتب زهرة أصحابه فلما استوت الصفوف خرج شهريار للبراز وعليه زى الملوك الاكاسرة وقال أنا شهريار فهل يبرز الى فارس الفارس أو اثنان الفارس أو عشرة الفارس فلما سمع زهرة قال والله لقد أردت برازك غير انى لا أدع أحدا يخرج اليك الا عبدا فان قتلته فتكون قد قتلت عبدا وان قتلك فهو المراد ثم انه دعا بمولاه أبا نباتة الاعوجى فقال له دونك وهذا العلج واستعن عليه بالله فخرج اليه أبو نباتة فلما وصل اليه ونظره استحقره لان شهريار كان مثل البعير فألقى نفسه على أبى

افتتاح سنة اثنتين وستين ومائة والف وأقام واليا بها الى عاشر شوال سنة ثلاث وستين ومائة والف (وتولى بعده وزارة مصر الوزير شريف عبد الله باشا) فدخل مصر

نباته وقد جرد سيفه فلما رآه أبو نباتة قد وصل اليه صادمه كأنه أسد وتضاربا بالسيوف حتى تكسرت فرمياها وتقابضا حتى سقطا الى الارض فوقع شهريار بأبى نباتة وهو يراوغه فوقعت ابهام شهريار فى فم أبى نباتة فقطعها فارتخت أعضاؤه فانفلت وانقلب عليه فصار فوقه وجرد خنجره وطعنه به فى نحره فقضى عليه فأخذ تاجه وسواريه وسلبه وفرسه وعدته وتوجه بها الى المسلمين فلما نظر جيشه ما حل به ولوا الادبار وأقام زهرة هنالك الى الصباح وأقبل بقية الموحدين فحدث زهرة سعدا بما جرى لمولاه مع شهريار وكيف انهزم الفرس ففرح سعد بذلك وأمر أن يحضر أبا نباتة فأحضره فقال سعد عزمت عليك الا لبست سواريه ودرعه وتاجه وركبت جواده قال ففعل فأعطاه السلب جميعه وقال له قد أفلحت فكان أول مسلم سور بالعراق (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا نوفل بن عدى قال أخبرنا وائل بن غانم اليشكرى قال لما قدم سعد الى كوثاريا نزل فى المكان الذى سجن فيه ابراهيم الخليل عليه السلام فصلى فيه وحمد الله وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقرأ وتلك الأيام نداولها بين الناس الآية قال وأقام سعد بكوثاريا أياما ثم دعا الناس اليه وقال لهم اعلموا ان الله تعالى قد نصركم فى مواطن كثيرة وقد أراكم ما وعدكم نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم لما قال ستفتح على أمتى كنوز كسرى وقيصر وقد ملكتم طرفا من كنوز كسرى والتمام على الله وقد عولت على العبور الى المدائن التى من الجانب الغربى فقالوا جميعهم أيها الأمير ما منا من يخاف ولا يبخل بنفسه على الله ورسوله فاعزم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال فلما سمع قولهم قدم زهرة برايته وجيشه وأمره أن يسير فسار فى اثنى عشر ألف فارس فما سار غير قليل اذ رأى بين يديه خيلا وعليها فوارس فأخذوا أهبتهم فاذا هم زهاء من مائتى فارس من الفرس فارسلوا منهم فارسا يعلم المسلمين انهم أهل ساباط ومقدمهم يقال له سرزاد وهو يطلب لأهل بلده صلحا وعهدا فقال له زهرة ائتنى بهم فلما قربوا منهم ترجلوا وأتوا المسلمين فتلقوهم بالبشر والسرور فقال لهم زهرة من أنتم قالوا نحن أهل ساباط وهذا مقدمنا وقد أقبلنا نطلب صلحكم فقال زهرة من قصدنا قبلناه ومن أراد صلحنا صالحناه واستوثقوا ما نريد الفساد فى الارض ثم أمضى صلحهم على ما وقع عليه الاتفاق بينهم قال وانطلق سرزاد الى قومه ومعه جماعته فرحين بالصلح فلما نزل زهير فى نهرشير وجد كتائب الفرس وعليهم مقدم يقال له فيروز وهو فارس قومه ومعهم كتيبة كسرى التى يعتمد عليها فى وقت شدته قال واجتمع جيوش الموحدين عند زهرة مع سعد وتأهبوا للقتال (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما ترتبت الصفوف كان أول من برز واشتهر وعلا وافتخر فيروز ورطن بالفارسية وقال يا هؤلاء العرب لقد أطمعتم أنفسكم فيما لا تصلون اليه وساءت ظنونكم وزعمتم أنكم تملكون العراق وتأخذونه من أيدى الاكاسرة وهذا ظن لا يصير أبدا ونحن كتيبة كسرى أولوا الشدة والبأس والقوة والمراس وأنا مقدمهم ورئيس فيهم فليبرز الى مقدمكم ويفعل مثل ما فعلت أنا من بين قومى قال فما استتم كلامه حتى خرج اليه هاشم بن المرقال يجر قناته من ورائه وحمل عليه وحصل بينهما حرب يشيب منه الطفل ثم ان هاشما طعنه فى صدره فأطلع السنان من ظهره قال فلما قتله هاشم ورجع الى المسلمين قبله سعد بين عينيه فترجل هاشم وقبل رجل سعد وقرأ أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال قال وارتحلوا فى أثرهم الى أن نزلوا نهرشير وبقى كلما أقبلت قبيلة تكبر وتنزل الى أن أحاطوا بهم من كل جهة فأظهر القوم الزينة والسلاح والعدد والمجانيق وهم على الاسوار (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأقام سعد على نهرشير شهرين وبعث خيله للغارات على شط الفرات والدجلة فأتوا ومعهم ألف فلاح فضمهم الى سرزاد مقدم ساباط حتى يأتيه الجواب فيهم من عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويرجعوا الى مقرهم فكتب سعد الى أمير المؤمنين يقول بعد البسملة أما بعد سلام عليك ورحمة الله وبركاته فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه وانا نزلنا على نهرشير بعد ما لقينا فيما بين القادسية ونهرشير عسكرا مع قرط بن فيروز وظفرنا الله به وبمن معه وان فيروز قاتله هاشم وانهزم من بقى معه ونزلنا بعد ذلك على نهرشير وبثثنا عساكرنا فأصابوا من الفلاحين ألف نفر فما رأيك فيهم فأجابه أن من أتاكم من الفلاحين اذا كانوا مقيمين على عهدكم ولم يعينوا عليكم عدوكم فلهم أمانهم ومن لم يأتكم وهرب منكم وأدركتموه فشأنكم واياه افعلوا فيه ما شئتم فلما جاء الكتاب خلى سبيلهم وأرسل وراء الدهاقين يدعاهم الى الاسلام أو الجزية فأجابوا الى أداء الجزية قال وأما أهل مدينة نهرشير فشرعوا يرمون عسكر المسلمين بالسهام والحجارة والمجانيق فلما نظر سعد الى ذلك دعا سرزاد

فى شهر رمضان سنة أربع وستين ومائة وألف ومكث الى سنة ست وستين ومائة وألف ثم عزل (وتولى بعده وزارة مصر محمد باشا أمين) فصار مستمرا على ولاية مصر من خامس شهر شعبان المكرم سنة ست وستين

وقال له ان أهل هذا البلد لم يتركوا الصلح موضعا وأريد منكم ان تصنعوا لنا مجانيق ففعل سرزاد وعمل مجانيق فما مضت ثلاثة أيام حتى صنع له ذلك ونصب له ذلك على نهرشير أكثر من عشرين منجنيقا فاشغلوهم بها عن قتال المسلمين والعرب ففرحت بذلك فلما طال على البلد الحصار خرجوا يقاتلون المسلمين وتبايعوا على الصبر فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا وترامت الفرس بنشابها والعرب بنبالها وقاتل زهرة بن الجويرية قتالا يرضى الله ورسوله ثم ان زهيرا قال لسعد دعني أتقدم لعلي أرمي نبلة أو أضرب بسيفي هذا ضربة فتقدم ودخل العدو فتلقاه فارس اسمه شهرياض فحمل عليه وطعنه طعنة أخرج بها أمعاءه وقتله فاجتمعت عليه الاعاجم فقتلوه وانهزموا ودخلوا المدينة وأغلقوا الابواب وصعدوا على الاسوار وبعدها أشرف علينا رجل منهم وقال ان الملك يقول لكم هل لكم في الصلح على أن لنا ما بين دجلة الى هنا ولكم ما يأتيكم من دجلة الى خيلكم فتقدم اليه أبو مقرة الاسود بن قطبة وقد أنطقه الله بما لا يدري ما هو فاجابه بالفارسية وهو لا يعرف منها شيأ ولا يحسنها قال فرجع الرجل على السور فقلنا لابي مقرة ما قلت له فقال والذي بعث محمدا بالحق ما أدري ما قلت له الا أن الله أنطقني بشئ ولعل أن يكون فيه خير للمسلمين ولا زالوا يسألونه حتى سأله سعد بن أبي وقاص فقال والله يا أمير ما أعلم ولا أدري فتعجب سعد من ذلك وأمر الناس بالزحف والرمي وان لا أحد من أهل المدينة يظهر لهم ولا يبين فقلنا لعلهم أن يكونوا يكيدوننا بمكيدة واذا نحن في اليوم الثاني برجل قد خرج الينا وهو ينادي الأمان الأمان فأمناه وأتينا به الى الامير سعد فقال له ما الخبر قال ان القوم ايسوا في المدينة وقد هربوا فقال سعد ومن أي شئ هربوا فقال الرجل ان الملك بعث اليكم رسولا يعرض عليكم الصلح فاجبتم انه لا يكون بيننا وبينكم صلح ابدا حتى نأكل عسل افريزيانوح كونا فلما بلغته هذه الكلمات منكم قال واويلاه ان الملائكة تتكلم على السنتهم وترد علينا وتجيبنا عن العرب والله لئن لم يكن كذلك والا فما هو شئ ألقي على فم هذا الرجل فابرزوا الى القصوى فخرجوا من البلد وقد تركوا المتاع والاموال والرجال ولم يكن لهم غنيمة الا أنفسهم قال فلما سمع سعد ذلك من الرجل حمد الله شكرا وأمر المسلمين ان يدخلوا المدينة بالعدد خوفا من الكمين ففعلوا وركب سعد وتقدم المجاهدون ودخلوا ودار وا بالبلد فلم يجدوا في نهرشير احدا من الفرس ووجدوا الاموال على حالها فاحتووا عليها وأقام سعد بها ثلاثة أيام وخرج الى الشط وأراد ان يعبر بالناس الى المدينة القصوى وهي أسبانير فلم يجدوا شيأ من السفن فاقام أياما من شهر صفر والناس يحرضونه على العبور الى ذلك الجانب وهو يأبى اشفاقا على المسلمين فبينما هو كذلك اذ جاءه اعلاج فوقفوا بين يديه ودلوه على مخاضة تخاض فأبى

﴿ذكر فتوح الايوان ودخول المسلمين في الدجلة وفتوح أسبانير وهي المدينة القصوى﴾

فلما دلوه على المخاضة ابى وقال بحر عميق وما كنت أغرر بالمسلمين والله يصنع بهم ما يشاء فبينما هو كذلك اذ أتوه بعلج وأثوابه تقطر بالماء فسأله سعد عن حاله فقال كيف حالي والملك قد رأى في منامه ان المسلمين قد عبرت اليه وقد استشعر بزوال ملكه وهو معول على الهرب وان يأخذ أمواله ويمضي الى خراسان قال فلما سمع سعد ذلك جمع المسلمين وحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس ان عدوكم قد استعصم منكم بهذه السفن وكسرى قد عول على الهرب بامواله ورجاله واني قد عولت على العبور ان شاء الله تعالى واعلموا انه ليس وراءكم من تخافونه لان الله قد ملككم معاقلهم وبلادهم وقد رأيت من الرأي أن نقطع هذا البحر اليهم ونقدم عليهم فما أنتم قائلون فقالوا جميعا قوى الله عزمك على الرشد فافعل ما أراد الله به فعندها قال سعد رحمكم الله ونصركم ايكم يبتدئ أو يتقدم ويحبس لنا المخاضة ويبنش علينا من على الشط حتى تتلاحق به الناس فابتدرها عاصم بن عمرو وانتدب معه ستمائة من أهل النخوة ممن شاع ذكرهم وعلا فخرهم وعلمت شدتهم وسار عاصم أمامهم حتى وقف على الشط ومعه الكتيبة الخرساء وهي كتيبة القعقاع بن عمرو رضي الله عنهم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثنا يونس بن عبد الاعلى عن يوسف بن عمرو قال ابتدر عاصم وشرحبيل وأبو مقرن ومالك بن كعب الهمداني ومثل هؤلاء السادات وركبوا خيولهم واقتحموا الدجلة واقتحم بعدهم الستون والستمائة في اثرهم وأول من نزل في الماء عاصم بن ولاد وأبو مقرن وشرحبيل ومالك بن كعب وغلام من بني الحرث فلما رآهم الاعاجم وقد قربوا منهم واعدوا للخيل التي تقدمت خيلا منهم اقتحموا الماء فاول من لقيهم من جيش سعد عاصم بن عمرو فلما التقى خيل فارس في الماء صاح بأصحابه وقال شرعوا رماحكم الى الاعلاج واقصدوا اعينهم

وماية وألف وتوفى فى خامس شهر شوال من السنة المذكورة فكانت مدة توليته شهرين مرضا ودفن بجانب قبة الامام الشافعى رضى الله عنه (وتولى بعده الوزير مصطفى باشا) فطالع القائمة ثالث

المسلمون سمعوا كلام عاصم قصدوا عيون العدا وسقوهم كاس الردا فلما رأت الفرس ثبات العرب فى الماء كثباتهم فى الارض للطعن والضرب ولوا الادبار والمسلمون فى أثرهم فقتلوا غالبهم وما نجا الى الشط الا القليل وملك المسلمون جانب الشط من جهة الفرس وتلاحق المسلمون فلما علم سعد ذلك أذن للمسلمين بالاقتحام وقال لهم استعينوا بالله وتلاحق الجند ونزلوا الدجلة وهى ترمى بالموج والناس يجهدون فى عومهم وهم لا يكترثون الموج ولا بتلاطمه وكأنهم على وجه الارض ونزل بأهل فارس مالم يكن فى حسابهم وقاتلوا قتالا شديدا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى من أثق به أن أول من عبر من الجيش ستون فارسا خر جوا زمرا فأول زمرة ستة أولهم عاصم والزمرة الثانية ثلاث وثلاثون قال عاصم بن عمرو وقد اقتحمنا الدجلة خيلا ورجالا ودواب حتى نزلناها ولا نرى الماء من كثرة الناس وخرجت خيلنا وهى تنفض معارفها وتصهل على الشط الحاملا من الله قال ولما رأى الملك كسرى أن المسلمين قد عدلوا الى الجانب الثانى أمر شهريار بن ساو رأن يبرز للمسلمين ويقف فى مقابلتهم ففعل وأخذ كسرى ماقدر على حمله من أمواله من الدر والجواهر واليواقيت وما أشبه ذلك قال وان سعدا يخوض الماء خوضا وهو يقول ذلك تقدير العزيز العليم قال ولم يغرق من الناس أحد (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى النعمان بن عاملة الضبى عن أبيه عثمان أنهم سلموا عن آخرهم وان رجلا من بارق يقال له غرقدة زال عن فرسه وكانت شقراء وكأنى أنظر اليها وصاحبها غريق فضى اليه القعقاع بفرسه وأخذ بيده وجره حتى عبر به فقالت الناس عجزت النساء أن تلد مثلك يا قعقاع ولم يذهب للناس فى الماء شئ الا قدحا كانت علاقته رثة فانقطعت فذهب الماء بالقدح فقال صاحبه والله لاجهدن عليه وما كان الله ليسلبنى قدحى من بين العسكر فلما عبروا اتى رجل من الناس ليغتسل واذا بالامواج قد رفعت القدح اليه فتناوله وأتى به الى العسكر فعرفه صاحبه فأخذه (قال الواقدى) حدثنى عمرو بن تميم قال بلغنا انه لما عبرت المسلمون تحامت الفرس وقاتلت قتالا شديدا وحمت أنفسها وعولت على ان تقاتل الى أن تموت وهم خواص الملك وأصحاب الايوان والحصون والقلاع ومقدمهم شهريار بن ساو رفطعنه خالد بن عمير فى عينه ففقأها وانثنى عليه ضربه بالسيف فقتله واذا قد جاءتهم خيالة من نحو الايوان وقالوا لهم عمن تقاتلون فان الملك هرب باموالـه واهله وخدمه قال فلما سمعوا ذلك ولوا الادبار ولم يكن بالمدائن أعجب من عبور المسلمين اليها وسموا يوم عبورهم الدجلة يوم الجراثيم لانه لم يكن أحد يعبر الا ظهرت له جرثومة يسير عليها وهى من القش المربوط حزما (قال) قيس بن أبى حازم خضنا الدجلة وهى تطفح فلما توسطناها كان يصل الماء من الفرس للحزام فلما نظرت الفرس الى ذلك والمسلمون يعبرون من غير مشقة جعلوا يقولون بالفارسية ديو ربعنى جاء الجن وقالوا والله ما أنتم تقاتلون انسا انما تقاتلون جنا فانهزموا وأراد المسلمون الدخول الى الايوان فمنعهم سعد من ذلك وقال لهم اياكم والعجلة فى الامور فانها تورث الندامة وانى أخاف انها من بعض مكايد العجم فلم يدخل اليه أحد قال وتقدم سلام المجازى الى سعد وكان غلاما وقال له أيها الامير والله لقد أرضيت اليوم الله ورسوله وقتلت المقدم عليهم ثم انه استشهد ببقية رفاقه الستين فلم يشهد له أحد منهم فقال للغلام المجازى والله ماقتلته فنكس الغلام رأسه وأراد أن ينصرف واذ قد وثب رجل من الصحابة اسمه هاشم بن عتبة وقال لسعد أيها الامير أنا رأيته وقد قتل مقدم الفرس فصدقه سعد وأعطى الغلام سلبه (قال الواقدى رحمه الله) حدثنا عبد الله بن بشر قال حدثنا سليمان بن عامر قال أخبرنا عبد الله أن يزدجرد الملك لما كان بأعلى الايوان يوم خاض المسلمون الدجلة ورأى عبورهم والخيل لا ترجع والعرب لا تجزع والصحابة يتحدثون وهم فى الماء كانهم على الارض أيقن بزوال ملكه وذهاب عزه فنزل وهو يبكى وأخذ من بيوت المال والخزائن من الثياب والآنية شيأ لاقيمة له ولا يعرف له ثمن وترك ما بقى عنده من عدة الحصار من الزاد والبقر والغنم ومن كل الاطعمة والاشربة وكان أول من دخل المدينة القصوى مسكن الملك وهى اسبانير يعقوب الهذلى ومعه الكتيبة الخرساء كتيبة القعقاع بن عمرو وقد خلوا يخترقون أزقة المدينة ولا يلقون أحدا قال فعزم سعد على الدخول فى المدينة القصوى لما أمر زهرة بن الجويرية أن يذهب ويتبع المنهزمين وسير كتيبة أخرى مع المرقال فلحق بحاجب من حجاب ابن كسرى فخاطبه بالفارسية فقال ان العرب قد عبرت الينا ولم يعرفه فطعنه المرقال فقتله وأخذ غلمانه أسرى وهو جودهم وأتى به الى سعد

شهر ربيع الاول سنة سبع وستين ومائة والف ﴿وفى مدته توفى السلطان محمود خان﴾ ابن السلطان مصطفى خان ثامن عشر صفر الخير سنة ثمان وستين ومائة والف (وتولى السلطنة بعد موته بيومين أخوه السلطان عثمان خان) ابن

ويقال أحد مرازبة كسرى الكبار كان يوم دخل العرب المدينة دخلها وكان غيره كثرت بهم فخرج الى ظاهر داره ورجع يريد منزله واذا بغلمانه وهم خارجون من الدار يهرعون وقد أخرجوا الامتعة فقال مالكم قالوا ان الزنابير قد غلبت على منازلنا فاخرجتنا قوة قال واشتد الصياح والبكاء والعويل من أهل المدينة وهم يلطمون على وجوههم فلما رأى المرزبان ذلك أخرج لامة حربه ولبسها واتوه بجواده فشده وأسرجه فانقطع ثلاث مرات فمر به فارس من العرب فطعنه وقال خذها وأنا ابن المخارق ومضى عنه ولم يلتفت الى سلبه قال ودخل سعد يطلب الايوان فلما دخل المدينة دخلها وهو يقرأ وأورثناها قوما آخرين فلما دخل الايوان ترجل وصلى فيه صلاة الفتح ثمان ركعات لا يفصل بينها واتخذه مسجدا قال وكان الايوان تماثيل وصور فتركوها على حالها قال واتم سعد الصلوات من يوم دخل الايوان فانه أراد المقام بها وجمع وكانت أول جمعة صليت بالعراق وبالمدائن في شهر صفر ثم ان سعدا تحول من الايوان بعد ثلاثة أيام الى القصر الابيض وأقام سعد على قبض أموال الغنائم عمرو بن عمرو بن مقرن وأمره أن يجمع ما في القصور والايوان والخزائن والدور والاسواق وان يحصيها وكان أهل المدائن لما رأوا العرب في أرض واحدة خرجوا فرارا وأخذوا معهم ما قدروا على حمله وما انفلت أحد منهم بشيء الا واخذه منهم المسلمون وأتوا به الى سعد فتسلمه عمرو وزهير داخل جملة ما جمعوه من الاموال وكان أول شيء جمعوه يومئذ بالقصر الابيض ثم منازل كسرى وسائر دور المدائن قال جهد بن صبار دخلنا المدائن فمررنا بأجيار عليها أغطية من رصاص فظننا انها طعام ففتحناها فاذا هي أوان من ذهب وفضة ورأينا كافورا كثيرا فخبزناه ملحا فلما عجنا برناه قال وخرج زهرة في طلب المنهزمين فانتهى الى جسر النهروان واذا عليه كثير من الفرس باعظم عدة وأحسن زينة وهم يزدحمون على الجسر قال فوقع بغل في الماء فتكاثروا عليه وتكالبوا عليه وصاح بعضهم على بعض قال ووقع منهم بغل آخر فسار وافى هرج ومرج فلما رآه المسلمون قال زهرة ان لهذا البغل لشأنا وما تكالب عليه القوم وصبروا الا مع ما في قلوبهم من الخوف الا لامر عظيم وقال احملوا عليهم وابذلوا فيهم السيوف قال فحملنا عليهم حملة صادقة فقتلنا منهم أناسا كثيرة وولى الباقي منهزمين وأخذنا البغل واذا عليه حلة كسرى وثيابه ودرعه ووشاحه التي كان فيها الجوهر وكان يجلس بها للمباهاة قال فأتينا بها قال سهل ابن سابق لما أخذنا البغل وأتينا به لم ندر ما عليه ❊ وعن يعقوب عن جده قال كنت مع من خرج في طلب المنهزمين واذا نحن ببغلين مع اثنين وهما يرميان كل من يقرب بهما بالنشاب ولم يجسر احد ان يدنو منهما فقصدتهما وحملت عليهما وقتلتهما واتيت بالبغلين الى صاحب الاقباض وهو يكتب كل ما أتى به العرب من سائر العراق فلما أتيته بالبغلين قال لي على رسلك حتى ننظر ما معك فحطيت عنهما فاذا في الحمل الواحد تاج كسرى وجواهره وفي الحمل الثاني ثيابه وهي موشحة بالذهب منظومة بالدر وعن محمد بن طلحة والمهلب قالا خرج القعقاع في طلب المنهزمين فلحق بفارس من الفرس وهو يكر على قوم من المسلمين وقد جزعوا منه وما احد منهم يدنو اليه فقصده القعقاع بشدة عزمه وقال له دونك أيها الكلب الاثيم لقتالي وطعنه فقتله ووجد معه عيبات مغلقات ففتحوها فاذا بالعيبة الواحدة خمسة أسياف وفي الاخرى خمسة أسياف محلاة بالذهب ودروع كسرى ومغفره ومنطقته ودرع هرقل ملك الروم ودرع خاقان ملك الترك ودروع جماعة من الملوك قد اجتمعت عند كسرى من أيام غزواته لهم وأما السيوف فكانت سيف كسرى وسيف هرقل وسيف بهرام وسيف خاقان وسيف النعمان بن المنذر فلما رآها سعد قال يا قعقاع خذ أي سيف شئت وجاهد به العدو فأخذ سيف هرقل وأعطاه درع بهران جور وأما بقية الاسلاب فأعطاها للكتيبة الخرساء الا سيف كسرى والنعمان فأمسكهما الامير المؤمنين يرسلهما مع الخمس والتاج والثياب ❊ وعن رجل من الصحابة قال كنت مع الناس في طلب المنهزمين من خيل كسرى فبينما أنا على طريق اذا برجل ومعه حمار وكان راكبا عليه فلما رآني ترجل وجعل يحث حماره على السير حتى انتهى الى نهر قد خرب فلم يمكنه العبور فدنوت منه فاخذ يرميني بالسهام فزغت عن رميه وحملت عليه فقتلته واخذت الحمار ووجدت آخر معه حمار فتركه وانهزم فاتيت بهما الى صاحب الاقباض فاذا على أحدهما فرس مصوغ بالذهب والفضة مرصع بالدر والجوهر ولجامه كذلك وسرجه كذلك وعليه فارس كذلك واذا على الحمار الآخر ناقة من فضة وعليها كور من

السلطان مصطفى خان وله عمارة عظيمة قريبة من آيا صوفية واستمر الوزير مصطفى باشا والياً بمصر حتى ورد الخبر في أول شهر ربيع سنة تسع وستين ومائة وألف بعزله وتولية على باشا حكيم أوغلي وهي

الذهب مرصع ولها زمام من ذهب وكل ذلك منظوم بالياقوت وعليها رجل من ذهب مرصع بالجوهر وكان كسرى يضيفه للتاج وكان يباهى به ملوك الارض * وعن أبى عبيدة الطبرى قال لما هبط المسلمون بالمدائن وجمع صاحب الاقباض الغنيمة وبقى الرجل يأتى بما معه فيدفعه الى صاحب الاقباض فقال صاحب الاقباض ما رأينا مثل هذا قط ثم قال للرجل الذى أتى بالجمار بن بالله عليك أهل أخذت شيأ منه فقال والله لولا الله لما أتيتكم به فقالوا له وما أنت فقال والله لا أخبركم لتحمدونى ولكن أحمد الله وأرضى بثوابه ومضى فتبعه واحد منهم الى صاحب الاقباض فسأل عنه فقالوا هذا عامر بن عبد القيس قال وبلغ الخبر سعدا رضى الله عنه فقال احلف بالله الذى لا اله الا هو اننا ما اطلعنا على أحد من أصحاب جيش القادسية يريد الدنيا ولقد اتهمنا ثلاثة نفر فاتبعناهم فعجزنا عن وصف أمانتهم وزهدهم وهم طلحة بن خويلد الذى ادعى النبوة بعد النبى صلى الله عليه وسلم والثانى عمرو بن معديكرب والثالث هو قيس ابن هبيرة (قال) حدثنا من شهد فتح المدائن قال خرجنا بعد فتح القصر الابيض وكان قد تحصن به رجال من المرازبة وكان أشد جلدا وأقوى عزيمة من جميع الفرس وتحالفوا أنهم لا يسلمون أبدا والذين حصلوا وتولوا حصارهم كتيبة الاهواز وهى كتيبة القعقاع فلما رأينا عزمهم على الموت بعد ناعن نشابهم وحجارة مجانيقهم وطال علينا ذلك وشكونا ذلك الى سعد وقلنا له قد حرمنا الجهاد بحصارنا لهؤلاء الاعلاج فقال لسعد لسلمان تقدم اليهم وديرشيأ فيه مصلحة للمسلمين وأمنهم فتقدم اليهم سلمان وكلمهم بالفارسية فاميكر عن رميه وقالوا له من أنت فقال أنا رسول من المسلمين اعلموا أن الرجل يقاتل عن نفسه وماله وولده اذا رجا الخلاص وما أرى لكم من خلاص قط وهذا الملك قد انهزم وأخذنا مملكته وخزائنه ومابقى فى المدائن أحد غيركم فاتقوا الله فى أنفسكم ولا تهلكوها وسلموا القاهذا الناحصن ولكم الامان الى أى جهة توجهتم لا يعارضكم منا أحد قال فلما سمعوا قوله قالوا الا نسلم حتى نهلك عن آخرنا ثم رموا سلمان بالنشاب فقرأ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وأشار الى النشاب بيده فذهبت السهام عينا وشمالا ولم يصبه منها شئ قال فلما رأوا ذلك قالوا انهزارفهى من تشير اليه من أنت قال أنا روزبة وقد عمرت أربعمائة سنة ولحقت آخر أيام عيسى بن مريم وطفت الارض حتى لحقت بنبى هذه الامة صلى الله عليه وسلم فلما أتيته أكرمنى وخدمته فعظمنى حتى انه جعلنى من أهل بيته فقال سلمان منا أهل البيت فلما سمعوا قوله وحققوا معرفته علموا أنه كان من عظماء أهل دينهم قال فصدقوه وقالوا والله ما نخفى عليك شيأ من أمرنا وسبب قتالنا فانه ليس بسبب مال ولا متاع وانما الملك قد مضى يريد نهاوند ولم يقدر على أخذ بنته معه وهى مريضة وقد سلمها الينا والزمنا من أمرها ما لزم فان كنتم تعطونا الامان عليها سلمنا لكم والا نموت يدا واحدة فلما سمع سلمان منهم ذلك قال دعوا هذا الامر حتى أشاور الامير ثم عاد وحدث سعدا بما سمعه فقال يا عبد الله ان المسلمين قد انتشروا فى العراق ونخاف أن يقع بهم أحد فلا يبقى عليهم ولكن قل لهم لكم علينا أن نذب عنكم وتكونوا فى ذمامنا حتى تجاوزوا الى أى جهة تريدونها وبعد ذلك لا نضمن لكم ما يأتى عليهم قال فحدثهم سلمان بما قاله الامير فقال العقلاء منهم لولا أن العرب على حق ما نصروا علينا ومن الرأى أن نرجع الى دين هؤلاء العرب ونعيش فى ظلهم وان القوم لا يريدون ملكا وقد رأيتم هذا الرجل وما ظهر لكم من كرامته قال ففتحوا باب السر وخرجوا الى العسكر وأتوا الى سلمان فأتى بهم الى سعد وأسلموا على يديه فلما جرى ذلك بكى سعد وقال اللهم انصر الاسلام وقرأ قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس وبعث الى صاحب الاقباض فأخذ جميع ما فى القصر الابيض من الاموال وخزائن الملك فلما قسم الغنائم على المسلمين أعطى أولئك أوفى نصيب وأنزل كل واحد منهم فى داره فلما رأى أهل البلد ذلك منه وما صنع مع هؤلاء دخل فى دين الاسلام منهم ألوف اقتداء بالقوم ﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى﴾ حدثنا موسى بن عبد الله عن عمرو عن جده يحيى قال بلغنا غير هذا وذلك أن هاشم بن عتبة تبع المنهزمين من جنود الملك فانتهى سيره الى مرج حلوان فالتقى بكتيبة من أهل فارس بالعدد والسلاح والهوادج والخدم والجوارى والمماليك وقد دار عجفة من العود الرطب وعليها من الثياب الملونة المذهبة وأهلها من الذهب مرصعة بالجوهر وهى تأخذ بالابصار فلما رأى هاشم ذلك كر عليهم بكتيبته وحملوا بحملاتهم قال فصبروا لهم وقاتلوا دون المحفة قتالا شديدا

التولية الثانية له تحضر وطالع قاعة الجبل يوم الاثنين غرة جمادى الاولى من السنة المذكورة ونشر لواء الاحسان وعم فضله كل انسان وسار فى مصر بسيرته المعهودة وسلك طريقته المشكورة المحمودة (ثم تولى السلطنة)

وكانت المحفة لشاهران ابنة الملك يزدجرد بن كسرى وكان السائر بها ساقر بن هرمز فقتله وقتل أصحابه أكثر ما كان مع ساقر وولى الباقى منهزمين وتسلم هاشم المحفة وما حولها وأتوا بذلك كله الى سعد وأعلموه بان ابنة كسرى معهم فقرأ سعد قوله تعالى قل اللهم مالك الملك الآية ثم أشرف سعد على ما بقى من الخزائن فوجد صندوقا عظيما ظاهره وباطنه بالديباج المذهب وفى داخله بساط كسرى وهو البساط الذى كان يفتخر به على الملوك ملوك الدنيا كله ذهب منسوج بالحرير منظوم بالدر واليواقيت الملونة والمعادن والجواهر المثمنة والزمرد وكان طوله ستين ذراعا قطعة واحدة فى جانب منه كالصور وفى جانب كالشجر والرياض والازهار وفى جانب كالارض المزروعة المقبلة بالنبات فى الربيع وكل ذلك من الحرير الملون والمعادن على قضبان من الذهب والزمرد والفضة وكان الملك لا يبسطه الا فى أيام الشتاء فى ايوانه اذا قعد للشراب وكانوا يسمونه بساط النزهة والمسرات فيكون لهم شبه الروضة الزهراء فلما رآه العرب قالوا والله هذه قطيفة زينة قال ولما قسم سعد على الناس الغنائم أصاب الفارس اثناعشر ألف دينار وكلهم كانوا فرسانا ولم يكن فيهم راجل وأخرج للغائبين مع النساء والحريم فى الحيرة نصيبهم وقسم الدور بين الناس وكان قد ولى القبض عمرو بن عمر المدائنى وولى القسمة سلمان بن ربيعة وكان فتح المدائن فى شهر صفر وأخرج الخمس لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأراد أن يقسم البساط فلم يدر كيف يقسمه فقال سعد معاشر المجاهدين انى رأيت من الرأى أن نرسله الى عمر ليصنع فيه ما يختاره فاجابوه على لسان واحد نعم ما رأيت أيها الامير فرده الى صندوقه وأضافه الى الخمس وكتب الى عمر رضى الله تعالى عنه يقول * بسم الله الرحمن الرحيم الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من عامله على العراق سعد بن أبى وقاص أما بعد فسلام عليك وانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ما منحنا الله الظفر على العدو الذى أطاع شيطانه وأرخى فى ميدان البغى عنانه وقد أجرانا الله سبحانه على جميل العادة وأخذنا الملك من يزدجرد بن كسرى فى كثرة أطواده واحتزاز رؤس أجناده الذين جاست الهيبة ديارهم وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم وقد انهزم عدو الله بعد ما قتلنا جنده وأخذنا ابنته وانا منتظرون أمرك فيما يكون بعد هذا ونحن مقيمون على المدائن والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وسلم الكتاب والمال الى بشر وضم اليه خمسمائة فارس وسلمه ابنة كسرى بمحفتها وخدمها ثم ان سعدا رأى رأيا أن يسير بشيرا يبشر عمر بفتح المدائن وبقدوم الخمس وما أنعم الله على المسلمين ليكون أزيد هيبة وبهجة بالفتوح فارسل جيش بن ماجد الاسدى أو ابن هلال والله أعلم فخرج على ناقته وقصد المدينة يجد السير قال وكان عمر رضى الله تعالى عنه فى كل يوم بعد ما يصلى الصبح يقرأ ما تيسر ويركب ناقته ويتوجه نحو طريق العراق ويترقب ما يرد عليه من أخبار المسلمين قال فخرج على حسب العادة واذا هو بجيش قد أقبل على ناقته فلما رآه عمر قصده وقال له يا عبد الله من أين أقبلت قال من المدائن يا أمير المؤمنين قال فما عندك من الخبر أقر الله عينك وغفر لنا ولك قال أبشر يا أمير المؤمنين بالفتح العميم والسعد الجسيم وان الله سبحانه وتعالى قد هزم جند المشركين وقطع دابر القوم المجرمين وأخلى منهم ديارهم وأخفى آثارهم وزعزع مراكبهم وطحطح مواكبهم وكتائبهم وشتت جموعهم وأخلى ربوعهم وقصم آجالهم وفرق أحوالهم وترك مساكنهم خالية وأوطانهم خاوية قال فلما سمع عمر رضى الله تعالى عنه هذا المقال حمد الله وأثنى عليه وقال خذلوا من منهم وسار وهو يحدثه بفتح المدائن حتى دخل المسجد وتسامع الناس فاتوا حتى غص المسجد بالناس وأقبل جيش يحدثهم وهم يكثرون الثناء على الله ويصلون على النبى صلى الله عليه وسلم وبعدها وصل بشر بالمال ومعه ابنة الملك كسرى ولباسه وتاجه وسلاحه وبساطه فلما نظر عمر الى ذلك قال ان الذى أهدى الينا هذا لأمين فقال على كرم الله وجهه انك عففت فعفت الرعية فحمد الله وأثنى عليه وأفرز من الخمس سهم من غاب من المسلمين وقسم الخمس فى مواضعه ثم قال أشيروا على فيما أصنع فى هذه القطيفة أعنى البساط فقالوا رأيك أعلى فقال على كرم الله وجهه لم يدخل عليك جهل ولا تقبل شكا وانه ليس لك من الدنيا الا ما أعطيت فامضيت ولبست فابليت وأكلت فافنيت قال فوالله لقد صدقتنى يا أبا الحسن ثم انه قسم البساط قطعا بين الناس قال فاصاب كل رجل منهم قطعة فباعها بنحو العشرين ألف دينار فلما فرغ من توزيعه وتوزيع مال الخمس دعا بحكيم بن رواحة وكان من أجسم أهل

السلطان مصطفى خان
ابن السلطان أحمد خان
سنة ألف ومائة واحدى
وسبعين وله محل عظيم
فى اسلامبول وحضر لوازه
مصر فى تلك السنة الوزير
محمد باشا سعيد فاقام سنة
ثم حضر بعده الوزير

المدينة وأجفاهم خلقة فالبسه زى كسرى وشاحه وتاجه وسواريه ومنطقته وحلاه بحليته وعصابته وسيفه
بسلاحه وعدته ونظر الناس اليه كأنه كسرى فى ملكه فقال عمر رضى الله تعالى عنه اعتبروا بالدنيا وتقلباتها
هاهلها وما يرى من مصائبها وعطبها هذا كسرى ما زال يفتخر على ملوك الدنيا بكثرة أمواله وذخائره وجواهره
عزه وجنوده ولم يقدم لنفسه شيئا ينفعه عند الله وغرته الامانى الكاذبة فاخذه الله من مأمنه وبقى مرتهنا بما
كتسب فى دينه ودنياه ثم قال أيها الناس هذا ملك المدائن قد انتقل عن أصحابه وتوزع بين أربابه أين
لك الحشمة والسلطان أين الجنود والاعوان أين الغلمان أين المماليك والخدام أين التاج والاكاليل
ين الجيش والفيل أين الصاحب والخليل وقرأ قوله تعالى قل متاع الدنيا قليل ثم قال أيها الناس من له
نكم يد سابقة فليقم فقام عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فقال أنا يا أمير المؤمنين ابن
صاحب والخليل وابن أول من آمن ووزر وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصر وأنفق ماله وتصدق
دخل معه الغار وانتصر وجاهد بين يديه وحاجج من كفر وجادل وافتخر وأنزل الله فيه لا يستوى منكم من
نفق من قبل الفتح وقاتل فقال عمر رضى الله عنه والله لقد صدقت و بقليل من فضله قد نطقت ثم أمر له
خلعة وعشرة آلاف درهم ثم قال أيها الناس من يقم منكم فقام عثمان بن عفان وقال أنا من جهز جيش
عسرة وحفر بئر رومة وألف القرآن وجمعه فى ركعتين وتزوجت الابنتين وصليت الى القبلتين
أنفقت المال فى حبه وأنزل الله فى حقى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة و يرجو رحمة ربه
قال عمر رضى الله عنه أحسنت يا أبا الفتيان فمثلك من رفض الكذب وأبان الحق فأمر له بعشرة آلاف درهم
ثم انه نظر الى الاخوين الزاهدين والغصنين النضرين سيدى شباب أهل الجنة وريحانتى نبى هذه الأمة
قال لهما يا حبيبى ما الذى أخركما من مثلكما يفتخر اسمكما سبطى الرسول أليست أمكما فاطمة البتول أليس
وكما سيف الله المسلول أليس فى بيتكما نزل التأويل أليس كان سادسكما تحت العباء جبريل أليس
بكما أنزل الله الجليل ما على المحسنين من سبيل فان افتخرتما فلكما الفخر البليغ ثم أمر لكل واحد منهما
عشرين ألف درهم فقال على لله درك يا عمر ومن مثلك تكلم ونشر ومدح أهل البيت وأثنى وذكر خيرا وشكر
قال أيها الناس من كان لابيه سابقة فليقم فقام عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وقال يا أبت أما أنا ابنك وأنت
ى لك الفضائل والجد والافتخار فى الامة ولك الوقار والرجاحة والفصاحة والنصاحة نصرت الاسلام
المسلمين وتبعت سنن سيد المرسلين وأنزل فى حقك أرحم الراحمين يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من
المؤمنين وأنت الذى أظهرت الاسلام جهرا وقامت لا يعبد الله سرا فقال عمر يا بنى الشقى من يغتر بالدنيا الساحرة
السعيد من يعمل للآخرة وقرأ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم أمر له بألف درهم فقال يا أبت أنا
هاجرت وأنفقت ونصرت وزعزعت مواكب الروم وما قصرت وتأمر لى باليسير من مال الله الكثير
تعطى هؤلاء ما أعطيت فقال يا بنى اسلك طريق الانصاف ولا تتبع الاسراف وأنا أقول لك ان كان لك جد
كجدهما أعطيتك أو أم كأمهما وفيتك وان كان لك أب كأبيهما أرضيتك يا بنى كل نسب يضمحل يوم القيامة
يخفى الا نسب البتول ولما فرغ من ذلك أمر بابنة كسرى أن يوقفوها فأوقفت بين يديه وعليها من الحلى
الحلل والزينة والجواهر شئ كثير وأمر أن ينادى عليها فقال للمنادى أزل عنها هذا القناع ليزاد فى ثمنها فتقدم
المنادى ليزيل عنها ذلك فامتنعت وضربته فى صدره فغضب عمر وهم أن يعلوها بالدرة وهى تبكى
قال على كرم الله وجهه مهلا يا أمير المؤمنين فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارحموا عزيز قوم
ذل وغنى قوم افتقر فسكن غضب عمر رضى الله عنه ونظر اليها فرآها تحدق بالنظر الى الحسين بن على رضى
الله عنهما فقال عمر رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور
الله وانى أرى هذه الجارية تحدق بنظرها الى الحسين بن على وما خفى على انها أرادته من دون الناس أجمعين
وما ليس فينا أصبح وجها منه ثم قال يا أبا عبد الله خذها هدية منى اليك فشكره على ومن حضر من المسلمين
قال الواقدى رحمه الله تعالى) قال يونس بن عبد الاعلى حين قرأت عليه فى المسجد الأقصى فى شهر ربيع
الأول سنة مائتين وتسعين من الهجرة حدثنا عدنان بن ماجد الغنوى قال لما انهزمت الفرس من المدائن
واستولى عليها سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وكان من أمره ما ذكرناه استقر قراره بالقصر الابيض وجلس

مصطفى باشا الصدر فاقام
سنتين ثم حضر بعده الوزير
أحمد باشا كامل سنة أربع
وسبعين ومائة وألف ثم
عاد الوزير مصطفى باشا
سنة ست وسبعين ومائة
وألف ثم حضر بعده الوزير

حيث كانت الاكاسرة تجلس فلبس عند ذلك ثياب النسك والخشوع وتسربل سربال الخضوع وعلم ان الدنيا أضغاث أحلام وان الآخرة هي دار المقام وكلما نظر آثار الاكاسرة وملكهم ازداد يقينا ودينا على دينه قال وأنشد عاصم بن عمر في ذلك بعد فتح المدائن يقول

شهدنا بعون الله أفضل مشهد * بأكرم من تقوى على كل موكب
ركبنا على الجرد الجياد سوابحا * بكل قناة بسل بكل مقضب
وكنا بعون الله لا نرعوى اذا * تبارد طعن كالغمام المشطب
وكان جهاد قد ملكنا بامره * من الملك مستعلى البناء المذهب
ترانا وأنا في الحروب أسودها * انما العزم لا يخفى لكل مجرب
نجول ونحمى والرماح شوارع * ونطعن يوم الحرب كل مخبب
قدمنا على كسرى بشدة حربنا * وما حربنا في النائبات بمختبي

﴿ذكر فتوح مدينة نشاور وهي آخر فتوح العجم والعراق﴾

(قال أبو عبد الله الواقدى رحمه الله تعالى) وكان من قضاء الله وقدره ان ابن كسرى لما انهزم من المدائن مضى الى حلوان وانضاف اليه كل من وصل اليه من المنهزمين من الاساورة والمرازبة والديلم وغيرهم فقام فيهم خطيبا وذكر زوال ملكه وأسرابته وخزائنه وأمواله وبكى وبكت أرباب دولته ثم قال يا أهل فارس ان الدنيا دنية الفعال سريعة الزوال قريبة الارتحال وهذا ملككم قد زال وعزكم قد حال ودياركم قد سكنت ومعاقلكم قد أخذت وحصونكم قد هدمت وأموالكم قد نهبت وبناتكم قد سبيت والعرب قد استولت على العراق ولا بد لهم منكم ولا غنى لهم عنكم وستنظرون خيلهم وقد طلبت خراسان والرى وهمدان وما بقى لكم جهة تتوجهون اليها الا بلاد آبائكم وأجدادكم فانتبهوا وانتهزوا الفرصة وأزيلوا الغصة وأدركوا ما بقى من أيامكم ولا ترتدوا على أدباركم وقد بلغني أن الدونوس العادى بن هرمز بن كيقباذ بن يزدجرد الذي هو والاسكندر بن القلايس الرومى ومازالا يقاتلان ويقتتلان حتى قتل أحدهما فشمروا وأنتم عن سبق الجد ودونكم والقوم هذه الكرة امالكم واما عليكم فلعل النار والنور ينصرانكم وأنفق فيهم ما كان معه فاستعدوا للقاء وأخذوا على أنفسهم وضربوا خيامهم في مرج حلوان وجاء علماء دينهم وأوقدوا لهم النار وقربوا لها القربان وتحالفوا أن لا ينهزموا ولو ماتوا عن آخرهم قال ومضت نساؤهم وبنات ملوكهم وأبطالهم الذين قتلوا في الثياب ملطخات بالدماء وهن يستفززن الجيوش والعساكر من بلاد العجم وغيرها قال وان الحجاب والمرازبة والاساورة تعاهدوا على أن لا يفروا أو يموتوا عن آخرهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثني محمد بن عاصم بالكوفة بعد ما أخذها المسلمون قال لما فتح المدائن واتخذها المسلمون وطنا فما كان دابهم الا أن يحفروا دور الفرس ويخرجوا خباياهم وأموالهم قال عبد الله بن جحفة حضرت العرب وقد أخرجوا من ازاء القصر الابيض من مصنع هناك للفرس الاكاسرة تمثالا من الذهب على صفة الفارس وقد سكبوا عليه الماء حتى غار في الارض وكانت ملوك الفرس يفتخرون بذلك على سائر الملوك فوالله لو قسم ذلك على عرب بكر بن وائل لكان يسد منهم مسدا وجاءت عيون المسلمين الى سعد وأخبروه بما فعل القوم واجتماعهم في مرج حلوان في مائة ألف وقد وجهوا أثقالهم وما يعز عليهم الى الجبل وهم يطلبون لقاءكم قال واجتمع المسلمون في الايوان وقالوا أيها الامير ان العدو قد اجتمعوا بمرج حلوان وتعاهدوا على أن لا ينهزموا ابدا أو يموتوا عن دم واحد يريدون مدائنهم قال فكتب سعد الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعلمه بذلك ويقول له ان أهل الموصل قد مات ملكهم الانطاق وقد تولى عليهم الشكان بن قالوص وارتدوا عن صلحنا وعول ملكهم على أن يكون عونا لاهل فارس علينا والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته فلما وصل الكتاب الى عمر أرسل يقول له يا سعد اعلم ان الله منجز وعده وبعث اليه هاشم بن عتبة في اثنى عشر ألف فارس من المهاجرين والانصار ألفان والبقية من العرب قال وان ابن كسرى لما حصن حرمه وأمواله في الجبل أمر على عسكره مهران الدارى ووصاه وسار مهران بالعسكر فركب معه ابن كسرى مقدار ميل وودعه ورجع الى حلوان والمدد يأتي اليه من سائر بلاد العجم قال ووصل مهران الى مدينة نشاور ونزل بها في دار الولاية وأقام بها فلما كان الغد ركب في وجوه قومه ودار بهم على أسوارها وأبوابها وأمر بتحصينها في علو سورها ونصب آلات الحصار بالعرادات والمجانيق وحفر خندقا عميقا وصنع حسكا من الحديد وجعله حول المدينة والخندق وما خلى من أهل البلد صغيرا ولا كبيرا حتى

حمزه باشا سنة تسع وسبعين
ومائة وألف وعزل ثاني
شوال سنة ثمانين وحبس
بالكسوة في قصر يوسف ثم
حضر بعده الوزير محمد باشا
راقم سنة احدى وثمانين
ومائة وألف ثم حضر بعده
الوزير محمد باشا الارفلي
أتى من البر سنة اثنين

استعمله فى السور والخندق وادخر القوت وعلف الخيل وما يحتاجه الحصار واستوثق من أهل البلد الكبير والصغير منهم وأخذ رهائنهم وحلفهم على أن لا ينهزموا أبدا قال فلما اتفق ذلك كله أقام ينتظر قدوم المسلمين قال وأما هاشم بن عتبة فانه سار فى اثنى عشر ألف مجاهد حتى أشرف على مدينة نشاور فوجدها محصنة بالعدد والعدد وقد أظهر الزينة والسلاح على الابراج بالدروع والجواشن والمجانيق والعرادات والبيارق والاعلام ووضعوا فى أركان المدينة على الابراج قباب حديد ليضرموا فيها النار ويسجدوا لها ويستنصروا بها على العرب فلما أشرف عليهم عسكر هاشم بن عتبة ضجوا بكلمة كفرهم وأشاروا الى الشمس والنيران يسجدون لهما قال والارض ترتج من تحتهم والسماء ترعد من فوقهم والاكوان تسترجع وتصيح فى هلاكهم فنودوا من قبل الله أن اسكنوا عن اضطرابكم فأنا الحليم الذى لا أعجل على من عصانى ولا أخيب من دعانى أنا الذى تسبح لى السموات ومن فيها والارضون بنواحيها وقد سبق فى علمى أن أطهر هذه الارض من الارجاس وأبدلها بمن قلت فيهم كنتم خير أمة أخرجت للناس أنا الذى أمهل ولا أهمل وعزتى وجلالى لاطهرن هذه الارض من الكفرة الجاحدين والفئة المفارقين ولأبدلن بيوت النار بمساجد أذكر فيها آناء الليل وأطراف النهار يعمرها رجال قد أحسنوا الظنون وذكرتهم فى الكتاب المكنون ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا عمرو بن ربيعة الشيبانى قال أخبرنا أحمد الطويل قال لما نزل هاشم بن عتبة على مدينة نشاور بمن معه من المسلمين لم يلتفتوا اليهم ولم يكترثوا بهم وأروهم التجلد والشدة وجعلوا يطاولونهم ولا يخرجون اليهم فصعب ذلك على المسلمين والمدد واصل اليهم من عند يزدجرد بن كسرى فاشتدت قلوب أعداء الله فقالوا لمهران الدارى أيها الصاحب ما الذى تنتظره فى قعودنا ومقامنا من وراء السور وقد اشتقنا الى القتال فاخرج بنا الى هؤلاء القوم فقد ضاقت صدورنا وضاقت بنا المدينة وهذه الشمس المنيرة تنصرنا وتظفرنا على أعدائنا وكذلك النار والنور فلما رآهم معولين على القتال أمرهم بالخروج وجعل على خيله جوزان بن جهران وأمره أن يزحف بالجيش فلما فتح باب المدينة وخرج الفرس فرح المسلمون بذلك وتبادروا اليهم بأسرار صافية وهمم وافية يطلبون القتال فى مرضاة الله ذى الجلال وأنفسهم لذلك مستبشرة نازحة وهممهم الى الحرب مسرعة فادحة وقد سئموا من سكنى دار الغرور واشتاقوا الى سكنى القصور ومعانقة الحور وقالوا الهنا قد سئمنا من هذه الدار واشتقنا الى دار القرار ومجاورة المختار فانجز لنا ما وعدتنا وسامحنا اذا توفيتنا وأجرنا من عذاب النار واحشرنا مع الكرام الابرار الذين قلت فى حقهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال ولما ركب المسلمون جعل على مقدمة الخيل طلحة بن خويلد وبقى هاشم على الساقة فقال أيها الناس والله لا تنالوا الجنة الا بحسن الاعمال فاتركوا من قلوبكم الميل الى دار اللهو والاهوال والمقام فى دار الزوال وجاهدوا لتدخلوا جنة عرضها السموات والارض فهذه نار الحرب قد فاض تيارها وعلا دخانها وصفقت أمواجها وبدا عجاجها فاركبوا فيها سفينة النجاة والانجاد واقطعوا بشرع الاجتهاد هذا الطريق وانشروا أعلام الصدق قال وقد اصطفت عساكر العجم ودقت بوقاتها ونشرت ازدهاراتها فهم كذلك اذ أقبل عليهم ملك الرى فى اثنى عشر ألف فارس فلما رأى هاشم ذلك قال يا فتيان العرب لا تنظروا الى كثرتهم وقلتكم فقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم بدر فى ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وخذل الكافرين وقد كانت قريش فى حدها وحديدها وعددها وعديدها ونصر الله نبيه ورسوله قال الله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين واذا بالخيل قد حملت عليهم كأنها السيل فقال هاشم اخلصوا النيات ولا تولوا الادبار واعلموا انه قد تولى عليكم الجبار قال واطبق الناس بعضهم ببعض وساروا بين البسط والقبض وازدحمت الامم وقامت الحرب على قدم وقاتلت أبطال العجم وضربت بحرابها ورمت بصفاحها وفوقت بسهامها وأظلم الجو من الغبرة فى تلك الآفاق واعتمدوا على الضرب بالاسياف الرقاق وطعنت العرب بالرماح الدقاق وقلعت عرب اليمن بنبالها الاحداق ودنت الاعمار الى المحاق وبلغت الارواح التراق وعظم الانين والزعاق وصبرت الاعاجم على ما لا يطاق وسقاهم العرب من أسنة رماحهم كاس الفراق ولم يزالوا فى القتال الى ان ذهبت الانوار وجاء الليل ومضى نور النهار وفى آخر يومهم قدم القعقاع بن عمرو ومعه اثنا عشر ألف فارس

وثمانين ومائة وألف ثم حضر بعده الوزير أحمد باشا أتى من الحجاز وسكن بدرب الحجر ومات ولم يطلع القلعة سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف (ثم تولى السلطنة السلطان عبد الحميد خان) ابن

فقويت قلوب المسلمين بقدوم عساكر الموحدين وأعلنوا بكلمة التوحيد فدوت من أصواتهم الجبال والتلال والرمال والحجر والشجر فلما سمع أعداء الله ما نطقوا به ارتعدت فرائصهم فاستقبلوهم بنيات صادقة وهمم متوافقة وأعلنوا بذكر كلمة الحق والصلاة على سيد الخلق فبذلوا اصوارمهم فى الاعدا وأوردوهم شراب الردى وقصدوا نحو أعدائهم وطلبوا بجهادهم منازل الجنة وطلقوا الدنيا بتاتا وعلموا أنهم يصيرون أمواتا وصاروا بعد الالفة أشتاتا فوقعت الهزيمة على عسكر العجم وحمل المسلمون فى آثارهم وخذلهم الله فقتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا وهرب الباقون وأخذ المسلمون مدينة نشاور وغنموا ما فيها من الاموال وكان شيأ لا يقع عليه حصر وأقاموا فيها وبنوا الجامع وذكروا الله فيه ذكرا كثيرا وأكمل الله لهم فتوح العراق وكتبوا بذلك كتابا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يعلمونه بذلك وبعثوا الخمس فوصل ذلك الى عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسر بذلك سرورا عظيما وحمد الله تعالى كثيرا وسرت المسلمون سرورا زائدا على ما فتح من بلاد كسرى وأعمالها على يد سعد بن أبى وقاص واستوطنوا البلاد رضى الله تعالى عنهم أجمعين

﴿ذكر فتوح البهنسا واهناس وأعمالها وفضائل جبانتها﴾

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم * اعلم وفقك الله أن مدينة البهنسا ذكر بعض المفسرين ان الله سبحانه وتعالى ذكرها فى كتابه العزيز بقوله عز وجل فى حق عيسى عليه السلام وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال هى أرض البهنسا وكان من أمر عيسى عليه السلام ما سنذكره ان شاء الله تعالى واستشهد بها زهاء من خمسة آلاف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من الاعيان والامراء زهاء من أربعمائة ويتبعهم من الاشراف والصحابة نفر كثير منهم على بن عقيل بن أبى طالب والحسن بن صالح بن الحسين بن على بن أبى طالب الذى عمر جامعها وكان من أمره ما سنذكره ان شاء الله تعالى وزياد بن أبى سفيان بن الحرث بن عبد المطلب والفضل بن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنذكر من استشهد من الصحابة الاعيان بها ان شاء الله تعالى عند الفتوح وأبنائهم وجماعة كثيرة وذكر جماعة من السادات الاخيار أن من زار جبانة البهنسا خاض فى الرحمة حتى يعود ومن زارها خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وانه لا يزورها مهموم الا فرج الله همه ولا مغموم الا أذهب الله غمه ولا صاحب حاجة الا قضيت باذن الله عز وجل والاماكن المستجاب فيها الدعاء منها عند مجرى الحصى ومقطع السيل وان هنالك خلقا كثيرا من الشهداء ومشهد الحسن بن صالح بن الحسين بن على بن أبى طالب وعند قبر زياد بن أبى سفيان بن الحرث وعند قبر عبد الرزاق من داخل الباب وعند معبد عيسى بن مريم عليهما السلام وعند قبور الشهداء بسفح الجبل وقبليها مكان يعرف بالمراغة قبل الجبانة عندها قبور الشهداء هنالك بسفح الجبل (روى) جماعة من الصالحين أنهم قد جاوروا الجبانة المذكورة وكانوا من أرض المشرق وجماعة من أكابر الصالحين من أرض المغرب من أقصى الاندلس وانهم رأوا هذه الفضائل وبانت لهم فضائل وأنوار وشاهدوا ذلك عيانا (وروى) أصحاب التاريخ رضى الله عنهم أنه لم يكن بارض مصر من البحيرة مشهد أكثر من أرض البهنسا وان مجرى الحصى عند مقطع السيل من الجهة الغربية قتل هنالك خلق كثير واستشهد بها أربعمائة رضى الله عنهم أجمعين وسنذكر ذلك عند الفتح ان شاء الله تعالى * أما فضائل البحر اليوسفى الذى رضيت المدينة بجانبه فهو أكثر عجائب منها أنه عزيز البركة لانه يفيض حتى يروى ما حوله من القرى والبلدان مع قليل من زيادة النيل ومنها أنه اذا زاد النيل شيأ قليلا يزاد فيه شئ كثير ومنها أنه اذا انقطع عنه مدد النيل تفجرت من أصله عيون فصارت نهرا جاريا وهذا لا يوجد بغيره أبدا من الانهار ومنها أنه ينقسم بارض الفيوم ماء يسيرا فيروى زراعات وأراضى شتى رضياعا وهذا لا يوجد لغيره أبدا ومنها أنه دفن فيه يوسف الصديق عليه السلام وأقام الى زمن موسى عليه السلام فازداد بذلك بركة ومنها أنه شقه جبريل عليه السلام بخافقة من جناحه بامر الله عز وجل للسيد يوسف عليه السلام وحسدهم العمالقة على ذلك وقد ذكرت الرواة أنه كان بين يوسف عليه السلام وبين صاحب مصر كلام بعد فراغ السنين المجدبة فانه لما اجتمعت بنو اسرائيل عند يوسف عليه السلام وحسدهم العمالقة على ذلك وذكروا ذلك الملك مصر فقال ملك مصر يا يوسف رد على ملكى فاجتمع رأيهم على الفرقة والقسمة فقسمت الارض أى أرض مصر فوقع الجانب الغربى ليوسف عليه السلام وكان

السلطان أحمد خان سنة سبع وثمانين ومائة وألف وله مدرسة باسلامبول تسمى المدرسة الجديدة ومسجد فى براسكودار وحضر لوزارة مصر فى تلك السنة الوزير قرا خليل باشا خامس عشر ربيع الاول من تلك السنة وعزل

فقرا رمالا وتلالا فاراد أن يجرى له نهرا من النيل فجمع له مائة ألف عبد ودفع لهم المساحى والزنابيل وأمرهم أن يحفروا من الجهة القبلية عند فم الآن فحفروا ثلاث سنين وقد أجرى لهم مؤنة من خزائنه فكان كلما جاء النيل سد ما حفروا ففعل من الجهة الشرقية كذلك الى سبع سنين حتى أعياه ذلك وقلق قلقا شديدا فاوحى الله اليه يا يوسف قد استعنت برجالك ومالك ولم تستعن بى وعزتى وجلالى لو استعنت بى لحفرته لك فى أقل من طرفة عين فخر ساجدا لله تعالى وهو يقول سبحانك ما أعظم شأنك وأعز سلطانك ثم قام من سجوده ونزع أثوابه واغتسل ولبس المسوح وخرج الى الربوة وخر ساجدا متضرعا الى الله تعالى فاوحى الله اليه ارفع رأسك فقد قضيت حاجتك ثم أمر الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام فخرقه بخافقة من جناحه وقال بعضهم بطرف ريشة من جناحه من فمه من الجهة القبلية الى آخر الفيوم فى أقل من طرفة عين بقدرة الله تعالى فعمر يوسف عليه السلام قناطر وبنى مدينة الفيوم وقسم الارض بينه وبين اخوته وبنيه فكانت أرض البهنسا لافرائيم ابن يوسف فشرع فى عمارتها وقطعت الاحجار وعمرت الاسوار والقناطر وكان النهر يجرى من وسطها من الجهة القبلية ثم يخرج من الجهة البحرية الى زمن الاسلام وسنذكر ذلك فى الفتح ان شاء الله تعالى وكان لها من الابراج والرساتيق ما لا يوصف وسكنها جماعة من بنى اسرائيل واتخذوا دورا ومساكن وذلك جميعه غربى مصر وأرض البهنسا الى آخر الصعيد من الجهة الغربية كلها مختصة ببنى اسرائيل لا يشاركهم فيها أحد غيرهم وجعل يوسف عليه السلام هؤلاء العبيد حوله فلاحين وزراعا بأرض البهنسا والفيوم وغيرها وشرع فى عمارتها وغرست فيها الاشجار على جانب البحر اليوسفى من الجهة الشرقية والغربية وكانت المرأة تخرج بكتانها ومغزلها فى يدها والمكتل على رأسها فلا ترجع الا وقد امتلأ من جميع الثمار من غير أن تمس شيأ بيدها فلما عصى بنو اسرائيل وجحدوا نعمة الله عز وجل وعملوا المعاصى نزع الله تلك النعمة من أيديهم وأعطاها لغيرهم فاحتووا على الملك دونهم بجحودهم نعمة الله وقتلهم أنبياء الله الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر حتى اتخذوهم أذلة بعد أن كانوا سادات واستعملوهم خولة وفعلة وبنائين ونجارين واستخدموا نساءهم وأبناءهم ولم يزل بنو اسرائيل فى أضيق عيش وأعظم بلاء وأشد كربة وأعظم بلية من تكليف ما لا يطيقون حتى أنقذهم الله عز وجل ببعث موسى عليه السلام وليس هذا الكتاب مختصا بذلك واحتووا على المدائن والمزارع والبساتين

﴿ذكر خروج عيسى عليه السلام من مصر واقامته بأرض البهنسا﴾

قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين الآية وتقدم انها البهنسا على اختلاف المفسرين قال أصحاب التواريخ وهم المسعودى وأبو جعفر الطبرانى والواقدى وابن اسحق وابن هشام وأصحاب السير وأهل التفسير مثل سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وابن عباس ومن تكلم فى هذا الكتاب العجيب الذى لو كتب بالذهب لكان قليلا وقد جمع فيه كتب كثيرة وتواريخ وتفاسير وفتوحات قالوا كان مولد عيسى لمضى اثنتين وأربعين سنة من ملوك الطوائف وكانت الرياسة بالشام ونواحيها لقيصر ملك الروم وهرقل كما تقدم فى فتوح الشام وكان بالبهنسا قنطاريوس والله أعلم باسمه فلما سمع الملك هيردوس بخبر المسيح قصد قتله وذلك أنهم نظروا الى نجمه وقد طلع فعرفوا ذلك بحساب لهم فى كتاب لهم فبعث الله ملكا الى يوسف النجار وأخبره بما أراده هيردوس وأن يعلم مريم أن تخرج الى أرض مصر فانه ان ظفر بولدك قتله فاذا مات هيردوس فارجعى الى بلادك فاحتمل يوسف مريم وابنها عيسى على حمار له حتى دخل مصر وورد أرض البهنسا وهى الربوة التى ذكرها الله فى كتابه العزيز وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين وهنالك بئر فى المعبد يستشفون بمائها من الامراض وهى التى كانت مريم وابنها يستقيان منها ويتوضآن منها للصلاة وكان هنالك سرب تحت الارض * قيل ان مريم لما دخلت بولدها أرض البهنسا وجدت بئرا وليس عليها رشاء فطلب عيسى عليه السلام الماء ليشرب بعد أن عطش عطشا شديدا وبكى فحزنت أمه فارتفع الماء من قعر البئر حتى شرب منه وهى من ذلك اليوم تزيد ويعرف منها زيادة النيل فجعل النصارى لها عيدا الى يومنا هذا وهنالك ديور زراعات والله أعلم ثم دخل مدينة البهنسا وأقام بها اثنتى عشرة سنة وأمه تغزل الكتان وتلتقط السنبل فى أثر الحصادين حتى تم لعيسى المدة المذكورة * روى محمد الباقر قال لما جاء عيسى الى البهنسا وهو مع أمه شهرين

فى محرم سنة ثمان وثمانين ومائة وألف وتوجه لجدة ومات بها ﴿ثم تولى الوزير مصطفى باشا﴾ النابلسى من بركة الفيل يوم الاثنين فى آخر جمادى الثانية من تلك السنة وعزل فى آخر جمادى الثانية سنة تسع

كانه ابن سنتين فلما كمل تسعة أشهر أخذته والدته وجاءت به الى الكتاب بأرض البهنسا فاقعده المؤدب بين يديه وقال له قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال عيسى بسم الله الرحمن الرحيم فقال له المؤدب قل أبجد فرفع عيسى طرفه وقال اتدرى ما ابجد فعلاه المؤدب بالدرة ليضربه فقال له يامؤدب لاتضربني ان كنت لاتدرى فاسألني حتى أعرفك فقال قل لى فقال له انزل عن مرتبتك فنزل عن مرتبته وجلس عيسى مكانه ثم قال الالف آ لاء الله والباء بهاء الله والجيم جلال الله والدال دين الله والهاء هوية جهنم وهى الهاوية والواو ويل لاهلها والزاى زفير جهنم والحاء حطت الخطايا عن المستغفرين والكاف كلام الله لامبدل لكلماته والصاد صاع بصاع والقاف قرب حيات جهنم من العاصين فقال لها المؤدب خذى بيد ابنك فقد علمه الله تعالى فلا حاجة له بالمؤدب (حدثنا) الحسين ومحمد بن الحسن المقرى قالا حدثنا الحكيم محمد بن أحمد بن جدون قال حدثنا محمد بن جدون ابن خالد قال حدثنا الحكم بن نافع عن اسمعيل عن ابن أبى مليكة عن عطية عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام أرسلته أمه الى المكتب ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال عيسى عليه السلام وما بسم الله الرحمن الرحيم فقال المعلم لا أدرى فقال عيسى الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم ملك الله الى آخر ما جاء من الآيات والمعجزات التى ظهرت لعيسى عليه السلام بأرض البهنسا قال وهب كان أول آية أراها عيسى عليه السلام بمدينة البهنسا للناس فى صغره ان أمه كانت نازلة فى دار بالبهنسا من أرض مصر عند دهقان من دهاقنة الملك أنزلها فيها يوسف النجار عنده حين أتى بها من أرض الشام الى مصر وكانت داره مأوى المساكين فسرق للدهقان مال جزيل من خزائنه وكان الدهقان من أخصاء الملك صاحب البهنسا ولم يتهم المساكين فحزنت مريم على مصيبة الدهقان صاحب ضيافتها فلما رأى عيسى عليه السلام حزن أمه قال يا أماه أتحبين أن أدلك على ماله قالت نعم قال قولى له يجمع المساكين الذين كانوا فى داره فقالت مريم للدهقان ذلك فجمع المساكين الذين كانوا فى داره فلما اجتمعوا أتى الى رجلين منهم أحدهما أعمى والآخر مقعد فجعل المقعد على كاهل الاعمى وقال له قم به فقال له الاعمى انى ضعيف عن ذلك فقال له كيف قويت على ذلك البارحة فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الاعمى حتى قام به فلما استوى قائما وهو حامله أوصله الى كوة الخزانة فقال عيسى عليه السلام هكذا أخذ مال الملك البارحة لان الاعمى استعان بقوته والمقعد بعينيه فقال الاعمى والمقعد صدقت فردا على الدهقان ماله فوضعه الدهقان فى خزانته وقال يا مريم خذى نصفه فقالت انى لم أخلق لذلك ثم قال الدهقان أعطيه لابنك قالت هو أعظم منى شأنا ثم لم يلبث الدهقان الا قليلا وعمل لولده عرسا فجمع اليه أهل المدينة كلهم فكان يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زارته أكابر البلاد وملوكها وليس عنده طعام ولا شراب ولا ادام فلما اجتمعوا أمر عيسى عليه السلام بجرار الخمر الفارغة أن تملأ ماء ثم مر بيده على أفواهها وهو يمشى فكلما مرت يده على جرة امتلأت شرابا هذا وهو ابن اثنتى عشرة سنة فازدادت أهل البهنسا فيه اعتقادا ومن حولها من المدائن والقرى والسواد من أرض مصر وله آية أخرى بأرض البهنسا * قال السدى كان عيسى عليه السلام يحدث الصبيان فى المكتب بما تصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا فينطلق الصبى الى أهله ويبكى عليهم حتى يعطوه شيأ فيقولون له من أخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا أولادهم أهل البهنسا عنه وقالوا لهم لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم فى مكان فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا لعيسى ليس هنا أحد فقال ما فى هذا البيت قالوا خنازير قال عيسى كذلك يكونون ان شاء الله تعالى ففتحوا عليهم الباب فوجدوهم خنازير ففشا ذلك فى الناس وهابه الناس قال السدى لما نزل عيسى عليه السلام بأرض البهنسا نزل فى قرية من قراها على رجل فاضافهم وكان لذلك خماز فجاء ذلك الرجل ذات يوم وهو مغتم حزين فدخل بيته ومريم عند زوجته فقالت لها مريم ماشأن زوجك أراه كئيبا قالت لا تسأليني فقالت لها اخبرينى لعل الله أن يفرج عنك قالت لها ان ملك البهنسا اذا خرج من مدينته يجعل على كبير كل قرية يوما يطعمه ويسقيه الخمر فان لم يفعل ذلك عاقبه واليوم علينا وليس عندنا سعة قالت مريم قولى له لا يهتم فانى آمر ابنى ان يدعو له فيكفى ذلك فذكرت مريم ذلك لعيسى عليه السلام فقال عيسى عليه السلام ان فعلت ذلك يقع شئ فقالت له أمه لا تبال فانه أحسن الينا وأكرمنا فقال عيسى قولى له اذا قرب الملك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمنى ففعل ذلك واذا بالملك قد أقبل فارتجت الارض من الطبول والزمور والصناجق

وثمانين وتوجه الى جدة ومات بالمدينة المنورة ﴿ثم تولى الوزير ابراهيم عرب كيرلى﴾ رابع شعبان سنة تسع وثمانين ومائة والف ومات قبل طلوع القلعة بانبابة ودفن عند الامام الشافعى رضى الله

فقامت العساكر فدعا عيسى عليه السلام ربه عز وجل فتحول ماء القدور لحما وطعاما ماء لونا وماء الخوابي خمرا لم ير الناس مثلها قط فلما أكل الملك ذلك الطعام وشرب سأل الدهقان من أين لك هذا الخمر قال من أرض كذا فيوم لم يصدقه وقال للدهقان انه يأتيني منها الخمر والعنب لعصره وليس يساوى هذا فقال من أرض أخرى فلما خلط عليه الكلام أنكر عليه فقال أنا أخبرك عندى غلام لا يسأل الله شيأ الا أعطاه وانه دعا الله تعالى حتى جعل الماء خمرا وكان للملك ولد يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بايام وكان أحب الخلق اليه فقال ان كان الرجل صدقا فليدع ربه أن يحيي لى ولدى فدعا عيسى وأعلمه بذلك قال أفعل لكنه ان عاش وقع شئ كثير فقال الملك لا أبالى بعد أن أراه فقال عيسى ان فعلت ذلك أتتركونى أنا وأمى نمضى حيث جئنا قال الملك نعم فدعا الله تعالى فاحيا الغلام فلما رآه أهل المملكة قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا أكل أموالنا هذا الملك بظلمه حتى اذا دنا موته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فاقتتلوا فذهب عيسى وأمه والآيات فى ذلك كثيرة يطول شرحها ذكرها أبو اسحق والثعلبي فى عرائسه والله تعالى أعلم

﴿ذكر فتح البهنسا وما فيه من الفضائل وما وقع فيه للصحابة رضى الله عنهم﴾

قالت الرواة بأسانيد صحيحة عمن حضر الفتح من أصحاب السير والتواريخ مثل الواقدى وابن جعفر الطبرانى وابن خلكان فى تاريخ البداية والنهاية ومحمد بن اسحق وابن هشام وكل منهم دخل حديثه فى حديث الآخر فى ذلك من اختلاف الرواة ممن حضر الفتوحات وشاهد الوقعات من الصحابة رضى الله عنهم قالوا وحضر ذلك معظم الصحابة وكبراؤهم مثل عبد الله بن عمرو بن العاص أمير الجيوش على مصر وأخيه محمد وخالد بن الوليد وابنه سليمان وقيس بن هبيرة المرادى والمقداد بن الاسود الكندى وميسرة بن مسروق العبسى والزبير بن العوام الاسدى وابنه عبد الله وضرار بن الازور ومن بنى عم النبى صلى الله عليه وسلم مثل الفضل بن العباس وجعفر بن عقيل ومسلم بن عقيل وعبد الله بن جعفر ومن أبناء الخلفاء مثل عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأبان بن عثمان رضى الله عنهم وقد اختصرنا فى أسمائهم خوف الاطالة وكلهم حدثوا بما عاينوا من الفتوح وما شاهدوا من الوقعات وحدثوا بذلك أبناءهم رضى الله عنهم وقد أخذنا هذه الفتوح على قاعدة الصدق لاثبات فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضى الله عنهم اذ لولاهم ما كانت البلاد للمسلمين ولا انتشر علم هذا الدين ولقد نفذت سراياهم فى الارض شرقا وغربا حتى ولت الاعداء منهم هربا وسكبوا دماءهم فى الارض سكبا واستباحوا أموال الكفار نهبا وسلبا والله قد جعل منهم فى قلوب أعدائه خوفا ورعبا فهم نجوم الهداية وأهل الولاية قد شرعوا الشرائع ورتلوا القرآن ترتيلا قال الله فى حقهم تعظيما وتبجيلا فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا (قال حدثنا) أبو عبد الله محمد بن المحدث المصرى غفر الله له اطلعت على فتوحات كثيرة فوجدت فيها زيادة ونقصانا وكذلك تواريخ منقولة وكنت قدمت المدينة يعنى البهنسا لزيارة جبانتها لما رأيت فى ذلك من الفضائل والفضل والاجر والخير والحبور فان زيارتها تمحص الذنوب وتكشف الكروب وتحسن الاخلاق وتدر الارزاق وتورث النصر على الاعداء وتكفى البأس والردى لما فيها من السادات الشهداء ممن باع نفسه لله وقتل فى سبيل الله ابتغاء مرضاة الله ممن قال فى حقهم من له الفضل والمنة ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فهم أحياء عند ربهم يرزقون فزرنا الجبانة فى ساعة الاسحار ورأينا ما فيها من الانوار وبزيارة قبور السادة والاخيار نرجوا من الله أن يحط عنا الذنوب والاوزار فلما انقضت الزيارة ولاحت لنا تلك الاشارة أخبرنا عن تلك السادة الامجاد وما كان لهم من الصبر على الغزو والجهاد فسألني بعض الاصحاب عن سبب فتح مدينة البهنسا ليدفع البأس والردى فحرك لذلك خاطرى حتى أسهرت لذلك ناظرى وطالعت التواريخ والفتوحات وتجنبت المزاحات حتى انتخبت هذا الكتاب فهو كالدرة اليتيمة التى لا يعرف لها قيمة ترتاح عند سماعها النفوس ويزيل الهم والبوس ويشجع على الجهاد ويعين على اقامة العدل فى البلاد ابتغاء لوجه الله الكريم راغبا فى ثواب الله العظيم وذلك بعد الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين ونحن نبتدئ ببسم الله الرحمن الرحيم قال حدثنى من أثق به من الرواة ممن تقدم ذكرهم قال لما فتح عمر بن الخطاب رضى الله عنه مصر والاسكندرية والبحيرة والوجه البحرى كله كان بالصعيد نوبة وبربر وديلم وصقالبة وروم

تعالى عنه ﴿ثم تولى الوزير محمد باشا العزتلى الكبير﴾ يوم الخميس سابع عشر ربيع الاول سنة تسعين ومائة وألف وعزل خامس عشر جمادى الثانية ومات رابع ذى القعدة سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف (ثم

وقبط وكانت الغلبة للروم وكانوا أكثرهم وما تم استشار عمرو بن العاص أصحابه أى جهة يقصد وهل يسير بالجيوش شرقا أو غربا وما يصنع فأشاروا عليه بمكاتبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه يقول * بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمرو بن العاص عامل المؤمنين على مصر ونواحيها الى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه سلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد فانى أحمد الله وأثنى عليه وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والسلام على من بالمدينة من المهاجرين والانصار والحمد لله قد فتحت لنا مصر والوجه البحرى والاسكندرية ودمياط ولم يبق فى الوجه البحرى مدينة ولا قرية الا وقد فتحت وأذل الله المشركين وأعلى كلمة الدين وقد اجتمعت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من السادات والامراء والاخيار والمهاجرين والانصار يطلبون الاذن من أمير المؤمنين هل يسيرون الى الصعيد أو الى الغرب والامر أمرك يا أمير المؤمنين فانهم على الجهاد قلقون وباعوا نفوسهم لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم وكتب هذه الابيات

صوارمنا تشكو الظما فى أكفنا * وأرماحنا تشكو القطيعة كالهجر
اليك افتقاد الحرب باطيب الثنا * ويا من أقام الدين بالعز والنصر
فقد ولت خير الكرام الى العدا * بنوشيبة الحمد السرى وبنو فهر
وصالت لؤى مع معد وغالب * وسادات مخزوم الكرام ذوى الفخر
تروم مسير الاعادى على شفا * تمكن من أعلاهم البيض كالسمر
ترى كل عاج غائص فى دلاصه * تجعجع فى نقع تاجج كالجمر
بكل كميت صادق الوعد صائل * يرى درعه الزاهى تمكن بالصبر
نرى الموت فى وقع الوقائع مغنما * ونكسب من قتل العدا غاية الاجر

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما فرغ عمرو بن العاص من الكتاب عرضه على أصحابه ثم طوى الكتاب وختمه واستدعى برجل يقال له سالم بن بجيعة الكندى وسلم اليه الكتاب ودفع له ناقة عشارية فاستوى على كورها وخرج يريد المدينة وهو يقول

أسير الى المدينة فى أمان * وارجو الفوز فى غرف الجنان * وأرجو ان يقرب لى اجتماعى
وأعطى ما أريد من الامانى * ألا يا ناقتى جدى وسيرى * الى نحو النبى بلا امتهان
وأقريه السلام وأنشديه * كلاما صادقا حسن البيان * الا يا أشرف الثقلين يا من
به شرف المدينة والمكان * فكن لى فى المعاد غدا شفيعا * اذا ما قيل هذا العبد عانى

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولم يزل سائرا الليلا ونهارا حتى قدم المدينة الطيبة الامينة بعد صلاة العصر فدخل وأناخ ناقته على باب المسجد وعقلها بفضل زمامها ودخل فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم على قبره الشريف وصلى ركعتين بين القبر والمنبر ثم تقدم فوجد عمر بن الخطاب فسلم عليه قال فرد على السلام وصافحنى وكان لما رآنى أقبلت وأنا فرحان قال سالم جاء بكتاب من مصر مرحبا به ثم التفت وعن يمينه على بن أبى طالب وعن شماله عثمان بن عفان وحوله من السادات والمهاجرين والانصار مثل العباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وطلحة بن عبد الله وبقية الصحابة رضى الله تعالى عنهم حوله ثم ناولته الكتاب فقال ما وراءك يا سالم فانت سالم فى الدنيا والآخرة ان شاء الله تعالى فقلت الخير والبشر والامن يا أمير المؤمنين فلما قرا الكتاب فرح واستبشر وكانت تلك الغنائم قد وصلت الى المدينة قبل ذلك بايام وقسمت على الصحابة رضى الله تعالى عنهم ثم انه استشار عمر رضى الله تعالى عنه على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ومن حضر فأشار عليه على بن أبى طالب أن عمرو بن العاص لا يسير بنفسه ليكون أهيب له فى قلوب أعدائه وان يجهز جيشا عشرة آلاف فارس ويؤمر عليهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فانه سيف الله فقال عمر صدقت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد سيف من سيوف الله تعالى وفى رواية ان خالدا سيف لا يغمد عن أعدائه ثم بات سالم تلك الليلة فلما أصبح صلى الصبح فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على أمير المؤمنين عمر يسأله الجواب فعندها استدعى عمر رضى الله تعالى عنه بدواة وقرطاس ثم كتب كتابا

يقول

تولى الوزير اسمعيل باشا) يوم الاثنين سادس ذى القعدة وعزل ثانيا يوم الخميس رابع رجب سنة أربع وتسعين ومائة وألف (ثم تولى الوزير الصدر ملك محمد باشا) يوم الاثنين ثالث رجب سنة

يقول فيه * بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب الى عامله على مصر ونواحيها عمرو بن العاص سلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والسلام عليك وعلى من معك من المهاجرين والانصار ورحمة الله وبركاته وقد قرأت كتابك وفهمت خطابك فاذا قرأت كتابى هذا فاستعن بالله وارابط الخيل وارسل الامراء لكل بلد أميرا ليقيموا شرائع الدين ويعلموا الاحكام ثم انتدب عشرة آلاف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر عليهم خالد بن الوليد وأرسل معه الزبير بن العوام والفضل بن العباس والمقداد بن الاسود وغانم بن عياض الاشعرى ومالكا الاشتر وجميع الامراء وأصحاب الرايات ينزلون على المدائن ويدعون الناس الى الاسلام فمن أجاب له فله ما لنا وعليه ما علينا ومن أبى فليأمروه باداء الجزية وان عصى وامتنع فالحرب والقتال وأمرهم اذا حاصروا مدينة أن يشنوا الغارات على السواد وان بمصر مدينتين كما بلغنى احداهما يقال لها هناس قريبة من مصر والثانية يقال لها البهنسا أمنع وأحصن وبلغنى ان بها بطريقا طاغيا سفاكا للدماء يقال له البطليوس وهو أعظم بطارقة مصر كما بلغنى وانه ملك الواحات فلا تقربوا الصعيد حتى تفتحوا هاتين المدينتين وعليك بتقوى الله فى السر والعلانية أنت ومن معك وأنصف المظلوم من الظالم وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وخذ حق الضعيف من القوى ولا تأخذك فى الله لومة لائم واقم أنت بمصر وأرسل الاجناد وان احتجت الى مدد فارسل وكاتبنى أن أرسل لك المدد والمعونة من الله عز وجل وأسأل الله تعالى أن يكون لكم بالنصر والمعونة والفتح والحمد لله رب العالمين ثم طوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعه الى سالم فاخذه وودع الصحابة وودع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن توضأ وصلى ركعتين وسار ولم يزل سائرا حتى قدم مصر فوجد عمرا والصحابة نازلين بارض الجيزة وكان زمن الربيع وهو جالس فى خيمته وأصحابه عنده وهذه الخيمة كانت الملك القبط من الحرير الأزرق والاحمر والاصفر سعتها ثلاثون ذراعا وقد فرش فيها فرشا كان للقبط وهو جالس يتحدث مع المقداد وخالد والفضل وغانم والامراء جميعهم رضى الله تعالى عنهم وهو كاحدهم قال سالم فانخت ناقتى فسمعت عمرا يقول وأنا خاف الخيمة قد أبطأ سالم فقال خالد كأنك به وقد أقبل فهو يت فأحس خالد بى من داخل الخيمة ولم يرنى بعينه ولا غيره ولا علم بى فقال سالم فقلت لبيك يا أبا سليمان فقال مرحبا بك يا سالم وحياك الله ثم تقدمت وسلمت على عمرو وخالد وعلى بقية الأمراء ثم ناولته الكتاب فقرأه الى آخره وفهم ما فيه فلما سمع الامراء ما فيه فرحوا بذلك فرحا شديدا ثم ان عمرا استشار الامراء فى ذلك وكانوا لا يفعلون شيأ الا عشورة بعضهم ولذلك مدحهم الله فى كتابه العزيز بقوله عز وجل وأمرهم شورى بينهم فاشاروا عليه أن يرسل خلف الامراء والجنود المتفرقة فى البحيرة شرقا وغربا وأن يرتب الجيوش ويقصدوا الصعيد ويتوكلوا على الله عز وجل (قال الواقدى) وكانت الصحابة لما فتحت مصر والوجه البحرى قد تفرقوا منهم فى الاسكندرية وأمسوس ودمياط ورشيد وبلبيس وكان أكثرهم بوسط البحيرة فى المكان المعروف بالمنزلة مثل القعقاع بن عمرو والتميمى وهاشم بن المرقال وميسرة بن مسروق العبسى والمسيب بن نجبة الفزارى فعندها استدعى عمرو رضى الله تعالى عنه بالنجابة والسعاة وعمرو بن أمية الضمرى ومثل هؤلاء رضى الله تعالى عنهم أجمعين وكتب الكتب وأرسلها للامراء فعندها أجابوا باجمعهم لانهم رضى الله تعالى عنهم كانوا أشوق للقتال من العطشان للماء البارد الزلال ووضعوا فى البلاد والمدائن من يحفظها أو يحرسها خيفة من العدو وأقبلوا نحو مصر مسرعين ونزلوا حولها وأخبر عمرو رضى الله تعالى عنه بقدومهم فدخل دار الامارة وهى قريبة من الجامع العمرى وأقبلت السادات والامراء يسلمون عليه وكان ذلك نهار الاربعاء عاشر شهر ربيع الاول سنة احدى وعشرين من الهجرة النبوية وقيل اثنتين وعشرين والله أعلم (قال حدثنا) محمد بن عبد الله قال حدثنا عبيدة بن رافع عن أبيه جحيفة عن جابر بن عبد الله الانصارى وحدث بذلك ابن سلمة رضى الله تعالى عنه قالوا لما قدمت الامراء والاجناد من الصحابة رضى الله عنهم اقاموا الاربعاء والخميس والجمعة فخطب عمرو رضى الله عنه بالناس فلما فرغ من خطبته أمر الناس أن لا يتفرقوا حتى يقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقرأ عليهم الكتاب فلما فرغ من قراءته تواثبوا كلهم كالاسود الضارية المشتاقة الى فرائسها وقالوا كلهم سمعنا وأطعنا ولا رد واحد فى سبيل الله بذلنا وللجهاد طلبنا وفى الثواب رغبنا والى الجنة اشتقنا ففرح عمرو بذلك وقال ان أمير المؤمنين قد أمرنى أن أولى عليكم

خمس وتسعين ومائة
وألف وعزل عاشر شعبان
سنة ست وتسعين ومائة
وألف ثم تولى الوزير
الشريف على باشا
القصاب يوم الخميس
حادى عشر شوال من
تلك السنة وعزل يوم
الخميس رابع عشر شعبان
سنة سبع وتسعين ومائة

سيف الله والنقمة على أعداء الله صاحب القتال الشديد والبطل الصنديد خالد بن الوليد (قال الراوى) وكان خالد بن الوليد صديق عمرو فى الجاهلية وأسلما فى يوم واحد ثم التفت عمرو الى خالد وقال ادن منى يا أبا سليمان فدنا منه فقال عمرو يا معاشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم كلكم لكم الفضل وانى لست بأفضلكم وفيكم من هو ذو قرابة ونسب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم السادة والامراء وانى كأحدكم وقد أمرت عليكم خالد بن الوليد وأنتم تعلمون ما فتح الله على يديه من البلاد وما أذل الله على يديه من الاجناد (قال الراوى) فوثب الفضل بن العباس رضى الله عنهما وقال أيها الامير انا بذلنا أنفسنا فى رضا الله عز وجل وما نريد بذلك الا الرفعة عند الله عز وجل وان خالدا من أخيارنا ولو أمرت علينا عبدا حبشيا لامتثلنا أمره فى رضا الله عز وجل فناهيك بخالد وهو سيد من سادات قريش عزيز فى الجاهلية والاسلام فتهلل وجه خالد وعمرو وفرحا ثم أمرهم بالنزول جميعا بأرض الجيزة قريبا من الهرم الشرقى وأقبلوا يضربون خيامهم حوله حتى تكاملت العساكر رضى الله عنهم أجمعين (قال الراوى) بسنده الى الواقدى رحمه الله وابن اسحق وابن هشام لما تكاملت الجيوش وذلك فى ربيع الآخر من السنة المذكورة صلى عمرو بأصحابه صلاة الصبح ثم قام من ساعته يمشى على قدميه وحوله جماعة من المسلمين ومعه خالد بن الوليد والمقداد بن الاسود الكندى والزبير بن العوام الاسدى والفضل بن العباس الهاشمى وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وهاشم بن المرقال والمسيب بن نجبة الفزارى والعباس بن مرداس وأولاد عبد المطلب وبقية السادات حتى طلع على رابية وأشرف على الجيش فلما رأى اجتماعهم سر سرورا عظيما ثم أمر بعرض الجيش فتقدمت الامراء أصحاب الرايات وصار كل أمير يعرض جيشه وبنى عمه على عمرو بن العاص فكانت عدتهم فيما ذكر والله أعلم ستة عشر ألف فارس فانتدب منهم عشرة آلاف فارس كلهم ليوث عوابس وعليهم الدروع الداودية متقلدين بالسيوف الهندية معتقلين بالرماح الخطية راكبين الخيول العربية من خيار أمة خير البرية فعند ذلك قال لهم عمرو يا معاشر الامراء أصحاب الرايات والسادات الاخيار ان خالدا أمير عليكم فاسمعوا له وأطيعوا وكونوا كلمة واحدة ونازلوا المدائن والقلاع وشنوا الغارات على السواد ولا تقاتلوا قوما حتى تدعوهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان أبوا فأداء الجزية فان أبوا فالقتال بينكم وبينهم حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وأرسلوا الطلائع ولا يكون فى الطلائع الا كل فارس كرار فى الحرب والقتال وثبتوا أنفسكم ولا يغرنكم كثرة أعدائكم فانتم الغالبون فقد ذكر الله فى كتابه المكنون المبين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ان أحسنوا نياتكم وثبتوا عزائمكم فانتم الغالبون والله معكم وأنتم كلكم أهل الفضل والسابقة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتلتم بين يديه ولا تحتاجون الى وصيتى بارك الله فيكم (قال الواقدى) ثم ان عمرا استدعى بأصحاب الرايات فكان أول من تقدم بعد خالد الزبير بن العوام رضى الله عنه وهو راكب على جواده الاغر شاك سلاحه فسلمه الراية وأمره على خمسمائة فلما خرج بعسكره هز الراية وأنشد يقول

أنا الزبير ولد العوام * ليث شجاع فارس الاسلام * قرم همام فارس هجام
أقتل كل فارس ضرغام * وانى يوم الوغى صدام * وناصر فى حينها الاسلام

قال ثم استدعى بالفضل بن العباس وأمره على خمسمائة فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسلم الراية بيده وتوجه وهو يقول

انى أنا الفضل أبى العباس * وفارس منازل حراس * معى حسام قاطع للراس
وفالق الهامات والاضراس * أفنى به الاعدا بلا الباس * وما على فيهم من باس

قال ثم استدعى بزياد بن أبى سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وسلمه الراية وكان رضى الله عنه فارسا عظيما وبطلا صنديدا فتسلم الراية وتوجه وهو ينشد

أنا الفارس المشهور يوم الوقائع * بحد حسام فى الجماجم قاطع * ورمحى على الاعداء مازال طائلا
اذا التحم الاعداء للضد قامع * وعزمى فى الهيجاء مازال ماضيا * برأى سديد للمحاسن جامع
أصول على الاعداء صولة قادر * وأشبعهم ضربا ببيض لوامع * امام الوغى من آل ذروة هاشم
حماة البرايا كالبدور الطوالع * أنا ابن أبى سفيان من نسل حارث * تموت الاعادى وكل منازع

والف (ثم تولى الوزير محمد باشا الصحبى) يوم الاربعاء خامس عشر المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وألف وعزل يوم السبت خامس عشر ذى الحجة ختام السنة المذكورة ثم الوزير الشريف محمد باشا يكن يوم الاثنين رابع المحرم

قال ثم استدعى من بعده عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وأمره على خمسمائة فارس وسلمه الرايه فتوجه وهو يقول

أسير الى الاعادى باهتمام * بقلب صادق حسن الذمام

بابطال جحاجحة اسود * سراة فى الوغى قوم كرام

أبيدبهم عداة الدين جمعا * ولا أخشى من القوم اللئام

اذا ما جالت فى الهياج مهرى * أصول به وفى أيدى حسامى

قال ثم استدعى من بعده عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وأمره على خمسمائة فارس فتسلم الراية وتوجه وهو يقول

وحق من أنزل الآيات فى السور * وأرسل المصطفى المبعوث من مضر

لا أنثنى عن لقا الاعدا ولو جمعت * حماة أبطالهم يوما كما الدبر

حتى أبيدهم ضربا واتركهم * فوق الثرى خمشا مخدوشة الصدر

بكل قرم همام ماجد نجد * الى الوقائع يوم الحرب مبتدر

نحن الكرام الذى للدين أرسلنا * امام دين الورى غيث الندا عمر

قال ثم استدعى من بعده جعفر بن عقيل وأمره على خمسمائة فارس وسلمه الرايه فتوجه وهو يقول

أنا ابن عقيل من لؤى وغالب * همام شجاع للاعادى غالب

حماة الوغى أهل الوفا معدن الصفا * الى جود نا نا مسير الركائب

ولا يعرف المعروف الا بعرفنا * ولا الجود الا جودنا كالمواهب

علا مجدنا فوق الثنا وسناؤنا * علا شرفا من فوق كل الكتائب

فيا ويل أهل البغى منا اذا التقت * فوارسنا فيهم بحد القواضب

قال ثم استدعى من بعده أخاه الفضل وأمره على خمسمائة فارس وسلمه الرايه فتسلمها وتوجه وهو يقول

انى أنا الفضل أبى عقيل * أسير للحرب بلا تمهيل

بحد سيف قاطع صقيل * به أبيد الكافر الجهول

أنا ابن عم أحمد الرسول * المرسل المبعوث فى التنزيل

قال ثم استدعى من بعده المقداد بن الاسود الكندى وأمره على خمسمائة فارس وسلمه الرايه فتوجه وهو يقول

أنا المقداد فى يوم النزال * أبيد الضد بالسمر العوالى

وسيفى فى الوغى أبدا صقيل * طليق الحد فى أهل الضلال

معى من آل كندة كل قرم * يجيد الطعن فى يوم النزال

فيا ويل العدا والروم منا * اذا اقتحم الفوارس فى القتال

وهم صرعى كاعجاز النخل * تقطعها الفوارس بالنصال

قال ثم استدعى من بعده عمار بن ياسر وأمره على خمسمائة فارس وسلمه الرايه فتوجه وهو يقول

أنا الهمام الفارس الكرار * أفنى بسيفى عصبة الكفار

ان جالت الخيل بلا انكار * وقام سوق الحرب من عمار

أحمى لدين المصطفى المختار * صلى عليه الواحد القهار

وآله وصحبه الاخيار * ما بان ليل واضا نهار

قال ثم استدعى من بعده العباس بن مرداس السلمى وأمره على خمسمائة فارس وسلمه الرايه فتوجه وهو يقول

أنا العباس ذو رأى قويم * معى سادات آل بنى سليم

أذل بهم حماة البغى لما * ترى الهيجاء كالليل البهيم

وسيفى ماضى الحدين أضحى * لاهل الشرك والموت العميم

به أفنى الطغاة بكل أرض * وأقتل كل أفاك أثيم

ونحن بنو سليم خير قوم * هدينا للصراط المستقيم

قال ثم استدعى من بعده أبا دجانة الانصارى رضى الله عنه وسلمه الرايه فتوجه وهو يقول

أسير باسم الواحد المنان * جهرا لاهل الكفر والطغيان

أذيقهم ضربا على الابدان * بكل مهند مبيد الجان

أنصر دين المصطفى العدنان * صلى عليه الملك الديان

وآله والصحب والاخوان * ما ناح قمرى على الاغصان

قال ثم استدعى من بعده غانم بن عياض الاشعرى رضى الله عنه وسلمه الرايه وتوجه وهو يقول

انى اذا انتسب الفوارس أشعرى * قرم همام فى المعامع عنترى

بحماة أبطال الاعادى مزدرى * وبراحتى من القواضب أبترى

يوم التلاطم للفوارس مسكر * وأحوم حومات الغزال الجؤذرى

سنة مائتين وألف وعزل يوم الاربعاء سادس عشر المحرم سنة احدى ومائتين وألف (ثم تولى الوزير الشريف عبدى باشا) ثانى عشر رجب تلك السنة وعزل ثالث رجب سنة ثلاث ومائتين وألف (وفى تلك السنة

فلاقتلن فوارساوعوابسا * واذيقهم منى العذاب الاكبر

قال ثم استدعى من بعده أباذر الغفارى وأمره على خمسمائة فارس وسلمه الراية فتوجه وهو يقول

سأمضى للعداة بلا كتاب * وقلـــبى للقا والحرب صابى * ولى عـــزم أذل به الاعادى
وارجو الفوز فيهـم بالثواب * وان صال الجميع بيوم حرب * لـكان الـكل عندى كالـكلاب
أذلهم بابيض جوهرى * طليق الحد فيهم غير آبى

قال ثم استدعى من بعده القعقاع بن عمرو التميمى والمغيرة بن شعبة الثقفى وميسرة بن مسروق العبسى ومالـكا الاشتر النخعى وذا الكلاع الحميرى والوليد وعقبة بن عامر الجهنى وجابر بن عبد الله الانصارى وربيعة بن زهير المحاربى وعدى بن حاتم الطائى ومثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم وقد اقتصرنا فى أشعارهم خوف الاطالة وكل واحد يسلمه راية ويؤمره على خمسمائة فارس قال فلما تكاملوا وتجهز واخرج عمرو وأصحابه فودعهم وسارت الـكتائب وتتابعت المواكب يطلب بعضها بعضا وخلفهم الذرارى والصبيان حتى أتوا الى الجيزة ونزلوا بمكان يعرف بالمرج الـكبير قريب من تلك المدائن والقرى والرساتيق وتقدمت الطلائع يتجسسون الاخبار وقد كان بدهشور بطريق عظيم من قبل مارنوس صاحب اهناس وكان فارسا مكينا وكلما اعينا قاتله الله وكان يقول فى نفسه انه يناظر البطليوس فى ولايته لـكن البطليوس صاحب البهنسا لعنه الله كان أشد باسا وأعظم مراسا وأكثر عددا وأقوى مددا وأوسع بلادا فـكاتبه فى ذلك وكاتبر وسال صاحب الاشمونين وكاتب افراقيس صاحب قفط وكان يحكم على أخميم وكاتب الـكيكلاج وكان يحكم الى عدن والبحر المالح الى بلاد البجاوة والنوبة وحد السودان وتسامع الناس بسير العرب الى الصعيد وكاتب الملوك بعضها بعضا وماج الصعيد بأهله الى حد الواحات ووقع الرعب فى قلوبهم فعند ذلك وثب مكسوح ملك البجاوة وحليف ملك النوبة وجمعوا ما حولهم من أرض النوبة والبجاوة والـبربر وأتوا الى أسوان وكان مع ملك البجاوة ألف وثلثمائة فيل عليها قباب الجلد بصفائح الفولاذ فى كل قبـة عشرة من السودان طوال القامة عراة الاجساد على أوساطهم وأكتافهم جلود النمور وغيرها ومعهم الدرق والحراب والكرابيج والقسى والمقاليع والاعمدة الحديد والطبول والقرون وكانت عدتهم عشرين ألفا فلما وصلوا أسوان خرجوا الى لقائهم بعسكرهم وأعلموهم بامرهم وساروا اليهم بالعلوفات من الذرة والشعير والقصب ولحوم الخنازير والضباع وغيرها من الوحوش فانزلوهم وضيفوهم ثلاثة أيام ثم خرج بطريق أسوان ومعه جيش حتى وصلوا الى ملك قفط صاحب القرية القريبـة من قوص وعمل معهم مثل ذلك وسيرمعهم جيشا وساروا حتى وصلوا الى أنصنا وكان بها بطريق عظيم وبطل جسيم وكان منجما وكان يحكم شرقا وغربا وكانت مدينته عظيمة على شاطئ البحر وبها جند كثير وعجائب عظيمة ولها حصن عظيم من الحجر علوه ثلاثون ذراعا ومن داخلها قصور ومقاصير وكنائس وقـلاع على أعمـدة الرخام وغيرها فى المدينة فلما نزلت تلك العساكر على انصنا خرج اليهم بطريقها جريس بن قابوس وتلقاهم وأرسل معهم ابن عم له يسمى قيطارس وكان فارسا شديدا فى أربعة آلاف فارس ولم يزالوا سائرين حتى نزلوا بوادى البهنسا عند بطريق يسمى قلوصا من بطارقة البطليوس فلما سمع بهم البطليوس خرج الى لقائهم فى عسكر عظيم زهاء من خمسين ألف فارس من البطارقة وعليهم الدروع المذهبة وأقبية الديباج المرقومة بالذهب الوهاج وعلى رؤسهم التيجان المكللة باللآلئ والجواهر راكبين على خيول وبراذين مسرجة عليها سروج الذهب والجنائب مغطاة باغشيـة من الحرير الملون المرقوم بالذهب والفضـة والخز وكان معهم خمسون صليبا طول كل صليب أربعـة أشبار من الذهب تحت كل صليب ألف فارس على كل صليب رمانة من الذهب المنقوش وهم فى زى عظيم عجيب وقد أكثروا من الطبول والزمور وضرب القرون والمعازف حتى ارتجت بهم الارض ومعهم الجمال والبغال والجاموس فلما التقوا ترجلت الملوك والبطارقة للقائهم وسلم بعضهم على بعض وتـكلموا فيما بينهم بسبب العرب فقال لهم البطليوس لا تطمعوا العرب فيكم ولا فى بلادكم فانما مثـل العرب كمثل الذباب ان تركته أكل وان منعتـه فر وهلك فاثبتوا واصدقوا العزم فلقد كاتبت لـكم سنجاريب ملك برقـة وكاتبت ملك الواح وكأنكم بهم وقد أتوا اليكم ولولا أننى أخشى ان العرب يأتون الى بـلادى لما يسمعون انى خرجت اليهم

تولى السلطنـة السلطان سـليم الثالث) ابن السلطان مصطفى (وتولى وزارة مصر الوزير اسمعيل باشا التونسى) يوم السبت خامس عشر رجب وعزل يوم الاثنين عشر شعبان سنة خمس ومائتين وألف (ثم تولى الوزير محمد باشا عزت

فيشتغل

فيشتغل جماعة بقتالكم وجماعة يأتون الى بلادى فيملكونها وليس فيها من يذب عنها اذا خرجت معكم لكننت
فى خدمتكم فانا نجد فى الكتب القديمة أنهم اذا ملكوا البهنسا ونواحيها فلا تقوم لأهل الصعيد قائمة قال
كرماس الرومى وكان ممن أسلم بعد ذلك وحضر وحدث به يا معاشر الملوك والبطارقة انى قد اطلعت على الكتب
القديمة وفيها انهم ان ملكوا البهنسا ونواحيها فلا تقوم لأهل الصعيد بعد ذلك قائمة قال فلما سمع الملوك ذلك
صدقوا له ثم انتدب من بطارقته عشرين ألفا ممن عرفت شجاعتهم وبراعتهم وملك عليهم صاحب الكفور
وكان كافرا طاغيا وكان اسمه بولص وكان لعينا ودفع له صليبا من الذهب وعلما من حرير الاطلس الأصفر
مرقوما بالذهب فيه صورة الشمس ودفع لهم ما يحتاجون له من الجنائب والقباب والسرادقات ومضارب
الديباج الملون وأوانى الذهب والفضة والصناديق المملوءة بالذهب والفضة والبراذين والبغال وعليها أحمال
الحرير الملون وبعضها محمل بالأوانى المذكورة والخيام والسرادقات وسارت العساكر وتتابعت الملوك
بالمواكب يتلو بعضها بعضا حتى قربوا من مدينة بنا الكبرى فخرج اليهم بطريقها صندراس وتلقاهم وفعل
معهم كما فعل البطليوس وأضافهم وجهز معهم جيشا عشرة آلاف فارس من صناديد بطارقته وولى عليهم
بطريقا اسمه داردیس وكان يناظر بطريق الكفور فى الشجاعة والقوة والبراعة وساروا حتى قربوا من
مدينة برنشت فخرج اليهم بطريقها فتلقاهم وكان يناظر البطريق الاعظم رأس بطارقة الكوة ولم يزالوا
سائرين حتى ملؤا الارض شرقا وغربا هذا ما جرى لهؤلاء (قال الواقدى) وأما ما كان من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانهم لما نزلوا قرية امن دهشور كما ذكرنا وكانت العيون من المسلمين من بنى طيئ ومذحج ينزلون
ويتزيون بزى العرب المتنصرة يتجسسون الاخبار حتى اختلطوا بالعساكر المذكورة وكانوا حذاقا متفرسين
لما رأوا ذلك هالهم أمره (قال الواقدى) حدثنى سنان بن قيس الربعى عن طارق بن مكسوح الفزارى عن
زيد بن غانم الثعلبى وكان ممن حضر الفتوح وشهد الوقعة بصحبة جيش خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه قال
فبينما نحن جلوس نصلح شأننا بالمرج ونحن على أهبة السفر اذ قدمت الجواسيس فأخبروا خالدا بقدوم
العساكر فقال لهم هل حزرتم الجيوش فقالوا نعم نحو مائتى ألف فارس وخمسين ألف راجل من النوبة والبربر
والبجاوة والفلاحين وغيرهم وهم فى أهبة عظيمة ومعهم ألف وثلثمائة فيل وعلى ظهورها الرجال كما وقع فى
يوم حرب العراق فلما سمع الامراء ذلك اضطربوا وثبتوا جنانهم وقالوا قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقال
خالد لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قرأ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم
ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ثم قرأ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ثم ان
خالدا قال لاصحابه لا تهتموا لذلك واصبروا وأنتم الأعلون والله معكم فليست جموعهم بأكثر من جموع
اليرموك ولا من جموع أجنادين ومع ذلك فقد ملكتم مصرهم التى هى تاج عزهم وملكتم الوجه البحرى
وقتلتم مائة من ملوكهم وبطارقتهم وقد صارت الشام واليمن والعراق والحجاز بأيديكم وقد دانت لكم البلاد وقد
كنتم قليلا فكثركم الله وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها وقاتلتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرتم
بالملائكة ووعدكم على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم انه يستخلفكم فى الارض كما استخلف الذين من قبلكم
ومن قتل منكم كان له الجنة وتنتقل روحه الى روح وريحان ورب غير غضبان فلما سمعوا كلامه تهللت
وجوههم فرحا وقالوا يا خالد نحن كما بين يديك وقد وهبنا أنفسنا لله ابتغاء وجه الله ومرضاته (قال الواقدى
رحمه الله تعالى) ثم ان خالدا وجه يزيد بن معرج التنوخى الى عمرو بن العاص مسرعا وأعلمه بذلك فترك فى
مصر ابن عمه خارجة وكان رجلا صالحا وأخرج معه أربعة آلاف فارس وترك فى مصر نحوا من أربعين فارسا
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء اليهم أربعة آلاف فارس فلما أقبلوا سلموا عليه وقالوا كنا نحن
نكفيك أيها الامير فقال لهم أعلم ذلك ولكنكم فى أول بلاد العدو وما ينبغى أن أقعد عنكم ففرحوا بذلك
وتأهبوا للقاء العدو وكانوا كل يوم يخرجون الطلائع ويتجسسون الاخبار فلما كان فى بعض الايام خرج الفضل
ابن العباس بن عبد المطلب وأخوه عبد الله بن العباس وجعفر بن عقيل وأخواه على ومسلم وعبد الله بن
الزبير وسليمان بن خالد بن الوليد ومحمد بن قرحة بن عبد الله وعبد الله بن المقداد وعبد الله بن عمر بن الخطاب
وعبد الله بن عمرو بن العاص وعمر بن سعد بن أبى وقاص ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن أبى بكر الصديق وزياد بن

بكر باشا) الطرابلسى يوم
الخميس الخامس والعشرين
من ربيع الاول سنة
احدى عشرة ومائتين
وألف وتوجه الى غزة يوم
السبت سابع صفر سنة
ثلاث عشرة ومائتين وألف
وذلك بسبب قدوم طائفة
الفرنسيس الى مصر

المغيرة بن شعبة وتبعهم من السادات نحو أربعمائة سيد من أولاد الصحابة والامراء أصحاب الرايات وألف وستمائة من أخلاط العرب من المهاجرين والأنصار ولبسوا دروعهم وتقلدوا بسيوفهم واعتقلوا برماحهم وتنكبوا بحجفهم وساروا الى قريب من دير هناك بسفح الجبل يعرف بدير المسيح يكشفون الاخبار فبينما هم كذلك اذا بغبار طالع الى عنان السماء وانعقد فنظر بعضهم الى بعض وقالوا هذا غبار وحش وقال بعضهم لو كان كذلك لكان تقطع قطعا وتفرق فرقا وانما هذا عسكر جرار وان الخيل اذا داست بحوافرها ارتفع الغبار (قال الراوى) حدثنا ابو الزناد عن عبد الله عن أبى مالك الخولانى عن طارق بن شهاب الجرهمى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال بينما نحن نتحدث مع الفضل واذا بالغبار قد قرب منا وانكشف عن عشرة آلاف فارس ومعهم الاعلام والصلبان فلما رأونا رطنوا بلغتهم ثم لم يمهلونا دون أن حملوا (قال الراوى) وكان ضرار بن الازور قد انفرد ومعه مائتان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل النجدة وساروا فى طريق الجبل على غير الجادة فبينما هم يسيرون اذا بالغبار قد ثار وانكشف عمن ذكرنا فلما عاينوهم ايقنوا بالهلاك فعندها وثب ضرار رضى الله تعالى عنه وقال لا فرار من الموت فلم يمهلوهم دون أن داروا عليهم فرأوا أن لا بد لهم من القتال والتقت الرجال بالرجال وصبر واصبر الكرام وأحاطت بهم الروم اللئام من كل جانب ومكان فلله در ضرار لقد قاتل قتالا شديدا لم يكن غير ساعة حتى قتل من جماعة ضرار جماعة وكبا به جواده فاسروه وأسروا جماعة من أصحابه وكان الذى قاتلهم رأس البطارقة صاحب بيت المكبرى فأوثقوا ضرارا وأصحابه كتافا وربطوهم على ظهور خيولهم وأرسلوهم الى العسكر وانفلت من القوم مولى من موالى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق يقال له سالم فسار يجد فى مسيره حتى قدم على خالد وعرفه بذلك فوثب المسيب ابن نجية الفزارى ورافع بن عميرة الطائى وأخذا معهما ألفا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسارا ومعهما رجل ممن أسلم من الجبرة يدلهم على طريق غير الجادة وكمنوا هنالك عند الدير وقد سبقوا البطريق الذى أسر ضرارا وأصحابه وقد اختفى عنهم الاثر فقال الدليل أظنكم قد سبقتم القوم اكمنوا ههنا وكان الذى مضى بضرار وأصحابه خمسمائة فارس (قال الراوى) وكانت خولة بنت الازور قد شق عليها أسر أخيها ضرار فلما سار المسيب ورافع وجماعتهما فى طلب أخيها تهللت فرحا وأسرعت فى لبس سلاحها وأتت الى خالد وقد هم القوم بالمسير وقالت أيها الامير سألتك بالطاهر المطهر الا ما سيرتنى مع هؤلاء عسى أن أكون مشاهدة لهم فقال خالد للمسيب ورافع أنتما تعلمان شجاعتها وبراعتها خذاها معكما فقالا السمع والطاعة ونزلوا بالمكان المذكور فبينما هم كذلك كامنون اذا بغبرة قد لاحت لهم فقال لهم رافع أيقظوا خواطركم فأيقظت القوم هممهم فاذا بهم قد أتوا محدقين بضرار وهو متألم من كتافه وهو ينشد ويقول

الا بلغا قومى وخولة أننى * أسير رهين موثق اليد بالقيد * وحولى علوج الروم من كل كافر
وأصبحت معهم لا أعيد ولا أبدى * فلو أننى فوق المحجل راكبا * وقائم حد العضب قد ملكت يدى
لأذللت جميع الروم اذلال نقمة * وأسقيتهم وسط الوغى أعظم الكد * فيا قلب مت هما وحزنا وحسرة
ويا دمع عينى كن معينا على خدى * فلو أن أقوامى وخولة عندنا * والزم ما كنا عليه من العهد
كبا بى جوادى فانتبذت على الوغى * وأصبحت بالمقدور لم أبلغن قصدى

(قال الراوى) فنادته خولة من مكمنها قد أجاب الله دعاءك وقبل تضرعك ونجواك أنا خولة ثم أكبرت وحملت وكبر رافع والمسيب قال جبير بن سالم وكنا اذا كبرنا تصهل الخيل الهاما من الله تعالى فما كان أكثر من ساعة حتى قتلناهم عن آخرهم وخلص الله ضرارا وأصحابه وأخذنا خيل القوم وأسلابهم وسلاحهم وكانت أول غنيمة (قال الواقدى) ولما تخلص ضرار وأصحابه ركب جواده عريانا وأخذ قناة كانت مطروحة وحمل على القوم وهو يقول

لك الحمد يا مولاى فى كل ساعة * مفرج أحزانى وهمى وكربتى * فقد نلت ما أرجوه من كل راحة
وجمعت شملى ثم أبرأت عاتى * سأفنى كلاب الروم فى كل معرك * وذلك والرحمن أكبر همتى
فيا ويل كلب الروم ان ظفرت يدى * به سوف أصليه الحسام بنقمة
واتركهم قتلى جميعا على الثرى * كارمة فى الارض من عظم ضربتى

فى شوال تلك السنة وعزل فى غرة ذى القعدة سنة ثمان ومائتين وألف (ثم تولى الوزير صالح باشا القيصرلى) فى عشرى ربيع الأول سنة تسع ومائتين وألف وعزل فى ذى الحجة سنة عشر ومائتين وألف (ثم تولى السيد أبو

(قال الراوى رحمه الله) فلما فرغ ضرار من شعره اذا بالخيل قد أقبلت منهزمة وكان السبب فى ذلك انه لما حملت الروم على الفضل بن العباس صاح هو و بنو عمه ولم يرعهم كثرة عدوهم وصبر واصبر الكرام واشتد الزحام وعظم المرام وجرت الدماء واسودت السماء وحمى الوطيس وقل الانيس وهمهمت الابطال وقوى القتال وعظم النزال ودارت رحى الحرب واشتد الطعن والضرب وجالت الرجال واشتد القتال وضربت الاعناق وسالت الاحداق وعظمت الامور وغابت البدور وكان المسلمون لا يظهرون فيهم لكثرتهم ولا يعرف بعضهم بعضا الا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وقد صبر الفضل صبر الكرام فلله در الفضل لقد اصطلى الحرب بنفسه فكان تارة يقلب الميمنة على الميسرة وتارة يقلب الميسرة على الميمنة ويقاتل والراية بيده ولله در مسلم بن عقيل وأخويه لقد قاتلوا حين صارت الدماء على دروعهم كقطع اكباد الابل ولله در سليمان بن خالد بن الوليد المقتول بوقعة الدبرقريبا من طرابقرية تسمى دهروط وقتل معه عبد الله بن المقداد وجماعة وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى (قال) محمد بن مسلمة الانصارى رضى الله عنه وقاتلنا قتال الموت وأيقنا أن المحشر فى ذلك الموضع ولم نزل فى قتال من ارتفاع الشمس حتى غربت وقد قتل من الروم مقتلة عظيمة وتقدم الفضل الى بطريق عظيم راكب كأنه برج من ذهب وطعنه فى صدره فأخرج السنان من ظهره فلما رأت الروم ذلك شجعوا أنفسهم وفشا القتال بيننا وبينهم وقتل من المسلمين أربعون رجلا وقتل منهم ثلثمائة لكن الرجل ما قتل منا حتى قتل جماعة من الروم فبينما نحن كذلك وقد أيقنا أن الموت فى ذلك الموقف ووطنا عليه نفوسنا واذا بغبرة قد طلعت والعجاج قد ارتفع وانقشع الغبار عن رايات اسلامية وعصابة محمدية زهاء من ألفى فارس وفى أوائلهم فرسان أمجاد سادات أنجاد أحدهم المقداد والثانى زياد والقعقاع بن عمرو وشرحبيل بن حسنة ومعهم ألف فارس فلم يمهل المقداد دون أن حمل وخاض فى الخيل وهو ينشد و يقول

ألا اننى المقداد أكبر صائل * وسيفى على الاعداء أطول طائل
اذا شتدت الاهوال كنت أمامها * وأضرب بالسمر الطوال الذوابل
ولى همة بين الورى تردع العدا * لما تشهد الابطال بين القبائل
فليس لسيفى فى الانام مبارز * وليس لشخصى فى الانام منازل

ثم انه خاض فى وسط الحرب وحمل من بعده زياد بن أبى سفيان وهو ينشد ويقول

انا زياد بن أبى سفيان * جدى برى من أشرف العربان * كذا ابن عمى أحمد العدنانى
معى حسام ثم رمح ثانى * أطعن كل كافر جبان * وكل قلب ناقص الايمان

(قال الراوى) ثم غاص فى وسط القوم فقلب الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة وغاص فى القلب فولت الروم من بين يديه منهزمين وهو يضرب بالسيف فيهم طولا وعرضا ثم حمل من بعده القعقاع بن عمرو التميمى وهو ينشد ويقول

أنا الهمام الفارس القعقاع * ليث همام ضيغم مطاع * معى حسام يبرئ الاوجاع
ويقطع الهامات والاضلاع * ياويل أهل الشرك والنزاع * منى اذا فى الحرب طال الباع

ثم حمل من بعده شرحبيل بن حسنة وهو يقول

الا يا عصبة الاسلام صولوا * على الاعداء بالسيف الصقيل * أذيقوهم حياض الموت جهرا
بلذع السمهرى الرمح الطويل * وموتوا فى الوغى قوما كراما * شدادا فى المعامع والنزول

(قال الراوى) رحمه الله ثم تتابعت الفرسان يتلو بعضها بعضا هذا و زياد غائص فى القوم كما ذكرنا وقصد البطريق الاعظم صاحب بنا الكبرى وضربه على عاتقه الايمن بالسيف فاطلع السيف يلمع من عاتقه الايسر وقد أجابه المسلمون بتكبيرة واحدة وكبرت الجبال وارتجت الارض لوقع حوافر الخيل وحمل كل أمير على بطريق فقتله فلم تكن الا ساعة حتى ولوا الادبار وركنوا الى الفرار لا يلوى بعضهم على بعض وتبعهم المسلمون يقتلون و يأسرون حتى بلغت الهزيمة جرزة وميدوم فبينما ضرار وأصحابه مقبلون واذا بالروم منهزمة كما ذكرنا وخيل المسلمين فى أثرهم يقتلون و يأسرون ولم يعلموا ما جرى لضرار ورفقته فلما رأوها سلموا عليه

الشهر فانهم قدموا الى الاسكندرية فى شهر المحرم من تلك السنة ثم قدموا منها الى مصر فى شهر صفر فاستقبلهم عسكر مصر عند الرحمانية وهزموا الى الجيزة فالتقوا بهم عند بشتيل قريبا من وسيم وحصلت مقتلة عظيمة وقدر الله أن

وهزموه وأصحابه بالسلامة فقص عليهم ما جرى لهم واجتمعوا بالمسيب وأصحابه وأروهم مكان المعركة ومكان القتلى ففرحوا بذلك فرحا شديدا (قال الراوى) رحمه الله وان عمرا وخالدا لما خرج الفضل وأصحابه قلقا عليهم فقال خالد لعمرو يا أبا عبد الله لقد غرر الفضل وأصحابه بمن معه من المسلمين وانى أخشى أن تكون للروم طليعة فيغيروا على أصحابنا قال عمرو كذلك هجس بخاطرى يا أبا سليمان فما ترى من الرأى قال خالد الرأى عندى أن أرسل طليعة أخرى خلفهم قال نعم الرأى ثم استدعى بالزبير بن العوام وأبى ذر الغفارى رضى الله عنهما وأعلمهما بذلك وأراد خالد أن يركب معهما فمنعه الزبير وحلف لا يسير الا هو وانتخب معه فرسانا فساروا حتى قربوا من القوم والتقوا بالمسلمين فوجدوهم قد كسروا الروم كما ذكرنا ثم جمع المسلمون الاسلاب والسلاح والخيل ورجعوا الى أصحابهم وهم فرحون بالنصرة على أعدائهم (قال الواقدى) رحمه الله فلما رجع المسلمون الى العسكر وكان معهم ستمائة أسير أعلن المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فأجابهم المسلمون كذلك ولما عاينوا الاسلاب والاسارى معهم فرحوا بذلك وسلم بعضهم على بعض وتلقاهم عمرو وخالد وباقى الامراء تفاءلوا بالنصر وقدموا الاسارى وعرضوهم على عمرو وخالد وأوقدوا النيران بالمرج وباتوا يقرؤن القرآن ويتضرعون الى الله الواحد المنان وليس فيهم الا من هو راكع أو ساجد (قال الراوى) رحمه الله هذا ما جرى لهؤلاء وأما المنهزمون فانهم مضوا الى البطارقة والملوك وأخبروهم بما وقع من أمرهم فعظم عليهم من قتل واستعدوا للقتال وركبوا خيولهم وابلهم وأفيالهم وتزينوا بزينتهم وساروا يجدون المسير وقد أكثروا الطبول والزمور والصنوج (قال) قيس بن الحرث وأقام المسلمون بعد الوقعة يوما فبينما نحن فى اليوم الثانى بعد صلاة الصبح وكان الاجاويد من الامراء والابطال فى كل يوم يركبون ويستنشقون الاخبار فبينما هم ينتظرون اذ ثار الغبار حتى تعلق بالجو وانكشف عن رجال وخيول كالجراد المنتشر والسيل المنحدر وارتجت الارض من ازدحام الخيل وقعقعة اللجم فرجعوا وأعلموا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاح الصائح فى العسكر النفير النفير يا خيل الله اركبى وفى الجنة ارغبى وفى الثواب اطلبى فتواثب المسلمون الى عدوهم وابتدروا الى خيولهم فركبوها والى راياتهم فنشروها والى زينتهم فأظهروها والى قلوبهم من الغش فطهروها ونفوسهم لله باعوها فلم تكن الا ساعة حتى استعدوا وأقام خالد وعمرو يعبيان قومهما للقتال فجعلا فى القلب أصحاب الطعن والضرب مثل الفضل بن العباس وبنى عمه من سادات بنى هاشم وهم جعفر ومسلم وعلى أولاد عقيل بن أبى طالب وزياد بن أبى سفيان بن الحرث ومثل هؤلاء الابطال وجعل فى الجناح الايمن الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود الكندى والمسيب بن نجبة الفزارى وجعل فى الجناح الايسر القعقاع بن عمرو التميمى وهاشم بن المرقال وغانم بن عياض الاشعرى وأبا ذر الغفارى وجابر بن عبد الله الانصارى ومثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم وثبت خالد وعمرو فى القلب ومعهما عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعقبة بن عامر الجهنى وبقية الصحابة من الامراء أصحاب الرايات ممن شهد الوقائع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * وعن عبد الله بن زيد عن أبى امامة رضى الله عنه وكان من أصحاب الرايات قال فبينما نحن كذلك اذا بأعلام المشركين قد انتشرت وراياتهم قد ظهرت وزينتهم وصلبانهم قد ارتفعت ولغتهم بالكفر قد طمطمت وأفيالهم قد أقبلت ورجالهم للقتال قد تبادرت فلما رأى المسلمون ذلك أخلصوا نياتهم ولم يهلهم ما رأوا من عدوهم وتضرعوا بالدعاء لخالقهم وقد استغاثوا بمالكهم وأكثروا من الصلاة على نبيهم ولم يزالوا سائرين حتى قربوا من القوم ورأوهم رأى العين فعند ذلك أمسك المشركون أعنة خيولهم وسلاسل أفيالهم وألقى الله الرعب فى قلوبهم ثم خرج منهم بطريق من عظماء بطارقتهم كأنه برج مشيد من ذهب وهو لا يبين منه غير حماليق الحدق وتدوير المآق وبين يديه فارس من متنصرة العرب وهو يصيح بلغته يا معاشر العرب ارسلوا الى الملك أحدا يكلمه فأعلم المسلمون عمرا وخالد بن الوليد بذلك فأراد خالد أن يخرج اليه فمنعه الامراء من ذلك فعندها وثب المقداد بن الاسود وحلف لا يخرج اليه الا هو بنفسه فقال عمرو وخالد يا أبا عبد الله أنظر ما يكلمك به الاعلاج وادعهم الى كلمة الاخلاص المنجية يوم القصاص فان أبوا فالجزية عن يد وهم صاغرون فان أبوا فقاتلهم حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين (قال الواقدى رحمه الله) فعندها ركب المقداد جواده وسار حتى وقف بين يدى البطريق وكان ذلك بواص صاحب

الكفور

المسلمين هزموا وفر مراد بك ومن معه من العسكر الذين يقاتلون فى البر الغربى الى جهة الصعيد وفر ابراهيم بك ومن كان معه فى البر الشرقى الى الشام وحقيقة حال الفرنساوية الذين حضروا الى مصر أنهم فرقة من الفلاسفة اباحية طبائعية

الكفور الطاغي اللعين بطريق البطليوس وقد أتى باذن الملك والبطارقة فلما رآه كلمه بلسان عربي مبين ثم قال يا بدوي أأنت أمير قومك قال لا قال فاني لا أريد الا الامير حتى أسأله عما بدا لي لعل أن تكون فيه مصلحة بينكم وبيننا فقال المقداد سل عما بدا لك وما تريد فانا قوم اذا فعل أحدنا أمرا وفيه نصح للدين ومصلحة للمسلمين لا ينكر عليه ذلك ويجيزله الامير ما فعل فاخبرني عن أمرك وشأنك قال لا يكلمني الا أمير القوم وان لم يكن عنده خوف مني ألقيت سلاحي فقال المقداد وقد ضحك من كلامه ويحك يا عدو الله لو كنت أنت وأمثالك بأسلحتهم ما فكرنا فيهم وان الواحد منا لو وقع في ألف منكم لتلقاهم بنفسه ولا أهمه ذلك والمعونة من الله تعالى فانا وطنا أنفسنا على الموت ونعلم أن هذه الدنيا فانية ولا يبقى الا وجه الله تعالى فاسألني عما بدا لك فقال له لا أسمع الا كلام الامير فدع عنك كثرة المطاولة قال المقداد ان لنا أميرين أحدهما متولي الامر والآخر قائد الجيوش فأي أمير تريد قال أخبرني باسمائهم قال أما الذي هو متولي الامر فيسمى عمرو بن العاص والآخر يسمى خالد بن الوليد قال اني أريد خالدا فاني سمعت عنه أمورا وأحوالا وان الروم تتحدث عنه بعجائب كثيرة (قال الراوي رحمه الله تعالى) وكان الملعون قد سمع بذكر خالد وفراسته وقال في نفسه لعلي أغدره فاني ان قتلته كان لي الفخر على جميع الروم وينكسر بذلك ناموس العرب وان لم أقدر عليه أسمع ما يقول من خطابه قال فعند ذلك لوى المقداد عنان جواده ورجع الى خالد فعند ذلك قال خالد لأصحابه ان المقداد قد رجع وان عدو الله لا يريد الا اياي فان طلبني مضيت اليه وان رأيت منه غدرا أخذت روحه من بين كتفيه وأستعين عليه بالملك العلام (قال الراوي) فبينما خالد يتحدث بهذا الكلام اذا بالمقداد قد وصل وأعلم عمرا وخالدا بما وقع فعندها خرج خالد رضي الله تعالى عنه مبادرا وعليه لامة حربه فتعلق به أكابر أصحابه لخلف انه لا بد له من الخروج اليه ثم خرج مبادرا حتى وقف بين يديه فلما رأى خالدا قد وصل اليه احترز على نفسه وأراد ان يخدع خالدا ويهجم عليه فقال خالد أيها البطريق ها أنا خالد سل حاجتك والذي جئت به واياك والمخادعة فاني جرثومة الخداع فقال بواص يا خالد اذكر لي الذي تريد وقرب الامر بيننا وبينكم واحقن دماء الناس واعلم أنك مسؤل عن ذلك وواقف غدا بين يدي الله عز وجل فان كنت تريد شيأ من الدنيا فانا نحمل به اليكم وندفعه صدقة منا اليكم لانه ليس عندنا في الامم أضعف منكم حالا وقد علمنا انكم كنتم في بلادكم قبل ان تفتحوا البلاد في قحط وجوع وتقتاتون هزالا وقد ملكتم بلادا وشبعتم لحما وركبتم خيولا مسومة وتقلدتم بسيوف مجوهرة وسعدتم بعد فقركم وفاقتكم فان طلبتم منا شيأ أعطيناكم اياه بطيبة قلوبنا فلا تطمعوا في بلادنا كما طمعتم في غيرها واقنعوا منا بالقليل قال فلما سمع خالد مقالته قال يا كلب النصرانية وأخس من غمس في ماء المعمودية انه قد بعث الله الينا نبيا فهدانا من الضلالة وأنقذنا من الجهالة وانا قد ملكنا الله بايدينا ما أغنانا به عن صدقتكم وأحل لنا أموالكم وأباح لنا نساءكم وأولادكم الا أن تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فان أبيتم ذلك فتؤدوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون فان أبيتم ذلك فالسيف حكم بيننا وبينكم حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين والله ينصر من يشاء وان الحرب والقتال أحب الينا وأشهى من الصلح وان كنتم تزعمون انه لم تكن أمة أضعف منا عندكم فانتم عندنا بمنزلة الكلاب فان الواحد منا يقاتل منكم ألفا وان هذا ليس بخطاب من يطلب الصلح فان كان هذا الطمع ترجو به ان تصل الي بانفرادي عن أصحابي فذلك عنك بعيد وان أردت القتال فدونك فاني كف لك ولاصحابك ان شاء الله تعالى فلما سمع بواص كلام خالد وثب في سرجه وقال ليس لك عندي الا هذا السيف ثم جرد سيفه ودنا من خالد رضي الله تعالى عنه وشابكه وضرب بيده في درعه ومنطقته ووثب كل منهما على الآخر واستغاث الملعون باصحابه وقال لهم بادروا الي فقد امكنني الصليب من أمير العرب فابتدر اليه البطارقة من جانب وخرج كردوس عظيم أكثر من مائتي فارس وجردوا السيوف وأتوا الى خالد رضي الله تعالى عنه فلما رآهم خالد مقبلين اليه وثب وثبة الاسد وصاح بجواده وانتزع نفسه من البطريق بعد ان أحاطت به الروم وجاء كردوس ثان وخالد يضرب فيهم يمينا وشمالا وعدو الله بواص يصيح ويقول يا ويلكم خذوه قبل ان يفوتكم قال وكان ضرار والفضل بن العباس وعلي بن عقيل وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن طلحة وعبد الله بن المقداد وسليمان بن خالد رضي الله عنهم على كثيب قريب من الروم فلما رأوا الروم والسيوف بايديهم وقد أحاطوا بخالد ركضوا خيولهم وكان أول من ابتدر

يقال لهم نصارى فانوا فيه يتبعون عيسى عليه السلام ظاهرا وينكرون البعث والدار الآخرة وبعثة الأنبياء والمرسلين ويقولون ان الله واحد لكن بطريق التعليل ويحكمون العقل ويجعلون منهم مدبرين يدبرون

للحرب ضرار بن الازور رضي الله تعالى عنه وهو ينشد

عليك ربي في الامور المتكل * اغفر ذنوبي ان دنا مني الاجل * يارب وفقني الى خير العمل
وعن امح سيدي كل الزلل * أنا ضرار الفارس القرم البطل * يا محي على الاعداء اضحى المتصل
اقمع بسيفي الروم حتى يضمحل * مالي سواك في الامور من أمل

(قال الراوي رحمه الله) حدثنا رفاعة بن قيس قال حدثنا حامد بن عياض عن أبيه عن جده عن نافع بن علقمة اليربوعي قال كنت في القلب في عسكر عمرو يوم وقعة الروم بمرج دهشور قال بينما نحن ننتظر اذ رأينا السيوف جذبت وأحاطت بخالد بن الوليد فخرجنا كردوسا من أجاويد الرجال من طرف الميمنة وبادرناهم ولحقناهم واذا قد سبق ممن ذكرناه يعني ضرارا والجماعة المذكورين فكان أول من قدم على الروم ضرار وهو عريان بسراويله قابضا على سيفه وهو يزأر كالاسد والقوم من ورائه يتبعونه حتى وصلوا وضرار أمامهم وهو واثب على جواده وثبة الاسد مسرعا وهو يهز السيف وهو زاحف على بولص فارتعدت فرائصه وقال ياخالد دعني من هذا الشيطان واقتلني أنت ولا تدعه يقتلني فاني أتشاءم من طلعته فقال هو قاتلك لا محالة هذا مبيد الاقران هذا قاتل وردان وملك التركمان ومبيد عبدة الصلبان ومن يكفر بالرحمن فبينما هم في المحاورة واذا بضرار قد أقبل وهز سيفه وصرخ ياعدو الله لم تغن عنك خديعتك شيأ ولا غدرك بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أراد أن يضربه بسيفه فصاح به خالد اصبر ياضرار حتى آمرك بقتله ووصلت اليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل يبادر الى قتله فقال لهم خالد اصبروا وقال ونظر بولص لعنه الله الى ماحل به وقد جذبه ضرار من قربوس سرجه واقتلعه وجلد به الارض فغشي عليه فأشار بأصبعه وقال الامان الامان ياخالد فقال له خالد ياكلب النصرانية لا يعطى الامان الا لاهل الامان أنت رجل أردت أن تمكر والله خير الماكرين فلما سمع ضرار ذلك لم يمهله دون أن ضربه بالسيف على عاتقه الايمن فأطاح السيف يلمع من عاتقه الايسر فسقط عدو الله يخور في دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وتبادرت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعوا السيف فيهم فلما رأى الروم ماحل بهم حملوا بأجمعهم وتقدمت أصحاب الفيلة وعلى ظهورها الرجال والتقى الجمعان واصطدم الفريقان واشتد القتال وعظم النزال وصفت الصفوف وازدحمت الالوف وتلفت النفوس وقطعت الرؤس وبطل القيل والقال وقتلت الرجال وزمجرت الابطال واشتد القتال واتسع المجال وعظم البلاء واسودت السماء وثار الغبار وقدحت حوافر الخيل الشرار وطمطمت السودان وكفروا بالرحمن وثار العجاج وزمجرت الاعلاج وقاتلت أصحاب الفيلة قتالا شديدا وقد قسموهم أربع فرق فرقة مما يلي الميمنة وفرقة مما يلي الميسرة وفرقة مما يلي القلب وفرقة مما يلي العسكر وتصايحت النوبة والبجاوة والروم فلله در خالد بن الوليد لقد قاتل قتالا شديدا فكان تارة في القلب وتارة في الميمنة وتارة في الميسرة وكذلك الامير عمرو بن العاص والزبير بن العوام والفضل بن العباس الهاشمي والقعقاع بن عمرو التميمي وغانم بن عياض الاشعري رضي الله تعالى عنهم على الساقة مع النساء والولدان والذراري والصبيان وانقطع عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وهاشم بن المرقال الى كردوس ينوف عن ألف فارس من الروم والسودان فغاصوا في أوساطهم وكان فيهم بطريق من بطارقة الكورة اسمه عرنان بن ميخائيل فلما رأى ماحل به وبأصحابه بادر الى الصليب ليقبله وينظر اليه ثم رطن الروم بلغتهم وأحاطوا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا أن يتمكنوا منهم فعندها وثب عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما الى ذلك البطريق فحمل عليه وكان عليه ديباجة صفراء من فوق درعه وعلى رأسه بيضة تلمع كأنها كوكب وفي وسطه منطقة من الجوهر فتعاركا مليا وتصادما سويا ثم ان عبد الرحمن ضربه بالسيف في نحره فأطاح رأسه عن بدنه فلما رأى الروم ذلك حملوا على عبد الرحمن وأصحابه بأجمعهم حملة واحدة وصبر لهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل منهم مشتغل بنفسه عن نصرة صاحبه وأيقنوا بالهلاك وخرج عبد الرحمن وفي يده جرح هائل والدم يسيل على درعه فتناول السيف بيده اليسرى وجعل يقاتل بها وجرح هاشم بن المرقال احدى عشر جرحا في يده وفي وجهه وهو يمسح الدم مرارا فأيقنوا بالهلاك وكان الفضل بن العباس وبنو عمه ممن ذكرنا تارة في الميمنة وتارة في الميسرة وحملوا في أعراض القوم حتى وصلوا الكردوس الذي فيه عبد الرحمن وعبد الله بن عمر

وهاشم

الاحكام يضعونها بعقولهم ويسمونها شرائع ويزعمون أن الرسل محمدا وعيسى وموسى كانوا جماعة عقلاء وان الشرائع المنسوبة اليهم كناية عن قوانين وضعوها بعقولهم تناسب أهل زمانهم ولذا جعلوا في مصر وقراها

وهاشم بن المرقال فوجدوا الروم قد أحاطوا بعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعقروا جواده من تحته وأصحابه يذبون عنه وعبد الله بن عمر تارة يمنع عنه بالسيف وتارة بالرمح وجراحاته تتدفق دما وقد جرح عبد الله بن عمر في يده ست جراحات هائلة فلما رأى الفضل ذلك بادر هو وأصحابه وكانوا عشرين فارسا وخرقوا الصفوف وضرب فارسا ممن أحاط بعبد الرحمن على رأسه فقطع البيضة ونزل الى أضراسه فانجدل صريعا يخور في دمه وعجل الله بروحه الى النار فلما سقط عن جواده ابتدره عبد الرحمن وركب الجواد وقاتلوا أولئك حتى دفعوهم عن أصحابهم وكانت جماعة من الاوس وهمدان مما يلي الجناح الايسر فعطف عليهما كردوس من الروم والسودان فازالوهم عن أماكنهم وكشفوهم عن مراتبهم وفروا بين أيديهم فصاح بهم أبو هريرة رضي الله عنه وابنه عبد الله ومالك بن الاشتر يا قوم لا تولوا فرارا من الموت أتريدون أن تكونوا عارا عند العرب فما عذركم غدا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أما سمعتم قول الله عز وجل فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الآية الله الله الجنة تحت ظلال السيوف والموعد عند قبر المصطفى قال فلم يلتفتوا اليهم ولم يقبلوا كلامهم ووصلت الهزيمة الى غانم بن عياض الاشعري وأصحابه والنساء والصبيان فلما رأت النساء ذلك صحن في وجوههم وفعلن كما فعلن يوم اليرموك وصرن يضربن وجوه الخيل بالاعمدة وقاتلت خولة بنت الازور قتالا شديدا فلما رأى غانم ذلك وكان معه قيس بن الحرث ورفاعة بن زهير المخزومي وخمسمائة فارس من أهل الشدة والنجدة صاح غانم النجدة النجدة يا أصحاب رسول الله فتواثبوا اليهم وحملوا عليهم حملة واحدة بصدق نية وثبات فلما رأوا ذلك ولوا منهزمين ﴿قال الواقدي رحمه الله﴾ ولم يزل السيف يعمل في الرجال من أول النهار الى وقت العصر وأنزل الله النصر على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الافيال والرجال الذين على ظهورها تضرب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنشاب فجاء مفرج بن عيينة الفزاري الى فيل مقدم على أربعمائة فيل فطعنه في احدى عينيه فاشتبك الرمح في عينه وما قدر ان يجذبه فبرطع الفيل هاربا وألقى ما على ظهره من الرجال وداسهم برجليه فقتلهم فتبعته الفيلة التي خلفه وألقت ما على ظهورها من الرجال وداستهم بارجلها فصاح مفرج دونكم وخراطيمها ومشافرها فانها مقاتلها فابتدر بنو فزارة وبنو قراد وبنو عبس يضربون مشافر الفيلة حتى قتلوا منها مائة وستين فيلا وقتلوا من على ظهورها من الرجال ولم تزل القوم في الكر والفر والقتال الشديد حتى جاء الليل وحجز الفريقين ورجعت الروم والسودان الى أماكنهم وتفقد المسلمون من قتل منهم فاذا هم مائتان وأربعون رجلا ختم الله لهم بالشهادة وتفقد المشركون قتلاهم فاذا هم خمسة آلاف من النوبة والبجاوة والروم فبات المسلمون يتحارسون الى الصباح ويقرؤن القرآن ويدفنون قتلاهم فلما أصبح الصباح وقاموا الى الصلاح شاهدوا اذا بالروم والسودان قد أقبلوا بعددهم وعديدهم وقد أظهروا زينتهم واصطفوا خمسة صفوف كل صف أربعون ألفا والمشاة بين أيديهم خمسون ألفا (قال) قيس بن علقمة لقد دخلت العراق ورأيت جنود كسرى والجرامقة واليرموك وأجنادين ووقعة مصر والقبط وفتح اسكندرية ودمياط فلم أر مثل كثرتهم في مرج دهشور فلما رأيناهم وقد ركبوا ركب خالد وجعل يخلل الصفوف ويقول لهم انكم لستم ترون بمصر والصعيد جيوشا بعد هذا اليوم مثل هؤلاء وان كسرتموهم فلا تقوم لهم قائمة أبدا فاصدقوا في الجهاد وعليكم بالصبر واياكم أن تولوا الادبار فتستوجبوا بذلك النار وألصقوا المناكب ولا تحملوا حتى آمر بالحملة (قال الراوي رحمه الله تعالى ورضي عنه) وان البطارقة لما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عولوا على ضربهم شجع بعضهم بعضا وقال لهم بطرس أخو بولص المقتول اعلموا أنكم ان انكسرتم لا تقوم لكم قائمة بعد هذا أبدا ويملكون بلادكم ويقتلون رجالكم ويسبون حريمكم وعليكم بالصبر ولتكن حملتكم واحدة ولا تتفرقوا وقدموا الفيلة أمامكم والرجالة خلف ظهوركم واستعينوا بالصليب فهو ينصركم (قال الراوي) وأما عمرو وخالد فانهما قالا نريد من يكشف لنا عن القوم ويعود فوثب الفضل بن العباس رضي الله عنهما وقال أنا فسار حتى قرب من القوم ورأى زيهم وأهبتهم ورأى شعاع البيض والبيارق والرايات كأجنحة النسور فلما رآه القوم قالوا فارس قد طلع ولا شك انه طليعة فايكم يبتدره فابتدره ثلاثون فارسا فلما نظرهم ولى كأنه منهزم وركض قليلا حتى بعد ثم لوى عنان الجواد نحوهم وطعن أول فارس والثاني والثالث فدخل رعبه في قلوبهم فانهزموا وتبعهم وهو يصرع فارسا بعد فارس حتى صرع منهم عشرين فارسا فلما قرب من الروم

الكبار دواوين يدبرون ما يناسب أهل البلاد بحسب عقولهم وكان في ذلك رحمة بأهل مصر فانهم جعلوا من جملة ديوانها جماعة من المشايخ وصاروا يراجعونهم في بعض أشياء لا تليق بالشرع والسبب الذي

ولى راجعا الى المسلمين وأعلمهم بذلك فقالوا له غررت بنفسك يا ابن عم رسول الله فقال ان القوم طلبونى وخفت أن يرانى الله منهزما فجاهدت باخلاص فنصرنى الله عليهم واعلموا انهم لنا غنيمة ان شاء الله تعالى قال فاقبل عمرو وخالد يرتبان العساكر ميمنة وميسرة وجناحين كما تقدم فى اليوم الأول فجعل فى الساقة زياد بن أبى سفيان بن الحرث فى ألف فارس حول البنين والبنات والاموال وكانت فيهم النساء اللاتى تقدم ذكرهن فى أجنادين واليرموك وهن عفيرة بنت غفار وأم أبان بنت عتبة أخت هند وخولة بنت الازور ومزروعة بنت عملوق وسلمة بنت ذراع ولبنى بنت سوار وسلمى بنت النعمان وهند بنت عمرون وزينب الانصارية فهؤلاء من النساء اللاتى عرفن بالشجاعة فقال لهن خالد يا بنات العرب لقد فعلتن فعالا أرضيتن الله ورسوله والمسلمين بها وقد بقى لكن ذكر يتحدث به جيلا بعد جيل وهذه أبواب الجنان قد فتحت لكن وأبواب النيران قد فتحت لاعدائكن وانى أحرضكن اذا جاءت الروم والسودان اليكن فقاتلن عن أنفسكن كما قاتلتن فى يوم أجنادين ويوم اليرموك فان رأيتن أحدا هارباً فاقصدنه واياه بالعمد واشرفن عليه بولده وقلن له الى أين تولى عن أهلك وولدك وحريمك وحرضن المسلمين على ذلك فقلن أيها الامير ما يفرحنا الا أن نموت أمامك يا أبا سليمان لنضربن وجوه الروم والسودان حتى لا يبقى لنا عذر قال فشكرهن على ذلك ثم عاد خالد الى الصفوف وجعل يدور بينها بجواده ويحرض الناس على القتال وهو يقول أيها الناس انصروا الله ينصركم وقاتلوا من كفر واحبسوا أنفسكم فى سبيل الله واصبروا على قتال أعداء الله وقاتلوا عن حريمكم وأولادكم ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة واتكن سهامكم تخرج من كبد قوس واحدة فان السهام اذا خرجت جميعا لم يخل أن يكون فيها سهم صائب واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون واعلموا أنكم لا تلقون فى الوجه القبلى مثل هؤلاء اللئام فانهم حماتهم وبطارقتهم وملوكهم فقالوا سمعا وطاعة وأقبل خالد ووقف فى القلب مع عمرو بن العاص وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم وقيس بن هبيرة ورافع بن عميرة الطائى والمسيب بن نجية الفزارى وذو الكلاع الحميرى وربيعة وابن عباس ومالك بن الاشتر والعباس بن مرداس السلمى ونظرائهم من بقية الامراء ثم زحفوا بسكينة ووقار فلما رأى الروم ذلك والسودان زحفوا وكانوا ملء الارض طولا وعرضا فلما التقى الفئتان وتراكم الجمعان وقد أظهر أعداء الله فى زينتهم الصلبان والاعلام ورفعوا أصواتهم بالكفر والبهتان فبينما الناس كذلك اذ خرج راهب كبير عليه جبة سوداء وقلنسوة وزنار فنادى بلسان عربى أيكم أمير القوم فيخاطبنى ويخرج الى فخرج اليه خالد فقال له أنت أمير القوم قال خالد كذلك يزعمون ما دمت على طاعة الله وسنة رسوله فان أنا بدلت أو غيرت فلا طاعة لى عليهم ولا امارة فقال القس اعلم انكم قد ملكتم بلادا وقدمتم الى بلاد ما جسر ملك من الملوك أن يتعرض لها ولا يدخلها وان ملوكا كثيرة أرادوها فرجعوا خائبين وأفنوا أنفسهم عليها وليس النصر يدوم لكم وان الملوك أرسلونى اليكم فان سمحتم نجمع لكم مالا ونعطى لكل واحد منكم ثوبا وعمامة ودينارا ولك أنت مائة ثوب ومائة عمامة ومائة دينار ولكل واحد حمل من البر وحمل من الشعير ولك عشرة أحمال ولصاحبكم عمرو عشرة آلاف دينار ومثلها ثياب ومثلها عمائم ومائة حمل بر ومائة حمل شعير وارحلوا عنا وأنتم موقرون أنفسكم فاننا عدد الجراد ولا تظنونا كمن لاقيتم من الفرس والروم وأهل الشام والقبط فان فى هذا الجيش من النوبة والبجاوة والسودان والروم وكبار البطارقة والاساقفة ونجمع عليكم ما لا طاقة لكم به من بلاد السودان والواحات وكأنكم بالنجدة قد وردت علينا وان بقية الروم لم تأت اليكم وانما أرسلوا من يقاتل عنهم فقال خالد والله ما نرجع عنكم الا باحدى ثلاث خصال اما أن تدخلوا فى ديننا أو تؤدوا الجزية أو القتال وأما ما ذكرت انكم عدد الجراد فالله قد وعدنا بالنصر على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزله فى كتابه وأما ما ذكرت انكم تعطوننا من الثياب والعمائم فعن قريب نلبس ثيابكم وعمائمكم ونملك بلادكم جميعها كما ملكنا الشام ومصر والعراق واليمن والحجاز والروم فقال الراهب أنا أرجع وأخبر أصحابى بذلك فانى قد أتيت من قبل البطليوس صاحب مدينة البهنسا وقد أرسلنى الى صاحب اهناس واتفق الملوك والبطارقة وأرسلونى اليكم وأنا أرجع اليهم وأخبرهم بجوابك ثم ان القس لوى راجعا من حيث جاء فلما رجع اليهم وأخبرهم بذلك كاتبوا ملوكهم على ذلك وأرسلوا جوابهم بالقتال فلما وصلت الكتب تقدمت الروم والسودان وقدموا بين أيديهم الفيلة وأمامهم الرجالة بالقسى والسيوف والدرق والمزاريق فصاح الفضل بن العباس ورفاعة بن زهير المحاربى

أوجب لاهل مصر وقراها بعض الانقياد اليهم عجزهم عن مقاومتهم بسبب هروب المماليك الذين معهم آلات القتال وأنهم عند قدومهم كتبوا كتبا وفرقوها فى البلاد وذكروا فيها أنهم

والقعقاع بن عمرو التميمي وشرحبيل بن حسنة والمقداد بن الاسود الكندي ومعاذ بن جبل وقالوا معاشر المسلمين اعلموا أن الجنان قد فتحت والملائكة قد أشرفت والحور تزينت وأشرفت من الجنان ثم قرأ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ثم رتبوا الصفوف فتقدم خالد وقال اقرنوا المواكب واثبتوا واعلموا أن هؤلاء أكثر منكم بعشرة أمثالكم وأزيد فطاولوهم الى وقت العصر فانها ساعة النصر على الاعداء واياكم أن تولوا الادبار وازحفوا على بركة الله وعونه (قال الراوى) وتزاحمت السودان والبربر والنوبة والبجاوة فلما تقارب الجمعان رمت أصحاب الفيلة نشابهم فكانت كالجراد المنتشرة فلوار جالا وجرحوا أبطالا وخالد تارة يضرب بسيفه فى الميمنة وتارة فى الميسرة وكان فى أصحاب الفيلة من السودان والبربر سواكن يسمونهم القوادشة فاهم الهلب مشقوقة وبها خزام من نحاس فاذا كان وقت الحرب لا يخرجون القواد الا اذا حمى الحرب واشتد الطعن والضرب وكانوا سودا طوالا طول كل واحد منهم عشرة أذرع فاذا أرادوا الحرب جعل فى كل خزام سلسلة بطرفين فى كل طرف منهما واحد من البربر فاذا وقع صلح بين الفريقين والا زحفوا بهم وأطلقوا السلاسل ودفعوا لهم أعمدة من حديد طوالا فيضرب الواحد الفارس والفرس فيقتلهما بضربة ومنهم من يركب الفيلة ويقاتل على ظهورها فلما التقى الجمعان خرجت تلك القواد وعلى أجسادهم جلود النمور وفوق أكتافهم مربوطة على صدورهم وفى أوساطهم مثل ذلك وهم عراة الاجساد والرؤس ليس عليهم غير ما ذكرنا وبأيديهم الاعمدة والرجال يقودونهم بتلك السلاسل والجيوش ينتظرون متى يؤمرون بالحملة فلما رأى المسلمون ذلك فمنهم من ثبت ومنهم من جزع قال وبرز البطريق أخو بواص المقتول وهو راكب على جواد عال وعليه لحاف من جلود الفيلة وقاتل (قال الراوى) حدثنى خالد بن أسلم عن طريف ابن طارق وكان من الازد قال لما فعل البطريق ذلك ولت الازد من بين يديه منهزمين واذا بفارس قد أقبل يركض بجواده وهو عارى الجسد حتى قرب من القوم وأنشد يقول

لقد ملكت يدى سنانا وصارما ✽ أذل عداة السوء ان جئت قادما ✽ واتركهم شبه الرخام اذا مشى
عليه شجاع لا يزال مصادما ✽ الا كاغنام مضين بقفرة ✽ وأصبح مولاها عن السعى نائما
وقد ملك الليث الغضنفر جمعها ✽ وأصبح فيها بالمخالب حاطما

(قال الراوى رحمه الله تعالى) وصاح الفارس أنا ضرار بن الازور أنا قاتل ملوك الشام أنا ناصر دين الاسلام والمسلط على من يكفر بالرحمن أنا قاتل بواص الكلب ذى الطغيان قال فلما سمع الروم كلامه عرفوه فتقهقروا الى ورائهم فطمع فيهم وحمل عليهم فقال بطرس من هذا البدوى الذى لم يزل عارى الجسد ويقاتل بالسيف مرة وبالرمح مرة قالوا هذا ضرار بن الازور فتحير الملعون وقال هذا قاتل أخى ولقد اشتهيت أن آخذ بثاره ثم عزم على الخروج اليه فسبقه بواص رأس بطارقة الكورة وقال أنا آخذ بثارك ثم حمل على ضرار فتجاولا طويلا واعتركا مليا فما كان أكثر من ساعة حتى طعنه ضرار طعنة صادقة فى صدره خرقت الدروع وخرجت من ظهره فانجدل صريعا وعجل الله بروحه الى النار فقال بطرس هذا جنى وليس للانسان أن يقاتل الجن ثم لبس لامة حربه وتعصب بعصابة من اللؤلؤ الرطب ولبس فوق درعه مثل ذلك وخرج يطلب ضرارا فسبقه شدم ادرس أحد بطارقة الكورة وحلف لا يخرج اليه غيره وحمل على ضرار وقال دونك والقتال فلم يفهم ضرار ما يقول ثم حمل عليه وأخرج صليبا من الذهب كان معلقا فى عنقه فضحك ضرار عليه وقال أنت تستعين بالصلبان وأنا أستعين بالملك الديان ثم أرى كل منهما ما أدهش الناس فى الحرب فصاح خالد وبقية الامراء ما هذه الفترة يا ضرار والجنة قد فتحت لك وابوابها قد فتحت النار فاستيقظ ضرار وحمل على البطريق وصاحت الروم بصاحبها وصار وافى حرب عظيم وحميت عليهم الشمس وثار الحرب حتى كل منهما الساعدان وعرق من تحتهم الجوادان فأشار البطريق الى ضرار ان يترجل ويترجل البطريق معه شفقة على الجوادين واذا برأس بطارقة أهناس قد أخرج له جوادا مجللا بالحرير ليركبه فلما نظر ضرار الى ذلك صاح بجواده أثبت معى هذه الساعة والا أشكوك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فذرفت عين الجواد بالدموع وحمحم وجرى أكثر من جريه المعتاد وتلقى ضرار البطريق وحمل عليه وطعنه بعقب الرمح فأرداه وأخذ جواده وأراد قتله واذا بكردوس خرج من الروم ومعهم الكلب الكبير شاول أحد بطارقة الاشمونين وأحاطوا بضرار وكان على رأس

ليسوا نصارى لانهم
يقولون ان الله واحد
والنصارى تقول بالتثليث
وانهم يعظمون محمدا
ويحترمون القرآن
وانهم يحبون العثمانلى
ولم يأتوا الا لطرد
المماليك الظلمة لانهم
نهبوا أموالهم وأموال

شاول تاج من الذهب الاحمر فلما رأى الصحابة الكردوس الذى خرج على ضرار والتاج يلمع على رأسه قالوا لا حول ولا قوة الا بالله ما سبب قعودنا عن نصرة صاحبنا وقد أحاطت به الروم فعندها خرج خالد رضى الله تعالى عنه فى عشرة من خيار قومه وهم الفضل بن عباس بن عبد المطلب وأخوه عبد الله بن جعفر ومسلم وعلى أولاد عقيل وعبد الله ابن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن المقداد وقوموا الاسنة وأطلقوا الاعنة وصبر ضرار للروم حتى وصلت اليه الامراء وقال أبشر يا ضرار فقد أتاك النصر والفرج وقد ذهب عنك الخوف والجزع فلا تخف من الكفار واستعن بالله الواحد القهار فقال ضرار ما أقرب الفرج من الله والتقت الرجال بالرجال وطلب خالد صاحب التاج والعصابة وضرار مع خصمه فلما رأى شاول البطريق المسلمين قد أحدقوا به ومال بجماعته اند... وارتعد هذا وضرار مع خصمه وقد أراد الهرب فألقى ضرار نفسه من على جواده وتبعه حتى لحقه ثم رمى الرمح من يده وتحاذيا بالمناكب وتصارعا وكان عدو الله كأنه قطعة من جبل وضرار نحيف الجسم غير ان الله أعطاه قوة فلما طال بينهما العراك ضرب ضرار بيده فى بطن عدو الله فقلعه وجلد به الارض فصاح يستنجد بالبطارقة وتصارخت الروم والسودان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمهله ضرار دون أن ركب عليه وهو يهيج كالبعير فعندها أظهر ضرار سيفه ومكنه من نحره فقتله فزعق زعقة سمعها العسكران فحملت الروم والسودان هذا وضرار قد احتز رأسه وقام عن صدره وهو ملطخ بالدماء ثم كبر المسلمون ودنا الفريقان بعضهم من بعض والتحمت الابطال وقوى القتال وعظم النزال وسال العرق وازورت الحدق وعظمت الرزايا وأظلمت الدنيا ودارت رحى الحرب وقوى الطعن والضرب وضاقت الصدور واشتدت الامور وضاقت المذاهب وقطعت المناكب وما كنت ترى الا دما فائرا وكفا طائرا وجوادا غائرا هذا وقد زحفت السودان وأصحاب السلاسل ذوو الكفر والطغيان وضربوا بالاعمدة الحديد ويومهم يوم شديد وبانت الشجعان وفر الجبان وبقى حيران هذا وعمرو بن العاص يحرض الناس على القتال ويقول يا أيها الناس ويا حملة القرآن اذكروا غرف الجنان فسر الناس بقوله ونشطوا وصارت السودان يضربون الفارس مع الفرس بالعمد الحديد فيقتلونهما جميعا وكذلك أصحاب الفيلة يرمون بالنشاب ويضربون بالحراب الى أن جاء وقت العصر وقد قتل من الفريقين خلق كثير وظفر خالد بخصمه شاول لعنه الله وضربه بالسنان فى صدره فخرج السنان يلمع من ظهره ووقع على الارض يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار قال ولما عظم القتال والبلاء قال رفاعة المحاربى وقد انتخب من بنى محارب والبيد وما لاث خمسمائة فارس وقصد الفيلة وقال يا وجوه العرب دونكم وأعينها ودنا من الفيل الابيض وهو قائدها وهى خمسمائة فيل وتقدم اليه والسيف فى يده وهو ينشد ويقول

يا لك من ذى جثة كبيره * لقيت كل شدة خطيره

اليوم قد ضاقت بك الحظيره * حتى ترى ما تلقى على الحفيره

قال ثم ضربه بالسيف فولى هاربا ثم برك وكان عليه عدة من السودان فى قبة من الاديم فلما سقط الفيل الى الارض قام علج عن ظهره وفى يده عمود فضرب به رفاعة فزاغ عنه وضربه رفاعة على عاتقه الايمن فاطلع السيف يلمع من عاتقه الايسر فسقط عدو الله يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار فتلاحقت العرب بأعجاز الفيلة وصاروا يطعنون الفيلة فى أعينها كما ذكرنا فولوا منهزمين قال وقصد خالد والمقداد وأجواد الامراء القواد الذين تقدم ذكرهم وطلبوا من الله النصر والثبات وصاروا يأتونهم وهم فارس عن اليمين وفارس عن اليسار فيقتلون مسالك السلاسل ثم يمسكون أطراف السلاسل ويطلقون الاعنة فينقادمعهم كالبعير الشارد فيأخذون العمود من يده ويقتلونه شر قتلة ولم يزل القوم فى قتال ونزال وأهوال حتى جاء الليل وحجز بين الفريقين وقد قتل من الفريقين خلق كثير فاما المسلمون فقد قتلوا منهم اثنى عشر ألفا غير الملوك ومن البطارقة خمسة عشر بطريقا وما ملكا من السودان وغيرها وبات المسلمون يتحارسون الى الصباح (قال الراوى رحمه الله) وكان قد أثخن بالجراح جماعة من المسلمين فى ذلك النهار وكان المسلمون طائفة يدفنون القتلى وطائفة يداوون الجرحى وطائفة يقرؤن القرآن وطائفة يصلون وطائفة نيام من كثرة ما لحقهم من التعب وخالد بن الوليد والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم يدورون حول العسكر الى الصباح فلما

تجارهم ولا يعارضون الرعايا فى شئ لكن لما دخلوا لم يقتصروا على نهب أموال المماليك بل نهبوا الرعايا وقتلوا جملة من الناس لما قامت عليهم أهل مصر بسبب طلبهم تفريد غرامة على البيوت وقتل منهم

لاح الفجر أذن المؤذنون وصلى عمرو بن العاص بالناس الصبح بسورة الفتح ثم دعوا الله عز وجل أن يرزقهم النصر ثم تبادروا الى خيولهم فركبوها ورتبوا صفوفهم كما ذكرنا فيما تقدم بالامس فلما فرغ المسلمون من تعبية الصفوف أقبل الامراء يحرضون الناس على القتال وقد جعلوا على الساقة رافع بن عميرة الطائى والحرث ابن قيس ورفاعة بن زهير فى خمسمائة فارس (قال الراوى) قال عبادة بن رافع حدثنا سالم بن مالك عن عبد الله بن هلال وكان فى خيل رافع قال لما رتبت الصفوف والتقى الجمعان وكثر القتال وكل واحد اشتغل بنفسه ونحن نذب عن النساء والصبيان والنساء اللاتى تقدم ذكرهن يقاتلن أشد القتال اذ جاءنا كردوس عظيم من البطارقة والسودان والبجاوة ومعهم زهاء من ستمائة فيل وغافلونا ونحن مشغولون بالقتال واقتطعوا قطعة كبيرة من الابل والرجال والنساء والصبيان زهاء من ألف بعير ومائتى امرأة وغير ذلك وكان فى ذلك زائد بن رباح البكرى وعباد بن عاصم الغنوى ومعهما مائتا فارس فقاتلوا قتال الموت حتى أثخنوا بالجراح وقاتلت النساء بالاعمدة والسيوف والخناجر فلله در عفيرة بنت غفار وسلمى بنت زاهر ونظائرهما من النساء لقد قاتلن حتى ضربن بالسيف على رؤسهن وسالت الدماء على وجوههن وهن يقلن الله الله يا نساء العرب قاتلن عن العسكر وعن أنفسكن والا صرتن بايدى الاعلاج الغلف والسودان فقاتلن قتال الموت وقتل من المسلمين خمسة عشر نفرا ختم الله لهم بالشهادة وساقوا النساء والصبيان فرجع فارس الى خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأعلمهما بذلك وهم فى أشد القتال فتصايحت المسلمون وخرج جماعة من الامراء من وسط المعركة وهم الفضل بن العباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وزياد بن أبى سفيان وعبد الله بن أبى طلحة وضرار بن الازور وجماعة من الامراء وتبعهم ستمائة فارس من العرب من صناديد القوم وادركوهم عند أول الجبل وهم يريدون جهة الفيوم فعند ذلك زعق ضرار والفضل بن العباس الى أين يا أعداء الله فتراجعت الروم والسودان عنهم واقتتلوا قتالا شديدا فابتدر ضرار الى مقدم السودان وطعنه فى صدره فأطلع السنان يلمع من ظهره وكذلك الفضل بن العباس تقدم الى بطريق عظيم وطعنه فى لبته فأطلع السنان يلمع من قفاه فانجدل يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار قال واستمروا يقاتلون حتى قتلوا مقتلة عظيمة فلما عاينوا ذلك ألقوا ما بأيديهم من الغنيمة وولوا وتواثب المسلمون وردوا السبى والحريم وردوا الاسارى وحلوهم وساعدتهم النساء بالاعمدة والسيوف والخناجر فكانت النساء يضربن وجوه الخيل بالعمد فيكبو الجواد بصاحبه فتتعلق المرأة بالفارس وتجذبه الى الارض فتجلد به الارض ثم تضرب به فتقتله حتى قتلن جماعة من الروم والسودان والبجاوة وغيرهم فلما رأوا ذلك ولوا منهزمين من بين أيديهم وتبعهم المسلمون يقتلون و يأسرون حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا منهم نحو ستمائة أسير من الروم والسودان وزحفوا وقد غنموا أسلابهم وخيولهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) هذا ما جرى لهؤلاء وأما العسكر فانهم لم يزالوا فى قتال شديد وأمر عتيد وضرب وطعان وقتل رجال وجندلة أبطال وفرسان وقد قامت الحرب على قدم وساق وضربت الاعناق وصالت الشجعان وولى الجبان حيران ودارت رحى الحرب واشتد الطعن والضرب وقطعت المعاصم وطارت الجماجم وحامت طيور المنايا وعظمت الرزايا واشتد الزحام وعظم المرام وضاقت الصدور وعظمت الامور واشتد الغبار وقل الاصطبار وقاتلت الامراء بالرايات وبربرت السودان بلغاتها ورفعت الروم أصواتها وضربت بوقاتها وطعنت برماحها ورمت بنشابها وحارت الافكار وعميت الابصار وثار الغبار وأظلم النهار وكان شعار المسلمين يا نصر الله انزل وصبر المسلمون لهم صبر الكرام فلله در الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود والفضل بن العباس وعقبة بن عامر والمسيب ابن نجية الفزارى ونظائرهم من الامراء فلقد قاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء حسنا وصبروا صبر الكرام وأما عمرو وخالد والقعقاع بن عمرو وسعد بن زيد فلقد كانوا يقاتلون قتال الموت وزحفت الفيلة برجالها وقاتلت الروم بأبطالها والسودان بأفيالها وقد كانت الفيلة تعطف على خيل العرب ويرمون بالنشاب فخرج كالجراد المنتشر حتى قلعت أعين كثيرة فى ذلك اليوم فما كنت تسمع الا من يصيح واعيناه وهذا يصيح وايداه والفيلة تحطم والسودان يرمون الابطال فعند ها وثب رفاعة بن زهير المحاربى وأتى الى خالد وعمرو وقال أيها الامراء ان دام هذا الامر هكذا هلكنا عن آخرنا قال فما الرأى يا أبا حازم قال الرأى أن

ما يقرب من الالف وهتكوا بعض الاعراض فى مصر وقراها فان كل قرية حاربتهم نهبوا أموالها وقتلوا رجالها وأخذوا نساءها وقتلوا من علماء مصر نحو ثلاثة عشر عالما ودخلوا بخيولهم

نجمع ثيابنا ونغمسها بالزيت والدهن ونجعلها على رؤس الرماح ونجعل في أعلاها نارا ثم نأمر رجالنا يجمعون
القيصوم وغيره ونجعله في غرائر على ظهور الجمال عريانا ونشعلهم بالقتال ثم تأتي الفرسان عمالنهم وتساق
عليهم الجمال فانها اذا أحست بالنار حطمتهم فلا يصبرون على ذلك والمعونة من الله تعالى فاستصوبوا
رأيه وأعدوا رجالا لذلك وناوشوهم القتال فلم يكن الاساعة حتى تهيأت المكيدة وجمعوا من الفرسان ألف
فارس وصبغوا تلك الثياب بالدهن والزيت وأطلقوا النيران برؤس الاسنة وحملوا الغرائر بالقيصوم
وغيره واشعلوا فيه نارا ووضعوا الحراب في أجناب الابل فلما أحست بالحراب في أجسامها والنار في ظهورها
فعندها حطمت الروم والسودان فلما رأت الفيلة ذلك طارت عقولها وقطعت سلاسلها وداست
قوادها ورمت ما على ظهورها من الرجال وداستهم بأخفافها ورجعت خيل الروم وبراذينها وهربت
بغالها وذابت قلوب رجالها وضربت الامراء في الاعداء بسيوفها وطعنت برماحها ورمت بنشابها
قال المسيب بن نجية ولقد رأينا طيورا أظلتنا في زى النسور وكان الطائر يرفرف بجناحيه على وجه
الكافر ورأسه ثم يضع مخاليبه في عينيه فيرميه الى الارض فلم تكن الاساعة بعد صلاة العصر حتى
ولت الروم الادبار وركنوا الى الفرار وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون حتى جاء الليل وأظلم النهار
ووصلت الهزيمة الى القرية المعروفة بالدير والى اللاهون والى أهناس والى ميدوم وتبعتهم المسلمون الليل
كله الى الصباح وقد تفرق شملهم وشرد جمعهم وأسر منهم جماعة كثيرة نحو خمسة آلاف وقتل منهم
مالا يحصى (قال) رافع بن أزد الجهني لما رجعنا الى مكان المعركة وجدنا الارض قد امتلأت من قتلى الروم
والسودان والبجاوة وغيرهم واختلط جماعة من قتلى المسلمين بهم ما عرفناهم من الروم الا أن الروم كان بأيديهم
صلبان والمسلمون ليس لهم ذلك فميزناهم منهم بذلك وجمعنا جريد النخل والقصب ووضعنا على كل قتيل
جريدة أو قصبة وذلك في مكان المعركة ثم جمعناها وحصرناها فاذا الكفار تسعون ألفا وقتل في الجبال
والطرقات مالا يحصى وتفقد المسلمون من قتل منهم فاذاهم خمسمائة وثلاثون رجلا وجمعت المسلمون الغنائم
والاموال ثم قسمت وأخرج عمرو منها الخمس وكتب كتابا بالفتح وما جمعه من الخمس واستدعى بالامير هاشم بن
المرقال رضي الله عنه وندب معه ثلاثين رجلا من خيار الجند وأمره بالمسير الى المدينة وأقام المسلمون بالمرج
بعد الوقعة خمسة أيام حتى استراحوا ورجع من كان خلف المنهزمين ثم اجتمعوا الى عمرو واستأذنوه في المسير
الى الوجه القبلي فأذن لهم وودعهم ودعا لهم وقال يعز على فراقكم ولولا أن أمير المؤمنين لم يأمرني بالمسير
ما فارقتكم ثم رجع معه ثلاثة آلاف ومائة وعشرون وكان جملة من قتل ثمانمائة وثمانون ختم الله لهم
بالشهادة وقيل ألف وقيل تسعمائة وأربعون على اختلاف الرواة والله أعلم أي ذلك كان (قال الراوي
رحمه الله تعالى) ما أخذت في هذا الكتاب الا على قاعدة الصدق والمعونة من الله تعالى فلما ملكت
المسلمون البلاد وأذلت أهل الشرك والفساد وذلك ببركة الصحابة رضي الله عنهم فهم الرجال الأبطال
والسادة الأخيار والمهاجرون والانصار وأصحاب محمد المختار الذين فتحوا بسيوفهم الامصار وأذلوا
الكفار وأرضوا العزيز الغفار وباعوا نفوسهم لله الواحد القهار بجنات تجري من تحتها الأنهار (قال
الراوي رحمه الله) لما رجعت المنهزمون الى الملوك والبطارقة وأخبروهم بذلك وقع الرعب في قلوبهم وحاروا في
نفوسهم ولم يدروا ما يدبرون وما يصنعون قال فصعب على بطريق اهناس وعلى صاحب البهنسا ما صنع
بطارقتهما وعولوا على الحصار وجمعوا الآلة وصاروا يخزنون ما يحتاجون اليه وتيقنوا أن لابد للعرب من
أرضهم ووطنوا أنفسهم وكذلك بطارقة الصعيد وملوكه وضاقت نفوسهم مما حل بهم (قال الراوي) ووصل
الكتاب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ففرح بذلك فرحا شديدا وقرأ الكتاب على علي بن أبي طالب
وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحوا
بذلك فرحا شديدا ثم قسمت الغنائم على أهل المدينة وقسم لنفسه كأحدهم رضي الله عنهم وكتب جواب
الكتاب ودفعه لهاشم وقال له قل لعمرو يحث الصحابة ويحرضهم على فتح الصعيد (قال الراوي) وأما عمرو
ابن العاص رضي الله عنه فانه لم يرجع الى مصر حتى قسم الغنائم بين الصحابة وفضل أصحاب الولاء وأهل

الجامع الازهر وسكنوا فيه
يوما وبعض الليلة الثانية
وقتلوا فيه بعض علماء
ونهبوا منه أموالا كثيرة
وسبب وجودها فيه أن
أهل البلد ظنوا أن
العسكر لا يدخله فخزنوا فيه
أمتعة بيوتهم فنهبوها
ونهبوا أكثر

السابقة ورجع الى مصر بعد أن جهز العساكر الى الصعيد (قال الراوى رحمه الله) ولما فارق عمرو بن العاص خالد بن الوليد والامراء رضى الله عنهم استشار بعضهم بعضا أى مكان يقصدون فاتفق رأيهم ان يسير وا ألف فارس طليعة وأمر عليهم قيس بن الحرث ومعه جماعة من أمرائهم منهم رفاعة بن زهير المحاربى والقعقاع ابن عمرو التميمى وعقبة بن عامر الجهنى وذوالكلاع الحميرى رضى الله عنهم وصار وايسير ون فى وسط البلاد وبقية العساكر قريبة منهم فمن أطاعهم وطلب الامان أمنوه وصالحوه ووضعوا عليه الجزية ومن أبى قاتلوه ومن أسلم تركوه وسار خالد ببقية الجيش يريدون اهناس فانها كانت أعظم مدائن الوجه القبلى بعد الكورة وكانت حصينة آهلة بالخيل والآلة والعدد ولما أحس بطريقها بمجىء الصحابة اليه جمع البطارقة وقد انكسرت جنودهم وخمدت نيرانهم وكلمتهم بانهزام جيوشهم وشاورهم فى أمرهم وقال لهم خذوا أهبتكم وقاتلوا عن حريمكم وأموالكم والا صرتم عبيدا للعرب يفعلون بكم ما يختارون وان شئتم صالحناهم حتى نعلم ما يكون من بطارقته فاجابوه وقالوا لا نسلم البلاد حتى نغلب ونجمع أموالنا فى هذه المدينة الحصينة ونقاتل فان غلبنا عوّلنا على الحصار واتفق رأيهم على ذلك فكان الذى أجابهم الى ذلك خرج بنفسه وأمواله ومن لم يجبهم الى ذلك أقام وكذلك بطارقة البهنسا منهم من انتقل الى البهنسا بماله وأولاده ومنهم من أقام ببعض المدائن ممن عوّلوا على الاقامة والحصار والقتال وسار خالد بالجيش حتى قرب من أهناس وبين يديه الطلائع والامراء وهم يشنون الغارات على السواحل والبلاد فمن خرج اليهم وصالحهم وعقد معهم صلحا صالحوهم ولهم الميرة والعلوفة والضيافة ومن أبى دعوه الى الاسلام فان أبى طلبوا منه الجزية فان أبوا شنوا عليهم الغارة حتى وصلوا قريبا من اهناس وبلغ الخبر الى عدوّ الله فقال لابد من لقائهم وقتالهم حتى أنظر ما يكون من أمرهم ثم خرج الى ظاهر المدينة قريبا من السور ولم يبعد عنها وكان للمدينة أربعة أبواب فاغلق ثلاثة وفتح الباب الشرقى وأخرج الخيام والسرادقات وأكثر من العدة والزينة وقال ان دخلنا المدينة من غير قتال طمعت العرب فى جانبنا ثم فرق بطارقته وعرض جيشه فكانت عدتهم خمسين ألفا وقال اثبتوا وقاتلوا عن حريمكم ولا تكونوا أوّل جند أخذوا وأقاموا يتأهبون للقتال وينتظرون قدوم الصحابة رضى الله عنهم (قال الواقدى رضى الله عنه) وأما خالد فلما قرب من اهناس استدعى بالزبير بن العوّام وضم اليه ألف فارس من الامراء وغيرهم وأمره بالمسير ثم استدعى بالفضل بن العباس وضم اليه ألف فارس وسار على أثره ثم استدعى بميسرة ابن مسروق العبسى وضم اليه ألف فارس وساروا على أثره ثم استدعى بزياد بن أبى سفيان وضم اليه ألف فارس وسار على أثره ثم استدعى بمالك الاشتر النخعى وضم اليه ألف فارس وسار على أثره وسار خالد ببقية الجيش (قال) حدثنا عون بن سعيد قال حدثنا هاشم بن نافع عن رافع بن مالك العلوى قال كنت فى خيل الزبير بن العوّام رضى الله عنه لما توسطنا البلاد وتعرضنا لاهلها وشننا الغارة على السواد فوجدنا قطيعا من الغنم ومعها رعاة فلما أحسوا بنا تركوها ومضوا فسقناها ثم سرنا قليلا واذا بنساء وصبيان مشرفة ونصارى من القبط وغيرهم فلما رأونا فروا وكان معهم عشرون فارسا من العرب المتنصرة من جذام ومعهم بطريق من البطارقة عليه الزينة الفاخرة فلما عاينونا فروا من بين أيدينا فاطلقنا الغارة عليهم فما كان غير بعيد حتى أدركناهم وقبضنا عليهم وسألناهم فاجابوا بانهم من قرى شتى وانهم يريدون أهناس فعرضنا عليهم الاسلام فامتنعوا فاردنا قتالهم فمنعنا من ذلك الزبير رضى الله عنه وقال حتى يحضر الامير خالد ويفعل ما يريد قال وسرنا حتى قربنا من أهناس ورأينا المضارب والخيام والسرادقات فاعلن الزبير بالتهليل والتكبير وكبر المسلمون حتى ارتجت الارض لتكبيرهم وخرجت الروم الى ظاهر خيامهم ينظرون الينا وعدو الله مارنوس ابن ميخائيل ينظر الينا والحجاب والنواب وأرباب الدولة من البطارقة حوله وعليهم أقبية الديباج وعلى رؤسهم التيجان المكللة وبايديهم العمد المذهبة والسيوف وهم محدقون به عن يمينه وشماله قال فلما أقبلنا عليهم تصايحوا ورطنوا بلغتهم وأعلنوا بكلمة كفرهم واستقلونا فى أعينهم ولما قرب الزبير من القوم هز الراية وأنشد يقول

أيا أهل أهناس الطغاة الكوافر * ويا عصبة الشيطان من كل غادر
أتتكم ليوث الحرب سادات قومها * على كل مشكول من الخيل ضامر
فان لم تجيبوا سوف تلقون ذلة * ونقتل منكم كل كلب وفاجر

البيوت التى حول الجامع ونشروا الكتب التى فى الخزائن يعتقدون ان بها أموالا واخذ من كان معهم من اليهود الذين يترجمون لهم كتبا ومصاحف نفيسة ومكث بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية فى

(قال الراوى) ثم نزل ناقريبا من القوم فلم يكن غير قليل حتى أقبل الفضل بن العباس رضى الله عنهما وحوله السادات الاماجد فكبر وكبر وامعه وهز الراية وأنشد يقول

أيا أهل أهناس الكلاب الطواغيا * أتتكم ليوث الحرب فاصغوا مقاليا
أقروا بأن الله لارب غيره * والا ترو أمرا عظيما مدانيا
أقروا بان الله أرسل أحمدا * نبيا كريما للخلائق هاديا

(قال الراوى رحمه الله تعالى) ثم نزل قريبا من أصحابه فلم تكن الا ساعة حتى أقبل الامير ميسرة بن مسروق العبسى وكبر هو والمسلمون فاجابه المسلمون فهز الراية وأنشد يقول

أتينا لاهناس بكل غضنفر * على كل صهال من الخيل أجرد
فان هم أطاعونا شكرنا فعالهم * والا أبدناهم بكل مهند
ونخرب أهناسا ونقتل أهلها * اذا خالفوا دين النبي محمد

(قال الراوى رحمه الله تعالى) ونزل قريبا من الفضل ولما كان غروب الشمس أقبل زياد بن أبى سفيان رضى الله عنه بمن معه وكبر هو والمسلمون وهز الراية وانشد يقول

هلموا الى أهناس يا آل هاشم * ويا عصبة المختار نسل الاعاظم
ودونكم ضرب السهام بشدة * وقطع رؤس ثم فلق جماجم
لننصر دينا للنبي محمد * نبي الهدى المبعوث من آل هاشم

(قال الراوى رحمه الله تعالى) وبات المسلمون رضى الله عنهم يقرؤن القرآن ويصلون على النبى صلى الله عليه وسلم وهم يتحارسون حتى لاح الفجر ثم أقبل المقداد رضى الله عنه بأصحابه وكبر هو والمسلمون ولما قرب من أصحابه هز الراية وأنشد يقول

أنا الفارس المشهور فى كل موطن * وناصر دين للنبي محمد
لعل ننال الفوز عند الهنا * فيا فوز من أضحى نزيل المؤيد
ونقتل عباد الصليب جميعهم * بأسمر خطى وعضب مهند

(قال الراوى رحمه الله تعالى) ونزل بازاء الفضل وتكامل الامراء المتقدم ذكرهم قال ولما رأونا ظنوا أن ليس وراءنا أحد وقعدنا ذلك اليوم ولم نكلمهم ولم يكلمونا فلما كان اليوم الثانى عند طلوع الشمس اذا بالغبار قد طلع والقتام قد ارتفع من خيول عادية وعليها فوارس حجازية وكبر المسلمون ورفعوا راياتهم الاسلامية وأعلامهم المحمدية فسمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الصياح فخرج الامراء الى لقائهم واذا فى أوائلهم خالد بن الوليد رضى الله عنه والى جانبه غانم بن عياض الاشعرى وأبو ذر الغفارى وأبو هريرة الدوسى واسمه عبد الرحمن وبقية الامراء والمهاجرين والانصار فلما رأت الروم ذلك من قريب دخل الرعب فى قلوبهم ونزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من أهناس كل منهم فى مركزه وأقاموا ذلك اليوم الثالث وجمع خالد الامراء وأصحاب الرايات واستشارهم فيمن يمضى الى بطريق أهناس فقال المقداد أنا له فقال له خالد أنت له فخذ من شئت فأخذ معه ضرار بن الازور وميسرة بن مسروق العبسى وقال لهم خالد ادعوه الى الاسلام فان أبى فالجزية فان أبى فالقتال واحرصوا على أنفسكم (قال الراوى رحمه الله تعالى) وساروا الى القوم حتى قربوا من العسكر وهم يدوسون بخيولهم أطناب الخيام والسرادقات فصاحت بهم الحجاب ممن تكونون فقالوا نحن رسل فاعلموا البطريق بذلك فأمر باحضارهم فلما حضروا بين يديه صاحت بهم الحجاب والنواب الارض للملك فلم يلتفتوا اليهم ولم ينزلوا الا على باب سرادق الملك ووقفوا على الباب فاذن لهم فى الدخول فدخلوا وأمسكوا لجم خيولهم فأراد الغلمان يمسكوها فامتنعوا من ذلك فأشار اليهم البطريق فتركوهم ثم دخلوا عليه فاذا هو جالس على سرير من الذهب مرصع بالدر والجوهر وحوله البطارقة جلوس والحجاب والنواب وأرباب الدولة قيام وبأيديهم السيوف والاعمدة والرماح فلما رآهم تغير لونه واندهش وأذن لهم بالجلوس فقالوا الانجلس على هذا الفرش فانه حرام علينا فأمر بالبسط الحرير فرفعت ثم فرش أنطاعا من الصوف ثم أشار اليهم فقالوا لانجلس حتى تنزل عن سريرك قال فرطنت الروم فأشار اليهم فسكتوا وأرادوا أن ينزعوا منهم سيوفهم فامتنعوا من ذلك فتركوهم وكلمهم الملك فأبوا حتى ينزل عن سريره فنزل وكلمهم بلسان عربى وسألهم عن حالهم فأجابوا انهم لا يفارقونه حتى يسلم هو وقومه أو يؤدوا الجزية أو القتال فامتنع عن ذلك وقال اذهبوا والموعد غدا القتال وخرجوا من عنده على ذلك ورجعوا الى خالد وأعلموه بذلك فتأهب الامراء للحرب فلما أصبح خالد صلى بأصحابه صلاة الصبح

مصر سبعة أشهر ثم فى غرة رمضان من تلك السنة توجه الى الشام لقتال الوزير المعظم أحمد باشا الجزار فحاصره حصارا شديدا فى عكا فلم يقدر الله ظفره به وقتل معظم عسكره ورجع الى مصر وترك جانبا من

وبادروا الى الحرب والقتال وصاحوا النصر النصر ياخيل الله اركبي وللجنة اطلبي فركب المسلمون خيولهم وركزوا
راياتهم واصطفوا ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وخالد فى وسط الجيش وعلى الساقة ميسرة بن مسروق العبسي
ومالك الاشتر النخعي فى خمسمائة فارس من المهاجرين والانصار (قال الراوى) فلم تكن غير ساعة حتى برزت
الروم وأظهرت صلبانها (قال) حدثنا رافع بن مالك عن عباد بن مازن عن محمد بن مسلمة الانصارى رضى الله
تعالى عنه قال لما أقبلت رايات القوم عددناها فاذا هي خمسون صليبا تحت كل صليب ألف فارس فكان أول
من افتتح الحرب بطريق عليه ديباجة حمراء وعلى رأسه بيضة مرصع عليها بعصابة من جوهر فبرز اليه
فارس من خثعم يقال له زيد بن هلال فقتله ثم طلب البراز فبرز اليه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم
يمهله أن ضربه بالسيف على عاتقه الايمن فخرج يلمع من عاتقه الايسر فانجدل عدو الله يخور فى دمه وعجل
الله بروحه الى النار وطلب البراز فبرز اليه فارس من الروم فقتله ثم آخر فقتله وطلب الميمنة وشوش صفوفهم
وقتل أبطالهم ثم عاد الى القلب ثم خرج من بعده شرحبيل بن حسنة وفعل كفعله ثم حمل من بعده الفضل بن
العباس ثم حمل من بعده العباس بن مرداس ثم من بعده أبوذر الغفارى ثم تبادر المسلمون بالحملة فلما رأى الروم
ذلك أيقظوا أنفسهم فى عددهم وعديدهم وتظاهروا بالبيض والدروع ولم يزل القتال بينهم حتى توسطت
الشمس فى قبة الفلك (قال الراوى رحمه الله تعالى ورضى عنه) فعندها حمل خالد بن الوليد وغاص فى الميمنة
فقلبها على الميسرة وغاص فى الميسرة فقلبها على الميمنة وقاتلت العرب قتالا شديدا حتى جاء الليل وحجز بين
الفريقين وبات المسلمون يتحارسون وتفقد المسلمون بعضهم بعضا فاذا قد قتل منهم اثنان وأربعون رجلا ختم
الله لهم بالشهادة وفيهم من الاعيان ربيعة بن عامر الداودى وزيد بن ربيعة المحاربى وغانم بن نوفل المحاربى
وصفوان بن مرة اليربوعى والبقية من أخلاط الناس وقتل من أعداء الله ألف وثلثمائة وأزيد ولما خلا عدو
الله بأصحابه تذكروا ما وقع فى الحرب وصعب عليهم مالقوه من العرب فاراد الملك الصلح فغلب البطارقة
عليه وأعدوا للحرب والقتال فلما أصبح الله بالصباح وبرق بارق الفجر ولاح صلى المسلمون صلاة الصبح ثم
اصطفوا على ظهور خيولهم واصطفت الروم وبرزت البطارقة وأظهروا زينتهم وبرز بطريق عظيم يقال له
صاحب طنسا وعليه لامة حربه وطلب البراز فبرز اليه الفضل بن العباس فتجاولا وتعاركا وتخالفا ضربتين
فكان السابق بالضربة الفضل بن العباس فضربه بالسيف على رأسه فوصل الى أضراسه فانجدل صريعا
يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وبرز بطريق ثان فقتله ولم يزل كذلك حتى قتل أربعة
من خيارهم فحملت الروم حملة واحدة وحمل المسلمون وحمل ضرار بن الازور رضى الله عنه وأظهر شجاعته وحمل
مذعور بن غانم الاشعرى والفضل بن العباس ومحمد بن عقبة بن أبي معيط ومسلم وجعفر وعلى أبناء عقيل
وعبد الله بن جعفر وسليمان بن خالد وعبد الرحمن بن أبي بكر وتجاهرت الامراء وعظم الخطب وكثر الطعن
والضرب وثار القتام حتى صار النهار كالظلام وتراشقوا بالنبال واشتد القتال وقطعت المعاصم وطارت الجماجم
فما كنت ترى الاجواد اغائرا ودما فائرا واشتد الكرب وكثر الطعن والضرب وسال العرق واحمرت الحدق
وجال خالد كالاسد وأرغى وأزبد فعند ذلك رفع غانم بن عياض طرفه الى السماء وقال ياعظيم العظماء أنزل
علينا نصرك كما أنزلته علينا فى مواطن كثيرة وانصرنا على القوم الكافرين فامنت جماعة من الامراء على
دعائه فما كان غير بعيد حتى رأيت رجال الكفار يتساقطون لاندرى عماذا يقتلون فلما رأى الروم ذلك
فروا الى الباب وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون والحجارة تأخذهم من أعلى السور وهم لا يلتفتون
الى ذلك ودخلوا الى الأبواب ودخل اللعين وصال عليهم خالد وجماعة من الامراء واقتطعوا قطعة من الروم نحو
خمسة آلاف وكان المسلمون قريبا من اللعين فاقتتلوا عند الباب ورموهم بالحجارة فقتلوا منهم نحوا من ثلاثة
آلاف وخرج من الباب نحو من ألف فارس وحملوا ودخل الباقون وأغلقوا بابهم وطلعوا على الاسوار واشتد
القتال والحصار ورموا بالحجارة والنبال حتى فرق الليل بينهم (قال الراوى رحمه الله) واقام المسلمون على
حصار اهناس ثلاثة أشهر وفى كل يوم يناوشونهم بالقتال والاسوار رفيعة والأبواب منيعة وأصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل يوم يشنون الغارات حتى يصلوا الى أطراف الكورة (قال الراوى رحمه الله) فضعفت
من أهل اهناس القوى ومات الضعيف وانقطع عنهم المدد وضاقت أنفسهم وطمعت فيهم الصحابة ثم ان خالدا

عسكره فى العريش وكان
قد حصن القاهرة ببناء
القلاع حولها ثم جاء عسكر
من جهة الروم الى ناحية
أبى قير معهم مصطفى باشا
فتوجه اليهم بونابارته مع
عساكره وغدرهم وقتل
منهم جملة وأسر مصطفى باشا

استشار أصحابه ماذا يصنعون وقد أعياه فتح الباب فقال له المرزبان رضى الله تعالى عنه وكان من مرازبة كسرى
وقد أسلم وخرج الى الجهاد وحبس نفسه لله عز وجل وهو المقتول بالبهنسا قريبا من البلد شرقى البحر اليوسفى
فى وقعة صاحب طحية ذات الاعمدة وسيأتى ذكر ذلك فى موضعه ان شاء الله تعالى فقال المرزبان انا انا فى بلاد
الفرس اذا حاصرنا مدينة ولم نقدر على فتحها أخذنا زيتا وكبريتا وضعناه فى صناديق من خشب وجعلنا لها
اعوادا تحملها رجال ورجال يذبون عنهم الى أن يصلوا الى الباب أو الى قريب منه ويجعلون فى الصناديق
نارا ويولون فتعلق النار فى الابواب ويذوب الحديد فتفتح الأبواب وتعلق النار فى الحطب والخشب والحجارة
فتهدمها فقال خالد نفعلها ان شاء الله تعالى فلما أصبحوا فعلوا ذلك وأسرعوا فى جمع ما ذكرنا ووضعوه فى
صناديق وجعلوا فى أطرافها أعوادا طوالا من أسفلها وحملها الرجال وخرج خلفهم الفرسان يقاتلون
والمرزبان أمامهم يعلمهم كيف يصنعون وهم مستترون بالدرق والحجف والحجارة والنبال تتساقط عليهم من
أعلى السور حتى وصلوا الى أول باب من أبواب المدينة وهو الباب الشرقى وهو أعظم أبوابها فلما اقربوا من
الباب رفعوا الصناديق على الباب وألقوا النار فى الزيت والكبريت ووضعوها وانقلبوا فلم يكن أسرع من
لحظة حتى تعلقت النار بحجارة الباب والاخشاب والحديد وثارت النار الى أعلى السور حتى وصلت الى البرج
فسقط البرج بمن فيه من الروم وهلك منهم جماعة كثيرة وتبادرت المسلمون الى الباب وملؤا قرب الماء
وأطفؤا تلك النار ودخلوا من الباب وقصدوا قصر الملك وكان حصينا على أعمدة من الحجارة المنحوتة وكانوا
أغلقوا أبوابه ففعلوا كما ذكرنا ولما رأى الملعون ذلك لم يطق أن يصبر وأمر بفتح الباب وصاح الأمان ومعه
جماعة من حشمه وخدمه وبطارقته فعرضوا عليهم الاسلام فأبوا فأمر خالد بضرب أعناقهم فمن أسلم تركوه
ومن أبى قتلوه واستغاثت بهم السوقة والرعية وقالوا مغلوبون فمن أسلم تركوه ومن بقى على دينه ضربوا عليه
الجزية وهدموا دورا وأماكن حتى صارت تلالا وغنم المسلمون أموالا كثيرة من أوانى الذهب والفضة
والفرش الفاخرة ووضعوا فيها عبادة بن قيس قيما ومعه ثلثمائة من المسلمين وخرجوا بظاهر المدينة ولم يبق
الا من أسلم ومن وضعت عليه الجزية وعمروا بها مسجدا ولما فرغ خالد من ذلك جمع الغنائم وأخرج خمسها
وأرسله الى عمرو بن العاص يرسله الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى المدينة وأرسل لعمرو بن
العاص سهمه ولاصحابه المؤمنين المقيمين بمصر ونواحيها وأقام خالد بعد ذلك بالبهنسا هو وجماعة من الامراء
أربعين يوما واستدعى خالد بعدى بن حاتم الطائى رضى الله تعالى عنه وأضاف اليه ميمون بن مهران وضم
اليه ألف فارس وأمرهم أن ينازلوا أول بلاد البطليوس لعنه الله وينازلوا أهل الكورة واذا وصل الى
قيس بن الحرث يأمره بالمسير الى قريب البهنسا ويقاتل من يقاتله ويسالم من يسالمه ويصالح من يصالحه حتى
يأتيه المدد ثم أرسل فى أثره غانم بن عياض الاشعرى رضى الله تعالى عنه وضم اليه ألف فارس فيهم الفضل
ابن العباس والمسيب بن نجبة الفزارى وأبو ذر الغفارى والمرزبان الفارسى وكذلك جعفر ومسلم وعلى
وعبد الله بن المقداد وولد خالد سليمان ومحمد بن طلحة وعمرو بن سعد بن أبى وقاص وشرحبيل بن حسنة كاتب
وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم خالد سيروا حتى تصلوا الى مدينة البهنسا وأنا فى أثركم ما لم يحصل
لى ولاصحابى مانع وادعوا القوم الى الاسلام فان أجابوكم فلهم ما لنا وعليهم ما علينا ومن أبى فالجزية ومن أبى
فالحرب والقتال ونازلوا المدائن وأذرنوا المواكب ولا تسيروا الا يدا واحدة وفرقوا الكتائب وكونوا
قريبين بعضكم من بعض غير متباعدين فاذا وقعت كتيبة منكم بما لا طاقة لها به تبعث النفير وثبتوا هممكم
وأخلصوا نياتكم وقووا عزائمكم فاذا وصلتم الى البهنسا التى هى دار ملكهم ومحل ولايتهم فارسلوا الى الملك
وادعوه الى الاسلام فان أطاع فاتركوه فى ملكه وان أبى فالجزية عن يد وهم صاغرون وان أبى فالسيف
حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وبلغنى أنها مدينة كثير أهلها وانها كثيرة الخيل وحولها مدائن وبلاد
وقرى ورساتيق فمن سالمكم وصالحكم فصالحوه ومن قاتلكم فقاتلوه وعليكم بالحزم واخلاص النية وصدق
العزيمة قال الله تعالى فى كتابه المكنون يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون
ثم استدعى بالمغيرة بن شعبة رضى الله تعالى عنه وكان معه زياد الاكبر أبو المغيرة جد زياد الذى هو بقرية
ديروط بقرب طنبدا وسيأتى ذكر زياد بن المغيرة وأصحابه هناك ان شاء الله تعالى عند وقعة الدير واستدعى

المذكور مع بعض
العساكر الاسلاميين
ورجع الى مصر وملك
مدة قليلة ثم أخذ أمواله
التى جمعها من مصر
وتوجه الى ناحية أبى قير
وأخذ بعض عسكره ونزل
فى البحر وذهب الى
بلاده مع شدة محافظة

بسعيد بن زيد أحد العشرة رضى الله عنهم وابان بن عثمان بن عفان وجدد عليهم الوصية وودعهم (قال الراوى رحمه الله) وسار عدى بن حاتم الطائى وميمون حتى وصلا ميدوم وما حولها فوجدوا قيس بن الحرث قد صالح أهل تلك الأرض وعقد لهم صلحا واقرهم بالجزية ماعدا جماعة وكذلك أهل برنشت بعد قتل بطريقهم وكذلك أهل تلك البلاد الى دهشور ونادى فى ذلك الاقليم بالأمان وجبوا له أموالا عظيمة على الصلح والجزية وعبر جماعة من المسلمين الى البر الشرقى وهم رفاعة بن زهير المحاربى وعقبة بن عامر الجهنى وذوالكلاع الحميرى وألف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشنوا الغارات من العقبة التى هى قريب من قبلى حلوان على تلك القرى والبلاد فمن صالحهم صالحوه ومن أبى قاتلوه حتى وصلوا الى اطفيح ثم الى البرنبل وكان هناك بطريق يعرف بصول فخرج اليهم أهلها فصالحوهم على الجزية وعبروا من هناك وسار عدى بن حاتم حتى اجتمع بقيس بن الحرث قريبا من القرية المعروفة بقمن ونزل ميمون هو وجماعته بالقرية المعروفة بالميمون فقال له قيس بن الحرث لانزل ههنا حتى يفتح لنا ما حولها من البلاد ويأتى خبر من الامير خالد بن الوليد ويأذن لنا بما يريد فأجاب الى ذلك ونزل عدى بأصحابه بالقرية المعروفة ببنى عدى ثم سار وترك ابنه حاتما واخوته وأحاطوا بالقرية وسار قيس وأصحابه حتى وصلوا الى القرية المعروفة ببوس والبلد المعروف بدلاص فخرج اليهم أهلها بعد قتل بطريقهم وصالحوهم وتوسطوا البلاد الى ساحل البحر حتى نزلوا ببا الكبرى وغانم بن عياض على اثرهم وكان بها دير عظيم يعرف بدير أبى جرجا وكان له عيد عظيم يجتمعون اليه من سائر البلاد فوافق قدوم الصحابة قريبا من عيدهم فجاءهم رجل من المعاهدين وأعلمهم بذلك فانتدب قيس ابن الحرث رضى الله تعالى عنه ومعه جماعة من أصحابه خمسمائة فأمر عليهم رفاعة بن زهير المحاربى وأمرهم أن يشنوا الغارة على الدير قال وكان جماعة من رؤساء الكورة من الروم والقبط والخيول المسومة حول الدير يحرسونهم وهم فى أكلهم وشربهم وزينتهم وبيعهم وشرائهم فما أحسوا الا والخيل على رؤسهم فما قاتلوا الا قليلا وانهزموا ونهب أصحابه جميع ما فى السوق من اثاث وغيره وساقوا الغنائم واحاطوا بالدير فقاتلوا من على الدير فقطعوا السلاسل والأقفال وتعلق جماعة من الصحابة على الحيطان ودخلوا الدير وأخذوا منه أمتعة واثاثا وأوانى من ذهب وفضة وأسروا مائة أسير وساروا حتى توسطوا البلاد وكان بالقرب من البحر اليوسفى قرى كثيرة وبلدان وكان فيها مدينة تعرف بسحق وكان بها بطريق من عظماء بطارقة البطليوس فلما بلغه قدوم الصحابة جمع جنوده الى البلد المعروف باقفهس والى البلدين المعروفين بشمسطا والبسلقون والى البلد المعروفة ببنشابة فلما بلغه قدوم الصحابة جمع الخيل ومن الروم والفلاحين والنصارى ستة آلاف وخرج يكشف بهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيس بن الحرث خرج اليه أهل ببا الكبرى وما حولها من السواد وكذلك أهل هوريت وعقد لهم صلحا وساروا فلما قربوا من القرية المعروفة الآن ببنى صالح فبينما هم سائرون اذا بالغبار قد طلع وانكشف عن ستة صلبان تحت كل صليب ألف فلما رآهم المسلمون لم يمهلوهم دون أن حملوا عليهم واقتتلوا قتالا شديدا وثار الغبار وقدحت حوافر الخيل الشرار والتقى الجمعان واصطدم الفريقان فلله در رفاعة بن زهير المحاربى وعقبة بن عامر الجهنى وعمار بن ياسر العبسى وميسرة بن مسروق العبسى (قال الراوى) وقاتلت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالا شديدا وصبروا وصبر الكرام وكان عدو الله لاوى بن أرمياء صاحب سير افارسا شديدا وبطلا صنديدا فجال وصال وقتل الرجال فعندها برز اليه فارس من المسلمين يسمى سنان بن نوفل الدوسى فقتله فخرج اليه عمار بن ياسر العبسى فتجاولا وتعاركا وتضاربا وتطاعنا ووقع بينهما ضربتان وكان السابق بالضربة عمارا فطعنه بالرمح فى صدره فاطلع السنان يلمع من ظهره فانجدل عدو الله يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار فعندها غضب الروم لاجل قتل صاحبهم وحملوا على عمار فى كبكبة من الخيل فعقروا الجواد من تحته وتكاثروا عليه فقتلوه رحمه الله وقتل من المسلمين خمسة عشر رجلا (قال) حدثنا سنان بن نوفل عن مالك عن غانم اليربوعى وكان فى خيل رفاعة بن زهير المحاربى قال بينما نحن فى قتال وقد عظم النزال ووطنا أنفسنا على الموت ورفاعة يحرض الناس على القتال وهو ينشد ويقول

يا معشر الناس والسادات والهمم * ويا أهيل الصفا يا معدن الجود والكرم
فسددوا العزم لا تبغوا به فشلا * ومكنوا الضرب فى الهامات والقمم

مراكب الانجليز على الاسكندرية ومنعهم كل من يسافر من جهتها حتى قيل انه رشاهم بدراهم ليخلوا له الطريق (وولى بدله) جمهور الفرنساوية كليبر سارى عسكر عليهم ثم ان همة مولانا المعظم

وخلفوا القوم فى البيداء مطرحة * على الثرى خشبا بالذل والنقم

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وجعل يحرضهم ويقول يا معشر السادات والأقيال أبشروا فان الروم لم تقم لهم قائمة أبدا وأبشروا بالحور والولدان فى غرفات الجنان وأن الجنة تحت ظلال سيوفكم قال رفاعة فبينما نحن فى أشد القتال اذا بغبرة قد لاحت وانقشعت وانكشف الغبار عن ألف فارس فى الحديد غواطس عليهم الدروع الداودية وعلى رؤسهم البيض العادية المجلية معتقلين بالرماح الخطية راكبين الخيول العربية فتأملناهم فاذاهم سليمان بن خالد بن الوليد وعبد الله بن المقداد وعبد الله بن طلحة وأخوه محمد وزياد بن المغيرة والوليد ومحمد بن عتبة ومحمد بن أبى هريرة وجماعة من الصحابة والامراء وأبناؤهم رضى الله عنهم وكان غانم ابن عياض الاشعرى جهزهم طليعة قدامه فلما رأونا كبروا وكبرنا لتكبيرهم وخاضوا فى أوساطنا وطلب كل واحد منهم بطريقا من البطارقة فقتله فلما رأت الروم ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وتبعهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلون وينهبون ويأسرون الى بلد قسبرا وما حولها من السواد الى سلقوس فأسروا منهم نحو خمسمائة أسير وقتل منهم ثلاثة آلاف وهرب الباقون الى القرى والبلاد ولما قتل بطريق شندا خرج اليهم أهلها من النصارى والسوقة وعقدوا معهم صلحا واتفقوا على أداء الجزية وكذا من حولهم من القرى ونزل هنالك عمرو بن الزبير وجماعة من المسلمين وسار قيس بن الحرث امام القوم حتى نزل قريبا من طنبدا والبلد المعروف باسنا وكان بها بطريق يسمى بولياص بن بطرس وكان كافرا لعينا فخرج الى لقاء المسلمين هو وجماعته ومعه ميرة وعلوفة فكان ذلك مكيدة منه وعقد مع المسلمين صلحا ووافقهم على أداء الجزية عن بلده وعن اسنا وكانت تحت حكمه وارتحل قيس بن الحرث ومن معه وتأخر زياد بن المغيرة ونزل بالقرية المعروفة بدهروط فعقد مع أهلها صلحا ونزل سليمان بن خالد وعبد الله بن المقداد وجماعة قريبا من البلد ومنهم من نزل عند القرية المعروفة باطينة وصار جماعة يدخلون البلد ليلا ثم يعودون خوفا من المكيدة ولا حذر من قدر الله عز وجل (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان المتخلفون خمسمائة فارس فجعلوا يسيرون على جانب البحر ويشنون أى يغيرون على أهل السواد فمن صالحهم صالحوه ومن أسلم تركوه وسار قيس بن الحرث حتى نزل بالبلد المعروف الآن بالقيس وبه سميت وكان بطريق من بطارقة البطليوس وكان من بنى عمه اسمه شكور بن ميخائيل والله أعلم باسمه فدخل أهل السواد كلهم البلد وحاصروها حصارا شديدا نحو شهرين ثم أعانهم الله تعالى وحرقوا بابا من أبوابها ففتحت ودخلوا اليها وكان بعد وقعة جرت بينهم فى مكان يعرف بكوم الأنصار فهزموهم هناك وحاصروهم وفتحوا المدينة وقتلوا البطريق ونهبوا الأموال وأخذوا جميع ما فيها بعد أن دعوهم الى الاسلام فامتنعوا من ذلك ثم شنوا الغارات على ما حولها من البلدان والبلد المعروف بعاطى ثم الى الكفور فخرج اليهم بطريق كان ابن عم المقتول بدهشور لعنه الله وأخوه بطرس وعقدوا مع المسلمين عقدا على الصلح وأعطاء الجزية وسارت العرب الى البلد المعروف بالدير وسملوط وما حولها من القرى ونزل زهير وجماعة من العرب بالمكان الذى يعرف بزهرة وأما بقية السواد الذى حول البهنسا شرقا وغربا فلما تحققوا مجىء العرب هربوا الى البهنسا بأموالهم ونسائهم وذراريهم وتركوا البلاد جميعها خرابا وكان البطليوس لعنه الله أرسل اليهم بطارقته فحملوهم الى البهنسا واستعد للحصار وجمع عنده ما يحتاج اليه مدة الحصار (قال الواقدى رحمه الله تعالى) هذا ما جرى لهؤلاء وأما عدو الله بولياص صاحب طنبدا فانه كاتب البطليوس يقول انى ما صالحت العرب الا مكيدة وانى أريد الغدر بهم فجهز لى جيشا من البطارقة لعلى أن أظفر بجماعة من أبطال المسلمين وناخذ بثار من قتل منكم قريبا قال وكان عدو الله كل يوم تأتيه الأخبار من العرب المتنصرة ومن غيرهم من أهل البلاد والسواد بما جرى للعرب وبأخبار من قتل من البطارقة واخذ البلاد والاموال فحمل هما عظيما ولم يظهر ذلك لاحد من بطارقته وانما كان يطيب قلوبهم ويقول بلدنا حصينة وان قاتلونا قاتلناهم وان غلبونا دخلنا بلدنا فلو جاءنا أهل الحجاز جميعهم ما وصلوا الينا ولو أقاموا عشرين سنة والله غالب على أمره وناصر دين الاسلام ومذل الكفرة اللئام فلما بلغ البطليوس مكاتبة عدو الله بولياص فرح بذلك فرحا شديدا قال واستدعى ببطريق من بطارقته يسمى رومانس وضم اليه خمسة آلاف فارس من الروم والنصارى وغيرهم من أهل القرى وأمرهم أن يسيروا تحت ظلام الليل فجاء نصف الليل حتى وصلوا الى طنبدا ودخلوا

والذ قان المفخم السلطان سليم إتوجهت الى مصر فارسل مولانا الوزير المعظم والصدر المفخم يوسف باشا المعدنى المغازى سارى عسكر على جيوش المسلمين فتوجه من اسلامبول بالاوردى الهمايونى وما زال

الى بولياص ففرح بذلك فرحا شديدا واستعدوا للهجمة على المسلمين قال وأصبح المسلمون وقد صلوا صلاة الصبح واذا بالخيل قد أقبلت اليهم فنادوا النفير ها جرونا وغدر ونا فركب المسلمون خيولهم وساروا الى قريب الدير واذا بالروم مقبلين فى عشرة آلاف فارس وكان أعداء الله قد كمنوا كمينا قريبا من قناطر كانت هنالك ونهر يجرى فيه الماء من النيل فى أوانه عميق غربى الدير قريب من البلد (قال الواقدى رحمه الله) ولما رأى المسلمون لمعان الاسنة والبيض وخفقان الاعلام وبريق الصلبان الذهب والفضة تبادروا الى خيولهم فركبوها وأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وأقبلوا مسرعين نحوهم ولم يفزعوا من كثرتهم وحرض بعضهم بعضا على القتال وكانوا قد سبقوا الى شرذمة من المسلمين كانوا نزولا قريبا من الدير ووضعوا فيهم السيف وأحاطوا بهم وجالوا واتسع المجال الى قريب من دهروط فخرج سليمان بن خالد وعبد الله بن المقداد وعامر بن عقبة بن عامر وشداد بن أوس وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم واشتد القتال وعظم النزال وعميت الابصار وقدحت حوافر الخيل الشرار ولمعت الاسنة وقرعت الاعنة ودهشت الانظار وحارت الافكار وأحاطوا بالمسلمين من كل جانب فلله در سليمان بن خالد بن الوليد وعبد الله بن المقداد لقد قاتلا قتالا شديدا وأبليا بلاء حسنا ولله در زياد بن المغيرة لقد كان يقاتل تارة فى الميمنة وتارة فى الميسرة وتارة فى القلب وأحاط بهم أعداء الله من كل جانب وقد صار المسلمون بينهم كالشامة البيضاء فى جلد البعير الاسود وصبروا لهم صبر الكرام وكان أكثر المسلمين قد اثخن بالجراح واشتد الكفار هذا والمسلمون قد انتدبوا أبطالا وجعلوها خلف ظهورهم وقاتلوهم قتالا عظيما هذا وأعداء الله قد أحاطوا بهم وحجزوا بينهم وبين البلد وقاتل سليمان وأصحابه قتالا شديدا ووطنوا أنفسهم على الموت وشجع بعضهم بعضا وسار سليمان بن خالد يقول الله الله الجنة تحت ظلال السيوف والموعد عند حوض النبى صلى الله عليه وسلم وقاتل قتالا شديدا حتى اثخن بالجراح وقتل من المسلمين نحو مائتين وعشرين قريبا من التل الذى هو غربى البلد المذكور وما قتل الواحد منهم حتى قتل من أعداء الله خلقا كثيرا ﴿قال الواقدى﴾ ولما رأى المسلمون وسليمان بن خالد ما حل بأصحابه صار تارة يكر فى الميسرة وتارة يكر فى الميمنة وأعانه بالجملة عبد الله بن المقداد وبقية الصحابة وتقدم سليمان بن خالد وطعن بطريقا اسنا طعنة صادقة فارداه عن جواده وغاص فى القلب (قال حدثنا) أوس بن شداد عن علقمة بن سنان عن زيد بن رافع قال كنت فى الخيل بصحبة سليمان بن خالد وقد حجزنا المشركين وتقهقروا من بين أيدينا ولم نشعر ان لهم كمينا اذ خرج الكمين علينا وقاتلناهم قتال الموت وقتل منهم جماعة نحو ألفى فارس وقتل سليمان بن خالد من الصناديد والبطارقة من خيارهم نحو ثلاثين فارسا وكذلك عبد الله بن المقداد فاحاط بسليمان بن خالد رضى الله تعالى عنه كردوس نحو ألفى فارس وعقروا جواده من تحته فضرب بالسيف فيهم حتى قطعت يده اليمنى فتناول السيف بيده اليسرى فضرب بها حتى قطعت فأحاطوا به فلما تيقن بالقتل التفت وقال يعز عليك يا خالد بن الوليد ما حل بولدك ولكن هذا فى رضا الله عز وجل وكان قد طعن فى صدره نحو عشرين طعنة حتى قل حيله وسقط الى الارض ثم تنفس وقال الساعة نلتقى الاحبة رحمه الله ولما رآه عبد الله بن المقداد على ذلك المصرع صاح لا حياة بعدك يا أبا محمد والملتقى فى جنات عدن ثم غاص يقاتل فاحاطوا به واشتبكت عليه الاسنة وضرب ضربات كثيرة فى وجهه وهو يقطع الرماح ويمسح الدم عن وجهه حتى سقط به الجواد وصاح واشوقاه اليك يا مقداد ثم تبسم وقال مرحبا ثم مات رحمة الله عليه وايقنا كلنا بالموت وأن القيامة هنالك واذا بغبرة قد لاحت وانكشفت عن رايات اسلامية وعصائب محمدية وفى أوائل القوم القعقاع بن عمرو التميمى والمسيب بن نجبة الفزارى وسمرة بن جندب والفضل بن العباس وزياد بن أبى سفيان وبنو هاشم وبنو عبد المطلب وسادات الاوس والخزرج وغانم بن عياض الاشعرى ومن معه من الامراء والسادات فلم يمهلوهم دون أن حملوا عليهم حملة رجل واحد حتى أجلوهم وقتل البطريق بولياص لعنه الله ومعه بطريق البطليوس وانهزمت الروم واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون حتى بلغت الهزيمة الى البحر اليوسفى ورموهم فى البحر وغرق منهم جماعة كثيرة وقتل منهم فى المعركة نحو أربعة آلاف فارس وأسروا نحو ألف ومائتى أسير وهرب منهم الى البطليوس جماعة واختفوا الى الليل ودخلوا الى البطليوس وأعلموه بذلك فضاقت عليه الدنيا وضاق صدره وحار فى أمره واستعد للقاء المسلمين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) هذا ما جرى لهؤلاء وأما أهل طنبدا وأهل

يسير ويجمع العساكر من البلدان الى أن وصل الى غزة هاشم فى شهر رجب من شهور سنة أربع عشرة ومائتين وألف ثم وجه عسكرا أمامه الى العريش وتوجه بعدهم بنفسه اليها فافتضها الله عليه فى مدة يسيرة نحو خمسة أيام مع ان بونابارته لما ذهب الى الشام حاصرها أربعة

اسنا فكانوا لم يخرجوا ولم يقاتلوا فانهم لما وردت عليهم الاخبار ومعهم البطارقة سألوا بطارقتهم القتال وكان نصرانيا ولم يكن روميا وكان اسمه لوص وبه سميت البلد فابى فلما انهزم البطارقة خرج لوص ومعه جماعة من أهل البلد وأتوا الى المسلمين وطلبوا منهم الصلح فصالحوهم وخرج أهل طنبدا وأهل اسنا من السوقة والرعية وأولادهم وغيرهم وبكوا فى وجوههم وقالوا نحن قوم رعية وكنا مغلوبين على أمرنا فانا أهل ذمتكم ورعيتكم قالوا بشرط أن تدلونا على من هربوا اليكم فاجابوهم الى ذلك وصاروا يأخذون المسلمين ويدخلون الدور والمساكن ويقبضون على الروم ويسلمونهم الى المسلمين وكان النصرانى يقبض على الرومى ويأتى به الى المسلمين حتى قبضوا من طنبدا واسنا نحوا من ألف وخمسمائة رجل من المطامير والابيار التى كانوا يحبسون فيها الاسارى من المسلمين وغيرهم ولما اجتمعت الاسارى من الروم والنصارى وأمر غانم بن عياض بضرب رقابهم على تل هناك يعرف بالكوم ورجعت المسلمون الى مكان المعركة فلما عاينوا القتلى ورأوا سليمان بن خالد وعبد الله بن المقداد وعبيد بن الدارى بكوا عليهم وعلى من قتل معهم من الامراء رضى الله عنهم وحزنوا عليهم حزنا شديدا وأنشد عمار بن ياسر يرثى سليمان بن خالد وعبد الله بن المقداد ومن معهما بقوله

ياعين أذرى الدمع منك الصبيب * ثم اندبى ياعين فقد الحبيب * وانى لمقتول غدا فى الفلا
مجندلا وسط الفيافى غريب * وابكى سليمان ولا تغفلى * فامره والله أمر عجيب
قد كان لا يفكر كل العدا * ان سل من غمد اسيف تصيب * وتحذر الاعداء من بأسه
لو أنهم أعداد رمل الكثيب * فيا حمام الايك نوحى اذا * على فتى قد كان غصنا رطيب
وأعلمى بما جرى خالدا * لعله يبكى بدمع صبيب * وأخبرى المقداد من بعده
بان عبد الله أضحى سليب * بل واندبى الاخيار من بعدهم * وكل قرم للمعالى مصيب
لا يلتقى البطليوس خيرا ولا * أجناده الانذال أهل الصليب * قد كمنوا جيشنا عامدا
يوم الوغى من كل كلب مريب * وحق من أعطى لنا نصره * فى كل واد ثم فتحا قريب
لنأخذن الثار من جمعهم * جهرا ونطفى من فؤاد لهيب

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وان غانما رضى الله تعالى عنه جمع الشهداء ودفنهم فى ثيابهم ودروعهم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله يوم القيامة وجراحاتهم تقطر دما اللون لون الدم والريح ريح المسك (قال الواقدى) وأقام غانم رضى الله تعالى عنه بعد أن دفن الشهداء قريب التل والامراء يشنون الغارات على السواحل وعدى بن جابر بن عبد الله الانصارى وأبو أيوب والمسيب ابن نجية الفزارى فى ألف فارس فاغاروا على أهل شرونة فخرج اليهم بطريق يعرف بصندراس الجاهل وبطريق اهريت فى خمسة آلاف فارس واقتتلوا قتالا شديدا عند سفح الجبل فبلغ الخبر غانم بن عياض الاشعرى فارسل اليهم كتيبة أخرى صحبة ابن المنذر والفضل بن العباس والمرزبان فى ألف فارس فلما رأى الروم ذلك وقع الرعب فى قلوبهم وكان بينهم حروب عظيمة ثم ان الفضل بن العباس قصد البطريق الجاهل لعنه الله وضربه ضربة هاشمية على رأسه فقطع الخودة والبيضة والرفادة الى أن سمع خشخشة السيف فى أضراسه فكبر وكبرت المسلمون التكبيرة فسقط عدو الله يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وكان الفضل بن العباس فارسا شديدا وبطلا صنديدا فغاص فى وسط المشركين وفتك فيهم والمرزبان حمل على بطريق شرونة فقتله وحمل ابن المنذر على بطريق اهريت فقتله فلما رأى الروم ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون الى المكان المعروف بالدير واهريت وغرق منهم خلق كثير وقتل منهم ألف وخمسمائة فارس وأسر منهم نحو ألف وخمسمائة وتحصن منهم جماعة من الروم والنصارى فى مدينة الجاهل وكانت حصينة فحاصرها المسلمون سبعة أيام وحرقوا الابواب وهدموا الجدران وأخرجوهم من البيوت وأخربوا تلك المدينة الى يومنا وخرج الى المسلمين نصارى من شرونة واهريت وعقدوا مع المسلمين صلحا وأعطوا الجزية وأنزلوا مرة الكلبى فى مائتين من أصحابه وغيرهم وابن عمرو ابن العاص فى المكان المعروف ببناء خالد فى مائتى فارس وعبر المسلمون البحر ونزل عامر بالعرب فى مائتى فارس قريبا من طنبدا واسنا وبها القرية وارتحل غانم بن عياض رضى الله عنه ببقية الجيش ولما تكاملت

عشر يوما فلم يقدر على أخذها مع كون من فيها شرذمة قليلة من عسكر مصر فلما فنيت ذخيرتهم طلبوا الامان وخرجوا منها وأما الفرنساوية الذين كانوا فيها فعندهم ذخيرة كثيرة وجبخانة عظيمة لكن معونة الله ساعدت الوزير المذكور على أخذها ثم

المسلمون أرسل بين يديه المسيب بن نجية الفزارى والعباس بن مرداس السلمى والفضل بن العباس الهاشمى وعامر بن عقبة الجهنى و زياد بن أبى سفيان بن الحرث فى ألف وخمسمائة فارس فساروا الى مكان يعرف بالجرنوس وكان هناك قلعة ومرج للملك البطليوس وكان فى زمن الربيع ينزل هناك بالخيام والمضارب حول القلعة وتجتمع عنده البطارقة ويقيم أشهرا ثم ينزل على الاقاليم ثم يعود الى البهنسا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأرسل لوصى الى البطليوس لعنة الله عليهما يطلب منه جيشا فجهز له بطريق من بطارقته فأرسل اليه بطريقا كافرا لعينا اسمه شلقم وبه سميت البلد التى هى قريب من البهنسا وكان الجيش عشرة آلاف فارس والله أعلم (قال) حدثنا مسلم بن سالم اليربوعى عن شداد بن مازن عن طارق بن هلال أنه كان فى خيل العباس ابن مرداس السلمى قال بينما نحن نسير اذ رأينا غبرة قد ثارت وكان ذلك وقت الضحى فتأملناها فانكشفت عن عشرة أعلام وعشرة صلبان من الذهب الاحمر كل صليب يلمع كأنه كوكب فتأهبنا للحملة وتأهبوا الينا فلم يمهلونا دون أن حملوا علينا وحملنا عليهم وأحاطوا بنا وقاتلت الروم قتالا شديدا ورطنوا بلغتهم وأعلنوا بكلمة كفرهم وصبرنا لهم صبر الكرام وقاتلنا قتال الموت فلله در غانم بن عقبة والمسيب بن نجية الفزارى والفضل بن العباس و زياد بن أبى سفيان لقد قاتلوا قتالا شديدا وعصب الفضل رأسه بعصابة حمراء وكذلك فعل زياد بن أبى سفيان بن الحرث كما كان يصنع عمهما حمزة وقاتلا قتال الموت فلم تكن الا ساعة وقد قوى الحرب والقتال حتى أشرف علينا الامير غانم بن عياض الاشعرى مع بقية الجيش فقوى قلبنا وكبرنا فاجابونا بالتهليل والتكبير فتقدم الفضل بن العباس الى بطريق شلقم وكان فارسا شديدا وعليه ديباجة مفصصة بالذهب وفى وسطه منطقة بالذهب مرصعة بالجواهر وقد عصب رأسه بعصابة من الجوهر و بيده عمود من الذهب طوله ثلاثة أشبار وأزبد وهو تارة يضرب بالسيف وتارة يضرب بالعمود فلما رآه الفضل ظن أنه يريده فحمل عليه الفضل وهو ينشد و يقول

يا أيها الكلب اللعين الطاغيا * ومن أتى لجيشنا معاديا * أبشر لقد وافاك ليث ضاريا
بحد سيف فى عداه ماضيا * كان له الرب العظيم واقيا * من كل كلب اذ يكون طاغيا

قال فلم يفهم ما يقول الفضل وحمل عليه وتماركا وتجاولا وضرب الفضل رضى الله عنه فحاد عنها وعطف عليه وانتزع العمود من يده وضربه ضربة هاشمية قرشية أبان بها رأسه عن بدنه ونظر اليه لم يسقط وعاد عليه وهو جثة بلا رأس فتلقاه فارس من المسلمين اسمه زهير فوجده مكبلا بكلاليب فى سرجه فنزع الكلاليب فسقط عدو الله كالطود بعد أن تضمخ تاجه ومنطقته دما فقال له الفضل ان السلب لى فخذه لك فقد وهبتك اياه فقال لا أعدمنا الله مكارمكم يا بنى هاشم وعطف على لوصى فقتله وقتل كل أمير بطريقا وغيره وحملت المسلمون حملة رجل واحد فبددوا شملهم فولوا منهزمين بين أيديهم واتبعهم المسلمون يقتلون و يأسرون و ينهبون الى أن وصلوا الى البحر اليوسفى وألقوهم فى مكان قريب من شاقولة فسميت القرية بذلك وتحصنت جماعة بقلعة المرج فأحاط بها المسلمون وأحرقوا الأبواب وهدموا الجدران واستخرجوا ما هناك وقتلوا من الروم مقتلة عظيمة نحوا من ثلاثة آلاف وأسروا نحوا من ألف وقتلوا من المسلمين ثمانية وأربعين رجلا من أعيانهم سيف الأنصارى رضى الله عنهم أجمعين ودفن هو وأصحابه بمكان الوقعة وكان زياد بن المغيرة و جماعته نزولا فى أماكنهم قريبا من طنبدا كما ذكرنا حول البلد المعروف بدهروط وكان زياد صديقا للامير سليمان بن خالد ابن الوليد رحمه الله فكتب كتابا للامير خالد بن الوليد يعزيه فى ولده سليمان و يقول

يا خالد ان هذا الدهر فجعنا * فى سيد كان يوم الحرب مقداما * مجندل الفرس فى الهيجا اذا اجتمعت
وللصناديد يوم الحرب خصاما * لا عيلك الضد من أبطالنا أملا * ان حار ساعده القصاص صمصاما
يا طول ما هزم الاعدا بصارمه * آنالهم منه تنكيسا وارغاما * كأنه الليث وسط الغاب اذ وردت
له العدا وعلى الأشبال قد حاما * يا عين جودى بفيض الدمع منك دما * بل واندبى فارسا قد كان ضرغاما
والسيد الفرد عبد الله قد حكمت * به المنايا وحكم الله قد داما
نجل الفتى العلم المقداد خير فتى * قد كان فى ملتقى الأعداء هجاما

(قال الواقدى) فلما وصل الكتاب الى خالد بن الوليد كان قريبا من الدربة بقية الجيش وهو ينفذ السرايا

لما استقر ركابه هناك ذهب اليه جماعة من الفرنساوية ووسطوا بينهم وبينه جماعة من الانجليز فى اجراء الصلح فصالحوه على انه يترك لهم ما قبضوه من الاموال وأن يدفع لهم جانبا يستعينون به على السفر وشرطوا شروطا كثيرة منها أنهم يمكثون فى مصر والبر الشرقى مدة أربعين

وأهل البلاد يأتونه بما صالحوه عليه من المال وغيره وقد جهز عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عمر ابن الخطاب وعقبة بن نافع الفهري والزبير رضي الله عنهم بألف فارس الى الفيوم وسيأتي ذكر ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى فلما ورد الكتاب الى خالد سقط الى الأرض وخر مغشيا عليه ثم أفاق واسترجع وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون ثم قال اللهم اني احتسبت سليمان اليك اللهم اجعله فرطا وذخرا واعقبني عليه صبرا وأعظم لي بذلك أجرا ولا تحرمني الثواب برحمتك يا ارحم الراحمين ثم قال والله لآخذن فيه ألف سيد من ساداتهم ولأقطعن ساداتهم وفرسانهم وانني أرجو أن آخذ بثاره ان شاء الله تعالى ولأقتلن البطليوس شر قتلة لعلي أشفي بذلك غليل صدري وحرارة كبدي وليكونن على يدي خراب دياره وانهزام جيوشه وزوال ملكه وهطلت مدامعه على وجنته أحمر من الجمر ثم جعل يسترجع وينشد ويقول من الشعر

جرى مدمعي فوق المحاجر منهمل * وحر فؤادي من جوى البين يشتعل * وهام فؤادي حين أخبرت نعيه
فليت بشير البين ماكان قد وصل * لقد ذوب الأحشا وأجرى مدامعي * صبيبا وعن نار الفؤاد فلا تسل
سأبكي عليه كلما أقبل المسا * وما ابتسم الصبح المنير وما استهل * لقد كان بدرا زائد الحسن طالما
فأصبح بعد النور والزهو قد أفل * وكان كريم العم والخال سيدا اذا * قام سوق الحرب لا يعرف الوجل
أحاطت به خيل اللئام بأسرهم * وقد مكنوا منه المهند والأسل * وعيشك تلقاهم صرعى على الثرى
عليهم بسوق الطير والوحش محتفل * فوا أسفا لو أنني كنت حاضرا * بابيض ماضي الحد في الحرب مكتمل
وحق الذي حجت قريش لبيته * وأرسل طه المصطفى غاية الأمل
لأقتلن منهم في الوغى ألف سيد * اذا سلم الرحمن واتسع الأجل

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) وأقبلت الأمراء يعزون خالدا ومدامعهم تفيض من عيونهم وهو يقولون أعظم الله لك أجرا واعقبك عليه صبرا وجعله لك غدا في المعاد ذخرا والله لقد عدمنا القوي وقد أبيد القلب من حشاشتنا واكتوى ونحن لقتله ذاهلون انا لله وانا اليه راجعون وكذلك يعزون المقداد في ولده عبد الله وبلغ الخبر عمرو بن العاص بمصر وهو مقيم بها فكتب لهما كتابا بالتعزية وبلغ الخبر المدينة لعمر بن الخطاب فاسترجع هو وبقية الصحابة مثل علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله ومن كان حاضرا من الصحابة بالمدينة الطيبة رضي الله عنهم وعلى ساكنها أفضل الصلاة والسلام وكتبوا الى خالد والمقداد كتابا يعزونهما فلما وصل الكتاب الى خالد والمقداد طمأنا لما عليهما من الصبر وما لهما من الاجر والثواب ﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى﴾ هذا ما جرى لهؤلاء وأما البطليوس لعنه الله فانه لما تحقق مجيء العرب الى مدينة البهنسا فتح خزائن الاموال وفرق المال والسلاح والعدة من الملبوس والدروع وغير ذلك وفرق على البطارقة وعلى غيرهم من الجند وكان هناك بيت مقفل كما ذكرنا فيه صفة العرب وأسماؤهم فأمر بفتحه وهو يظن ان فيه مالا مدخرا فمنعه القسوس والرهبان من ذلك فأبى ففتحه فلم يجد فيه الا صفة العرب وأسماءهم كما ذكرنا أول الكتاب فنظر لذلك ودخل الكنيسة وجلس على سريره وجمع حوله البطارقة فاستشارهم في أمره فقام شيخ كبير راهب وكان مطاعا عنده مسموع الكلام كبير السن وكان عمره مائة وعشرين سنة فقام وعليه جبة سوداء وعلى رأسه قلنسوة وفي يده عكازة من الآبنوس ملبسة بالعاج والذهب فقرب من الهيكل وتكلم بكلام لا يفهم ثم قال بعد ذلك يا أهل دين النصرانية وبني ماء المعمودية قد كانت دولتكم قائمة وكلمتكم مسموعة مادمتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتعدلون في الرعية وتأخذون للمظلوم من الظالم وتنصفون الضعيف من القوي وتواسون الفقير ولا تمدون أيديكم الى شيء من أموال الناس وتهابون الزنا وكانت الدولة لكم وقلوب الرعية منجذبة اليكم وداعية لكم وكان الملك فيكم وان لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر وظلمتم الرعية وجرتم في الأحكام وحكمتم بغير الحق ولا تأخذون للضعيف حقه من القوي ومددتم أيديكم الى أموال الرعية وفشت فيكم المعاصي فتغيرت قلوب الرعية ومدوا أيديهم بالدعاء عليكم ودعاء المظلوم مستجاب وكثرة الظلم خراب فيوشك أن تنزع هذه النعمة من أيديكم وتعود الى غيركم بكثرة ذنوبكم وشؤم معاصيكم وبدعاء المظلومين عليكم فلاجل ذلك سلطت عليكم العرب فملكوا بلادكم وقتلوا رجالكم ونهبوا أموالكم وسكنوا

أو خمسة وأربعين يوما يقضون فيها أشغالهم وبعد ذلك يذهبون الى الجيزة يترددون ما بينها وبين الصعيد والاسكندرية نظير تلك المدة حتى يجمعوا عساكرهم من البلاد فأجابهم الوزير لذلك لسلامة صدره فلما حضر بعسكره ونزل ما بين الخدا نقاه السرياقوسية

منازلكم واستولوا على معاقلكم فتيقظوا من غفلتكم وذبوا عن حريمكم وأولادكم وأموالكم ولا تمكنوا العرب من جانبكم وهذه مقالتي لكم جميعا فلما سمع البطليوس لعنه الله كلام القس وما تكلم به التفت الى بطارقته وجماعته ونوابه وقال هل سمعتم ما قال أبوكم قالوا سمعنا ما قال فما عندكم من الرأي قالوا نحن معك وبين يديك ونقاتل العرب ولا نطمعهم فينا كما طمعوا في غيرنا وان غلبونا استعددنا للحصار وعندنا من الميرة والعلوفة ما يكفينا عشر سنين وأزيد والمدينة حصين ولا نسلم أنفسنا والا يكون علينا عار عند الملوك قال فشكرهم البطليوس على ذلك ووثب قس آخر وكان يناظر ذلك القس في المعرفة واستخرج كتابا معلقا كان عنده في صندوق من الآبنوس مقفل بأقفال من الفولاذ وقال يا أهل دين النصرانية وبني ماء المعمودية اعلموا ما نعته لكم العلماء والكهان والحكماء انه يبعث نبي في آخر الزمان يسمى محمد بن عبد الله من بني عدنان يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه يبعثه الله نبيا الى جميع البشر مولده بمكة ودار هجرته طيبة ثم يقيم أياما ويتوفاه الله عز وجل ثم يتولى الامر من بعده رجل يسمى أبا بكر وتزداد العرب به فخرا ويجهز العساكر الى الشام ثم لم يلبث الا أياما قلائل ويتوفاه الله تعالى ويتولى الامر من بعده الرجل الاصلع الاحور المسمى بعمر وهو صاحب الفتوح ومصبح الاعداء بأشأم صبوح تفتح على يديه الامصار ويبعث سراياه الى سائر الاقطار وانا نجد في الكتب القديمة أن هذه المدينة تفتح على يد رجل أسمر وشجاع غضنفر فارس شديد وبطل صنديد يسمى بخالد ابن الوليد فان سمعتم قولي وقبلتم فاعقدوا مع العرب صلحا فان الدولة لهم ودينهم الحق ولو قاتلهم أهل المشرق والمغرب غلبوهم ببركة الله وبركة نبيهم محمد قال فلما سمع البطارقة كلامه غضبوا وغضبا شديدا وأرادوا قتله فمنعهم البطليوس من ذلك وقالوا له كأنك خفت من سيوف العرب وأنا أعلم أن الرهبان والقسوس لا قلوب لهم لانهم ليس لهم أكل الا العدس والزيت والليمون والاشياء الرديئة ولا يعرفون اللحم فلاجل ذلك ضعفت قلوبهم فلولا مقاملك من قديم الزمان ورؤيتك للملوك القدماء لبطشت بك ولئن عدت الى مقالتك هذه لاقتلنك شر قتلة قال فسكت القس الراهب وخرج البطليوس من وقته وساعته وجلس في قصره ذي الاعمدة ثم استدعى ببطارقته وخلع عليهم ورفع لهم الاعلام والصلبان وعرض عليه جيشه فاذا هم ثمانون ألفا غير السوقة المشاة فسر بذلك سرورا عظيما ثم استدعى ببطريق من بطارقته يدعى قابيل وكان لا يقطع أمرا دونه فخلع عليه ودفع له ثمانين ألفا وأمره بملاقاة العرب ثم استشار خواص مملكته في الاقامة في البلد أو الخروج الى ظاهرها فقال له ذو والرأي من بطارقته أيها الملك انك اذا أقمت في البلد استضعفوا رأينا وأمرنا واذا كنت بجانب المدينة لا تقدر العرب أن تصل الينا ونجعل البلد خلف ظهرنا ونقاتل من خارج الابواب ويساعدون من فوق الابراج فاذا عظم الامر فلا ندخل المدينة الا من أمر عظيم فاستصوب رأيهم ثم انه أمر الفراشين أن يخرجوا الخيام والسرادقات والقباب بظاهر المدينة وأخرجوا له سرادقا عظيما استدارته سبعون ذراعا وارتفاعه مثل ذلك على أعمدة من الخشب المصفح بالذهب والفضة وهو من الحرير الملون الأزرق والأحمر والأخضر والأبيض والأصفر والاسود ومقضب بقضبان الذهب والفضة مرصع باللؤلؤ وفيه تصاوير من داخله ومن خارجه من جميع أجناس الطير والوحوش والكواكب وفرش فيه من الفرش وبسط الحرير الملون ووضع فيه المساند والوسائد والانطاع وأطناب السرادقات حرير ملون بأوتاد من عاج وآبنوس في حلق من ذهب وفضة وعلق فيه قناديل وسلاسل من ذهب وفضة ووضع فيه سريرا من خشب الساج المنقوش المصفح بالذهب الوهاج على قوائم برامين من ذهب وفضة طوله سبعة أذرع وعرضه مثل ذلك وارتفاعه مثل ذلك يصعد اليه بدرج من خشب مصفح بصفائح من ذهب وفضة وعليه فرش من حرير ووسائد ومساند ونمارق وحوله ثمانون كرسيا مصفحة بالخشب الآبنوس يجلس عليها أرباب الدولة وأصحاب الصولة وضرب حوله من الخيام والسرادقات ما لا يوصف ولا يعد (قال الراوي) حدثنا جماعة من الصحابة ممن شهد الفتح وعاين السرادقات انه لما هرب المأمون ودخل المدينة وكان السرادق منصوبا مقابل الباب البحري المعروف بباب قندوس أمر بطريقا من بطارقته اسمه سمعان أن ينصب سرادقه الذي وهبه له عند باب توما وهو الباب القبلي وأمر بطريقا اسمه اصطافين أن ينزل في الجانب الشرقي قريبا من القناطر على ساباط معقود على أعمدة من الحجارة وأمره أن ينزل ومعه عشرة آلاف فارس حول القلعة قال هبار بن أبي سفيان أو سلمة بن هاشم المخزومي

والمطرية تملوا عليه بان الامخايرلم تمكنهم من السلوك في البحر ومكثوا مدة يخادعونه حتى جمعوا عسكرهم وغدروا الوزير المذكور وهجموا عليه بغتة فانكسر أمامهم وسببه انه اعتمد على الصلح المذكور

ما نزلنا على مدينة من مدائن الشام ولا رأينا أكثر عددا ولا أكثر زينة من مدينة البهنسا ولا أقوى قلوبا منهم وأكثروا من الصلبان ونصبوا السرادقات والمنجنيقات على الاسوار ووضعوا على الأسوار جلود الفيلة المصفحة بصفائح الفولاذ ورتبوا الرماة والمجانيق والسهام وغير ذلك (قال الراوى رحمه الله) هذا ما جرى لهؤلاء وأما الامير عياض بن غانم الاشعرى رضى الله عنه فانه لما قرب من البهنسا استشار أصحابه مثل أبى ذر الغفارى وأبى هريرة الدوسى ومعاذ بن جبل وسلمة بن هاشم المخزومى ومالك الأشتر النخعى وذى الكلاع الحميرى رضى الله عنهم ومعهم ألفان من أصحابهم وأمرهم بالنزول فى الجهة الشرقية وقال لهم ان قاتلوكم قاتلوهم ونازلوا القلعة حتى تأخذوها وعبر الامير عياض من الجهة البحرية ومعه أصحاب الرايات والامراء والطليعة من هؤلاء السادات وهم الفضل بن العباس وأخوه عبد الله بن العباس وشقران وصهيب ومسلم وجعفر وعلى أولاد عقيل بن أبى طالب وعبد الله بن جعفر وزياد بن أبى سفيان وتتابعت خلفهم السادات وأصحاب المروآت مثل نعيم بن هاشم بن العاص وهبار بن أبى سفيان وعبد الله بن عمر والدوسى وسعيد بن زبير الدوسى وحسان بن النضر الطائى وجرير بن نعيم الحميرى وسالم بن فرقد اليربوعى وسيف بن أسلم الطائفى ومعمر بن خويلد السكى وسنان بن أوس الانصارى ومخلد بن عون الكندى وابن زيد الخير ومثل هؤلاء السادات أصحاب الرايات رضى الله عنهم وتتابعت الكتائب يتلو بعضها بعضا وعبروا الى الجانب الغربى فبينما هم سائرون واذا بعدو الله قابيل قد أقبل بالبطارقة المتقدم ذكرهم فلما التقى الجمعان عند سفح الجبل تحت المغارة أشار الى أصحابه فامسكوا عن المسير وتقدم الى رابية عالية والى جانبه رجل من العرب المتنصرة وأمره بان ينادى برفيع صوته قربوا الى البطريق رجلا منكم ذا خبرة بكلامه فوثب اليه جرير الحميرى وأتى الى عياض وقال أيها الامير ائذن لى أن أكلمه قال نعم ان طلبوا الصلح ورفع القتال صالحناهم حتى يحضر الامير خالد بن الوليد ويفعل أمره وان أرادوا القتال قاتلناهم واستعنا بالله تعالى عليهم وهو حسبنا ونعم الوكيل (قال الراوى رحمه الله) فعندها سار حتى وقف بازاء البطريق وقال له سل حاجتك فقال له أنت أمير القوم قال لا ولكنى متكلم عن الامير فقال له لم تركتم بلاد الشام والنعم العظام وأتيتم الى هذه البلاد وكنتم فى بلاد الحجاز تقاسون جوعا وعريا فذقتم فواكه الشام وثمار الحجاز وخيرات اليمن فلم يكفكم ذلك حتى أتيتم الى مصر وقهرتم القبط وأتيتم الى بلاد الفرس وقهرتم ملوكها ولم تكتفوا حتى أتيتم الينا وهجمتم علينا فى بلادنا وقتلتم أبطالنا ونهبتم أموالنا ونحن نتغافل عنكم ونهمل أمركم حتى غلظت شوكتكم وقصدتم مدينتنا التى هى دار ملكنا ومحل ولايتنا ولقد طلبها من قبلكم من الفراعنة والجبابرة والقبط والقياصرة والاكاسرة والجرامقة ورجعوا خائبين وأنتم هجمتم علينا وقتلتم رجالنا فقولوا لنا ما الذى تريدون منا فان كنتم تريدون مالا وترجعون عنا قمت أنا عن الملك بذلك وترحلون عنا وتردون انعامنا ملكتم من بلادنا وان الملك لا يخالف لى أمرا فاخبرونى ما الذى تريدون وما الذى تطلبون فقال له جرير أفرغت من كلامك فقال له نعم قال له جرير خذ جوابك أما قولك كنا فى ضيق حال فهو كما ذكرت ولكن أنعم الله علينا بالاسلام وهو أول نعمة ثم أمرنا بالجهاد وان الله تعالى أباح لنا أموال المشركين ما داموا محاربين وأمرنا أن نجاهدكم حتى تؤدوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون أو تسلموا أو تقاتلوا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وأما قولك المال فليس هو غرضنا ولا متاع الدنيا شهوتنا وان بلادكم عن قريب تكون لنا وأموالكم غنيمة لنا نقتسمها (قال الواقدى) فلما سمع البطريق الكلام غضب غضبا شديدا وقال أنا كفء لكم دون الملك ثم أمر أصحابه بالحملة على جرير قال فلويت عنان جوادى الا والخيل قد ركبتنى فعندها تواثب المسلمون واقتتلوا قتالا شديدا وتبادرت الرجال وزمجرت الابطال وزحفت الاقيال وتراشقوا بالنبال وتضاربوا بالنصال وتطاعنوا بالعوال والتقى الجمعان واصطدم الفريقان واشتد النزال وكثرت الاهوال وتقاتلت الفرسان وولى الجمعان حيران فلله در المغيرة بن شعبة وعون بن ساعدة وعباد بن تميم والفضل بن العباس رضى الله تعالى عنهم لقد قاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء حسنا ولم يزل القتال يشتد من ارتفاع الشمس الى الغروب فعندها وثب عبد الله بن جعفر الى قابيل وضربه ضربة فحاد عنها عبد الله وولى هاربا وتبعه جماعة نحو ثلثمائة فارس ولم يزل الفريقان فى قتال ونزال الى أن غابت الشمس وافترق الجمعان وقد قتل من المسلمين نحو خمسين رجلا ختم الله لهم بالشهادة

اسلامه صدره ولم يخطر بباله انهم يغدرون فارجع بعض العساكر والجبخانة والمدافع العظيمة ولم يقدم الا مدافع صغيرة لا تقاوم مدافعهم ثم رجع من العسكر الذين كانوا بالمطرية جملة عجيبة كهذا الدولة

وقتل من الروم نحو ألفي فارس قال واجتمعت الروم حول قابيل وولي هاربا الى أن وصل الى البطليوس فلما رآهم وبخهم وقال لهم باي وجه تفرون من العرب ولم تصبروا لهم وقد فشلتم وجزعتم فقال له قابيل أيها الملك ليس الخبر كالعيان وهؤلاء ليسوا بأناس وانما هم جن فى القتال ولولا الاجل حصين ما عدت اليك فغضب الملك وقال اسكت قد تمكن رعب العرب من قلبك وستنظر ما يكون من أمرهم ثم بات فى قلق شديد حتى أصبح الصبح لم يأمر قومه بالركوب وقال امهلوا حتى أنظر ما يكون من أمرهم

﴿ذكر فتوح البهنسا ونزول الصحابة وقتل البطريق﴾

(قال الراوى رحمه الله تعالى) ولما أصبح المسلمون صلوا صلاة الصبح ثم تبادروا الى خيولهم فركبوها فلم يجدوا لاعداء الله خبرا ولا أثرا وتيقنوا أنهم انهزموا ومضوا الى مدينتهم فسارت المسلمون الى أن قربوا من البهنسا فلاحت لهم المضارب والخيام والسرادقات والاعلام (قال الراوى) حدثنا قيس بن منهال عن عامر بن هلال عن ابن زيد الخير قال لما أشرفنا على مدينة البهنسا ورأينا تلك المضارب قال عياض رضى الله تعالى عنه اللهم اخذلهم وانصرنا عليهم اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا واخزهم انك على كل شئ قدير وأمن المسلمون على دعائه قال فلما أقبلنا على مدينة البهنسا كبرنا وهللنا فخرجوا الى ظاهر الخيام وبأيديهم السيوف والدرق والقسى والنبال ورأينا خلقا كثيرة على الابراج وأراد جماعة من العرب الحملة عليهم فمنعهم الامير وبقية الامراء من ذلك وقالوا لا حملة الا بعد انذار ثم انهم لم يأتوا الينا ولا ناوشونا بقتال واستقلونا فى أعينهم ﴿قال الواقدى﴾ ونزل المسلمون بجانب الجبل عند الكثيب الاصفر قريبا من البياض الذى على المغارة نحو المدينة هذا ما جرى لهؤلاء وأما أبو ذر الغفارى وأبو هريرة الدوسى ومعاذ بن جبل ومسلمة بن هاشم ومالك الاشتر وذو الكلاع الحميرى فانهم ساروا حتى نزلوا قريب القوم وباتوا تلك الليلة فلما أصبحوا خرج أعداء الله للقائهم فقال مالك الاشتر يا قوم ان أعداء الله قد خرجوا للقائكم فاشغلوهم بالقتال وأرسلوا جماعة منكم يملكون الجسر واستعينوا بالله فعندها خرج المرزبان ومعه ثلثمائة فارس حتى وصلوا الى الجسر والحجارة تتساقط عليهم من أعلى السور حتى ملكوا الجسر وجعلوا فى أماكن المخاضات حراسا بسيوف محددة واقتتل المسلمون وأعداء الله قتالا شديدا وثبتوا فى القتال سبعة أيام وكلما أتوا الى مكان المخاضة وجدوه مربوطا بالرجال وصار كل ليلة يهرب منهم جماعة من الروم ويهيمون على وجوههم يريدون الصعيد فتلقاهم رافع بن عميرة الطائى ومعه سرية من أصحاب قيس بن الحرث عند البلد المعروف بادقار وكانوا نحو البحر اليوسفى يشنون الغارات على تلك السواحل فبينما هم كذلك يسيرون اذ سمعوا دوى حوافر الخيل فظنوا انهم مسلمون فكلموهم فلم يرد عليهم أحد فلحقوهم وحملوا عليهم وكانوا ستمائة فارس نفروا من بين أيديهم فقتلوا منهم نحو مائتين وهرب الباقون وقتل من المسلمين ثلاثة وهرب الروم نحو المخاضة فغرق منهم مائة وأسروا منهم مائتين وهرب الباقون وسألوهم عن سبب خروجهم فأخبروهم انهم يريدون فعند ذلك أوثقوهم كتافا وأتوا بهم مكتفين مع نفر من المسلمين الى أن أوصلوهم الى عياض بن غانم الاشعرى فأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وأقبلوا نحوهم ففرحوا بالاسارى ثم عرضوهم على الامراء المتقدم ذكرهم فعرضوا عليهم الاسلام فأبوا فضربت أعناقهم والروم ينظرون الى ذلك ثم زحفت عليهم الصلبان واقتتلوا قتالا شديدا وحمى الحرب وكثر الطعن والضرب من ارتفاع الشمس الى وقت العصر وفشا القتل فى الروم فلما رأوا ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وصعدوا على القلعة وغلقوا الابواب واستعدوا للحصار ونصبوا آلات القتال (قال) هذا ما جرى لهؤلاء وأما الصحابة رضى الله تعالى عنهم فانهم نزلوا فى سفح الجبل والوادى فى المكان المتسع من الجهة البحرية والجهة الغربية فلما جاء الليل أوقدوا نيرانهم واجتمعت كل قبيلة يبنى عمها يقرؤن القرآن ويصلون على محمد أشرف ولد عدنان وما فيهم الا من هو راكع أو ساجد أو داع لله عز وجل لعله أن ينصرهم على عدوهم وباتت الروم اللئام يشربون الخمر داخل المدينة وخارجها وقد أعلنوا بكلمة كفرهم حتى ضجت منهم أرض البهنسا واستغاثت الى الله عز وجل فناداها بلسان القدرة اسكنى يا بهنسا فوعزتى وجلالى لأهلكنهم ولاسكننك قوما يوحدونى من خيار خلقى ولأجعلن تلك البيع مساجد للصلاة والجمع فلما سمعت الارض الخطاب من قبل رب الارباب مالت فرحا واهتزت طربا وبقيت منتظرة وعدربها بالبر والكرم بها فلم يكن

عثمان كتخدا منهم نصوح باشا والى مصر حالا وابراهيم بك شيخ البلد حالا وبعض صناجق وقدم أيضا من جهة الصعيد بعض عساكر صحبة حسن بك الجداوى ومن جهة دمياط بعض أرنؤد ومحمد بك الالفى

الاقاليم حتى أزال الله عنها أهل الكفر والطغيان وعبدة الصلبان وأسكنها خير أمة أخيار من المهاجرين والانصار من أصحاب محمد المختار يصلون بها آناء الليل وأطراف النهار وجعلت البرية مدافن للسادات الشهداء الاطهار وصار على ابعد الظلام أنوار وصارت زيارتها تحط الخطايا والاوزار (قال الواقدى) ولما أصبح الصباح صلى المسلمون صلاة الصبح وجلسوا ينتظرون ما يكون من أمر الروم واذا بقس قد أقبل راكب بغلة وعليه مدرعة من شعر وقلنسوة وزنار فسار حتى وصل قريبا من العسكر ثم تكلم بلسان عربى وقال يا مسلمون أريد أمير العرب ﴿قال الراوى﴾ حدثنا قيس بن شماس عن كعب بن همام عن شداد بن أوس وكان من أصحاب الرايات قال بينما نحن جلوس نتحدث مع الامير عياض بن غانم اذ أقبل عبد الله بن عاصم وأخبر عن ذلك القس قال فأذن له الامير عياض بالدخول فدخل القس فوجد الامير عياضا جالسا فى خيمته على فراش من أدم وحشوه من ليف وفرش المشركين التى اكتسبوها مطوية على جانب وحوله السادات والامراء رضى الله عنهم كلهم جلوس حوله وهو كأنه أحدهم وسيوفهم على أفخاذهم وعليهم هيبة ووقار فلما دخل القس اندهش وحار وأخذه الانبهار ثم التفت يمينا وشمالا وقال يا قوم أيكم الامير حتى أكلمه فانكم كلكم أراكم سادات وأمراء وعليكم هيبة ووقار فأشاروا الى الامير عياض فالتفت اليه وقال يا فتى أنت أمير قومك قال كذلك يزعمون ما دمت على طاعة الله عز وجل فقال له القس ان الملك البطليوس قد أرسلنى اليكم يريد الرأى والخبرة ليسأله عن أمركم فلعل أن يكون ذلك سبب حقن الدماء بينكم وبينه قال فعندها التفت الامير عياض الى أصحابه وقال ما تقولون فيما أتاكم به هذا القس ومن ينطلق اليه ويخاطبه ويعود الينا قال فوثب المغيرة بن شعبة وقال أنا أمضى اليه وأريد معى عشرة رجال من الامراء ذوى المروءة والبأس فقال له الامير اختر من شئت وفقك الله وسددك وردك الينا سالما غانما أنت ومن معك قال فالتفت وراءه وقال أين سعيد بن عبد القادر أين أبو أيوب الانصارى أين خالد بن زيد الانصارى أين زيد بن ثابت الانصارى أين مسعود البدرى أين جرير بن مطعم أين أبو يزيد العقيلى أين معاوية بن الحكم الثقفى أين عمار ابن حصين أين زيد بن أرقم فأجابوه بالتلبية فقال لهم خذوا أهبتكم وانطلقوا معى على بركة الله وعونه قال فبادر هؤلاء الامراء السادات الى خيامهم ولبس كل واحد درعه وتنكبوا بحجفهم وتقلدوا بسيوفهم واعتقلوا برماحهم (قال الواقدى رحمه الله) ثم ان المغيرة رضى الله عنه دخل الى خيمته ولبس درعه وشد وسطه بمنطقته وهى من الادم وفيها خنجران واحد عن اليمين وواحد عن الشمال وتقلد بسيف من جوهر واعتقل برمح أسمر وركب جواده الادهم وأخذ كل واحد منهم عبدا راكبا على بغلة وودعهم فالتفت الامير عياض وقال للمغيرة اعرف يا أبا شعبة ما تكلم به هذا الملعون فاعرفه لا الا مفلج الحجة فادعه الى الاسلام وما فرض عليه من الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وما أبيح له من الحلال وما حرم عليه من الحرام فان أبى فالجزية فى كل عام فان أبى فالقتال بحد الحسام ونرجو النصر من الملك الديان بجاه محمد خير الانام قال فقال المغيرة أرجو من الله الملك الوهاب المعونة فى رد الجواب وسارت الامراء والقس أمامهم راكب على بغلته وعبيدهم خلفهم على بغالهم وكل عبد عليه لامة حربه وساروا وهم معلنون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير قال زياد بن ثابت ولما فارق القوم الامير عياضا نظرت اليه وعيناه تذرفان بالدموع حتى بلت دموعه لحيته وهو يقرأ القرآن فقلت ألا أيها الامير ما هذا البكاء فقال لى يا ابن ثابت هؤلاء والله أنصار الدين فان أصيب رجل منهم فما يكون عذرى عند الله عز وجل قال وسار المغيرة وأصحابه حتى أشرفوا على عسكر العدو واذا هو ملأ الارض وهو نازل حول مدينة البهنسا فصاح المغيرة ومن معه يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم كذلك اذ أقبل اليهم بطريق ومعه رجل من العرب المتنصرة راكب الى جانبه ومعهما نحو مائة ألف فارس وساروا بين أيديهم حتى وصلوا الى قريب سرادق الملك ولاح البطليوس وهو جالس على السرير فعند ذلك خرج لهم الحجاب والنواب وأرباب الدولة والصولة وقالوا قد وصلتم وبلغتم الى سرادق الملك فانزلوا عن خيولكم وانزعوا سيوفكم فقال المغيرة أما خيولنا فننزل عنها وأما سيوفنا فلا ننزعها فانها عزنا وما كنا بالذى ينزع عزه الذى يعتز به دهره قال فأخبر الحجاب الملك بذلك فقال دعوهم يدخلون بسيوفهم فنادتهم الحجاب ادخلوا (قال الواقدى رحمه الله) ورضى عنه فعند ذلك ترجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيولهم وأمسكوها

ومماليك وانحاز الجميع فى مصر ويسر الله لهم بعض الجهات والمدافع بهمة الدواجا السيد أحمد المحروقى لطف الله به ومنعوا الفرنسيس من دخول البلد وأحاطوا بجميع جوانبها ومنعوا من يدخل

اعبدهم

لعبيدهم وأقبلوا يتبخترون فى مشيهم ويجرون حمائل سيوفهم ويخترقون صفوف الكفار وهم لا يهابونهم الى أن وصلوا الى سرير الملك فدخلوا الى أن وصلوا الى النمارق والفرش والديباج والملك جالس على سريره ولما نظر المسلمون الى ذلك عظموا الله تعالى وكبروه فارتج السرادق وتغيرت ألوان القوم وصاح بهم الحجاب الارض للملك فلم يلتفتوا اليهم قال المغيرة لا ينبغى السجود الا لله الملك المعبود ولعمرى كانت هذه تحيتنا قبل فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم نهانا عن ذلك فلا يسجد بعضنا لبعض قال فسكتوا قال فامر الملك بكراسى من ذهب وفضة فنصبت لهم فلم يجلسوا عليها وكانوا من حين دخلوا أمروا بعض عبيدهم أن يطووا البسط من تحت أرجلهم الى ان وصلوا الى فرش الديباج فشالوها على جنب فقالت لهم البطارقة قد أسأتم لادب معنا اذلم تسجدوا للملك ولم تمشوا على فرشنا فقال المغيرة ان الادب مع الله تعالى أفضل من الادب معكم والارض أطهر من فرشكم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعلت لى الارض مسجدا وطهورا وقال الله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولم يكن بين البطليوس والصحابة ترجمان لانه كان أعرف أهل زمانه باللسان العربية فعند ذلك أمرهم بالجلوس فقال المغيرة اما ان تنزل عن سريرك وتكون معنا على الارض أو تأذن لنا بالجلوس معك على السرير لان الله تعالى شرفنا بالاسلام قال فاشار لهم بالجلوس معه على السرير بعد ان أزالوا تلك الفرش وجلس المغيرة الى جانبه فالتفت البطليوس لعنه الله اليهم وقال لهم أيكم المتكلم عن أصحابه فاشار والى المغيرة رضى الله عنه والصحابة جلوس وأيديهم على مقابض سيوفهم فالتفت البطليوس الى المغيرة وقال له ما اسمك فقال عبد الله المغيرة فقال يامغيرة انى أكره أن أبدأك بالكلام فقال المغيرة تكلم بما شئت فان عندى لكل كلام جوابا ثم ان البطليوس أفصح فى كلامه وقال الحمد لله الذى جعل سيدنا المسيح أفضل الانبياء وملكنا افضل الملوك ونحن خير سادة فقطع عليه المغيرة فقالت الحجاب والنواب لقد أسأت الادب مع الملك يا أخا العرب فابى المغيرة أن يسكت وقال الحمد لله الذى هدانا للاسلام وخصنا من بين الامم ببعث محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فهدانا به من الضلالة وأنقذنا به من الجهالة وهدانا الى الصراط المستقيم فنحن خير أمة أخرجت للناس نؤمن بنبينا ونبيكم وبجميع الانبياء وجعل أميرنا الذى هو متولى علينا كأحدنا لو زعم أنه الملك وجار عزلناه عنا فلسنا نرى له فضلا علينا الا بالتقوى وقد جعلنا الله نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونقر بالذنب ونستغفر منه ونعبد الله وحده لا شريك له ولو أذنب الرجل منا ذنوبا تبلغ مثل الجبال فتاب قبلت توبته وان مات مسلما فله الجنة قال فتغير لون البطليوس ثم سكت قليلا وقال الحمد لله الذى ابتلانا بحسن البلاء وأغنانا من الفقر ونصرنا على الامم الماضية ولقد كانت جماعة منكم قبل اليوم يأتون الى بلادنا فيمتارون البر والشعير وغيره ونحسن اليهم وكانوا يشكرونا على ذلك وأنتم جئتمونا بخلاف ذلك تقتلون الرجال وتسبون النساء وتغنمون المال وتهدمون المدائن والحصون والقلاع وتريدون أن تخرجونا من بلادنا وديارنا وأنتم لم تكن أمة من الامم أضعف حالا منكم لانكم أهل الشعير والدخن وجئتم بعد ذلك تطمعون فى بلادنا وأموالنا وحولنا جنود كثيرة وشوكتنا شديدة وعصابتنا عظيمة ومدينتنا حصينة والذى جرأكم علينا انكم ملكتم الشام والعراق واليمن والحجاز وارتحلتم الى بلادنا وأفسدتم كل الفساد وخربتم المدائن والقلاع ولبستم ثيابا فاخرة وتعرضتم لبنات الملوك والبطارقة وجعلتموهن خدما لكم وأكلتم طعاما طيبا ما كنتم تعرفونه وملأتم أيديكم بالذهب والفضة والمتاع الفاخر واللآلئ والجواهر ومعكم متاعنا وأموالنا التى من قومنا وأهل ديننا ونحن نترك لكم ذلك جميعه ولا ننازعكم عليه ولا نؤاخذكم بما تقدم من فعلكم من قتل رجالنا ونهب أموالنا والآن فارحلوا عنا واخرجوا من بلادنا فان فعلتم فتحنا خزائن الاموال وأمرنا لكل رجل منكم بمائة دينار وثوب حرير وعمامة مطرزة بالذهب ولاميركم هذا ألف دينار وعشرة عمائم وعشرة ثياب ولكل أمير منكم كذلك وللخليفة عليكم عشرة آلاف دينار ومائة ثوب حرير ومائة عمامة بعد ان نستوثق منكم بالايمان انكم لا تعودون الى الاغارة على بلادنا هذا كله والمغيرة ساكت فلما فرغ البطليوس من كلامه قال له المغيرة قد سمعنا كلامك فاسمع كلامنا ثم قال الحمد لله الواحد القهار الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال له البطليوس نعم ما قلت يا بدوى فقال المغيرة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المرتضى ونبيه المجتبى فقال له البطليوس لعنه الله

اليها ومن يخرج منها وحصل للفقراء ضنك بسبب قلة القمح لكن حصل لطف بسبب كثرة الارز والعدس والفول وكان ثمن ربع الارز ثمانية وأربعين نصف فضة والعدس اثنين وعشرين نصف فضة والفول

لا أدرى أن محمدا رسول الله ولعله كما قال حبيب الرجل دينه ثم التفت الى المغيرة وقال يا عربى ما أفضل الساعات فقال ساعة لا يعصى الله فيها قال صدقت يا أخا العرب لقد بان لى رجحان عقلك فهل فى قومك من له رأى مثل رأيك وحزم مثل حزمك قال نعم فى قومنا وعسكرنا أكثر من ألف رجل لا يستغنى عن رأيهم ومشورتهم وخلفنا أمثال ذلك وهم قادمون الينا عن قريب فقال البطليوس ما كنا نظن ذلك منكم وانما بلغنا عنكم أنكم جماعة جهال لا عقول لكم فقال المغيرة كنا كذلك حتى بعث الله فينا محمدا صلى الله عليه وسلم فهدانا وأرشدنا فقال البطليوس لقد أعجبنى كلامك فهل لك فى صحبتى فقال المغيرة يسرنى ذلك اذا فعلت ما أقول لك قال وما هو قال تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله قال البطليوس لا سبيل الى ذلك ولكن أردت أن أصلح الامر بينى وبينكم قال المغيرة رضى الله عنه الامر الى الله وأما قولك انما أنا أهل فقر وبؤس وضر فقد كنا كذلك وكنا أهل جاهلية لا يملك أحدنا غير فرسه وقوسه وابله وكنا لا نعظم الا الاشهر الحرم حتى بعث الله الينا نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم نعرف أصله ونسبه صادقا أمينا نقيا اماما رسولا أظهر الاسلام وكسر الاصنام وختم الله به النبيين وعرفنا عبادة رب العالمين فنحن نعبد الله ولا نعبد غيره ولا نتخذ من دونه وليا ولا نصيرا ولا نسجد الا لله وحده لا شريك له ونقر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد أمرنا أن نجاهد من كفر بالله واتخذ مع الله شريكا جل ربنا وعلا وهو واحد لا تأخذه سنة ولا نوم فمن اتبعنا كان من اخواننا وله ما لنا وعليه ما علينا ومن أبى الاسلام فالجزية يؤديها عن يد وهو صاغر فمن أداها حقن الله دمه وماله ومن أبى الاسلام والجزية فالسيف حكم بيننا وبينه والله خير الحاكمين وهى على كل محتلم فى العام دينار وليس على من لم يبلغ الحلم جزية ولا على امرأة ولا على راهب منقطع فى صومعته فقال البطليوس لقد فهمت قولك عن الاسلام فما قولك عن الجزية عن يد وهو صاغر فانى لا أدرى ما الصغار عندكم فقال المغيرة رضى الله عنه وأنت قائم والسيف على رأسك فلما سمع البطريق كلام المغيرة غضب غضبا شديدا ووثب قائما ووثب المغيرة من موضعه وانتضى سيفه من غمده وكذلك فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفعله وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله (قال الراوى رحمه الله تعالى) حدثنا مسلم بن عبد الحميد عن طارق بن هلال عن عبد الله بن رافع قال كنا مع المغيرة وجذبنا السيوف ووثبنا على القوم وأخذتنا غيرة الاسلام وما فى أعيننا من جيوش البطليوس شئ وعلمنا ان المحشر فى ذلك الموضع فلما رأى البطليوس منا ذلك وتبين له الموت من شفار سيوفنا نادى مهلا يا مغيرة لا تعجل فتهلك وأنا أعلم أنك رسول والرسول لا يقتل وانما تكلمت بما تكلمت لاختبركم وأنظر ما عندكم والآن لا نؤاخذكم فاغمدوا سيوفكم قال فاغمدنا سيوفنا وتقدم المغيرة حتى صار فى مكان البطليوس وزحزحه الى آخر السرير وكان المغيرة رجلا جسيما فاتكا عليه حتى كاد أن يخلع فخذه من موضعه قال ثم التفت الى المغيرة وقال ما قولكم فى المسيح بن مريم قال المغيرة عبد الله ورسوله قال فمن أين خلق قال خلقه الله من تراب ثم قال له كن فكان ودل على ذلك القرآن العظيم قال عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون قال فما الدليل على ان الله واحد فقال المغيرة القرآن العظيم قوله تعالى على لسان نبيه قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال له البطليوس ما رأيت مثل حذقك وجوابك يا أعور وكان المغيرة رضى الله عنه أصيب فى احدى عينيه يوم اليرموك فقال له المغيرة ان ذلك لا يعيبنى ولقد أصيبت عينى فى الجهاد فى سبيل الله من كلب مثلك وأخذت بثارى من الذى فعل بى ذلك فقتلته وقتلت جماعة منهم والثواب من الله عز وجل أعظم من ذلك فقال البطليوس ما أحذق جوابك فهل فى قومك مثلك قال قد قلت لك فينا أهل العلم والرأى ومن لا أساوى فى علمهم شيأ وأنا رجل بدوى فلو رأيت على بن أبى طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم المختار مقاتل الكفار ومبيد الفجار والليث الكرار والبطل المغوار قال أهو معكم فى هذا الجيش فقد سمعت بشجاعته وبراعته وأريد أن أنظر اليه فقال له المغيرة قاتلك الله ان الامام عليا كرم الله وجهه أعظم قدرا من أن يسير بنفسه الى كلب مثلك قال فهل أحد غيره قال نعم مثل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى هو خليفتنا وعثمان بن عفان وعبد الرحمن وسعيد وسعد وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم وأمراء متفرقون فى الحجاز واليمن والشام والعراق ومصر كل أمير يقوم بألف مثلك فى الشجاعة والبراعة وغير ذلك وأما سيف الله الامير خالد بن الوليد أمير هذا الجيش ومعه عصابة من

قد يئسا من ذلك وصار الفرنسيس يضربون البلد بالمدافع والقنابر حتى أتلفوا منها بعض أماكن ولم يعتمن ذلك الا القليل من الناس وذلك بفضل الله تعالى وهجموا عليها مرات كثيرة من كل طرف ولم يمكنهم الله تعالى منها ثم

الامراء فكانك به وقد أقبل علينا برجال سادات شداد وأمراء أمجاد فقال له عند ذلك انى أريد أن أصلح الأمر
بيني وبينكم وأريد قبل الحرب أن أنظر الى جماعة ممن ذكرت (قال الراوى رحمه الله تعالى) وكان عدو الله أراد
أن يغدر بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففهم المغيرة منه ذلك فقال غداة غد آتيك منهم برجال تنظر
اليهم قال ففرح عدو الله وأضمر المكر لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد الله كيده فى نحره (قال الراوى)
ثم وثب المغيرة وأصحابه وخرجوا من عند البطليوس وما صدقوا بالنجاة وركبوا خيولهم وأمر البطليوس حجابه
ونوابه أن يسيروا معهم الى قريب من عسكرهم قال ووصل المغيرة وأصحابه الى الامير عياض بن غانم
الاشعرى وحدثه بما جرى له مع البطليوس فقال له عياض وحق صاحب الروضة والمنبر ما تركتكم الا خوفا من
سيوفكم وهذا رجل حكيم الا أن الشيطان قد غلب على عقله (قال الراوى) ولم يناموا تلك الليلة الا وقد أخذوا
أهبتهم للحرب واستعدوا فلما أصبح الصباح أذن المؤذنون فى عسكر المسلمين فاسبغوا الوضوء وصلوا الصبح ثم
ركبوا خيولهم وقد علموا أن العدو مصبحهم وقد عبوا صفوفهم وكانت الجواسيس من العرب يدخلون فى
عسكرهم وينقلون الاخبار ووصلت جواسيس عياض بن غانم اليه وأعلموه بذلك وان الروم متأهبون للقتال
فرتب جيشه ميمنة وميسرة فجعل فى الميمنة الفضل بن العباس وجعل فى الميسرة أبا أيوب الانصارى وجعل فى
القلب القعقاع بن عمرو التميمى قال حدثنا قيس بن عبد الله قال حدثنا مالك بن رفاعة عن سعيد بن عمرو
الغنوى قال حضر أرض البهنسا عشرة آلاف عين رأت النبى صلى الله عليه وسلم وفيهم سبعون بدريا والأمراء
وأصحاب الرايات نحو ألف وأربعمائة ودفن بأرض البهنسا من الصحابة والسادات نحو خمسة آلاف وسيأتى
ذكر ذلك ان شاء الله تعالى (قال الراوى رحمه الله تعالى) وكان على الرجالة معاذ بن جبل على الساقة والنسوان
والصبيان سعد بن عبد القادر والضحاك بن قيس قال وصار الامير عياض يتخلل الصفوف ويقول الله الله
الجنة تحت ظلال السيوف يا أهل الاسلام اعلموا أن الصبر مقرون بالفرج وان الله مع الصابرين والصابرون
هم الغالبون وان الفشل سبب من أسباب الخذلان فمن صبر على حد السيف فاذا قدم على الله أكرم منزلته
وشكر سعيه والله يحب الصابرين (قال) يقول ذلك لاصحاب الرايات قال وما فرغ الامير عياض من تعبية
الصفوف الا وعساكر البطليوس والروم قد أقبلت ومعهم النصارى والفلاحون والعرب المتنصرة وأمامهم
صليب من الذهب الاحمر زنته خمسة أرطال وفى أربعة جوانبه أربع جواهر كالكواكب (قال) حدثنى سنان
ابن الحرث الهمدانى عن شداد بن أوس وكان ممن حضر الفتوح الى آخرها قال وأقبلت الصلبان وأنا أعدها
صليبا بعد صليب حتى عددت ثمانين صليبا تحت كل صليب ألف ومعهم القسوس والرهبان وهم يتلون
الانجيل وأكثر أعداء الله فى عسكرهم من الرايات والاعلام فبينما الناس كذلك اذ أقبل بطريق وعليه درع
مذهب ولامة حرب وهو يرطن بلغته وطلب البراز فبرز اليه القعقاع وتعاركا وتجاولا ثم طعنه القعقاع فى صدره
فاطلع السنان يلمع من ظهره فخرج علج آخر وقد غضب لقتل صاحبه وكان من أصحاب الجلوس على السرير
مع الملك وطلب البراز فبرز اليه رجل من الازد فمنعه الامير عياض من ذلك وقال اذهب فلست كفؤا له قال فبرز
اليه المسيب بن نجية الفزارى وضربه ضربة فتلقاها العلج بحجفته فطار السيف من يده وضرب العلج المسيب
فضيعها ونظر ان أحدا يناوله سيفا فلم يجد فأراد الرجوع واذا بالقعقاع بن عمرو أقبل وبيده سيف فناوله اياه
فكر راجعا وضرب البطريق على عاتقه الايمن فأطلع السيف من عاتقه الايسر فانجدل صريعا يخور فى دمه
وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأت الروم ذلك حملوا على المسلمين حملة واحدة واشتد القتال
وعظم النزال وعدو الله البطليوس راكب على جواد أهداه له صاحب صقلية والبربر يساوى خمسمائة دينار
وكان أيام الحصار يصعد به ويرمح على أسوار المدينة وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى فى موضعه وعلى بدنه درع
مذهب وفى وسطه منطقة من الجوهر وعلى رأسه تاج تلمع جواهره كالكواكب والصلبان والاعلام مشتبكة
على رأسه وقد حمل كردوس من الروم على ميمنة المسلمين فصبر والهم صبر الكرام ثم حمل كردوس آخر فلقه در
الفضل بن العباس وأخيه عبيد الله وأولاد عقيل وعبد الله بن جعفر وسادات بنى هاشم لقد كانت لواقعة الاشديدا
وأبلوا بلاء حسنا وتقدم الفضل الى حامل الصليب وطعنه فى صدره فاطلع السنان يلمع من ظهره وسقط
الصليب منكسا على الارض فنظر اليه البطليوس فأيقن بالهلاك وهم أن يأخذه فلم يجد لذلك من سبيل قال

بعد مضى ثلاثة وثلاثين
يوما هجموا على باب
الشعرية وحرقوا أطراف
الحارات التى بجوار
سيدى عبد القادر
الدشطوطى وقتلوا جماعة
من الرجال ونهبوا الاموال
وسبوا رجالا ونساء وهجموا
قبل ذلك على بولاق
وقتلوا جماعة كثيرة

فأحاط به المسلمون وصار الفضل وسادات بنى هاشم يذبون ويرجعون الروم عن الصليب ولما رأى الفضل
ازدحام النصارى والروم حمل عليهم حملة منكرة وأسعفه بنو عمه بالحملة والامراء فقهر والروم وقتلوا منهم جماعة
وازدحم المسلمون على الصليب يريدون أخذه فقال لهم الفضل انه لى دونكم ثم عطف عليه ومال فى ركابه وأخذ
الصليب وكر راجعا الى المسلمين وسلمه لعبد الله يسلمه لعبده مقبل وكان راكبا مع المسلمين فأخذه ومضى الى
خيمته قال وحمل الفضل بن العباس ثانيا وحملت الامراء واشتد القتال وعظم النزال وسالت الدماء وكثر العرق
وازورت الحدق قال ولما رأى عدو الله البطليوس ذلك حمل على المسلمين ومعه طائفة من البطارقة نحو خمسة
آلاف وكانوا على جناح الميسرة فقتلوا من المسلمين جماعة وجرحوا جماعة وصبر والهم صبر الكرام هذا والفضل
رضى الله تعالى عنه تارة يكر فى الميمنة وتارة يكر فى الميسرة وحمل الامراء جميعهم فلله در القعقاع بن عمرو والتميمى
والمسيب بن نجبة الفزارى والبراء بن عازب ومعاذ بن جبل وزيد الخيل لقد قاتلوا قتالا شديدا حتى بقى الدم
على دروعهم كقطع أكباد الابل وتوسط المسلمون كتيبة منهم فبرز بطريق عظيم الخلقة كانه برج فحمل عليه
سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد أن يضربه وسطا عليه واذا بضربة أتته من خلفه فأردته عن
جواده وسقط والرمح مشتبك فى أضلاعه وخشخش الرمح فى عظم ظهره ثم جذب الرمح وهو ملقى على الارض
ونزل جماعة وأخذوا سلبه قال فتأملنا من ضرب البطريق فاذا هو زياد بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه قال
فلما رأى الروم ذلك حملوا حملة منكرة وقامت الحرب على ساق واحدة وضربت الاعناق وشخصت الاحداق
وتضاربوا بالصفاح وتطاعنوا بالرماح واشتد الكفاح ورطنت الروم بلغتهم ولم يزالوا فى قتال ونزال حتى غابت
الشمس وافترق الجمعان وقد قتل من المسلمين نحو مائتين وخمسين ختم الله لهم بالشهادة ونالوا درجة السعادة
وبات الفريقان يتحارسون والمسلمون يقرؤن القرآن ويصلون على محمد أشرف ولد عدنان قال وان المسلمين
أوقدوا النيران وأتوا الى مكان المعركة وميزوا القتلى فلما رأى الامراء ما حل بهم وبأولادهم بكوا وقالوا
لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قال) رحمه الله وقتل من المشركين نحو ألفين وخمسمائة وقتل من خيارهم
وعظمائهم نحو عشرين من أرباب الدولة وحاشية الملك أصحاب السرير فلما رأى البطليوس ذلك صعب عليه
وكبر لديه وجلس فى سرادقه وحوله أكابر دولته من حجابه ونوابه وقدم له الطعام والشراب فامتنع عن ذلك
ثم التفت الى حجابه وبطارقته ووبخهم توبيخا عظيما وقال مثلكم لا يصلح لخدمة الملوك فما هذا الخوف
والفشل الذى دخل فى قلوبكم وتريدون أن تصير وا امرة عند الملوك بفعالكم هذه فقالوا أيها الملك ان هذا
اليوم ما أخذنا فيه أهبتنا وما كنا نظن أن العرب فيهم هذه الشجاعة فقال وما عندكم من الرأى أترضون بالعار
والذل ولا سيما وقد أخذ الصليب من أيديكم وخذلتموه فقالوا أيها الملك سوف ترى منا ما يسرك فى غد نكمن
لهم كمينا ونخرج لهم ونقاتلهم ويخرج عليهم الكمين وتأمر جماعة يسلسلون أنفسهم وهم الرماة كعادة
الروم أن يفعلوا ونقاتلهم ولا نمكنهم من مدينتنا ولو قتلنا عن آخرنا فاستوثق الملك منهم بقولهم ثم كتب كتابا
وأرسله تحت الليل الى بطريق طنجة وقلعة الابراج يسألهم النجدة وكانوا بطارقة شدادا كل بطريق تحت يده
عشرة آلاف بطريق من حملة السلاح فلما ورد عليهم الكتاب جهزوا النجدة والاهبة وسيأتى ذكر ذلك ان شاء
الله تعالى (قال الراوى رحمه الله تعالى) وأصبح المسلمون فصلوا صلاة الصبح وتبادروا الى خيولهم فركبوها
ثم صفوا صفوفهم ورتبوا مواقفهم كما ذكرنا أولا وصار الامير عياض يحرض الناس وقد جعل فى مكانه المغيرة
ابن شعبة وعطف على أصحاب الرايات وقال لهم اطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة واذا لقيتم العدو فاحملوا حملة
واحدة ولا تخافوا ولا ترهبوا ورتب الامراء كاليوم الاول ولم يركبوا حتى دفنوا شهداءهم فى ثيابهم ودمائهم
قال فما شعرنا الا والروم قد أقبلوا علينا ورطنوا بلغتهم علينا وابتدر منهم خمسة آلاف فنزلوا عن خيولهم
وأرسلوها مع غلمانهم وحفروا لهم حفائر الى أوساطهم ووضعوا غرائر الشباب أى الصناديق بين أيديهم
وأقسموا بالمسيح لا يزولون ولو قتلوا عن آخرهم وكانوا ثلاثة صفوف (قال الراوى رحمه الله تعالى) حدثنا سنان
ابن أبى عبيدة عن زياد عن الحرث عن عبد يغوث وكان من أصحاب الرايات قال بينما نحن نتأهب للحرب
وللحملة اذا بالروم قد حملوا علينا حملة واحدة وحملت ميمنتنا واختلط القلب بالقلب ورمت المسلسلة بنشابها
فكان يخرج منهم عشرة آلاف سهم كانها تخرج من كبد قوس واحدة كالجراد المنتشر أو السيل المنحدر

ونهبوها وسبوا منها رجالا
ونساء فلما رأى المسلمون
ذلك وانهم كلما تمكنوا من
محل أحرقوه بالنار مالوا
الى الصلح بعد طلب
الفرنسيس له شفقة على
الرعية وخرجت العساكر
من البلد وتوجهوا الى
الشام صحبة كتخدا
الدولة وابراهيم بك وأما

فخرجت

فجرحت رجالا وقتلت أبطالا وولت خيل العرب نافرة وصبرت جماعة من الأمراء وحمل الفضل بن العباس وأخوه وسادات بني هاشم وكذلك زياد بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة والمسيب بن نجيبة الفزاري وجميع الامراء واقتتل الفريقان قتالا شديدا وفشا القتل في المسلمين وثبت القوم لقتال العرب وعدو الله البطليوس تارة يكر في الميمنة وتارة يكر في الميسرة وتارة في القلب وحوله كتائب المشركين (قال الراوي) فصبرنا صبر الكرام ووطنا أنفسنا على الموت والأمراء يحرضون على القتال وقد قتل من الفريقين طائفة الا أن القتل لم يبن في المشركين لكثرتهم ولم نظن أن القوم لهم كمين اذ خرج للقوم كمين من خلفنا والمسلمة من بين أيدينا وأحاطوا بنا وصرنا بينهم كالشامة البيضاء في جلد البعير الاسود وقتل جماعة من السادة والامراء وأخلاط الناس فلله در سادات بني هاشم وأبان بن عثمان بن عفان فلقد قاتل أصحاب الرايات براياتها وقاتل عدو الله في القلب وأنكى في المسلمين وقتل رجالا وجندل أبطالا وكلما طلبه فارس من المسلمين لم يجده الا وهو قد صار في وسط الروم قال فعند ذلك تقدم القعقاع والمسيب بن نجيبة الفزاري وقالا قربوا الجمال في وجوه القوم يا وجوه العرب فساقوا الابل وجعلوها بين أيديهم تلقى النشاب وحملوا على المسلمة وداسوهم بالابل وسنابك الخيل وأقبلت الرجال والرماة يقتلونهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة هذا والروم على حالهم فلما رأى عدو الله ما حل بقومه من فعل المسلمين بهم ازدادوا طغيانا ولم يزالوا كذلك حتى غابت الشمس ثم أنزل الله نصره على المسلمين فتظاهروا عليهم وتقدم جعفر بن عقيل الى كتيبة من الروم وغاص في أوساطهم يطعن البطريق المقدم عليهم فقتله فتكاثرت الروم عليه فقتلوه وكذلك فعل أخوه علي فقتل منهم فقتلوه وكذلك زيد بن زياد فقتل منهم جماعة فقتلوه رحمة الله عليهم وعظم النزال واشتد القتال وألجؤهم الى ورائهم فلما رأت الامراء والسادات وبنوه ثم ما حل بهم توثبوا كالاسود الضاريه وحملوا على الروم وألجؤهم الى الابواب واقتتلوا قتالا شديدا عند باب الجبل والباب البحري (قال الراوي رحمه الله تعالى) وكانت ليلة لم تر الصحابة مثلها وقتل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ألوفا وقتل منهم جماعة بظاهر البلد نحو خمسمائة وأزيد وتظاهر المسلمون بعد ذلك عليهم وألجؤهم الى السور واقتتلوا قتالا شديدا وعظم البلاء وعدو الله يحمي أصحابه وهم في أشد القتال وكان شعار المسلمين تلك الليلة ينادون يا محمد يا محمد يا نصر الله انزل وقتل جماعة من المسلمين عند الابواب وعظم النزال وكان يسمع ضرب السيوف على الدرق كالرعد وبريق السيوف كالبرق ولمعان الاسنة كالكواكب واحدقت المسلمون بالروم وعدو الله يحمي قومه تارة يكون عند باب قندوس وتارة يكون عند باب توما في جماعة من قومه حتى دخل الروم جميعهم ولم يبق الا من انقطع من قومه أو كبا به جواده ولم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر فعلوا على الاسوار وضربوا بالنواقيس والبوقات والقرون وغلقوا الابواب ورموا الاقفال فلما أصبح الصباح صلى المسلمون صلاة الصبح وأتوا الى موضع المعركة وتفقدوا من قتل منهم فاذا هم خمسمائة وعشرون رجلا من باب توما الى باب قندوس ختم الله لهم بالشهادة ﴿قال الراوي﴾ ولما رأى المسلمون ذلك بكوا بكاء شديدا وأعظم الناس حزنا الأمير عياض لأجل من قتل تحت رايته وكان أكثر الشهداء الأعيان من قريش وبني هاشم وبني المطلب وبني نوفل وبني عبد شمس فلما رأى مسلم بن عقيل اخوته وما حل بهم ورأى الفضل ابن العباس وعبد الله بن جعفر وسادات بني هاشم ما حل ببني عمهم نزلوا عن خيولهم وعانقوا شهداءهم واسترجعوا في مصابهم فعند ذلك أنشد همام بن جرير يقول

يا عين ابكي لا تملي البكى * بحي دمع مثل سكب الغمام * وابكي على السادات من هاشم
وعصبة المختار خير الانام * نوحي على الليث ابن عم النبي * هو جعفر المشكور ليث همام
وابكي على الشهداء لا تغفلي * ما لاح برق أو تغنى حمام * فلا لقي البطليوس خيرا ولا
أجند أهل الصليب اللئام * لنأخذن الثار يا قومنا * بطعن خطي وحد الحسام

قال ووارى المسلمون شهداءهم ثم ان الامير عياضا فرق الامراء على الابواب فنزل السادات من بني هاشم وغيرهم مثل زياد بن أبي سفيان والوليد وأخيه محمد واسامة بن زيد وأبي أيوب الانصاري وفضالة بن عبيدة وأوس بن حذيفة وعمرو بن حصين ورافع بن خديج وأبي دجانة وجابر بن عبد الله وبقية الامراء قال ونزل القعقاع بن عمرو التميمي والمسيب بن نجيبة الفزاري وأمثالهم من الامراء بالفارس على باب الجبل والمغيرة بن

مرادبك فاصطلح معهم على أن يمكث في الصعيد في بلاد معلومة ويدفع لهم خراجها ثم بعد خروج العساكر وتوجههم الى الشام جمع كبير الفرنسيس أكابر أهل البلد وطلب منهم مالا عظيما نحو عشر خزن ووكل

شعبة وأبو لبابة والمهلب الطائى ونظراؤهم بالامراء بالفى فارس عند باب توما قال وعبى القوم آلات الحصار ورتبوها على الاسوار وقاموا مدة شهر لا يقاتل بعضهم بعضا بل كل يوم يركب البطليوس لعنه الله جواده المتقدم ذكره ويلبس لامة حربه ويطلع بالجواد على أعلى السور وحوله المشاة من خلفه وقدامه وبأيديهم السيوف المحددة والدرق والدبابيس والاطيار المذهبة والقسى والنشاب وكان عرض السور يمشى عليه خيالان متكاتفان باللبس الكامل قال هذا ماجرى لهؤلاء وأما خالد فانه أرسل عبد الرحمن بن أبى بكر وعبد الله بن عمر الى الفيوم وجرى بينهم وقعات وحروب اختصرناذكرها خوف الاطالة فان المقصود الذى عليه مدار هذا الكتاب هو فتح البهنسا وماوقع فيها والله أعلم ثم توجهوا حتى اتصلوا الى مدينة الفيوم وحاصروها أياما قلائل ثم فتحوها وفتحوا الفيوم فى أقل من شهر وأخذوا الاموال والغنائم ورجعوا الى خالد رضى الله عنه وكان مقيما بالنويرة كماذكرنا (قال) هذا ماجرى لهم وأما أبوذر الغفارى وأبوهريرة الدوسى وذو الكلاع الحميرى ومالك الاشتر النخعى فانهم لما ضربوا رقاب القوم كماذكرنا حاصروا القلعة كماذكرنا نحو عشرين يوما واقتتلوا قتالا شديدا (قال) حدثنا قيس بن مالك عن منصور بن رافع عن أبى المنهال وكان من أصحاب مالك الاشتر قال بينما نحن نحاصر القلعة وقد تظاهر واعلينا اذ نحن بغبرة وقت الفجر وكانت ليلة مقمرة لاحت لنا خيل وقعقعة لجم فتبادرنا الى خيولنا فركبناها واتضح النهار وبان واذا عشرون صليبا تحت كل صليب ألف فارس وكان السبب فى ذلك بطريق طحاذات الاعمدة وبطريق قلعة ذات الابراج وماحولهم لما بلغهم كتاب البطليوس تجهزوا بانفسهم وجمعوا ماحولهم من الروم والنصارى وخرجوا أول الليل خوفا من العرب فما أصبحوا الا على القلعة والنيل كان فى أول زيادته والمسلمون قد أخذوا المعابر والقناطر التى على البحر اليوسفى فقطعوها وساروا حتى نزلوا على القلعة وكان بلغهم حصارها لم تشعر المسلمون الا وقد أقبلوا وهجموا عليهم وأتوا الى نحو باب المدينة الشرقى فوجدوا الامير زيادا وأصحابه هناك قال مالك الاشتر ياوجوه العرب اجعلوا البحر خلف ظهوركم وقاتلوا أعداءكم واستعينوا بخالقكم هذا والروم صاحوا وطمطموا بلغتهم ورطنوا من أعلى السور وكذلك أهل القلعة دقوا الطبول وضربوا بالنواقيس فلم يزالوا على المسلمين متقابلين وجاءت كتيبة من الروم الى جانب البحر كماذكرنا نحو ثلاثة آلاف وكان الامير زياد رضى الله عنه فى نحو مائتين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملوا عليهم صبر والهم صبر الكرام وقتل الامير زياد رحمه الله تعالى وقتل معه جماعة من المسلمين ختم الله لهم بالشهادة وركب بقية المسلمين وقاتلوا قتالا شديدا وصبر والهم صبر الكرام (قال الواقدى) فسمع المسلمون وهم حول المدينة فأتوا الى الجانب الشرقى فوجدوا السيوف مجذوبة والرايات مرفوعة وقد قتل جماعة من المسلمين على شاطئ البحر نحو أربعين رجلا فصاحت المسلمون مابالكم فأجابهم المسلمون على شاطئ البحر من الجانب الشرقى دهينا ولا تدرون مافعلوا بنا فعندها هجم القعقاع بفرسه البحر وقال بسم الله وعلى بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انك تعلم أننا أفضل من بنى اسرائيل عندك وقد فرقت لهم البحر فسار ولم تبتل قوائم فرسه وانحدر الى جانب القلعة وكانت بقرب البحر فاقتحم البحر خلفه نحو من ألفى فارس الى أن طلعوا الى البر الشرقى واقتتلوا قتالا شديدا قال فبينما نحن فى أشد القتال اذا بغبرة قد لاحت وانكشفت عن ألف فارس يقدمهم رفاعة بن زهير المحاربى وهم من أصحاب قيس بن الحرث وكانوا فى بلد تسمى بردوها وكانوا صالحوا أهلها فجاءهم رجل من المعاهدين وأخبرهم بمسير أهل طحاذات الاعمدة وصاحب قلعة الابراج لقتال المسلمين وعلموا أن البحر حاجز بينهم وبين أصحابهم فاتوا الى الامير قيس بن الحرث واستأذنوه حتى وصلوا وهم فى القتال كماذكرنا فلما رأوا القوم كبروا فأجابوهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ثم حملوا عليهم وقاتلوهم قتالا شديدا وكان الفضل بن العباس وزياد بن أبى سفيان ومسلم بن عقيل فى جملة من عبر الى البر الشرقى فعندها وثب القعقاع بن عمرو التميمى على بطريق القلعة فقتله وكذلك الفضل بن العباس وثب على بطريق طحاذات الاعمدة فقتله وزياد بن أبى سفيان على بطريق عظيم فقتله فلما رأى الروم ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وهرب منهم جماعة فالجؤهم الى البحر فغرق منهم جماعة وأسر منهم نحو من ثلاثة آلاف وأتوا بهم الى نحو السور قبالته وضربوا أعناقهم والبطليوس ينظر اليهم هو وأصحابه ودفن الامير زياد الى جانب البحر تحت جدار القلعة ورجعت المسلمون ونصبوا الجسر بالاخشاب والاحجار تتساقط عليهم وهم

يجمع ذلك رجلا من القبط يقال له يعقوب فقرر ذلك على طوائف الناس والحرف وصار يجمع ذلك منهم بمشقة عظيمة من ضرب وغيره حتى صار بعض الناس يموت من شدة الضيق والحبس وطلبوا من شيخ السادات سيدى محمد أبى

لا يفكرون حتى عبروا الى الجانب الغربى باجمعهم واشتد الحصار وأقام المسلمون محاصرين مدينة البهنسا تسعة أشهر (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وان المدينة كان لها باب سر تحت الارض من تحت باب الجبل من عند تل هناك يظن من رآه انه مغارة أو حفر فى الجبل وكان يخرج منه عيونه ومن يأتيه بالطعام وغيره سرا تحت ظلام الليل الى ذلك المكان ويخرج الرجل وفرسه على يده الى ظاهر السرب فلاجل هذا لا يعجزهم الحصار وكان اذا احتاج الى أمر مهم يخرج من يثق به من ذلك المكان ويوقد الشمع والفوانيس ليلا ويخرج من يختار من ذلك الباب وكان الملوك القدماء ما وضعوا ذلك الباب الا لأجل الحصار وكانت عيونه تخرج وتأتيه بالاخبار وكان خالد بن الوليد رضى الله عنه لما فتح الفيوم صارت الميرة والعلوفة والارز والعسل وغير ذلك تأتى للصحابة من الفيوم ومن الوجه البحرى تأتى اليهم الميرة قال فارسل الأمير عياض رضى الله عنه الامير مياس ابن غانم وأرسل معه مائتين من المسلمين ومعهم جمال وبغال يأتونهم بما ذكرنا وكان خالد قد أرسل يعلمهم بذلك وانهم يرسلون الى الفيوم ويأخذون ما يحتاجون اليه قال وسار مياس حتى وصل الفيوم وكان عليهم متكلما من قبل خالد الامير عرفجة قال وسار مياس ومن معه حتى قدموا الفيوم وأوسقوا الجمال والبغال وأرادوا الرجوع الى أرض البهنسا حتى وصلوا الى دير هناك فى الجبل قال هذا ما جرى لهؤلاء وأما عيون البطليوس فاخبروه بذلك فاستدعى بطريق من أصحاب السر يراسه ميخائيل بن بطرس وكان معروفا بالشدة والبراعة وأمره أن يأخذ معه ألفا من الروم وينطلقوا الى طريق الفيوم ويكمنوا لهم فى الدير ثم يخرجوا عليهم فخرجوا من باب السرب واحدا بعد واحد فى ظلام الليل وساروا حتى وصلوا الى دير وكمنوا هناك حتى رأوا المسلمين فخرجوا عليهم فالتقى الجمعان واصطدم الفريقان وقاتل المسلمون قتالا شديدا (قال الراوى رحمه الله تعالى) حدثنا أبو محمد العدوى حدثنا أبو العلاء المحاربى قال شداد بن أوس وكان فى خيل مياس لما التقى الجمعان وأحاطت بنا أعداء الله وظننا ان المحشر من ذلك المكان ووطنا أنفسنا على الموت وقاتل الامير مياس بعد ان سلم الراية لولده منيع فقاتل حتى قتل ثم قاتل من بعده مازن حتى قتل ولم تكن غير ساعة حتى قتل من المسلمين نحو مائة فارس وأسروا الباقين قال وكان فى القوم عبد الله بن أنيس الجهنى رضى الله عنه أحد سعاة النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأى ذلك خرج كالريح الهبوب وقام يجرى وكان قد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعمرو بن أمية الضمرى بالقوة والبركة فى المشى وكانا لا تدركهما الخيل العتاق ولا النجب السوابق فسار حتى أشرف على العسكر وصاح النفير اركبوا يا مسلمون قال فتواثبت الفرسان اليه وسألوه فقص عليهم القصة فتواثبت المسلمون الى خيولهم فركبوها وكل يقول أنا أمضى فعندها استدعى الامير عياض بعبد الله بن جعفر الطيار أخى على بن أبى طالب وضم اليه ألف فارس من الصحابة رضى الله عنهم من أهل الشدة وساروا أول الليل ومعهم رجل من المعاهدين يدلهم الى أن قربوا من قرية هناك بسفح الجبل فكمنوا هناك الى أن جن الليل اذ سمعوا حوافر الخيل فتواثبوا الى خيولهم فركبوها واذا بالروم وقد أقبلوا عليهم والاسارى موثقون بالحبال على ظهور خيولهم وكانت ليلة مقمرة فصاحت المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وحملوا على القوم واقتتلوا قتالا شديدا فعندها صاح عبد الله بن جعفر رضى الله عنه يا قوم أيعجز أحدكم عن خصمه قال فتواثبت الامراء والسادات رضى الله عنهم يقتلون ويأسرون وبادر عبد الله بن جعفر الى مقدم الجيش لعنه الله وكان عليه درع مصفح فطعنه فى صدره طعنة قرشية هاشمية فاطلع السنان يلمع من ظهره وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأى الروم ذلك انهزموا وتبعتهم المسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون فما أصبح الصباح حتى قتل منهم نحو خمسمائة وأسروا الباقين وخلصوا المسلمين من الاسر وغنموا سلاح الروم وأموالهم وخيولهم وترك عبد الله بن جعفر الاسارى وخمسمائة من المسلمين عند القرية وأمرهم أن لا يبرحوا حتى يأتيهم وأمر عليهم عبد الله بن معقل وساروا حتى أتوا الى محل المعركة ووجدوا القتلى وعندهم نصارى من المعاهدين يبكون وحلفوا لهم أن لا علم لهم بذلك فنزلوا عن خيولهم وأخرجوا لهم زادا فاكلوا وواروا شهداءهم وكر عبد الله راجعا الى أصحابه وحملوا رؤس القتلى ورأس عدو الله ميخائيل امامهم وجنبوا خيولهم وأخرجوا لهم زادا فاكلوا وساقوا الأسارى حتى وصلوا الى العسكر بالميرة والعلوفة ومعهم من العسل والسليط قال وأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وأجابتهم المسلمون بمثل ذلك وانقلب العسكر والروم على الأسوار

الانوار مالاعظم انحو خزنه وحبسوه وباعوا جميع متاعه فلم يف بثلث ما طلب منه فاخذوا منه فى نظير الباقى التزامه وتعلقاته ما عدا العقار والرزق والتزام الحريم ثم فى يوم السبت الحادى والعشرين من المحرم سنة خمس عشرة

ينظرون ما الخبر فرأوا تلك الرؤس على رؤس الرماح ورأس عدو الله ميخائيل أمامهم فصعب عليهم وكبر لديهم واطموا على وجوههم وذهبوا الى البطليوس وأعلموه بذلك فصعب عليه واستدعى بجواده فركبه وصعد على السور حتى أشرف على المسلمين فلما رأى ذلك عظم عليه وقال ما هؤلاء أنس وانما هم جن فلما رأى المسلمون البطليوس أتوا الى الأمير فأعلموه بذلك فركب الأمراء معه حتى أتى الى تل هناك عال مقابل باب قندوس واستدعى بالاسارى وعرض عليهم الاسلام فأبوا فضرب بوارقابهم والروم ينظرون الى ذلك فغضب عند ذلك البطليوس غضبا شديدا وحمل هما عظيما (قال الراوى رحمه الله) ثم ان عدو الله استشار أصحابه فيما يفعل وانه يريد الخروج بنفسه والكبسة عليهم قال فنهض اليه بطريق اسمه كراكر وكان فارسا شديدا وقال أنا أيها الملك أكفيك هذا الهم وأكبس عليهم لعلى أن أنال منهم منالا وأريد معى جماعة شدادا فقال الملك خذ من شئت فانتدب معه عشرة بطارقة تحت يد كل بطريق ألف وجاؤا الى كنيستهم وفتحوا الانجيل فى وجوههم وساروا الى أن وصلوا الى الابواب والبطليوس يحرضهم ويوصيهم بالهجمة عليهم ما داموا على غفلة ثم أمر الحراس بفتح الباب لهم وهو باب قندوس وكانوا ألف حارس بوابين على الباب وكان للباب ثلاثة أبراج بين كل برجين باب وشرار يف وخرجوا وهم مستعدون لذلك والمسلمون على غفلة مما دبر القوم لا يدرون ما يراد بهم وكان على حرس المسلمين تلك الليلة من جهة باب قندوس زائد بن ثابت وعبيد الله بن عباس وعبد الله بن معقل والبراء ابن عازب ومالك الاشتر وذو الكلاع الحميرى (قال الراوى) حدثنا عوف بن سعد عن سعيد بن طارق الثقفى عن أبى يزيد عن مالك الاشتر قال بينما نحن نسهر تلك الليلة والمسلمون قد هجعوا فى مراقدهم من شدة البرد وكثرة السهر ووضعوا أسلحتهم ومنهم من له ورد يقرؤه ومنهم من يصلى اذ رأينا فتح الباب وخرجوا كالسلاهب وبأيديهم الفوانيس ومشاعل النار وحملوا على الجيش فتبادرنا اليهم وصحنا النفير دهيتم يا مسلمون ثور وافقد غدركم القوم فلما سمع المسلمون الصياح تبادروا وثاروا من مضاجعهم كالاسود الضارية هذا يأخذ سيفه وهذا يأخذ رمحه وهذا عارى الجسد لم يمهل حتى يلبس ثيابه وهذا يشد وسطه بمئزره وهذا عليه قميص واحد وثاروا فى صدور الرجال هذا وعدو الله قد عطف على جماعة من المسلمين قبل أن ينتبهوا ووضع السيف فى أعراضهم فما افاق بعض القوم الا والسيف قد أطاح رأس هذا وقطع زند هذا وطعن نحر هذا وهكذا وكثر الصياح وعظم البلاء وكثر القتال وعدو الله كراكر عليه ديباجة حمراء مقصبة بالذهب تلمع من فوق الدروع وعلى رأسه بيضة عليها جوهرة تضئ كالكوكب وهو يهدر كالجمل الهايج وهو يرطن بلغته وخلفه جماعة والذين على الاسوار يصيحون ويزعقون بشعارهم ويضربون بقرونهم وبوقاتهم وطبولهم وأوقدوا مشاعلهم من أعلى السور حتى بقى مثل النهار هذا وقد ثارت الامراء أصحاب النجدة وذوو المروآت واعتقلوا بسيوفهم وركبوا خيولهم فمنهم من ركب جواده عريانا ومنهم من ركب بسرج بغير لجام ومنهم من أسرع ماشيا فلله در الفضل بن العباس وابن عمه الفضل بن أبى لهب وعبد الله بن جعفر وزياد بن أبى سفيان والقعقاع بن عمرو والسيب بن نجية الفزارى والمغيرة ومسلم وأبى ذر الغفارى وأبى دجانة وأبى أمامة وغفار بن عقبة وأبى زيد العقيلى ومثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم لقد قاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء عظيما وطعن جماعة من المسلمين وخرج جماعة من المسلمين وأما الذين هاجروهم فى أول الوقعة فقتل منهم جماعة نحو المائتين وثمانين رجلا واقتتل الناس قتالا شديدا وأقبل الفضل بن العباس الى البطريق كراكر لعنه الله وضربه بالسيف على عاتقه الايمن فطلع السنان يلمع من عاتقه الايسر فوقع يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار واتبعه بالجملة ابن عمه عبد الله بن جعفر فقتل بطريقا آخر ولم تكن الا ساعة وقد جاءتهم بقية الامراء من أعلى أبوابهم وتركوا من كانوا من يثقون به وساروا الى أن وصلوا اليهم وحملوا عليهم حملة منكرة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة نحوا من ثلاثة آلاف من الروم والنصارى فلما رأى الروم ذلك فروا نحو الباب وتبعهم المسلمون الى الباب فخرج كردوس عظيم من الروم وجمعوا المنهزمين وأسر المسلمون من الروم نحو ألف ومائتين وخمسين وأتوا الى مكان المعركة يتفقدون من قتل منهم فاذا هم أربعمائة وخمسة وثلاثون رجلا ختم الله لهم بالشهادة فلما رأى المسلمون ذلك شق عليهم وكبر لديهم وأسرعوا تحت الليل وجمعوا الشهداء ودفنوهم فى ثيابهم ودمائهم فى مكان يعرف بالبطحى عند مجرى الحصى ومنقع السيل فدفنوهم هناك كل اثنين وكل ثلاثة وكل أربعة وكل خمسة فى قبر وقدموا اهل السابقة

وماثنين وألف خرج رجل
على سارى العسكر
المذكور فقتله فى بستان
خلف البيت الذى فى
الازبكية وقبض على ذلك
الرجل فادعى انه جاء من
الشام منذ ثلاثين يوما
واختبأ فى رواق الشوام
بالجامع الازهر وهى جماعة

وأصحاب القرآن وكان يعرف ذلك المكان بقبور الشهداء الاخيار والدعاء هناك مستجاب مجرب مرارا وتحط هناك الاوزار لمن يكثر من الدعاء والتطوع والاستغفار (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ما حدثت فى هذا الكتاب الا على قاعدة الصدق وأذكر ما وقع من الامور وأحدث عن أصحاب التواريخ وثقات المحدثين من أصحاب السير وعن سماع كلامه كالدر رفهذا كالعقد النفيس فى السلوك والتأسيس لا يليق سماعه الا لذوى البصائر والعلماء والملوك فانه نزهة الناظر ويشرح الخاطر لم يجمع أحد مثله من أهل السير لما فيه من الامثال والعجائب والاخبار الصحيحة المنقولة عن ثقات المحدثين يتلذذ بذلك المستمعون ولنرجع الى سياق الحديث *(قال الواقدى رحمه الله)* حدثنا عبد الله بن عبد الواحد القارى عن أبى سراقة بن نوفل الخزرجى عن أبى لبابة بن المنذر وكان من أصحاب الرايات قال ولما وارينا الشهداء ورجعنا الى خيامنا وعدو الله البطليوس قد أغلق الباب وألقى الاقفال وعلوا على الاسوار قال ولما رجع المنهزمون الى البطليوس صعب عليه وكبر لديه واظلمت الدنيا فى وجهه وحمل هما عظيما على من قتل من بطارقته وجماعته ونوى المكايد والمصائب للمسلمين (قال الراوى رحمه الله تعالى ورضى عنه) هذا ما جرى لهؤلاء وأما الصحابة رضى الله تعالى عنهم فانهم اجتمعوا عند الامير وتذاكروا ما حصل للمسلمين من البطليوس لعنه الله واتفق رأيهم ان يرسلوا الى الامير خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ويسألوه أن يسير اليهم بنفسه ومن معه وكتب كتابا يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عياض بن غانم الى الامير خالد بن الوليد اعلم أيها الامير انا فتحنا الشام والعراق واليمن والحجاز ولم نجد فى الترك والروم والفرس والديلم أعند من هذا الملعون بطريق البهنسا البطليوس ولا أكثر منه خداعا ولا مكرا ولا حيلة وانها مدينة آهلة بالخيل حصينة بالرجال وقد خدعونا مرارا وقد قتلوا منا رجالا فانجدنا بنفسك ومن معك من المسلمين والسلام ورحمة الله وبركاته عليكم وطوى الكتاب وسلمه الى عبد الله بن المنذر فأخذه وأتى به الى الامير خالد فوجده نازلا على النويرة فسلم عليه ودفع له الكتاب فلما قرأه وفهم ما فيه استرجع وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم التفت الى عبد الله وقال قل للامير عياض ان الامير خالدا قادم عليك برجال وأى رجال والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين من المهاجرين والانصار فرجع عبد الله ثانى يوم الى البهنسا ورد الكتاب الى الامير عياض بن غانم قال ثم استدعى الامير خالد بابى عبد الله الزبير وضم اليه ثلثمائة فارس وأمرهم بالمسير الى أرض البهنسا وقال لهم اذا وصلتم الى أرض البهنسا فاعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فسار الزبير رضى الله تعالى عنه فلما بعد دعا بالمقداد بن الاسود وضرار ابن الازور ودفع لهما مائتى فارس وأمرهما أن يسيرا على أثرهما وقال لهما لا تزالا حتى يدخل الزبير وابنه ثم استدعى بعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله تعالى عنهما وضم اليهما مائتى فارس وأمرهما بالمسير على أثر المقداد ثم استدعى بسعيد بن زياد بن عمرو بن نوفل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقبة بن عامر الفهرى ودفع لهما مائتى فارس وأمرهما أن يسيرا وبات الامير خالد تلك الليلة ولما أصبح صلى وسار معه بقية الامراء من المهاجرين والانصار الاخيار رضى الله تعالى عنهم (قال الراوى رحمه الله تعالى) وسار الزبير رضى الله تعالى عنه بمن معه حتى أشرف على البهنسا فكبر وكبر معه المسلمون وأنشد يقول

أتيناكم على خيل عتاق * شبيه الريح يوم الاستباق * عليها كل صنديد همام
شديد البأس يوم الحرب واقى * نذل حماتكم بالسمر لما * نجول بلامع البيض الرقاق
ونقتل كل ملعون وباغ * على الاسلام من أهل النفاق * ونحن حماة دين الله حقا
نقر بان رب العرش باقى * وأن محمدا خير البرايا * رسول الله للاملاء راقى

قال وأشرفت الروم على أبواب المدينة ينظرون اليهم فما انشوا غير قليل حتى أشرف عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما وكبر وكبرت المسلمون قال ثم أنشد يقول

أنا الفارس المشهور للحرب فى الوغى * أذل بسيفى كل باغ ومعتدى * وأحمل فى الابطال حملة من له
الى الغاية القصوى أعظم مقصد * أنا ابن أبى بكر الذى شاع ذكره * خليفة خير المرسلين محمد
فياويل من علا حسامى رأسه * ويا ويل من عاجلته بمهند

(قال الراوى) ثم أشرف من بعده عبد الله بن عمر وكبر وكبرت المسلمون تكبيره ثم أنشد يقول

منهم كان عندهم فاحضروهم وقتلوهم وهم ثلاثة علماء صلحاء وصلبوا القاتل وقفل الجامع الازهر بعد اخراج غالب الكتب منه وشرعوا فى بناء قلاع وسور وفتحوا السور من باب النصر الى باب الحديد وجعلوا جامع الظاهر

أتيناعلى خيل عتاق وضمر * بكل يمانى ذى حداد وسمر * بكف شجاع باع لله نفسه
يرى الموت فى الهيجاء أفخر مفخر * نذلكم بالسيف فى الحرب والقنا * ونقتلكم كل باغ ومفترى

(قال الراوى رحمه الله تعالى) ولم يزل كل أمير ينزل بجماعته حتى تكاملوا وتأخر الامير خالد وبقية الامراء الذين معهم والرايات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصبحوا قال ضرار بن الازور والامراء للامير غانم أظنكم أنتم المحاصرون وأعداؤكم فى أكل وشرب فما هذا القعود ثم رجعوا للابواب وضرار ينشد ويقول

ساضرب فى العلوج بكل عضب * شديد الباس ذى حد صقيل * وأضرم فى علو الباب نارا
وأرمى القوم بالخطب الجليل * وأترك دارهم منهم خرابا * ولم أمهل بذى شبح كفيل
فويل ثم ويل ثم ويل * لهم منى بعشية العويل
سأقتل كل باغ كان منهم * بحد السيف والباع الطويل

قال ولم يزل يترنم بهذه الابيات وتراموا بالسهام والمقاليع واقتتلوا قتالا شديدا فاشتدت حمية عبيد الروم وجمع الملعون البطارقة من ذوى الشدة والباس وكان هو فارسا شديدا وبطلا كما ذكرنا ففتح باب الجبل وخرج منه كأنه شعلة نار على جرائد الخيل والرماة بين يديه يرمون بالنشاب والمجانيق من أعلى الابراج واقتتلوا قتالا شديدا وجرح من المسلمين جماعة وكانت مقتلة عظيمة وبقية الامراء لا يعلمون وأنكى من المسلمين جماعة قال فعندها ضجت الامراء أصحاب الرايات وأقبل علج عظيم من البطارقة وطلب البراز فبرز اليه المغيرة بن شعبة فحمل عليه البطريق واقتتلا قتالا شديدا فضربه المغيرة بالسيف فطاح من يده وبادر عدو الله الى المغيرة ليضربه واذا بفارس قد أقبل بيده سيف مجذوب فلوح به الى المغيرة واذا هو عبد الرحمن بن أبى بكر فأخذه المغيرة وضرب به البطريق فحاد عنها وقرب من المغيرة وتجاذبا وكلما أراد المغيرة أن يسطو على العلج يمانع عن نفسه ونظر ضرار بن الازور الى ذلك فترجل عن جواده ومشى بين الصفوف حتى قرب من البطريق وضربه فى حزامه فقطعه فسقط عدو الله وهو جاذب المغيرة الى الارض فعندها تكاثرت الروم على ضرار والمغيرة فأرادوا قتلهما واذا بثلاثة فوارس قد أقبلوا واخترقوا الصفوف أحدهم عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق والثانى عبد الله بن عمر بن الخطاب والثالث المقداد بن الاسود الكندى رضى الله عنهم فأزالوهم عن مراكزهم وقتلوا ثلاثة من الروم وفرقوا الكتائب عنهم وضرب ضرار البطريق فقتله قال ومال عبد الرحمن ابن أبى بكر وركب ضرار جوادا من خيل المقتولين وأخذوا الاسلاب هذا وعدو الله البطليوس لعنه الله تارة يكر فى الميمنة وتارة يكر فى الميسرة وطلب البراز فبرز اليه المقداد بن الاسود الكندى رضى الله تعالى عنه وتعاركا وتجاولا وتطاعنا قال المقداد بن الاسود قاتلت ملوكا وفحت قلاعا ولاقيت حروبا فى الجاهلية والاسلام فلم أر أخدع من البطليوس ولا أشد باسا ولا أصعب مراسا منه فتقاتلا حتى كل الجوادان والتفت الى وقال ما أجرأ فرسك كيف تقاتل عليه وهو بثلاث أرجل قال المقداد فمن شفقتى على جوادى طأطأت رأسى لأنظر الى قوائمه فضربنى بالسيف ضربة قوية فقطعت الخوذة والرفادة وأثرت قليلا فى رأسى فظن الملعون أن خصمه قد قتل فلوى عنان فرسه فاستيقظ المقداد وتبعه فساق جواده المتقدم ذكره وأحاط به أصحابه (قال) فبينما الناس فى أشد القتال اذ أقبل الامير خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ومعه الامراء المتقدم ذكرهم وأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وفى أوائل القوم خالد وهو ينشد ويقول

رعى الله صبا للقاء يسرع * وصبا على الفرسان بالرمح يقرع * ومن باع لله المهيمن نفسه
وكان الى الهيجاء بالامر أطوع * فويلك يا بطلوس من سيف خالد * اذا اشتدت الهيجاء والحرب يرفع
فلا رحم الرحمن بطلوس كافرا * ويلعنه كل الملائك أجمع * فان قدر المولى سأخرب داره
وأتركها من بعده وهى بلقع * بحد يمانى اذا ما جذبته * تذل له كل العداة وتخضع

(قال الراوى رحمه الله تعالى) ثم ان خالدا رضى الله تعالى عنه حمل بمن معه واقتتلوا قتالا شديدا وقاتل البطليوس لعنه الله قتالا شديدا وقتل رجالا وجندل أبطالا فعندها حملت الامراء وأصحاب الرايات وذوو المروآت واقتتلوا بين الجبل والباب قريب التل الاحمر قتالا شديدا وعطف خالد على البطليوس وصال عليه وكلما مال الى الميسرة راوغه الى الميمنة ومن الميمنة الى الميسرة فعندها عطف خالد عليه وحازه بين الصفوف

وحمل عليه فعندها فر الى القلب وأحاط به أصحابه وقومه ووضعت الامراء السيوف فيهم وتبعه الامير خالد وساق جواده الى الباب واقتحمه وتبعه قومه وانهزموا الى الباب ودخلوه وتبعهم المسلمون واقتتلوا عند الباب وقتل من الروم نحو اربعة آلاف ودخلوا الباب وأغلقوه وأوثقوه بالاقفال وعلوا على الاسوار وأسر المسلمون منهم نحو ألف وخمسمائة فعرضوهم على الامير خالد وكان فيهم من كبار البطارقة فعرض عليهم الاسلام فامتنعوا فأمر بضرب رقابهم وافتقد المسلمون أصحابهم فاذا قد قتل منهم مائتان وثمانون رجلا ختم الله لهم بالشهادة ﴿قال الواقدى رحمه الله﴾ هذا ما جرى لهؤلاء وأما عدو الله البطليوس فانه حمل همّا عظيما وحصل له ما لا ينبغى شرحه وأمر بجمع البطارقة فلما اجتمعوا شكا لهم أمر العرب وما لقوا من الحرب وقال لهم فما الرأى عندكم فقالوا كلنا بين يديك فاذا أمرتنا بالقتال قاتلنا على سور بلدنا قال قد دبرت لكم أمرا وهو تدبير من خاض الحروب وعرفها ثم أمر باجتماع الناس خاصتهم وعامتهم فاجتمعوا اليه الا من بقى على الابواب خوفا من المسلمين فلما تكاملوا واجتمعوا قال انى عزمت أن أهجم على القوم فى هذه الليلة وأكبسهم فى أماكنهم والليل مدلهم وأنتم أعرف بمسالك البلد من غيركم فلا يبقى منكم أحد الا ويتأهب ويخرج معى من بابه ونكبس القوم وأخرج أنا بنفسى ومن معى من باب توما وأرجو صولى الى سرتى والامر تحسرتى وابيدهم أولا بأول الى أن أصل الى أميرهم فآخذه أسيرا وأبلغ مقصدى قالوا سمعا وكرامة ثم بعث فرقة الى باب الجبل وفرقة الى باب قندوس وفرقة الى الباب الشرقى وانتخب معه سادات قومه ومن عرف بالشجاعة وأخذهم معه ثم أقبل على القوم قبل انصرافهم وقال سآمر صاحب الناقوس أن يخفق لكم الناقوس خفقة عند خروجى من الباب فتخرجون جميعا فامتثلوا ما أمرهم به وقاموا ينتظرون الاشارة وأما صاحب الناقوس فاحتمله وصعد على أعلى السور أى البرج وفعل ما أمره به البطليوس فخرج القوم كالأهب وخرج البطليوس فى عشرين ألف فارس من الشجعان وهو يوصيهم وقال أسرعوا فى مشيكم فاذا وصلتم الى القوم فاحملوا عليهم ومكنوا السيوف والخناجر من رقابهم ومن صاح منهم الامان فلا تبقوا عليه الا أن يكون أمير القوم ومن أبصر منكم الصليب الذى أخذ منا فليأخذه ومن أتى به أكرمته ثم أمر صاحب الناقوس أن يضرب به فضرب به ضربة فسمعه أهل الابواب ففتح البوابون وتبادر واللخروج وخرج اللعين وسمع المسلمون الصوت فبادروا من أماكنهم مسرعين يخفر بعضهم بعضا وهم على يقظة وتبادروا كالاسود الضارية المشتاقة الى فرائسها فلم تصل القوم اليهم الا وهم على حذر الا أنهم غير مرتبين فتجاول القوم فى ظلام الليل وسمع الامير خالد ذلك منهم فصاح واغوثاه واحمداه واسلاماه كيد قومى ورب الكعبة اللهم انظر اليهم بعينك التى لا تنام وانصرهم على عدوهم ولا تسلمهم الى شر خلقك ثم سار خالد وهو مكشوف الراس بلا خوذة وألهته الزعقة عن لبس السلاح وسار الى قومه وهو ينشد ويقول

فاض دمعى واعترانى حزنى ＊ ضاق صدرى وبرانى شجنى ＊ رب سلم من نزول المحن
وانصر الاسلام ياذا المنن ＊ بالنبى الهاشمى المدنى ＊ أحمد المختار طه المدنى

(قال الراوى رحمه الله تعالى ورضى عنه) ثم وصل الى باب توما ومعه خمسمائة من السادات وأصحاب النجدة مثل الفضل بن العباس والفضل بن أبى لهب وزياد بن أبى سفيان بن الحرث وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب والمقداد بن الاسود وزيد بن ثابت وعبد الله بن زيد ومسلم بن عقيل وأبى ذر الغفارى وعبادة بن الصامت وبحر بن مسلم وعقبة بن نافع والمغيرة بن شعبة والمسيب بن نجيبة الفزارى رضى الله تعالى عنهم وعلت أصوات المسلمين بالتهليل والتكبير والقوم من أعلى الاسوار رقد رطنوا بلغتهم وتصارخوا عندما استيقظ المسلمون وحمل خالد على القوم ونادى يا مسلمون أتاكم الغوث من رب العالمين أنا الفارس الصنديد والبطل المجيد أنا خالد بن الوليد ثم حمل فى وسط الروم بمن معه فقتل رجالا وجندل أبطالا وهو مع ذلك مشتغل القلب بالامير عياض وبقية الامراء الذين على الابواب وهو يسمع صراخهم وزعقاتهم ﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه﴾ حدثنا عبد الله بن عون قال حدثنا جابر بن سنان عن عقبة بن عامر قال كان الروم والنصارى من أعلى السور يرمون بالحجارة والسهام ولقيت المسلمون من عدو الله البطليوس أمرا عظيما لم يروا قبله مثله وكان أول من وصل اليهم البطليوس لعنه الله فصبرت له المسلمون صبر الكرام وقاتل

سمعوا بوصول بعض العساكر الاسلامية الى العريش ثم لما طال عليهم الحال وضاق عليهم المعاش فى الارياف رجعوا الى مصر وضربت الجزية عليهم كبقية طوائف النصارى واليهود والفرنج القاطنين بمصر ثم فى يوم الخميس سادس عشرى شوال سافر عبد الله جاك منو لكونه بلغه أن جماعة من الانجليز والمسلمين وصلوا

عدوّ الله البطليوس قتالا شديدا وقال أرونى الذى أخذ صليبى بالامس فلما سمع الفضل بن العباس صوته قصد جهته وقال ها أنا صاحبك وغريمك أنا مبيد جمعكم وآخذ صليبكم أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعطف عليه البطليوس عطفة الاسد على فريسته وقال اياك طلبت ثم انفرد له وصادمه فلم تر الناس فى طول الايام ضربا كضربهما فى تلك الليلة ورأى الفضل منه شيأ لم يره فى طول عمره ولم يزالا كذلك الى أن مضى من الليل شطره وكل قرم مع قرمه ولم يزالا فى كر وفر وضرب ورد لم ير أحد مثله وصبر له الفضل صبر الكرام ولاح له من عدوّ الله ضربة فتلقاها فى حجفته فانقطع سيف الفضل وطمع فيه عدوّ الله وظن أنه يأخذه أسيرا واذا بفارسين قد أقبلا ومن ورائهما كتيبة من الفرسان قد هجموا على الروم واذا بخولة بنت الازور أخت ضرار قد حملت على فارسين من الروم فجندلتهما وهى تجندل فى الابطال وفرسانهم فلحقها فارسان أحدهما عبد الرحمن بن أبى بكر والثانى عبد الله بن جعفر وتبعهما ثالثة وهم أبان بن عثمان بن عفان فخلصوا خولة بعد أن أحاطت الروم بها وعطفوا على عدوّ الله البطليوس فكر راجعا فى كردوس من الروم حتى دخل مدينة البهنسا وقاتلت الروم من أعلى الاسوار قتالا شديدا وكان خالد رضى الله تعالى عنه تارة يكر عند باب الجبل وتارة عند باب توما وتارة عند باب قندوس وكان عياض بن غانم الاشعرى عند باب الجبل فى ذلك الوقت فلبس سلاحه ودنا من القوم ومن معه من الامراء مثل المقداد وضرار بن الازور وشرحبيل ومسلم وعقيل وزياد وعبد الله بن العباس وعمرو بن أبى ذئب وعبد الرحمن بن أبى هريرة والمسيب والحرث بن مسلم وزيد بن الحرث وأبى ذر الغفارى ومحمد بن مسلمة رضى الله تعالى عنهم فعطفوا نحو الباب وكبروا وكبر القوم من ورائهم فخرج اليهم بطريق عظيم ومعه عشرة آلاف فارس وكان اسم البطريق يوحنا فاقتتلوا قتالا شديدا فتكاثر الروم على عبد الله بن عبادة بن الصامت فقاتل قتالا شديدا ورمى بحجر من أعلى الباب فقتله رحمه الله وقتل من الامراء وفرسان المسلمين عند الباب زهاء من مائتين وقتل من الروم نحو ألف وحمل عياض والامراء والتقى القوم فصارت الاحجار والسهام تتساقط عليهم وهم لا يولون عنهم فلما ألجؤهم الى الباب واختلطوا بهم خشيت الروم أن يصيبوا أصحابهم بسهامهم وحجارتهم فامسكوا أيديهم وقتل من الروم مقتلة عظيمة وأما خالد فقاتل قتالا شديدا ما رؤى مثله فبينما الناس كذلك اذ أقبل ضرار بن الازور وهو ملطخ بالدماء وهو جامد عليه كأكباد الابل فقال له خالد ما وراءك من الاخبار يا ضرار فقال أخبرك يا أبا سليمان انى قتلت فى ليلتى هذه مائة وستين رجلا وقتل قومى ما لا يعد وقد كفيتكم من خرج من باب الجبل (قال الراوى) وكانت ليلة لم ير الناس مثلها وهم الامير عياض هو وأصحابه على من بداخل الباب واقتتلوا قتالا شديدا ووصلوا الى ساباط الباب وكان له باب آخر فأغلق من دونهم على كردوس من الروم فقتلوا هنالك وتسلق المسلمون على البرج وقتلوا من فيه وكانوا خمسمائة وقتل فى تلك الليلة هنالك نحو ألف وأما باب قندوس فكان عليه الزبير بن العوام وعقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو بن العاص والفضل بن أبى لهب والمغيرة وجماعة من الامراء فتواثبوا الى الباب واقتتلوا قتالا شديدا وقتل من المسلمين نحو مائة وعشرين رجلا غير الاعيان وأما باب توما فكان عليه خالد وخرج منه البطليوس فاقتتل الفريقان وقتل من المسلمين جماعة نحو مائتين وثمانين رجلا فى المكان المعروف بالمراغة وغلقوا الابواب واستعدوا للحصار وهذا كان أول فتح (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا سنان بن مفرج العجلانى عن أبى محمد الشاكرى عن زيد بن رافع عن أبى امامة قال وأقام خالد بعد الوقعة على البهنسا اربعة أشهر لا يقاتلهم ولا يناوشهم فطال عليهم المكث فضجروا وأتوا الى خالد وشاوروه فى القتال فاذن لهم وكان جملة من قتل فى وقعة الابواب نحو ستمائة فارس وختم لهم بالشهادة (قال الراوى رحمه الله تعالى) فلما استأذنت الصحابة خالدا فى القتال لم يقدر أن يمنعهم ولما أصبحوا اقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع مثله فاشتد الحصار على أهل البهنسا وقالوا للبطليوس ما بقى لنا صبر على القتال والحصار فقال لهم اصبروا واثبتوا الى أن أكيد العرب بمكيدة ولما اشتد الحصار عليهم أتوا الى بطريق يسمى توما صاحب الباب وأتاه السوقة والنصارى والعوام وقالوا له لقد ضاق علينا الحصار فنجعل لك مالا وافتح لنا الباب حتى نأخذ لنا أمانا من العرب فأجابهم الى ذلك فصبرهم الى جانب من الليل وفتح لهم الباب فمضى نحو مائتين من تجار البلد وخرجوا من باب السر وأتوا الى خالد وصالحوه على أن يفتحوا لهم الباب ويجعلوا للمسلمين جملة معلوما واتفقوا على ذلك وكتبوا أسماءهم

ورجعوا

و رجعوا هذا ما جرى لهؤلاء وكان الكلب ابن عم توما حاضرا واسمه أرمياء فمضى الى البطليوس وأعلمه بذلك فعندها أرسل البطليوس بطريقا يقال له حرقيائيل ومعه ألف بطريق وقال اكمنوا وائتونى بالخبر على جليته فمضوا وتفرقوا وهم مشاة قريبا من باب توما واذا بهم قد أقبلوا فلما رأوهم عرفوهم وفتحوا لهم الباب فدخلوا فعندها تواثبوا عليهم وأمسكوهم وجبوهم الى البطليوس لعنه الله فلما رآهم وبخهم توبيخا عظيما وقال ائتونى بالسياط ونصب أخدودا من حديد ثم ضربهم ضربا شديدا وأتى بالنار وأحرق جميع أموالهم وأمر باحضار البطريق فأحضر بين يديه فأخذه ومضى الى القصر هو وجميع أعوانه واستدعى بالخشب وصلبهم على أعلى السور وأقاموا هناك يوما وليلة ثم أمر بضرب رقابهم وطرح رؤسهم للمسلمين قال الامير عياض للامير خالد هؤلاء أهل ذمتنا وقد قتلهم البطليوس لعنه الله (قال الراوى رحمه الله تعالى) وأما الخليفة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فانه قلق على المسلمين قلقا شديدا فأرسل كتابا الى عمرو بن العاص يقول فيه ما سبب انقطاع كتبك عنى وأنا فى قلق على المسلمين وعلى خالد ومن معه وأعلم أنك لا ترسل لى الا بالفتح والغنائم وان احتاج خالد الى نجدة فأرسل الى أبى عبيدة فقد كاتبته بأن يرسل له جنودا من الشام والسلام فلما وصل الكتاب الى عمرو أرسله الى خالد فقال خالد لا نطلب النجدة والمعونة الا من الله تعالى ثم ان خالدا عظم عليه الامر واشتد الحصار وكان كل يوم يرجع الى المدينة ويقاتل قتالا شديدا وفقد من المسلمين جماعة كثيرة قتلوا بالحجارة والنشاب وهجم عدو الله على المسلمين وكادهم مرارا وقال خالد للامير عياض وللمسلمين لاشك أن لأصحابنا عيونا وجواسيس ثم ان خالدا ركب ومعه الفضل بن العباس والمقداد وزياد بن أبى سفيان وعياض وطافوا حول العسكر واذا برجل من العرب المتنصرة جالس على قطيفة خارج العسكر فأنكر أمره خالد وقال له من اى العرب أنت فسكت فقال له الامير عياض انطق بالحق من لك من الاهل ههنا فسكت فقال له خذ الماء وتوضأ فلم يحسن ذلك فقال له صل فلم يحسن ذلك فضربوه فأقر بأنهم خرجوا ثلثمائة من باب السر وردوا وبقى هو فضرب عنقه وانقطعت الجواسيس فكانوا يقاتلون قتالا شديدا وكان لخالد عبد فى خيمته اسمه فلاح يصنع له كل يوم قرصين من شعير واحد له وواحد للعبد ففقد خالد ثلاثة أيام يأتى السفرة فلا يجد فيها شيأ ولم يكلم العبد وكان عنده بعض تمر يتقوت به حتى فرغ فعنده قال خالد للعبد يا ولدى قال الله تعالى وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام ولك ثلاثة أيام لم تصنع فيها قرص شعير قال يا سيدى ما قطعت عنك ذلك ولكن أصنع لك كل يوم وأعلقه فى طبق الخيمة فلم أجده قال خالد ان لهذا لشأنا عظيما ثم قال للعبد قف خلف الخيمة واخف نفسك وانظر من يفعل هذا فلما كان الغد ركب خالد للقتال وصنع العبد القرصين وأكل قرصا ووضع قرص سيده وكان معتادا أن يشيله فجاء كلب أسود عظيم من جهة البلد ودخل الخيمة وأخذ القرص فى فمه ومضى فتبعه العبد حتى أتى الى سرب يخرج منه الماء يجرى من البحر تحت الأرض الى تحت سور المدينة من جهة القبلة ويدخل المدينة ويظهر من الجهة الغربية من خارج البلد فلما رآه العبد رجع وأعلم الأمير خالدا فمضى معه ورأى ذلك ففرح بذلك فرحا شديدا ثم أتى الى الأمراء وأعلمهم بذلك وقال لهم أريد منكم مائة رجل قد باعوا أنفسهم لله عز وجل فيمضون معى وجماعة شدادا يكونون مقابل الباب فاذا فتحنا الأبواب دخلوا الينا فانتدب منهم مائة رجل من خيار القوم منهم عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر وزيد بن ثابت وعقبة بن عامر ومسلم بن عقيل وزياد بن أبى سفيان وأخوه هبار والمسيب بن نجية وأخوه والمقداد بن الأسود ورافع وأبو رزين العقيلى ومثل هؤلاء السادات وقد اقتصرنا فى أسمائهم خوف الاطالة ورتب خالد رضى الله عنه عبد الله بن جعفر والزبير بن العوام وابنه عبد الله والفضل بن العباس والفضل بن أبى لهب وضرار بن الأزور ومثل هؤلاء مقابل الباب وصبروا الى غروب الشمس وأتوا الى ذلك السرب ودخلوا اليه فى الماء كل واحد بسراويله وسيفه وكان أولهم الأمير خالد وكل من دخل يدع سيفه وحجفته مع صاحبه حتى يدخل ويأخذهما حتى دخل ثمانون رجلا ورجع عشرون لم يسعهم السرب وضاق عليهم فولوا وهم متأسفون لما فاتهم من الشهادة والفتح وتواثب الأمراء المذكورون وأخفوا أنفسهم تحت الجدار الى جزء من الليل فتبادروا الى الباب فوجدوه موثقا من داخله فعالجوا الاقفال والروم سكارى ففتحوا الباب وذبحوا كل من وجدوه فى دهليز الباب وكانوا ستين رجلا ثم علوا على السور وجماعة منهم أخذوا المفاتيح ففتحوا الباب وثار واعلى

منها الى الرحمانية واخذوها
أيضا فتوحه الفرنسيس
الذين كانوا فيها وانحازوا
الى مصر وخرجوا مع من
فيها الى ملاقات المسلمين
الذين قدموا فى البر من
الشام مع حضرة الوزير
الاعظم يوسف باشا
وحصل بينهم مقتلة عظيمة
فنصر الله المسلمين وهرب
الفرنسيس الى مصر وذلك
فى أوائل المحرم سنة ألف
ومائتين وست عشرة وقد

الروم فقتلوا جماعة منهم فى أعلى البرج وقتلوا بطريق البرج وأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فاجابهم المسلمون بمثل ذلك ودخلوا من الباب الى سوق المدينة وتبادرت جماعة الى القصر فلما أحس عدوّالله بذلك وأن المسلمين ملكوا عليه الابواب وضع منديلا فى عنقه وخرج وهو يقول الامان الامان وفعل جماعة كذلك فأبى خالد ووضع السيف فيهم وقاده أسيرا وقال له ياعدوّالله لا أمان لك عندى الا أن تسلم وقبض على جماعة من بطارقته ووضع السيف فيهم وقتل من الروم نحو ثلاثة آلاف وقتل من المسلمين فى تلك الليلة فى وسط البلد مائة وأربعة وثمانون رجلا قبرهم يامن سوق المدينة وعند الابواب وعند القصر وجاء عياض ومعه جماعة من الامراء فشكا اليهم أهل البلد وقالوا الامان فرق لهم الامير عياض رحمه الله وصار عدوّالله يتملق بين أيديهم فغلبوا على رأى خالد حتى صالحهم على ألف ألف مثقال من الذهب الابريز وألف ألف أوقية من الفضة البيضاء وعشرة آلاف وسق من البر والشعير والجزية من العام القابل وخالد لا يطمئن قلبه الى شئ من ذلك وغلب الامراء على رأيه وجاؤه وقالوا له لقد أضر بنا المقام بهذا البلد فاترك الاشتغال بهذا البلد فقم معنا علينا ونرى من الرأى أن ترسل الى عمرو وتعلمه بذلك وهذا الكتاب وجماعته موثقون الى أن يجيء الجواب فعندها كتب خالد كتابا الى عمرو يخبره بذلك فلما بلغه ذلك رد لهم الجواب أنهم يستوثقون منه بالايمان ويأخذون منه ما صالحهم عليه ويتركونه ومن صاح الغوث الغوث فاتركوه والا نفر منكم أهل الصعيد ففعل خالد وقابيه نادر وأطلقه بعدما استوثق منهم بالأيمان فى كتبهم المذكورة وأطلقوه وشرط عليهم أن لا ينزل عندهم أحد الا من يقبض المال فخرجوا الى ظاهر المدينة وبقى عنده فضالة بن زيد السلمى وعون بن ساعدة الكندى ومعسوم بن سعيد الجهنى ومائتان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج الميرة والعلوفة وصار كل يوم يركب ويتردد الى الامراء ووهب وأعطى ولم يترك أميرا الا خادعه حتى طابت نفوسهم عليه الا خالد والفضل بن العباس والمقداد وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق والزبير بن العوّام فانهم لم تطب نفوسهم اليه وأقاموا شهرين على ذلك وأرسل جميع الغلال الى خزينته فى هذا الزمن وخزن ما يحتاج اليه واستدعى بكبار قومه ومن يثق به واتفق رأيهم على قتل المسلمين والغدر بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر والى أن مضى جزء من الليل وهجم على المسلمين على حين غفلة فى ألف بطريق وأوثقهم كتافا وجعل فى أفواههم الاكر وفتح الأبواب وأدخلهم المدينة وهجم على المسلمين ووضع السيف فيهم وهم رقود فما انتبهوا الا والسيف يقطع فى نحورهم وكانت وقعة عظيمة وثار خالد ومن معه وكان الزبير راقدا فسمع الصياح فقال دهينا ورب الكعبة ثم ركب وركب معه زوجته وقاتلت النساء قتالا شديدا وعدوّالله تارة يكر ميمنة وتارة يكر ميسرة والسيف يعمل والرجال تقتل وكانت ليلة شديدة وصار خالد يقول ياقوم أما قاتلتم لكم فيا معشر خالد والضرار زياد بن أبى سفيان وأخوه هبار وميسرة بن مسروق وفضالة بن عبد شمس وعقيب بن يعقوب وعبادة بن تميم وجندبة الكابى الى تل هناك وأحاط بهم طائفة من الروم من كل مكان فقاتلوا قتالا شديدا وانحدر زياد رضى الله عنه من التل وتبعه أصحابه فأحدقت بهم الروم ودار وابهم كدوران السوار بالمعصم وقتلوا زيادا وجميع من ذكرنا من الامراء وقاتلت نسيبة الانصارية أم أبان وأسماء ابنة أبى بكر ونعمانة ابنة المنذر ونظائرهن فى تلك الليلة قتالا شديدا وقتل جماعة من المسلمين وأتى خالد وحمل عليهم وجعل يقلب الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة قال واطبق عليهم هو وجميع الامراء فهزموهم الى الابواب وقتل منهم مقتلة عظيمة وهرب عدوّالله وتحصن هو وقومه وغلقوا الابواب ولما أصبح أمر بالحصار وأمر باحضار المأسورين وصعد بهم الى أعلى البرج وضرب رقابهم فشق ذلك على المسلمين وصعب عليهم مافعل عدوّالله بأصحابهم وأتى خالد رضى الله عنه ومعه بقية الامراء الى مكان المعركة فوجدوا الشهداء مطروحين ووجدوا زيادا رضى الله عنه وفيه عشرون طعنة بالرمح وأربعون ضربة بالسيف والى جانبه أخوه هبار وفى رأسه عشرون ضربة بالسيف وواحدة فى فخذه قطعته فبكى خالد عليهم بكاء شديدا وبكى عليهم سائر الامراء وأبطال المسلمين ونعاهم الامير خالد بهذه الابيات وهى له خصوصا

هوام دموعى كالسحائب تهمع * وقلبى من فقد الاحبة يفزع * وأظلمت الدنيا على نور عبرتى
وكاد فؤادى بالجوى يتقطع * لفقد زياد أحرق البين مهجتى * وغاب صوابى وهو فى الارض يصرع
لقد كان فى بحر المعامع صائلا * يزلزل أركان العدا ويضعضع * وقد كان مقدام الفوارس كلها

حبسونا فى القلعة مع إخواننا من العلماء خوفا من قيام أهل البلد عليهم كما وقع منهم سابقا فمكثنا فى القلعة مائة يوم من تسعة فى ذى القعدة الى أواخر صفر سنة ست عشرة ومائتين وألف وسبب خروجنا من الحبس وقوع الصلح بين المسلمين وبين الفرنسيس على أن يخرجوا من البلد ويسافروا على رشيد وأبى قير ووقع بينهم

بكل مكان للاعادى يقمع * على الله يوما فيه حانت وفاته * وأجفانه مع أسهم الدهر تدمع
أبا سيدا من آل هاشم لم يزل * له رتبة بالمجد والجود ترفع * يعز علينا أن نراك معفرا
ورأسك من فوق الجنادل تسفع * بجانبك المبرا أضحى مهبرا * طريحا على رأس الثرى وهو مطمع
الا لعن الرحمن بطليوس قومه * والعنه مع كل قوم تجمعوا
لقد غدر السادات من آل هاشم * نجوما وأقمارا على الناس تطلع

(قال الراوى) ثم بكى المسلمون بكاء شديدا على من قتل منهم من الامراء والابطال وجمعوهم وصلوا عليهم وواروهم فى حفرهم الى جانب التل فاذا هم ثمانون أميرا وثلثمائة وسبعون رجلا ختم الله لهم بالشهادة (قال الراوى) واقام المسلمون ثلاث سنين الا أنهم يشنون الغارات على السواد والسواحل ومضى القعقاع بن عمرو وهاشم وأبو أيوب وعقبة بن نافع الفهرى بالفى فارس وأغاروا على حد برقة ثم عادوا وهذا احد الآراء فى فتح المغرب قال رضى الله عنه ولما طال الحصار والمكث على أهل البهنسا اجتمعت المسلمون عند خالد واستشاروه فيما يفعلونه وماذا يكون من الرأى فوثب عبد الرزاق الانصارى وعبد الله بن مازن الدارى وكعب بن نائل السلمى وأبو مسعود البدرى وابو سعيد البياضى وقالوا يا قوم قد وهبنا أنفسنا لله عز وجل وأمل أن يكون للاسلام فرج فاصنعوا منجنيقا واملؤا غرائر قطنا وقالوا يأخذ كل واحد منا سيفه وحجفته ويدخل فى غرارة قطن فاذا كان الليل ونامت الحراس فالقونا على أعلى السور واحدا بعد واحد والمعونة من الله فى فتح الباب كما فتحتم قصر الشمع بمصر ودير النحاس وكما فعلتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاستصوبوا رأيهم فلما أصبحوا قطعوا الاخشاب وصنعوا منجنيقا وصنعوا له حبالا وأحضروا غرائر وملؤها قطنا والرجال داخلها وصبروا الى الليل ودخل هؤلاء السادات رضى الله عنهم بعد أن ضربوا بالمنجنيق حجرا بعد حجر فسقط على أعلى السور والبرج فشرعوا فى رميهم منهم أبو مسعود البدرى وعبد الرزاق الى أن رموهم جميعهم وصاروا فوق أعلى السور ورتب خالد أصحابه على الابواب وأما عبد الرزاق وأصحابه فلما صاروا أعلى الجدار نزلوا الى البرج فاذا هو مغلق والحراس نيام فنزلوا الى الدهاليز بين البابين فوجدوهما مغلقين موثقين فذبحوا البوابين عن آخرهم ووجدوا المفاتيح تحت رأس كبيرهم فى جانب سريره فأخذوها وفتحوا الابواب واذا بالباب الثانى ينتهى الى القصر مسدودا بالحجارة فاحتالوا على قلع حجر بعد حجر فقلعوها ورموا الاحجار وفتحوا الابواب وكل ذلك فى أقل من ساعة بمعونة الله عز وجل وصعدوا الى البرج فما لجوه ففتحوه وقتلوا جماعة واستيقظ جماعة وثاروا عليهم وخافوا على الباب أن يؤخذ منهم وأن يحال بينهم وبينه وهو باب السور الذى بظاهر المدينة ففتحوه وصاحت الروم واستيقظ البطليوس وركب جواده وكان على حذر وركب المسلمون ودخلوا الباب وخرجت البطارقة والبطليوس من قصره وزحفت الروم الى الباب وكان أول من قتل فى ذلك اليوم عبد الرزاق وعنان بن مازن وكعب بن نائل السلمى بداخل الباب (قال) حدثنا قيس بن مازن الحميرى عن عبادة بن سالم السكاكى عن أبى مسعود البدرى وكان أول من فتح الباب قال ليس هو على هذه الصفة وأخبرنا سالم بن حامد عن أبى عبد الله عن أبى محمد الانصارى عن عبد الله البدرى قال كان أبو محمد الحسنى يقرأ هذه الفتوح بالجامع الفزى العمرى على الشيخ أبى عبد الله حتى بلغ الى هنا وذكر الفتوح وفتح الباب وان الرجال وضعت فى الغرائر قال يا بنى ليس الامر كذلك فقد روى عن ابن مسعود وهو الصحيح عن فتح الباب قال انهم قطعوا أخشابا ونصبوا سلما للتسلق عاليا على جدار المدينة وصبروا الى الليل وأسندوه الى الجدار وتسلق منهم أربعون رجلا ومنهم السبعة المذكورون وفتحوا الباب كما ذكرنا واستيقظ الروم وخرجوا اليهم بعد فتح الباب وكان السابق اليهم عبد الرزاق رضى الله عنه فقتلوه وقتلوا معه من ذكرنا أولا وتسابق المسلمون الى الباب فكان أول من دخل ضرار بن الازور وهو يزعق ويقول هذه الابيات

الجن تفزع يوم الحرب من فزعى * اذا أتيت الى الهيجاء بلا جزع * يا ويل من صنع الارصاد يخدعنا
ونحن جرثومة الامكار والخدع * لارضين الهى فى جهادهم * وقتل أبطالهم بالسيف والدرع
يا ويل كلب العدا البطليوس ان وقعت * عينى عليه لارديه الى النزع
عيب على اذا ما التقيته هنا * وأفلق الرأس منه غير مرتدع

شروط كثيرة منها أن يرسلوا الى عبد الله منو فى الاسكندرية اما أن يدخل فى الصلح المذكور واما أن يحاربوه وخرجوا من مصر يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر صفر المذكور وذهبوا الى الجيزة ثم توجهوا منها يوم الاربعاء رابع شهر ربيع الاول من السنة المذكورة الى رشيد وأبى قير صحبة حسين باشا

ثم دخل من بعده خالد وهو يقول

اليوم يوم الوفا والطعن بالاسل * والضرب بالقضب فى الهامات والقلل
ياويل بطلوس كلب البهنساء اذا * لاقيته بطليق الحد معتدل
ان لم أذقه بكاسات المنون هنا * فلا سلمت ولا بلغت من أملى

قال ثم دخل من بعده ذوالكلاع الحميرى وهو يقول

انى لمن حمير العالين فى النسب * أهل الثنا والوفا والجود والحسب
أسد غضارفة أسود جحاجحة * تردى الكماة غدا فى الحرب بالقضب * الحرب عادتنا والطعن همتنا
وذوالكلاع أنا عال على الرتب * تبت يد الروم ما يدرون أن لنا * صوارما تترك الاعضاء كالقصب

قال ثم دخل من بعده الزبير بن العوام وهو يقول

أبا بطليوس يا كلب اللعينا * ويا نسل الطغاة الارذلينا * أتتك حماة دين الله حقا
وأولاد الجياد الخيرينا * خيار الناس نسل بنى نزار * كراما فى الاعادى قاطعينا
اذا اشتبك العجاج بهم تراهم * يحولك كالسباع الضاريينا * ولا منهم جبان قط يهزم
ولا نذل فتلقاه حزينا * وليس ترى سوى مقدام قوم * أثار الحرب صنديدا أمينا

قال ثم دخل من بعده عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وهو يقول

أتينا البهنسا بكل قرم * شديد العزم فى يوم النزال
وجيش فاق فى الآفاق طرا * على الاعداء بالسمر العوالى

قال ثم دخل من بعده عبد الله بن جعفر وهو يقول

اليوم طاب الطعن فى اللئام * والضرب فى الاعناق بالحسام * وأنصر الاسلام باهتمام
ولم أزل عن سادتى أحامى * أنا الشجاع الفارس الهمام * ومردى الاعداء فى الحمام

قال ثم دخل من بعده الفضل بن العباس وهو يقول

ألا اننا السادات من آل هاشم * ليوث ذوى بطش شديد العزائم * لنا تشهد الابطال فى كل معرك
وتذكرعنا أهل كل المواسم * اذا اشتدت الاهوال واشتبك القنا * رأيت لنا فى ذاك فعل الضراغم

قال ثم دخل من بعده الفضل بن أبى لهب وهو يقول

أصولك يا بطلوس عزمى قد طلب * بحد حسام كالشهاب اذا انتدب * يطير شرار النار من لمعانه
بكف شجاع الخيل ابن أبى لهب * فويلك يا ملعون منه اذا سطا * بصارمه يوم العجاج وان وثب

قال ثم دخل من بعده عياض بن غانم الاشعرى وهو يقول

لا أنثنى يوم الهياج عن العدا * بمهندى الصمصام الاان قطع
فالويل للبطلوس من سطواتنا * لافرقن بحد سيفى ما جمع

قال ثم دخل من بعده المقداد بن الاسود وهو يقول

أنا الكندى كالليث الشجاع * وانى فى العدا قد طال باعى * وتشهد لى الرجال بكل حرب
وللهيجاء منقاد الطباع * فوا ثارات عبد الله انى * عليه مدى ذاهل حيران ناعى

قال ثم دخل من بعده أبان بن عثمان وهو يقول

نحن الليوث ذووا المعروف والكرم * وفى المعامع يوم الحرب والهمم * مجندلون العدا فى كل معترك
وقاهرون لهم بكل مصطدم * لا يعجبنك يا بطلوس جيشك فى * هذا المقام فمنا الكل كالرخم

قال ثم دخل من بعده مسلم بن عقيل وهو يقول

ضنانى الحرب والسهر الطويل * وأقلقنى التسهد والعويل * فوا ثارات جعفر مع على
وما أبدى جوابك يا عقيل * سأقتل بالمهند كل كلب * عسى فى الحرب أن يشفى الغليل

قال ثم دخل من بعده شرحبيل بن حسنة ثم القعقاع بن عمرو التميمى ثم مالك الاشتر ثم عبادة بن الصامت ثم أبو ذر الغفارى ثم أبو هريرة الدوسى ثم ابنه عبد الرحمن ثم معاذ بن جبل ثم شداد بن أوس ثم قيس بن هبيرة ثم عقبة

القابودان وعساكر كثيرة من المسلمين والانجليز وأنزلوهم فى مراكب وامتلأت مصر بعساكر المسلمين وبعض عساكر الانجليز ودخل الوزير الأعظم مصر يوم الخميس فى موكب عظيم عليه أبهة الجلال وهيبة الكمال وامتلأت قلوب أهل مصر فرحا وسرورا لم يحصل لهم فرح مثله لكثرة ما وقع لهم

ابن عامر ثم أبو دجانة الانصارى ثم جابر بن عبد الله ثم البراء بن عازب ثم النعمان بن بشير ثم سعيد بن زيد أحد العشرة الكرام رضى الله عنهم أجمعين قال ثم الانصار يتلو بعضهم بعضا بهمم وعزائم قال ثم خرجت الروم وقاتلت قتالا شديدا وتواثبت جماعة من الامراء مثل الزبير بن العوام وابنه عبد الله وعبد الرحمن بن أبى بكر الى باب البحر واقتتلوا قتالا شديدا وتقدم عبد الرحمن والزبير الى الباب والروم على أعلى السور ونزل عن جواده وصلى ركعتين والحجارة تتساقط عليه وهو لا ينزعج لذلك وتقدم هو والفضل وعبد الرحمن بن أبى بكر الى الباب وجعلوا السلاسل من فوق وصعدوا الى أعلى البرج وهدموا الشرافات ووضعوا السيف فى الحراس وفتحوا الباب ووثب شرحبيل بن حسنة والفضل بن العباس وأبو ذر الغفارى وأبو أيوب الانصارى الى باب قندوس ووثب المسيب بن نجبة الفزارى والقعقاع بن عمرو والامير عياض بن غانم الاشعرى الى باب الجبل وفتحوا الابواب واقتتلوا قتالا شديدا وقاتلت الروم قتال الموت الى أن طلعت الشمس وارتفعت وقاتل عدو الله البطليوس قتالا شديدا وقتل رجالا وجندل أبطالا واقتتلوا فى الازقة والشوارع وبين الابواب وتقدم خالد وهو يصيح وا ثارات سليمان وطعنه طعنة صادقة فى صدره فاطلع السنان يلمع من ظهره فوقع يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأى الروم ذلك ولوا الادبار وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون وقتل من الروم نحو ثلاثين ألفا بوسط البلد وأسر منهم عشرون ألفا وأنشد خالد رضى الله عنه يقول

وبالبهنسا الغرا أبيدت جيوشنا * ثلاث سنين بابها ليس يفتح
ثمانى آلاف عداد جيوشنا * وكل همام عن ثمانين يرجح
فما فتحت الا وقد صار جيشنا * ثلاثة آلاف عداد تصحح
ولم أر فى أرض الصليب كمثلها * ولا جيشها لما على السور يسرح
ولا مر لى يوم كمثل حروبها * لان بها البطلوس ليث مجحجح
وكان له جيش وعدة جيشه * ثمانون ألفا بالحديد توشحوا
وكنا غلبناهم ثمانين مرة * يخادعنا البطلوس عنهم فنصفح
ثلاث مرار نحن نفتح بابها * وترتد للكفر الذميم وتجنح
وقد لعب الهندى يوم فتوحها * وكانت أيادينا وفى الروم تذبح
ثلاثون ألفا قد محتها سيوفنا * وأكبادنا من حرها النار تقدح
الى أن ملانا البر والبحر منهم * وقد شبعت أسد الفلا وترنحوا
وولت ثلاثو الالوف شواردا * وعشرون ألفا منهم قد تجرحوا
فمنهم قضى نحبا ومنهم بهاطنى * ومنهم أناس فى المقابر روحوا
وبطلوسهم ذاك النهار قتلته * وكان مقدام الجيوش مرجح
فبادرته فى الحال حتى تركته * صريعا عليه الغانيات تنوح
وعاجلته فى الراس منى بضربة * فاضحى بها شطرين ملقى ومطرح
وعاد بسيف ابن الوليد مجندلا * تمر به كل الحوادث تفلح
ولما فنى بطلوسهم صار جمعهم * كما شبه أغنام وغاب المسرح
وقد كان فى بحر الهياج مغلغلا * تولى سرايا قومنا منه مرح
فلله ما أعداه قد كان فارسا * يفوق فى جيش عظيم ويرجح
وقد فرحت أكبادنا وترنمت * لعمرك والاكباد بالنصر تفرح
أقمنا بأرض البهنسا بعد فتحها * ثلاثين يوما للمساجد نصلح
وسرت الى أرض الصعيد معاجلا * بألفين من خيل الصحابة ترمح
من البهنسا الاسوان جما فتحتها * بعشر شهور بعدها الانس تامح
وعندى الثلاثون الذين شاع ذكرهم * وكل فتى بالصاح بالالف يرجح
ورحنا فتحنا الهند والسند كله * وأسيافنا فى الغمد لله تسبح

من طائفة الفرنسيس من أخذ أموالهم وقتل رجالهم وهدم بيوتهم حتى صاروا فقراء ثم فى يوم الاحد السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر جاء الخبر بأن المسلمين ملكوا الاسكندرية بعد قتال شديد ومات خلق كثير من الانجليز والمسلمين وحصروهم فى البرج ثم طلبوا الامان وكان ذلك

وفى كل أرض عسكر قد تركته * يقيمون دين الحق والحق يوضح
وهذا كلام ابن الوليد الذى جرى * فكن سامعا منى الذى لك أشرح
فما مثله فى مجمع الحرب سيد * ولا مثله فى جوهر النظم أفصح
ومن بعد ذا صلوا على أشرف الورى * نبى له كل البرية تجنح
عليك سلام الله ما لاح بارق * وما غرد القمرى اذا الصبح يطفح
وأصحابه والآل والعترة التى * أقاموا الدين لله والشرك زحزحوا

﴿قال الراوى رحمه الله تعالى ورضى عنه﴾ وصار المسلمون يصعدون الى البيت ويأخذون الرجال من بين خرعهم من الروم ويقتلونهم حتى كانت سواعدهم من الذبح وجرى الدم فى الأزقة وصارت القتلى فى الشوارع والاسواق مطروحين وخرجت اليهم النصارى والقبط وهم يبكون ويقولون نحن أهل ذمتكم ونحن عوام وتجار وسوقة وكنا مغلوبين على أمرنا وقتل خيارنا باسيافكم فأجيرونا وارحمونا يرحمكم الله وأراد خالد أن يفعل بهم كما فعل باصحابهم فمنعه الامير عياض وبقية الامراء ويقولون هؤلاء قد صاروا رعيتنا وليس لهم بطش فتركوهم وقالوا بشرط أن تدلونا على من أخفى نفسه فى المغاير والمخابى ومن فر من الباب الشرقى وغرق فى الماء فدلوهم على الجميع ولم يزالوا يقتلون ذلك اليوم كله وفى اليوم الثانى استدعوا بنجارين يعملون عربات لحمل القتلى من المسلمين وأخذوا دواب أهل السواد من البقر تسحب العربات والفلاحون عملوا عليها وصاروا يضعون كل ثمانية وستة وعشرة فى حفيرة ويردون عليهم الرمل حتى صاروا تلالا وشهروا قبورهم ووضعوهم بدروعهم وثيابهم ودمائهم رضى الله تعالى عنهم وأخذوا الواح رخام وكتبوا عليها أسماءهم وأنزلوها فى مدافن قبورهم ورجعوا الى قتلى أهل البلد فواراهم أهاليهم فى قبورهم وكان جملة من قتل من المسلمين فى هذا اليوم نحو أربعمائة وأزيد ومنهم من الاعيان صاغر بن فرقد وعبد الله بن سعيد وعبد الله بن حرملة وعبد الله بن النعمان وعبد الرزاق الانصارى وعبد الرحيم اللخمى وأبو حذيفة اليمانى وأبو سلمة الثقفى وابو زياد البربوعى وأبو سليمان الدارانى وابن أبى دجانة الانصارى وأبو العلاء الحضرمى وأبو كلثوم الخزاعى وأبو مسعود الثقفى وهاشم بن نوفل القرشى وعمارة بن عبد الدار الزهرى ومالك بن الحرث وأبو سراقة الجهنى والبقية من أخلاط الناس وقتل عند سوق التمارين نحو عشرين ودفنوا هناك وعند سوق الصابون جماعة كثيرة وقريبا من العطارين فى جانب القبور نحو أربعين وقريبا من البحر اليوسفى جماعة عند السور رضى الله تعالى عنهم (قال الراوى) ولما وارى المسلمون شهداءهم صعدوا الى قصر البطليوس والى قصور البطارقة ودورهم ومقاصيرهم فوجدوا فيها من آنية الذهب والفضة ما لا يوصف ومن المتاع والحلى والحلل واللآلئ والنمارق والجواهر والبسط والوسائد والمساند واقتتلت الروم على بغلة محجلة عند باب السرقة فأبهم المسلمون عليها وأخذوه فاذا عليها عند وكان فيها أحجار معادن فاشترى رجل من المسلمين من بيت المال بخراسته آلاف دينار فباعه على غشرميته بمائة ألف دينار وأخذوا بساط البطليوس وكان مثل بساط كسرى سداه حرير وذهب مرصع بالمعادن فأرسلوه مع الخمس الى المدينة فجعل لعلى بن أبى طالب فيما حصل له من البساط عشرون ألف دينار وغنمت المسلمون غنائم كثيرة من أوانى الذهب والفضة وغير ذلك ﴿قال الراوى رحمه الله تعالى﴾ حدثنا عون بن عبيدة عن عبد الحميد بن أبى أمية قال هدم المسلمون القصر والكنيسة وتلك الدور وفتحوا خزائن البطليوس واستخرجوا جميع ما فيها من الذهب والفضة وغير ذلك ولم يتركوا فيها شيأ أبدا وقسم خالد الغنيمة بين المسلمين فكان للفارس عشرة آلاف مثقال من ذهب وألف أوقية من فضة ومن الثياب والملبوس وغير ذلك ما لا يوصف ولما دخلوا الكنيسة ورأوا الصور وقناديلها الذهب والفضة والستور الحرير المنقوشة والاعمدة وغير ذلك تعجبوا وقرأ خالد ما اتخذ الله من ولد الآية وقال لا اله الا الله محمد رسول الله فصاح المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وقرأ عياض الاشعرى كم تركوا من جنات وعيون الى قوله وأورثناها قوما آخرين وأخربوا تلك البيعة وجعلوا بجانبها مسجدا على أعمدة من الرخام مسقوف عليها بتلك الاخشاب وهو الجامع الاول قبل بناء حسن بن صالح هذا الجامع الآن وبقية الاخشاب والحجارة فجعلوا منها مساجد وربطا ﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى﴾ حدثنا عبد الحميد عن قيس بن مهران

فى يوم الجمعة لثمانية عشر من الشهر المذكور ثم طلبوا مدة فأعطوهم ذلك وبعدها أنزلوهم فى المراكب شيأ فشيأ وخلت منهم البلاد وأراح الله منهم العباد وكانت مدة تصرفهم فى مصر ثلاث سنين وشهرا وكان خروجهم بهمة مولانا سلطان سلاطين أهل الأرض الذى صرفه الله فى طولها والعرض مالك

عن أبي جعدة قال بمدينة البهنسا أربعون رباطا من المساجد مالا يعد وأخربت الصحابة تلك المعالم وبنوا دورا لانفسهم واختطوا بها أماكن وشوارع وأقام خالد ومن معه بمدينة البهنسا يصلحون المساجد والربط ويخرجون المعالم شهرا كاملا ثم أخرج الخمس وأرسله لعمرو بن العاص ومن معه من المسلمين وهو نازل بمصر على قدر سهامهم وقال له ارسل الخمس مع أبي نعيم الانصاري والفضل بن نضالة وأبي دجانة الى عمر بن الخطاب وهو بالمدينة فلما ورد الكتاب على عمرو بن العاص فرح بذلك فرحا شديدا ثم كتب عمرو لعمر كتابا مع أبي نعيم صحبة كتاب خالد وسير معه ثلاثين صحابيا حتى دخل المدينة ودخل على عمر بن الخطاب فوجد عنده جماعة وقد أخرج لهم قصعا ومناسف من ثريد فلما رآنا عانقنا وتهلل وجهه فرحا وجلسنا كلنا نأكل وهو قائم على رؤسنا متكئ على عصا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغنا من الاكل ناولناه الكتابين فقرأهما وفرح فرحا شديدا ونادى في الناس الصلاة جامعة فخطب وحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم الكتابين واستدعى بالصحابة وقسم عليهم الغنيمة ولم يترك لاهله درهما ولا دينارا ولا ثوبا رضي الله تعالى عنه وأخذني ومضى الى بيته بيت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأدخلني اليه فاذا فيه فراش من أدم حشوه ليف ووسائد من صوف وقطيفة واحدة فجلست فقال لام كلثوم هل عندك شئ من التمر قالت لا الا اللبن الحامض قال ذلك لي وان عندنا ضيفا فحضرت بعكة من سمن وقليل من عسل وفطير مع جارية فأكلت قليلا من المذكور وأخرجت الباقي لاصحابي وشرعت أحدثه عن البطليوس وهو تارة يبكي وتارة يضحك من فعلي ويبكي على من قتل من المسلمين والامراء وخرجنا الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وجاءت الناس يهرعون ويسألون عن أهاليهم منا فأخبرناهم عمن مات ومن قتل فضج الناس وأهل المدينة بالبكاء وعلت الاصوات على من قتل وجاء الناس لعلي ولعقيل ولبني هاشم يعزونهم فيمن قتل وأقمنا بالمدينة سبعة أيام ورجعنا الى مصر بكتاب عمر الى خالد فأمره بالمسير الى الصعيد (قال الراوي رحمه الله تعالى) هذا ما جرى لهؤلاء وأما خالد رضي الله تعالى عنه فانه بعد شهر ترك أناسا من الصحابة بأرض البهنسا من جميع القبائل وخرج بألفي فارس الى أرض الصعيد وكانت القبائل من بني هاشم وبني المطلب وبني مخزوم وبني عبد الدار وبني زهرة وبني نزار وبني جهينة وبني مزينة وبني غفار والاوس والخزرج ومذحج وفهر وطيئ وخزاعة وكان الامير عليهم مسلم بن عقيل وأحاطوا بالمساكن وجعلوا بالمدينة أسواقا وشوارع وسكن أكثر الصحابة في جانب البحر اليوسفي وخلوا من الآخر الى الجانب الغربي شارعا واحدا لأجل أن تسبح دوابهم في البحر وأقام مسلم بن عقيل واليا عليها الى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه فتولى محمد بن جعفر بن أبي طالب بعده ومضى مسلم وترك أولاده واخوته بها ولم يزل في المدينة حتى قتل في خلافة الحسن في الكوفة رضي الله عنه وأقام محمد بن جعفر الى خلافة علي رضي الله عنه وتولى عليها بعده علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنه الى خلافة معاوية وكان عبد العزيز ابن مروان الاموي ٢ وتولى بعده طاهر بن عبد الله وكانت قريش والاشراف بالجهة الغربية ويقال لها حارة الاشراف وكان لكل قبيلة حارة (قال) أبو المنهال لما فتحت مدينة البهنسا كانت آهلة بالجند فاجتمعت السوقة والمتسببون من أهل البلد وكانوا أربعين ألفا (قال الواقدي رحمه الله) حدثنا حامد بن المزيد عن أبي صالح عن ابن نوفل المرادي قال كان بمدينة البهنسا أربعمائة بقال حين فتحها يبيعون البقل وغيره وكانت مدينة عظيمة فلما وقع بين بني أمية وبني هاشم ما وقع أخرجوا منها جماعة واختل أكثرها قال وتناسل اليها جماعة من العربان حتى جاء الحسن واخوته في خلافة بني العباس فعمروا جامعها وأكثر من الزوايا والربط وأقام بها حتى مات رحمه الله (قال ورجعنا الى سياق الحديث) وخرج خالد بمن معه الى الصعيد ولم يزل يفتح مدينة بعد مدينة الى آخر الصعيد الى عدن وسواكن وليس مقصدنا في هذا الكتاب الا فتوح البهنسا خاصة التي عليها مدار فضائل السادة الشهداء لان بتربتها خمسة آلاف صحابي وحضر فتح البهنسا نحو سبعين بدريا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبزيارتها تعظم الاجور وقد زارها جماعة من العراق مثل بشر الحافي وسري السقطي ومالك بن دينار وسحنون وزارها من أقصى المغرب أبو مدين وشعيب وأبو الحجاج وأبو عبد الله وزارها الفضيل بن عياض وروى ان اقليم البهنسا أكثر بركة من جميع الارض كلها وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بعد مكة والمدينة والارض المقدسة والطور أرض مباركة

رقاب الامم سيد سلاطين العرب والعجم مولانا السلطان سليم خان لازال محفوظا برعاية الحنان المنان وبتدبير وزيره الاعظم ومشيره الافخم * صاحب الاوصاف السنية * والاخلاق المرضية * من هو حقيق بقول الشاعر

خلق كماء المزن طيب مذاقه
والروضة الغناء طيب نسيم
كالغيث الا أن جود يمينه
أبدا وجود الغيث غير مقيم
كالدهر لكن فيه حلم واسع

الأرض مصر والبركة هى فى الجانب الغربى (قال رحمه الله) وأما أهل البهنسا وكان على بن الحسن يقول انه ليس بأرض مصر بالوجه القبلى أرض مباركة ولا أكثر بركة من أرض البهنسا وكان أبو على النورى اذا أتى أرض البهنسا وأتى الجبانة ينزع ثيابه و يتمرغ فى الرمل ويقول يالك من بقعة طالما ثار غبارك فى سبيل الله وكان أبو على الدقاق اذا مر بجبانة البهنسا يقول يالك من بقعة ضمت أعضاء رجال وأى رجال طالما عرقت وجوههم فى سبيل الله وقتلوا فى سبيل الله ومرضاته وقيل للحسن بن صالح لم اخترت هذه البلدة على غيرها قال كيف لا آوى الى بلد آوى اليها روح الله وكلمته و ينزل على جبانتها كل يوم ألف رحمة ولما ولى عبد الله بن طاهر مصر تجهز وأتى الى البهنسا فلما قرب من الجبانة ترجل عن جواده وترجل من معه وكان الوالى عليها عبد الله بن الحسين الجعفرى فخرج ماشيا وسلم عليه ولما وصل الى الجبانة قال السلام عليكم يا أحياء الدارين وخير الفريقين ثم التفت الى أصحابى وقال ان هذه الجبانة ينزل عليها كل يوم مائة رحمة وانها تزف باهلها الى الجنة ومن زارها تتساقط عنه ذنوبه كما يتساقط الورق من على الشجر فى يوم ريح عاصف فكان عبد الله بعد ذلك كل يوم يخرج حافيا فيزورها حتى مات ودفن رحمه الله (قال الراوى) رحمه الله ورضى عنه حدثنى رجل من أرض البهنسا من أهل الخير والصلاح يسمى عبد الرحمن بن ظهير قال كان لى جار مسرف على نفسه فمات ودفن قريبا من الشهداء الذين بالجانب الغربى فبينما أنا نائم تلك الليلة فرأيته واذا عليه ثياب من السندس الاخضر وعليه تاج من الجوهر وهو فى قبة من نور وحوله جماعة لم أر أحسن منهم وجها ولا ثوبا متقلدين بسيوف وهو بينهم فسلمت عليهم وقلت له يا هذا القد سرنى ما رأيت من حالك فقال يا هذا القد نزلت بجوار قوم يحمون النزيل فى الدنيا من العار وكيف لا يحمونه فى الآخرة من النار وقد استوهبونى من العزيز الغفار غافر الذنوب والاوزار وأسكننى جنات تجرى من تحتها الانهار قال ذو النون المصرى رضى الله عنه وكنت فى كل سنة آتى الى البهنسا وأزور الجبانة لما رأيت فى ذلك من الاجر والثواب فحصل لى فى سنة من السنين عارض منعنى من زيارتها فبينما أنا نائم ليلة من الليالى اذ رأيت رجالا لم أر أحسن منهم وجوها ولا أنقى ثيابا على خيول شهب وبأيديهم رايات خضر ووجوههم تتلألأ أنوارا فسلموا على وقالوا لقد أوحشتنا ياذا النون فى هذه السنة وان لم تزرنا زرناك فقلت لهم من أنتم فقالوا نحن الشهداء الاخيار أصحاب محمد المختار بالبهنسا كنا بأرض الروم لنصرة المسلمين على أعداء الله الكافرين فزرناك انسلم عليك وننظر ما سبب انقطاعك عنا قال فى أى أرض أنتم قالوا نحن سكان جبانة البهنسا ولك علينا حقوق الزيارة لانك من أهل الاشارة فقال لهم ياسادتى انى لا أعود وحبل الوصال بيننا ممدود وما كنت أعلم انكم تعلمون من زار وما كنت أظن فى نفسى انى بهذا المقدار قالوا ياذا النون أما تعلم أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وبهذا نطق الكتاب المكنون ثم تركونى ومضوا فاستيقظت وفى قلبى لهيب النار فطوبى لمن زار هؤلاء السادات الاخيار (واقد وضعت) فى هذا الكتاب كل نادرة عجيبة وحكاية غريبة وهو كتاب كامل المعانى والبيان عظيم القدر والشان لا يفهمه الا ذوو البصائر والالباب ولا يعقله الا أهل الخطاب ولا يقرؤه الا أهل الذوق والمعرفة فهو كالزهر فى الرياض لمن اقتطفه نفع الله به مالكه وكاتبه وقارئه وسمعه والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين

آمين آمين

آمين

م

عمن جنى والدهر غير حليم
كالسيف الا انه ذو رحمة
والسيف قاسى القلب غير رحيم
وأوصافه الجميلة لا تحد
وأخلاقه الحسنى لا تحصر
ولا تعد اسأل الله أن
تكسو الايام ملابس العز
بطول حياته وأن تشرح
صدر الزمان بدوام مسرته
وان تحفظ من كل مكروه
مهجته وأن تديم على
مدى الزمان بهجته بجاه
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

﴿ يقول راجى عفو ربه الكريم مصححه ابن الشيخ حسن الفيومى ابراهيم ﴾

حمدا لمن فتح لنا أبواب الرحمه وقال كنتم خير أمه وصلاة وسلاما على المبعوث بالشريعة الغراء والآيات المحكمة التى لها فى هداية القلوب اليد البيضاء وآله الطاهرين وصحابته الذين شادوا الدين أما بعد فقد تم بحمده تعالى طبع فتوح الشام للامام العلامه الحبر البحر الفهامه سيدى محمد الواقدى رحمه الله رحمة واسعه وأسكنه من فراديس جنته بحبوحة الفضل الجامعه وهو كتاب يدل فى الجملة على ما للسلف من الفضائل وعلى مالهم من بذل الوسع فى تشييد الدين وحسن الشمائل وقد تحلت طرره ووشيت غرره بكتاب تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين تأليف الامام الفاضل واللوذعى الكامل الشيخ عبد الله الشرقاوى رحمه الله وأناله من الخيرات مناه على نفقة (حضرة الشيخ محمد على المليجى الكتبى) بمكتبته الكائنة بشارع الحلوجى بجوار الازهر الشريف والمعهد الانور المنيف وذلك بالمطبعة العامرة الشرفيه الثابت محل ادارتها بشارع الخرنفش من مصر المحميه ادارة حضرة المحترم الشيخ شرف موسى وذلك فى أوائل شهر شعبان المعظم سنة ١٣٢١ هجريه

على صاحبها أفضل
الصلاة وأزكى
التحيه آمين
آمين

﴿ فهرست الجزء الثانى من فتوح الشام للعلامة الواقدى ﴾

﴿ تمت الفهرست ﴾